سلسلة أعيان من شيوخ الشاذلية بالمغرب (١)

الإمام سيدي محمد بن أحمد البوزيدي

ترجمته وبعض آثاره

تأليف
الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

سلسلة أعيان من شيوخ الشاذلية بالمغرب (3)

الإمام سيدي محمد بن أحمد البوزيدي

ترجمته وبعض آثاره

تأليف

الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

DKI

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: The life and works of Sidi Muhammad ben Ahmad al-Bûzaydi

Author: Dr. Muhammad ben Muhammad al-Mahdi al-Timismâni

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 328

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: الإمام سيدي محمد بن أحمد البوزيدي (ترجمته وبعض آثاره)

المؤلف: الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

الناشر: دار الكتب العلميـــــة ــ بيروت

عدد الصفحات: 328

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنــان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-4978-4

9 782745 149787 90000 >

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٦ م.١٤٢٧ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

الحمد لله الذي هـــدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الحمد لله الذي وفـــقني لجمع هذا الكتاب الذي يتضمن:

- ترجمة سيدي محمد البوزيدي، الشـــريف الحَـسَـــني.
- بعض رسائل سيدي محمد البوزيدي.
- شـــرح ســـيدي محمد البوزيدي للأبيات الثلاثة التي أولها: تَـطَهَّـــرْ بماء الغيب إنْ كنتَ ذا سِـــر.
- كتاب (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية) لسيدي محمد البوزيدي.
- فهارس كتاب (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية).
- قصيدتان لسيدي محمد البوزيدي: الرائية والتائية.
- تراجم بعض تلاميذ سيدي محمد البوزيدي، وعلى الأخص سيدي أحمد بن عجيبة وسيدي الهاشمي بن عجيبة، وذكر بعض أحبائه.
- موسم سيدي محمد البوزيدي.

لا أزعـــم أني جمعـــت في هذا الكتاب كل ما تركه الإمام البوزيدي، فقد قال ســـيدي أحمـــد بـــن عجيبة في مقدمة شرح رائية شيخه (وله كلام في علم الحقائق ورسائل كثيرة عند أصحابه لو جمعت لكان سفراً كبيراً)، وقال سيدي محمد بوزيان في تـــرجمته لسيدي البوزيدي (قد ترك من الأذواق ما لا يعد ولا يحصى فلو جمعت رسائله ومنظوماته ووارداته لأربت عن مجلدات عدة).

قـــال سيدي عبد الله بن المبارك (نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير مـــن العلـــم) وقال (من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عـــوقب بحـــرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة)، وقال

سيدي أبو علي الدقاق (العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى)، وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني (أجمع أهل الله على أن علو الدرجات إنما يكون بزيادة الأدب).

كتاب **(الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية)** لسيدي محمد البوزيدي كتاب قيم نفيس في غاية النفع والإفادة، ومليء بالنصائح والحكم والإرشادات وختمَه الشيخ بمناجات رائعة.

قال سيدي أحمد بن عجيبة: **(وقد ألف الشيخ رضي الله عنه في آداب المريد كتاباً جليلاً لم يؤلف مثله في الإسلام، تتبع الآداب من أولها إلى آخرها، فجزاه الله عن المسلمين خيراً)** وقال (وقد جمع شيخنا البوزيدي الحسني رضي الله عنه **كتاباً جليلاً، جمع فيه من الآداب ما لم يوجد في غيره، فيجب على كل مريد طالب للوصول مطالعته والعمل بما فيه).**

أتمنى أن ينتفع بهذا الكتاب كل مريد في مشارق الأرض ومغاربها حتى يكون له عوناً على قطع مسافات مهمة في الآداب ويصل إلى غاية التحقيق، وكان الله على كل شيء مقتدراً.

خدمة لكتاب (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية) وزيادة في تسهيله وتيسيره وتقريب مواضعه واقتناء درره ولآلئه، فقد وفقني الله تعالى إلى وضع فهارس عديدة ومتنوعة ومفيدة.

أخبرني عدد من العارفين بالله رضي الله عنهم جميعاً بأن سيدي محمد بن أحمد البوزيدي هو الشيخ الأكبر بالمغرب.

سيدي محمد البوزيدي ترقى بسرعة كبيرة جدًّا.

عندما التقى سيدي البوزيدي لأول مرة مع شيخه مولاي العربي الدرقاوي، كان آنذاك من الأبدال.

خلال الستَّة عشر سنة التي قضاها سيدي البوزيدي في حجر شيخه، ارتقى سيدي البوزيدي من درجة البدل إلى أن وصل إلى مقام القطب، ثم مقام القطب البسيط، ثم مقام الفرد.

ثم ترقى سيدي البوزيدي إلى مقام الفرْد الصَّنــْـدَاني.

سيدي البوزيدي هو أكبر ولي في المغرب.

قال مولاي العربي الدرقاوي بخصوص تلميذه سيدي البوزيدي (والله ما هو إلا سيدنا كلنا كبيرنا وصغيرنا أحببنا أم كرهنا).

أسأل الله تعالى أن ينتفع الخاص والعام بهذا الكتاب، في كل زمان ومكان، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكسوه بجلباب القبول، وأن يتقبله منا بأحسن قبول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تفتح لنا بها جميع الأسباب، وتلهمنا بها الحكمة والصواب، إنك أنت الكريم الوهاب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

الرباط، المغرب

الـــبـاب الأول

ترجمة سيدي محمد البوزيدي

(توفي سيدي البوزيدي عام 1229 هجرية)

قال سيدي محمد بوزيان الغريسي المعسكري

في كتابه "الـطـبـقـات":

(خـــالص خاصة صفوة خلاصة أرباب الشهود والعيان، وإنسان عين أعيان عيون قادة قدوة المتمسكين في الرسوخ والعيان، بحر جواهر لآلئ ياقوت المرجان، مـــن أعطى في وقته ما لم يعط أحد من الخيرات الحسان وعرائس أبكار حور العين الـــتي لم يطمـــثهن إنـــس ولا جان، من شرب كأس الحقيقة حتى خرج الري على أظفــــاره، ورأى ببصيرته ما فاض نوره على حدقة أشفاره، فأدرك بنور الحق ما لا يرى قط، وسمع ما لو سمعه شامخ الأطواد لدك وسقط، فرد الأولياء، وسيد أهل وقته بـــلا امتـــراء، مـــن بكت عليه السماء والأرض، وصاحب المقام الأسمى، والمرتبة العظمـــى، مـــن طلعت شمسه في أفق السماء، وأحيى الله به قلوباً غلفاً وعيوناً عمياً وآذانا صما، الحصن المانع الأحمى، وبمثل هذه وأحسن منها كان الشيخ[1] رضي الله عنه يترجمه بها، وهو سيدنا وعزنا وفخرنا وعنايتنا ونصرتنا ورفعتنا، وعطيته وهيـــبته وكـــرامته ومنـــته ورحمته التي ظهرت منا وإلينا وفينا وعلينا، وبدر طريقتنا وشمس ضـــحاها، وفلـــك حقيقتـــنا وقطب رحاها، ورئيس سفينتنا التي بسم الله مجراها ومرساها، وناشر لواء المعاني على من خلعت عليه وكساها، الواضح الآيات، البين العلامـــات، الـــساكر الصاحي الجامع، الفقيه الصوفي الكامل الواسع، الشيخ الجليل القـــدر، العظـــيم الشأن والخطر، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بوزيد الغمَاري

(1) أي الشيخ مولاي العربي الدرقاوي.

السَّلْمَاني الحَسَني، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنة النظر والمعارف مثواه.

كان رحمه الله قبل ملاقاته بأستاذنا شابا صغيرا قد حبب الله له الانقطاع إليه، والاعتماد عليه، ودوام الصيام والقيام سائحا في الخلوات زاهدا، ورعا عابدا مجتهدا، لا يأوي إلى العمارة، بلغ في مقامه هذا مبلغا عند الله عظيما، نشأ على ذلك منذ الصبا لأن والدته رضي الله عنها كانت من الصالحات المتعبدات مأوى للعُبَّاد والزهاد يأتونها من بلد إلى بلد بقصد الزيارة والتبرك، فأخذه ذلك الحال، ورحله غاية الارتحال، فساح وجال بشاطئ بحر طنجة حرسها الله، فلما أراد الله به الكمال الحقيقي وسلوك طريق الشهود والعيان ترقيًّا عن الدليل والبرهان ونفع العباد به وخدمة شيخنا وأولاده وعز طريق التصوف وأهله قيض له سبحانه وليًّا من أولياء الغيب فقال له اذهب إلى فاس فشيخك بها وهو فلان الفلاني إذ الطريق لا تسلك بدون شيخ فقدم إليها وهو لا يعرفها ولا يعرف أهلها ولا الشيخ الذي قصد فسأل عنه فدل عنه في الحين فلما قرع الباب عليه خرج ونظر إليه فأخذ بيده وأدخله على أولاده وقال ما مثلك من يقف بالباب وأنا أنتظرك منذ كذا وكذا، فلقن له بعد الورد اسم الجلالة ألله إذ هو اسم الله العظيم الأعظم وسلطان الأسماء لأنه علم على ذات واجب الوجوب وهو عينها والأسماء كلها للتخلق إلا هو فإنه للتعلق كما قال سيدنا أبو العباس المرسي رضي الله عنه، فأخذه عنه بشروطه فنجح وأفلح، فلا تسأل حينئذ عما أخفي لهم من قرة أعين من الخير والفضل والبركة والسر والنور والبهاء ورفعة القدر في الدنيا والآخرة.

قام بأولاد الشيخ والإخوان والأضياف أحسن قيام، وكفاهم أمرهم ومؤونتهم على الدوام، علي المقام، مسموع الكلام، ظهرت لكل أحد فتوحاته، وانتشرت خلله وبيناته، أشرقت عليه شموس عظمة الذات، فغيبته عنه وعن جميع الكائنات، مصحوباً بالتأييد، مسلوكاً به طريق الكمال على التجريد والتفريد، لا يخرجه جمعه عن حد الاعتدال إلى الانحراف، كأهل الجمع الصرف وأرباب الاستشراف، وسمعته يقول في قول الشيخ الجليل سيدي محيي الدين بن العربي الحاتمي رضي الله عنه (المشاهدة يتقدمها علم، والرؤية لا يتقدمها علم): هذا قاله بحق وقد وقع بنا فجأة

فغبت عني وعن كل شيء برؤيته على ما يليق به مع حفظ الشرائع، قال: وكنّا نجلس في بعض الأوقات بباب مدرسة العطارين والناس كما علمت من كل جانب كالسيل إذا سال بارك الله في أمة النبي صلى الله عليه وسلم ونحب أن نراهم فلا نراهم إلا كالتآبيب التي تكون في كورة الشمس لا وجود لهم ونقبض على ذاتي ونقرص عليها قرصا شديدا كي نؤلمها ويحصل لي بعض الشعور بذلك فلا نجد له ألما ولم يدخل علي من ذلك سقمٌ والغير مفقود بالكلية كما هو في حقيقة الأمر والورْد الشرعي محفوظ علينا بتوفيق وتأييد من الله.

وسمعته يقول خرج بعض الأيام على باب الجيسة من فاس حرسها الله وصعد نحو القبَابْ [1] وهو في سكر عظيم فلقيه رجل عظيم القدر بهي المنظر ليس عليه أثر سفر ولا يشبهه أحد من أهل المدينة ولا البادية ولا البَرابر فظنه سيدنا الخضر عليه السلام فقال له أيحيط العارف، فأجابه سيدي محمد: وإن الله قد أحاط بكل شيء علما، ورده لحقيقة العارف إذ حقيقته الله، قال فتبسم وانصرف. وسمعته يقول سأله هو أو غيره من أولياء الغيب ما حقيقة العلم؟ قال له سيدي محمد: العمل فقال له وما حقيقة العمل؟ فقال له: الحال قال وما حقيقة الحال؟ قال له: الخراب الذي أنا فيه، فأعجبه ذلك وتبسم وانصرف، وقد كان سيدي محمد على خراب كبير لا يطيقه إلا من وفقه القوي القدير.

وحاصل الأمر أقول الحق ومن نفسي أنصف، هو أعلى وأجل من وصفي الذي له أصف، ولو جمعت ديواناً في سلوكه وجذبه، لم نف بغاياته وكنهه، وكيف وقد سمعت من الشيخ مراراً لا تحصى يقول سيدي محمد أكبر من الشيخ الجليل سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنهم، وسمعته مراراً يقول في حقه: هو الفرد والفرد أكبر من القطب في العلم بالله تعالى كما قاله الشيخ الحاتمي رضي الله عنه في مقام الفرد، وكان يقول لنا دائما في غيبته في حياته وبعد موته: سيدي محمد بوزيد هو

(1) القبَابْ: مقبرة تقع خارج باب الفتوح، في مدينة فاس، في المغرب.

الفرد والفرد هو أكبر من القطب في العلم بالله تعالى، ودخل الشيخ عليه لخلوته التي بـــدار الشيخ وقال له: يا سيدي محمد منذ كذا وكذا – وذكر له مدة طويلة- وأنا أريد أن أخبرك بأمر قد أطلعني الله عليه والآن قد أذن لي في إعلامك به أنت الفرد والله على ما نقول وكيل والفرد أكبر من القطب في العلم بالله تعالى، ولسان الشيخ رضـــي الله عـــنه لسان الصدق والورع مالكٌ لأحواله لا يزيد ولا ينقص في جميع أعماله وأقواله وأحواله، قال عقدت عقدة الصدق في ابتداء أمري لا أزيد ولا أنقص ولـــو رأسي يزول فانعقدت بحول الله وامتزجت بدمي ولحمي ومن أراد أن يصدقه الله في كل ما يقول فلا يزيد ولا ينقص ولو رأسه يزول، قال لي مراراً: إن أردت أن تكـــون أعلـــم العلماء كلهم فلا تترخص في المنطق ولا تزد ولا تنقص، وكفى بها شهادة من الشيخ لسيدي محمد.

وقرأ علينا يوماً من شرح ابن حجر على الهمزية وذكر فيه أمرا وقع بين سيدنا أبي بكر الصديق وبعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وانتصار النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وظهور مرتبته التي لم يدركها أحد من أمته إلى أن قال لا تؤذوني في صاحبي أبي بكر لما قال الناس كذبت قال هو صدقت ووقاني بنفسه وأنفق علي ماله وزوَّجني بنته وكذا وكذا وعد من شمائله وحسن خلاله كثيرا وهو مؤدب الأمة وإن كان المقول له أفضل الناس بعد أبي بكر الخليفة الأعظم الفاروق المحترم لئلا يتعرض الفاضـــل للأفـــضل أو يتقدم الكامل على الأكمل، ويكون بذلك التأسي والعمل، فطـــوى الشيخ الكتاب رضي الله عنه وبكى بكاء وسالت عبرته على لحيته إذ كان رقيق القلب قريب الخشوع محبًّا في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أصحابه كلهم وآله وأزواجـــه وذريـــته والمؤمنين أجمعين يعظم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ويستحضره ويجله ويتزعزع ويتصدع ويقشعر ويخشع ويخضع وقال وهو في ذلك الحال: وأنا عبد الله العَرْبي الدرقاوي والله ما نفعني أحد ما نفعني سيدي محمد بوزيد ولا خـــدمني أحـــد مثله ولا وافقني أحد مثله ولا كذا ولا كذا وصار يذكر فضله وخـــصوصيته ويظهـــر مرتبته ومزيته وكلام هذا معناه في جم غفير وجمع كثير من الإخـــوان علماء وصلحاء وقرَّاء وأساتيذ وفقراء رضي الله عنهم أجمعين وربما كان

هناك من تحمله النفاسة لتقدمه عليه في الطريق وبلوغه مرتبة التحقيق.

وسمعت صاحب الترجمة يقول علم سيدنا الخضر في علم سيدنا موسى عليهما السلام الذي علمه في قوله أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار مما حكى الله عنه وغير ذلك مما كان قد هيأه له وأعده له لو صبر في قول النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك علم أويس القرني في علم سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك علم الفرد في علم القطب رضي الله عنهما، إنما هذه أمور خصوا بها ومزية، والمزية لا تقتضي التفضيل. قلت لا أدري هل هذه المسألة الثالثة كاللتين قبلها حقيقة أو قال ذلك تواضعا من حيث أطلق الشيخ عليه هذا الاسم وأراد تستر حاله وإظهار العبودية وكانت وصفه ولا يظهر عليه غيرها.

كان رحمه الله محبًّا للشيخ مرافقا له ومجاورا له وملازما لداره أكثر من داره هو، يخدمه ويقضي مآربه ويحمل له من كل ما عنده ويقول له في كل مرة: يا سيدي كل ما ملكني الله فهو لك حتى روحي فهي لك ملكا، حتى كان هذا القول هو آخر قول قاله له قرب وفاته.

قد خرج على يديه العدد الكثير من المريدين، فكان له بنون وحفدة وأبناء الحفدة، ويكفيك فيهم الأخوان العالمان الوليان العارفان المحققان الشريفان سيدي أحمد بن عجيبة وسيدي الهاشمي بن عجيبة وابن عميهما الأستاذ الجليل ولي الله سيدي أحمد بن عجيبة الصغير وسيدي عبد السلام القاضي وسيدي الحسن الكتامي وسيدي ابن يونس وسيدي أحمد بن قر وفقراء الرِّيف(1) والفَحْص(2) وغير ذلك نفعنا الله بجميعهم، وقد هدى الله بابني عجيبة خلقا كثيرا وجما غفيرا فأمرهما أشهر من نار على علم.

وكان يحض أصحابه وجميع من زاره واستنصحه من إخوانه في الله على خدمة

(1) الرِّيف: سلسلة جبلية في شمال المغرب.

(2) الفَحْص: السهل الممتد حتى جنوب مدينة طنجة.

شيخه والدءوب على ذلك ويقول: (لا يحسب أحد **التصوف** في كثرة الذكر أو في الانقطاع عن الخلق أو مطالعة كتب القوم أو الصمت أو الجوع أو القيام أو الصيام أو التجرد أو غير ذلك من النسك من هوى النفس من غير مؤدب، لا والله ما الأمر كذلك، **وإنما هو في ملازمة الشيخ وخدمته وسلب الإرادة إليه والأدب وترك التدبير والاختيار معه وطرح النفس والروح بين يديه كالميت بين غاسله**). قد دخل من هذا الباب، فرآها أصلا لجميع مواهب الاكتساب، فكان يأتي على الدوام والاستمرار لدار الشيخ هو وجميع من ينتمي إليه ويخدم كالواحد منهم كل ما يحتاج الشيخ إليه سواء يعرفونه أم لا عزما وتوكلا على الله، لا يتأخر عن اللبن والقَرْمود والجِيْر والبناء وغير ذلك فأحرى عمل البادية.

ولا يعرف في حضرة الشيخ غيره ولا يباين علمه أو يظهر فهما يخالف فهمه، وقد رأيته مرارا يتذاكر مع الإخوان في معنى من المعاني الظاهرة أو الباطنة وحين يأتي الشيخ رضي الله عنه ويجلس يسأل في أي شيء تتذاكرون وكانت عادته كذلك فيخبرونه بالمسألة فيقول قولا يخالف قول سيدي محمد فيها، فيرجع إلى قول الشيخ في الحين في أول لفظ ظهر منه وينكر علمه وفهمه وذوقه ويتبرأ منه حتى يكون ذلك عجبا لمن يسمع ويرى، ولكن هو يعرف لأنه كان في حال جذبه بخلاف ذلك، ومن سلك طريق القوم علم مخاوفها.

ولا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وأهل مكة أدرى بشعابها.

وجماع القول أن أمره عظيم، وخطره جسيم، لا يعرف شأنه وقدره، إلا من مارسه ودخل ديره وميز ضيره وخيره وسار سيره. كان نادرة الزمان، وآية من آيات الرحمن، سكن من أرض المعارف ربوة ذات قرار ومعين، وفض ختام عرائس أبكار المعاني المخدرات الحور العين، وأقام على ذلك زمانا طويلا، وصدره أربابها واعتمدوه أخذا وتعويلا.

قد ترك من الأذواق ما لا يعد ولا يحصى، فلو جمعت رسائله ومنظوماته وارداته لأربت عن مجلدات عدة، وجد من ذلك أستاذنا الشريف قدر نصف القامة

نادرا أوراقا مفرقة مختلفة المعاني بحسب واردات الغيب لم يخرجها ولا ألفها وبوبها وجمعها لبعضها، إذ كان فيضه ربانيًّا لا يلتفت لما فات منه وخرج عنه، وبقي بأيدي الإخوان في كل بلدة من مذاكرته وحكمه ورسائله ومنظوماته ما فيه كفاية لا سيما كتابه المسمى بالآداب المرضية أجاد فيه ما شاء ومنظومته التائية في الخمرة الأزلية وسلوك طريق الصوفية التي مطلعها:

أيا من تجلى في بهاء جماله ... وسر كماله وعز ورفعة
تجليت بأسرار سرك ظاهرا ... وأخفيتها بعد الظهور لحكمة
وأبهمت أمرها على الخليقة جملة ... سوى عارف صفي من كل علة
له بالمعاني علم يدريها كيف ما ... تجلى بهاؤها على كل هيئة
محوت سواك عنه محواً مؤبدا ... وعاين حضرة المعاني القديمة
بأنوار علمها بدت لفؤاده ... وبضوء حالها رأتها السريرة
تنزلت الأسرار من بحر سرك ... فأجرى عليها منك حكم الكثافة
وبدا ظلال السر في الحس جهرة ... وهي التي كانت عليه أدلة
وصورة في الظهور طوت جميعه ... كما طوى سرها معاني الحقيقة
فسرها قد أحاط بالأشياء جملة ... وإن كان بالجسم الأشياء محيطة
فنقطة السر بحر والحرف برها ... ومن حرفها الحروف بدت لحكمة
وبالنقط والأشكال زادت تبينا ... لمن له علم بالمعاني القديمة

يشير بالحرف للرسول صلى الله عليه وسلم، وقال أيضا في رؤية القوم له بعد كلام في استمداد الخلق كلهم منه إيجاداً وإمداداً:

وخصوا بسره الخفي بين الورى ... وأعطاهم منه قرباً فوق الخليقة
ولا زالوا في ارتقاء نحو كماله ... حتى بدت صورة الحبيب البهية
كأن سواها في المظاهر لم يكن ... وهذه رتبة من أقصى الولاية
فلهم عينان للجمالين ناظرا ... فهذي لحالة وهذي لحالة

فـــواحدة تطـــوي الوجـــود بأسره ... وأخـــرى لـــه بالنشر في كل ساعة
فـــيا لـــه مـــن مقـــام ما أعلى أمره ... لـــبعض رجالـــنا مـــن أهل طريقة
وهـــذا علمي وفوق علمي علومهم ... فلـــم أدر ســـوى البعض منها لغفلة

وهي منظومة فيها ستة وستون بيتاً وثلاثمائة لها معانٍ كثيرة وفوائد غزيرة.

ونعرف له أيضا رائية جليلة فيها تسعة وعشرون بيتا مطلعها:

عليك بتقوى الله حيث توجهت ... وكن كريم الأخلاق في السر والجهر

قـــد شـــرحهما العالم الجليل القدر الصوفي المحقق أبو العباس سيدي أحمد بن عجيـــبة الحـــسني رضي الله عنه رأيت شرحه لهما ألبسه فيه وصفه وأبدى حقيقته ونعـــته، غـــير أنه لا يعرف قانون الشعر ولا يلتفت إليه في منظوماته وأرجوزاته ويحب أن لا يبدل كلامه وكان يوصي شارحه بذلك غاية ويقول نحبه كما أتانا غيـــباً وهبـــيًا ليس للكسب فيه حظ كذلك يبقى ولا علينا في أحد، فمن طلب المعـــاني وجـــدها، ومـــن طلب الحروف والأوزان بقي معها، جعلنا الله من أهل القلوب بمنه، وكلامه كله بيّن مفيد يعطي الحقيقة حقها، والشريعة حكمها، برزخا بين بحرين لا يبغيان، ساكرا صاحيا حاضرا غائبا الوصفان لديه سيان. قال لي بعض الأيـــام: الاقتداء لا يكون بغير الكامل الجامع وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلـــهم رضـــي الله عنهم أهل كمال فلذلك قال (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديـــتم) لكنهم متفاوتون فمنهم من سكر بالذات صاحي بالصفات، ومنهم من سكر بالصفات صاحي بها.

وقـــال لي مـــرة أشهدك الله على ما علمك الله هل وصفت أنا الخمرة الأزلية بقولي تنزلت الأسرار من بحر سرك "البيتين" أو إمام العشاق العارف بالله سيدي ابن الفارض رضي الله عنه في قوله:

يقولون لي صِفْـــها فأنت بوصفها ... خبـــير أجَلْ عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطـــف ولا هوا ... ونـــور ولا نار وروح ولا جـــسم

ففهمـــت منه أنه يقول لي ذهب ليصف فما وصف وذكر حال الحيرة وأجنح للتنزيه بمرة وهو رضي الله عنه أعطى للحق حقه وبين في الفتق رتقه ففهمه كل ذائق

وصدقه، وإن كان الشيخ الجليل سيدي ابن الفارض صاحب السر الفائض من كبار أهل هذا الشأن، وممن بسطت له في العرفان اليدان، عظيم القدر طويل الباع، تصغي إليه الآذان وتميل لكلامه النفوس والطباع، تغزل في الخمرة غزلا رقيقا، ودقق المعاني تدقيقا، ونوع الأساليب، وخالف التراكيب، وكنى وأبهم، ولوح وأشار لمن فهم، وإنما كلامنا معه في هذين البيتين حيث تبرع فيهما بأنه يصف وأنه له بأوصافها علم فأثبت وصفا ونفى آخر والله أعلم بمراده.

والحاصل خبره وسره بحر لا ساحل له، نفعنا الله برؤيته ومحبته، وقد قدمني للصلاة غير ما مرة، **كان متواضعا مع كل أحد، كريم المائدة، لا يملك مع الشيخ والإخوان شيئا**، وقد رأيت منه حين نكون عنده بداره كأننا والله أكابر الأولياء والصديقين، كل ما يأتي به يستقله في حقنا ويأتي بآخر، وهكذا كان مملوكا للشيخ هو وما معه وله وعنده لا يستقل دونه بشيء إلى أن مات رحمه الله تعالى ورضي عنه ليلة عاشر المحرم والله أعلم سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، ودفن بداره في البيت الذي توفي فيه بزاويته التي بتجساس على شاطئ البحر بقبيلة غمارة حرسها الله بمنه آمين وزادها الله شرفا به إلى يوم الدين. وسمعت من شيخنا رضي الله عنه مرارا يقول بعد موته أي سيدي محمد هو والله فرد الأولياء وسيد أهل وقته بلا امتراء وهو ممن بكت عليه السماء والأرض. وشمائله كثيرة نفعنا الله به آمين).

كلمتان لسيدي أبي بكر البناني

* قال سيدي أبو بكر البناني في كتابه " مدارج السلوك إلى مالك الملوك ":

(ويرحم الله فرد الوجود، ومفيض العلوم العرفانية على بواطن الفقراء وإمام أهل الجود، أبا عبد الله سيدي محمد البوزيدي الغماري)

* وقال (ولما كان المقصود من العلم هو الفناء في الله وكان التخلي عن افراد الكون وسيلة إلى ذلك صح للعارف بالله سيدي محمد البوزيدي أن يقول في جوابه للخضر عليه السلام وقد سأله عن حقيقة العلم فقال له العمل قال وما حقيقة العمل قال الحال قال وما حقيقة الحال قال الخراب الذي تراني فيه وكان مخرب الظاهر فسلم له وذهب).

[أخذ سيدي أبو بكر البناني الطريقة الدرقاوية الشاذلية عن شيخه سيدي عبد الواحد الدباغ، عن شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي].

قال سيدي أحمد بن عجيبة في مقدمة شرحه لتائية شيخه سيدي محمد البوزيدي:

فهذا شرح لطيف متوسط على **قصيدة شيخنا** العارف الرباني، الفرد الصمداني، سيدي محمد البوزيدي الحسني، مضمنها شرح الخمرة الأزلية وما يوصل إليها من آداب العبودية، وهي **من بحر الطويل غير أنها مكسورة ملحونة لأن ناظمها أمي في صناعة العربية والميزان، لم يعرف مبتدأ ولا خبرا ولا فاعلا ولا مفعولا قال ما جلست قط مجلس علم، فما عنده إلا علم لدني**، والمقصود من الكلام اقتطاف المعاني لا زخرف الأواني، إلا أنه إذا حسنت الأواني والمعاني قبله العام والخاص، وإذا حسنت المعاني دون الأواني قبله الخاص دون العام، وإذا لم يحسن الأواني ولا المعاني لم يقبلها خاص ولا عام، ولنقدم بين يدي الكلام التعريف بالناظم فنقول والله المستعان: هو شيخنا الإمام العارف الرباني قدوة السالكين ومنار الواصلين سيدي محمد بن أحمد البوزيدي السلماني الشريف الحسني. أخذ أولا في تجويد القرآن ثم تجرد للسياحة والعبادة سنين فلقي بعض الصالحين فقال له حاجتك بفاس عند مولاي العربي الدرقاوي، فقصده وأخذ عنه وبقي في خدمته وتحت تربيته نحو ستّ عشرة سنة ثم أطلقه من الحجر وأمره بالتربية وشهد له بالخلافة، وقد سمعت منه مراراً يقول: هو خليفتي حيًّا وميتاً، وكتب رسالة في شأنه ينوه بقدره ويحض على تعظيمه ومعرفة قدره............ وكتب أيضا رسالة أخرى في شأنه...........وله أيضا رسالة أخرى قال في أولها بعد الحمد لله والتصلية: اعلم يا أخي أن الله قد أعطاك عطاء كبيرا، فقهك في طريق أوليائه، وجعلك من ورثة أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين فاشكره - إلى أن قال في آخرها- وقد أحببنا بحب الله سيدي محمد بوزيدي أن يتهيأ لزيارة والدته وأهله وأن يكون على بصيرة في القدوم على أهله ليقيم بها يذكر عباد الله، والله يا سيدي محمد بن أحمد ما علمت حاجة بقيت لك عندي ولا عند غيري ولنا عندك حوائج، بارك الله فيك وفي حوائجك إلى يوم القيامة، وقال في وسطها: واعلم يا سيدي أن الله علمك علماً لدنيًّا إلى يوم القيامة وعلّم أولادك وأحبابك وأهل وقتك على يدك وعلى يد أولادك وأولادهم وأولاد أولادهم إلى يوم القيامة. انتهى المقصود منها. ولقد شهد له بالفردانية فقال:

مقـــام سيدي محمد بوزيد مقام الأفراد، والفرد أكمل من القطب في العلم بالله كما لابن عربي الحاتمي، هكذا سمعته من شيخه في بني زروال. وله كرامات تركنا ذكرها خـــشية الإطالـــة مع أن طريق المحققين لا يلتفتون إلى الكرامات الحسية إنما المعتبر عندهم الكرامات المعنوية كتحقيق المشاهدة وتمام الاستقامة كما قال الشاذلي رضي الله عـــنهم أجمعـــين، ولقد كنت قلت في مدحه أبياتا حين قدم من بر النصارى في تـــشييع ولد السلطان سلامة، ومر عليه هول كبير في البحر ثم سلمه الله، فلما قدم ذهبنا للقائه فأنشدت في الطريق هذه الأبيات:

بـــشرى لـــنا والهـــنا بضوء نجم دنا   مـــن بعـــد ليل دجا في ظلمة الليالي
فهـــذا فجـــر طلـــعْ والنور منه سطعْ   والـــسر مـــنه نـــبعْ يـــا منية الأمل
من شيخنا البوزيدي من نسل طه الهادي   يـــسقي ذوي الرُّشْد من خمرة الأزل
يا فوز من قد وفا من بحر عذب صفا   فكـــم علـــيلاً شفا من خمرة الزلل
فلـــذ بـــه إن سمـــا بـــك المقام إلى   صـــفو الـــشراب بلا مزج ولا دخل

قال سيدي محمد البوزيدي نفعنا الله ببركاته في كتابه
" الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية " :

* وقد مَنَّ الله علينا في حال صغرنا بالتعظيم لأهل النسبة والنية الصالحة ففتح الله علينا فتحاً كبيرا لله الحمد وله المنة، ومن أعظم هذا الفتح أن ألقانا الله بشيخ كامل قلَّ في الزمان الذي فات مثله ونلنا منه الحظ الأوفر والسر الأكبر.

* ولما لقيت شيخنا الإمام الهمام، العارف بالملك العلام، سيدنا ومولانا العربي بن مولانا أحمد الشريف المنيف الدرقاوي الحسني رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين بحضرة فاس حرسها الله من كل بأس عام ستة وتسعين ومائة وألف، وقد أخبرني بفضل الله قبل قدومي عليه رضي الله عنه، والسبب في ذلك أنه كان هناك مع إخوان له في شيخه[1] فانحرفوا عنه بعد موت الشـــيخ وادعى كل واحد منهم بالدعاوي الكثيرة ومن جملة الدعاوي أن جعلوا الشيـــوخ منهم على وفق نفوسهم، وكان شيخنا رضي

(1) أي الشيخ سيدي علي العمراني الجمل.

الله عنه ينصحهم ويذكرهم ويجلس لهم مع الباب الذي ينزلون فيها البْلاَغِي[1]، وكانوا لطف الله بنا وبهم لا يقبلون منه المشيخة إلا أن كلامه كانوا يقرونه كثيرا لأن الحق لا يرده أحد، ولكن لما غلب الحسد على قلوبهم كانوا لا يسمعون منه شيئا بقلوبهم، ولو سمعوا بالقلوب لانقادوا إلى حضرة علام الغيوب قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنعام: 36]، فلما أيس من هدايتهم خرج يوما بنية أن لا يعود أبدا إليهم فبينما هو مار في بعض أزقة المدينة المذكورة وهو يقول في نفسه هذا المريض الذي بين يدي عالجته بكل العلاج إن كان للموت يموت وإن كان للحياة يحيى وقد تعذر من يصحبني في هذا الفن يا رب، قال رضي الله عنه فإذا بالنداء من قبل الله تعالى يقول سيأتونك أهل هذا الطريق من البحار ويخلقون لك من الحجار، فما بقي بعد هذا إلا أياما قلائل وأنا عبد الله قدمت عليه بإذن ولي من أولياء الله تعالى وذلك بعد أن تعلق قلبي بملاقاة القطب الكبير وكنت أطلبه في كل سجدة إلا نادرا وكنت والحمد لله مشتغلا بذكر الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم تاليا لكتاب الله عز وجل معتزلا بنفسي في الخلا مصليًّا قائماً وصائماً وكان ذلك الولي يحبني غاية المحبة وكنت لا أرضاه شيخا فلما رآني تعلقت همتي بغيره وأردت المسير إلى مكة لكون الناس يقولون القطب الكبير هو بها أبدا فلما علم مني هذا الولي ذلك قال يا أخي هو بفاس عليك به وهو فلان الفلاني، فقصدته في الحين مسرعا فوصلت لفاس وسألت عنه فلم نجد له خبرا فلم أزل أفتش وأسأل عنه حتى وصلت إلى باب داره ونقرت الباب وخرج إلي رضي الله عنه مسرعا فقبلت يده الكريمة وطرفه الشريف، فقال لي من أين جئت، قلت له يا سيدي من البحر، فقال من أين من البحر، فقلت من جبل أشقر، **فقال ما تريد عندنا**، **فقلت أردت أن أكون ببـــركاتك من ملوك الآخرة،فقال أعطيناك سلطنة الدنيا والآخرة**، فدخل مسرعا للدار وقال لي ادخـــل فإن مثلك لا يترك خارج الدار، فأدخلني ورحب بي **وأجلسني على سجادته التي كان يقعد عليها في خلوته** فأطعمني وسقاني وجعل يحدثني ويوصيني، فمن جملة ما أوصاني به رضي الله عنه أن

---

(1) البْلاَغِي: أي الأحذية التقليدية المغربية.

قال لي يا ولدي احذر من صحبة ثلاثة أصناف من الناس المتصوفة الجاهلين والقراء المداهنين والجبابرة الغافلين، فما صحبت أحدا من هذه الثلاث إلى الآن والحمد لله رب العالمين........وكان لا يعرفنا أحد في ذلك الوقت غير بعض إخوان قليلين من أهل فاس كانوا يعرفون شيخه وكانوا يجتمعون معنا بالنهار وبالليل يذهبون إلى ديارهم، **وكنت في الزاوية وحدي أياما عديدة ففتح الله بعد ذلك في الإخوان والأحبة**، وكنا في ذلك الوقت متصلين الذكر والمذاكرة وكنا لا نعرف الليل من النهار إلا بالآذان في الصومعات.........وكان يدلني على السخاء وحسن الخلق والزهد أكثر من كل شيء، وكان يقول لي رضي الله عنه: يا ولدي الرجل هو الذي يشمته[1] الناسُ كلهم اختيارا عن طيب نفسه وهو يفرح لذلك، والشَّمَّاتَة هو الذي يحب أن يشمت الناس كلهم، لأن الرجال عملهم مع الله تعالى، والشْمَايْتْ[2] عملهم مع نفوسهم. وكان رضي الله عنه يحبني أشد من حبه لأهله وأولاده، وكان رضي الله عنه يقول والله واحد ما شد لنا أكتافنا في الله مثل محمد بن أحمد البوزيدي، وبالجملة مدحه لنا كثير بقدر ذمنا وقبحنا وأكثر وأكثر والسلام.

* وأكثر ما يقع الحسد الكبير في هذه الطائفة بعضها لبعض، نجانا وإخواننا من الحسد بجاه شيخنا وأشياخه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال ذو النون رضي الله عنه والله أعلم أو غيره (شهادة الفقراء تجوز على سائر الناس ولا تجوز على بعضهم بعضا لأني وجدتهم حسادا) وهذا ظاهر.كنت والله أظن أن الفقراء لا يحسدون بعضهم بعضا فلما اجتمعنا معهم بفاس وغيرها أصابنا لطف الله بنا وبهم ما أصابنا فكنا تارة بتارة، لأن عداوة الجنس أصعب من كل شيء، كما أن محبة الجنس أيضا أصعب كل شيء.

وكان شيخي رضي الله عنه يجلسني على سجادته وفي موضعه، وكان كثيرا ما يقدمني للإمامة وقت الصلاة، وكان رضي الله عنه يأتيني لموضع كنت فيه ويتذاكر معي مذاكرة رقيقة، **وكان رضي الله عنه إذا رأى مني وصفا مذموما نهاني**

(1) شمت: أي غدر به أو غبنه أو سخره بلا مقابل.

(2) الشْمَايْتْ: أي الشُمَّات، والشُمَّات جَمْعُ شامِت.

عن ذلك نهيا كليًا ويقول: الكبير لا يناسبه إلا الكبير، وكان يقول لي والله ما أنا شاك في ذوقك، وكان يقول رضي الله عنه: والله ما أنت عندنا إلا فوق ما نظن، وكنت جالسا ذات يوم في خلوة لي مع بعض الفقراء فدخل وقال: فبالله الذي لا إلـــه إلا هو ما يدخل ذراعك سيدي أبو العباس المرسي ولا سيدي أحمد زروق ولا أضـــرابهما رضي الله عنه وعنهم وقال إلا أنك حامل لدبلة الفقراء وكان كذلك فذهبت مني تلك العلة في الحين، وكان يقول لي رضي الله عنه إذا جاءك من تذكره ذكـــره الله وأما من فر منك فالماء والشطابة [1] حتى للبحر، وكان يقول لي رضي الله عنه أنت ميموني وأنا ميمونك، ووجدني يوما في حوز فاس عند بعض الإخوان من أولاد جامع وكان هناك رجل من أهل محبتنا حقًا وكان من الصالحين وكان اسمه أبا الشتاء فدخل علي الشيخ رضي الله عنه وكنت مريضا ببصري كاد نورهما يذهب بالكلية وكنت راضيا بذلك فلما دخل قال رضي الله عنه لبعض الفقراء كانوا معنا هـــناك: مـــن أراد أن ينظر وجه أبينا آدم الأكبر فلينظر وجه محمد بن أحـــمد الـــبوزيدي، وكنت في المائة الثالثة عشر من الهجرة في عام خمسة عشر منها نبني له عيـــنا بزاويته الشريفة عمرها الله بالسر والولاية الكبيرة إلى يوم القيامة آمين قال يا ولـــدي مولانا عبد السلام[2] هو الحج الأصغر، قلت له نعم يا سيدي، فقال لي وأنت أيضا حج الأصغر مثله. وكتب كتاباً لبعض إخواننا حيث رأى منهم الإنكار علينا والحسد الكبير لنا فكتب لهم كتاباً وهو يقول فيه مـــحمد بن أحمد خليفتنا في حياتنا وبعد مماتنا رغماً على أنفنا، فما زادهم ذلك إلا حسداً إلا بعـــض الأحـــباء وقليل ما هم، وهذا لا يستغرب منه إذ ما من نعمة إلا وعليها الحساد، وحساد هذه الطريقة أكثر من سائر الطرق لأنها طريق الإرث، ولما طال الحال رجعوا والحمد لله عن ذلك إلا النادر فالله يأخذ بيدنا وبيدهم.

---

(1) الشطَّابَة: أي المكنسة.

(2) أي مولاي عبد السلام بن مشيش، الذي هو شيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي.

ثلاثة رسائل من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي في حق تلميذه سيدي محمد البوزيدي

الرسالة الأولى

إلى كافـــة إخوانـــنا أهل التجريد الظاهر أهل فاس وغيرهم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فإياكم ثم إياكم من قلب الحقائق، والله ما هي خدمة ســـيدي محمد بن أحمد البوزيدي الغماري لنا، والله ما هو عمله إلا لله، ولو كان لغـــير الله حتى يعيى منها، والله ما خدمنا الله عشر العشر من خدمته، والله ما هو إلا ســـيدنا كلـــنا كبيرنا وصغيرنا أحببنا أم كرهنا، والله لا يتكلم فيه بالسوء إلا فاســـق أو منافق أو مخدوع أو حاسد أو راضٍ عن نفسه أو من فيه دعوة نافذة. اللهم ارزقنا ما أعطيته من النية والمحبة والصدق وبارك في عمره يا رب، وارزقنا وإياه الأدب على الأدب حتى نلقاك يا رب يا رب يا رب يا رب يا رب يا رب يا رب. وقد كتبه أفقر الورى إلى رحمة مولاه العربي الدرقاوي تاب الله عليه.

الرسالة الثانية

إلى كافـــة مـــن بفـــاس من إخواننا المتعلقين بنا، سلام عليكم ورحمة الله وبـــركاته، وبعـــد فقد أجزنا سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الشريف فاحترموه وعظمـــوه ووقروه وزوروه واسمعوا له إذ هو خليفتنا في حياتنا وبعد مماتنا رغما على أنفنا، والله ما علمت أحدا من فقراء الوقت يعرف طريق القوم مثله، وأنتم وأنـــا في أثره لأن شمس سعادته وصلت إلى وسط السماء وشمسنا وراءها، وقد أحببناه بأنفسنا بل بربنا أن يقدم إلى بلده يذكر عباد الله كسيدي الشاذلي، والله يبارك فيه وفيكم إلى يوم القيامة، وعليكم بالتخلق بالرحمة على الدوام، رزقنا الله ذلك بجاه النبي عليه السلام. وكتبه عبد ربه العربي الشريف الدرقاوي لطف الله به.

الرسالة الثالثة

أرسل إلى الشريف الصوفي الأكمل سيدي محمد البوزيدي سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد فافتح أذنيك ما استطعت واسمع ما أقول لك واحفظ ولا تنس واشدد يدك عليه ولا تفارقه والله معك. **اسمع يا سيدي إن الله أعطاك عطاء كبيرا حيث فقّهك في طريق أوليائه وجعلك من ورثة أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فاشكره يا سيدي بشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فغاية غاية الكمال الشرائع. واعلم يا سيدي أن الحالة التي كان عليها شيخنا شيخ أهل وقته سيدي علي العمراني رضي الله عنه حالة شريفة كبيرة غريبة قل من كان عليها من أولياء الله تعالى، فإنه كان ظاهرا للناس خفيًّا عنهم بالزي الذي يتزيا به الناس وهو زي أولياء الله تعالى أهل التجريد، واختفى عنهم بالسؤال الذي كان يسأل في الأسواق وبإظهار البخل فإنه كان لا يطعم حبيبا ولا عدوًّا ولا قريبا ولا بعيدا إلا أنه كان لا يعرف أحدا، فوجد قلبه على الدوام بإسقاط الكلف، وهم رضي الله عنهم مع ما به صلاح قلوبهم، وأنت يا سيدي نحبك أن تقلل من معرفة الناس بإطعامهم البْلْبــُولَ[1] بالماء والملح كما كان صلى الله عليه وسلم وكما كان الفقراء في الزمان المتقدم ليظهر الصادق من الكاذب والحبيب من العدو، **فكن يا سيدي على حال شيخنا رضي الله عنه إذ لحاله سر كبير في الوقت الذي بأيدينا وغيره**، وانظر ماذا يفعل الله بأهل الظهور، واعتبر وتأمل في حالة الشيخ المذكورة تجدها كما تحب وترضى من أولها إلى آخرها، كان رضي الله عنه رئيسا كبيرا ماهرا يمشي بأصحابه بالليل والنهار والبر والبحر مع العدو والحبيب ولا يخشى عليهم ولا على نفسه من شيء، قدم مرة إلى المشرق كما علمت وأعطوه الأحباب الخيل الأحرار والإبل والقطائف والدوائر والبقر والغنم وغير ذلك فباع كُلما دخل بيده وقبض حقة فضة وصرفها ذهبا ليصغر الحس وجعل ذلك في خنشة[2] وأتى إلى أولاده فقيرا غريبا كما

---

(1) البْلْبــُولَ: الدشيشة.

(2) خنشة: كيس من قماش خشن (تستعمل عادة للقمح وغيره).

مشى من عندهم وهذا مما يناسب حالنا الذي نحن عليه يا سيدي، **ولذلك قلت لك** لا تأتينا إلا كما مشيت من عندنا. **واعلم يا سيدي علمك الله علما لدنيا وعلم أولادك وأحباءك وأهل وقتك على يدك وعلى يد أولادك وأولادهم إلى يوم القيامة** أن الغيبة التي غبنا من فاس فيها خير كبير كبير كبير ووجوه كثيرة تولانا الله فيها رغما على أنفنا ونحن لم نشعر بذلك فله الحمد وله الشكر على الدوام، هذا وقد أحببنا بحب الله سيدي محمد بوزيدي أن يتهيأ لزيارة والدته وأهله وبلدته وأن يكون على بصيرة في القدوم إلى أهله وبلدته ليقيم بها يذكر عباد الله، **والله يا سيدي محمد بن أحمد بوزيدي ما علمت على حاجة بقيت لك عندنا ولا عند غيرنا ولنا عندك حوائج بارك الله فيك وفي حوائجك إلى يوم القيامة**، وقد أحببنا سيدنا يقيم مخفية للشيخ[1] كما يحب ويرضى ويدفعها إلى ولده هاشم بارك الله فيه ولا تسرف ولا تقتر يا سيدي قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ [الفرقان: 67] صدق الله العظيم، وقد أحببنا سيدي محمد أن يعطي نسخة من هذه الرسالة لأهل فاس إخوانه سيدي عبد السلام بنونة وسيدي الحاج الطاهر الحبابي وسيدي محمد بن إبراهيم وسيدي محمد بن أبي يعزى بارك الله في إخواننا إلى يوم القيامة، ونحب من سيدي أن يدخر رسائلنا ليرحمنا إن متنا قبله ولا يهملها، وحاشا الله أن نتهمه بإهمالها، وكذلك الرسالة التي أمرتك أن تعطي نسخة منها لسيدي الحسين البوزيدي حتى هي نحبك أن تدخرها إذ فيها ما ينفع ولا يضيع شيئا من رسالتك أنت كما قلت والله معك، وسلم على أحبائنا وأولادنا والسلام.

قال لي شيخي سيدي حمزة شقور:

- **سـيدي محمـد الـبوزيدي هو أكبر ولي بالمغرب.** لو أدركتُ سيدي الـبوزيدي حيًّا لما فضَّلتُ شيخاً عليه. **لو عرف الناس مقام سيدي البوزيدي لما**

(1) مخفية: أي قصعة الأكل، بمعنى الإطعام والصدقة.

زاروا غــيره. سـيدي الـبوزيدي لا يلتقي به أحد من الأولياء إلا إذا أراد سيدي البوزيدي ذلك، وإن كان مقام ذلك الولي ما كان.

سيدي البوزيدي لا يعرفه شيوخ الطـريقة بالـمغرب. سيدي بدر الدين بن عجيبة وسيدي عبد القادر بن عجيبة كانا يعرفان سيدي البوزيدي. سيدي البوزيدي ليس سهلا لكي يعرفه الآخرون.

- **سيدي البوزيدي يُرَقِّي العارفين بالله.**
- **زيارة سيدي البوزيدي ليس فيها خطر على العامّة.**

المريد الذي لم يَتَصَف بَعْد، فخَيْرٌ له أن لا يزور سيدي محمد البوزيدي.

سـيدي البوزيدي هو "عَيَّار" الأولياء بالمغرب، أي مَنْ لم يطبعْ له سيدي محمد البوزيدي فلا يدخل إلى الولاية في المغرب.

- سيدي البوزيدي جلالي، طويل القامة، جسمه ممتلئ.
- مولاي علي شقور وسيدي محمد البوزيدي لا يتفارقان.
- سـيدي الـبوزيدي كـان وليًا ويطير قبل أن يلتقي بشيخه مولاي العربي الدرقاوي.

عـندما التقى سيدي البوزيدي لأول مرة مع شيخه مولاي العربي الدرقاوي، كان سيدي البوزيدي آنذاك من الأبدال.

بقي سيدي محمد البوزيدي في خدمة شيخه مولاي العربي الدرقاوي وتحت تربيته نحو ست عشرة سنة، ثم أطلقه شيخُه من الحجر وأمره بالتربية: آنذاك أدرك سيدي البوزيدي مقاما أكبر من مقام شيخه، دون أن يشعر آنذاك سيدي البوزيدي بذلك.

- قـصيدة التائـية لسيدي محمد البوزيدي: **العظمة لله الواحد القهار.** مقام سيدي البوزيدي عالي عالي.

كلام سيدي البوزيدي صعب على من لا يفهمه، كلامه صعب على العلماء.

سـيدي البوزيدي يتكلم على نفسه في قصيدته التائية. ذلك المقام لم يصله مولاي العربي الدرقاوي.

بالخدمة الكبيرة والأدب والإخلاص والنية "الواحدة": بهذا وصل سيدي البوزيدي. **لا تَراجُعَ فيه، ولا تذبذب فيه، وكونه جعل الكل في شيخه**: لهذه الأسباب تعدى سيدي محمد البوزيدي مقام شيخه.

- **محبة سيدي البوزيدي لشيخه مولاي العربي الدرقاوي**، بها وصل إلى درجة عظيمة. **هذه المحبة لا مثيل لها ولا نظير لها عند باقي تلاميذ الشيوخ.**

نية سيدي البوزيدي في شيخه خالصة صافية، حتى عندما أدرك سيدي البوزيدي ذلك المقام العالي فإن خدمته لشيخه لم تنقص بل ظلت قائمة.

- **سيدي البوزيدي جازاه الله**: جازاه الله، لا أن شيخه جازاه، وهكذا أدرك سيدي البوزيدي ذلك المقام العالي.

- لو كان باقي تلاميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي لهم الإخلاص التام الذي كان لسيدي البوزيدي لوصلوا كلهم إلى مقام سيدي البوزيدي.

أسئلة طرحتها على شيخي سيدي حمزة شقور

- قلتُ لشيخي سيدي حمزة شقور: لكل ولي اختصاص، فما اختصاص سيدي محمد البوزيدي؟

فقال رضي الله عنه: الترقية.

مولاي العربي الدرقاوي يُوَلِّدُ الأولياء، وسيدي محمد البوزيدي يُرَقِّيهم، هذا دون أن يشعر تلاميذ مولاي العربي الدرقاوي بأن سيدي البوزيدي يُرَقِّيهم.

عادة، يأتي المدد من الشيخ إلى التلميذ. في هذه الحالة، المدد من التلميذ إلى الشيخ: أي من سيدي البوزيدي إلى مولاي العربي الدرقاوي.

- قلتُ لشيخي سيدي حمزة شقور: عندما توفي سيدي البوزيدي، مَنْ خلفه في تلك المهمة؟

فقال رضي الله عنه: لم يخلفه أحد. مهمة الترقية يقوم بها الفرْد الصَّنْداني.

- قلتُ لشيخي سيدي حمزة شقور: سيدي البوزيدي له فضل على الطريقة الدرقاوية.

فقال رضي الله عنه: سيدي البوزيدي هو الطريقة الدرقاوية.

أسئلة طرحتها على شيخي سيدي حمزة شقور بخصوص أقوال وشهادات الشيخ مولاي العربي الدرقاوي في حق تلميذه سيدي محمد البوزيدي

* قال مولاي العربي الدرقاوي لتلميذه سيدي محمد البوزيدي: (فبالله الذي لا إلــه إلا هو ما يدخل في ذراعك سيدي أبو العباس المرسي ولا سيدي أحمد زروق ولا أضرابهم).

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

ســيدي أبو العباس المرسي قطب وسيدي أحمد زروق قطب، وسيدي محمد البوزيدي فرد.

* قال مولاي العربي الدرقاوي: (وقد أحببناه بأنفسنا بل بربنا أن يقدم إلى بلده يذكرعباد الله كسيدي الشاذلي).

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

آنذاك كان سيدي البوزيدي في مقام سيدي أبي الحسن الشاذلي ثم ارتقى بعد ذلك إلى ما فوق.

* قال الشيخ مولاي العربي لسيدي البوزيدي: يا ولدي مولاي عبد السلام هو الحج الأصغر، فقال له نعم سيدي، فقال مولاي العربي: وأنت أيضا حج الأصغر مثله.

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

مولاي عبد السلام أي ابن مشيش، شيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي.

يشير مولاي العربي الدرقاوي إلى أن سيدي البوزيدي له آنذاك مقام القطب البسيط. القطب البسيط له معرفة بالله أكبر من معرفة القطب.

القطــب البسيط مرشح للغوثانية. عندما ينتهي أجل الغوث، فالقطب البسيط يصبح غوثا.

* قــال الشيخ مولاي العربي الدرقاوي: (والله ما نفعني أحد ما نفعني سيدي محمد بوزيدي، ولا خدمني أحد مثله، ولا وافقني أحد مثله).

قال شيخي سيدي حمزة شقور: هذا اعتراف بالجميل.

* قـــال الشيخ مولاي العربي الدرقاوي: (والله واحد ما شدّ لنا اكتافنا في الله مثل سيدي محمد بن أحمد البوزيدي).

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

مولاي العربي الدرقاوي لم يَصِلْ لولا معاونة تلميذه سيدي محمد البوزيدي.

مـــولاي العربي في التجريد لا يُبالي بأولاده، وسيدي البوزيدي يُباشر ويأتي بما يحصل في يده إلى دار شيخه.

* قال مولاي العربي لسيدي البوزيدي: (والله ما أنت عندنا إلا فوق ما نظن).

قال شيخي سيدي حمزة شقور: هذا تعظيم، ولا يعطيه المقام.

* قـــال مولاي العربي: (واعلم يا سيدي علمك الله علما لدنيا وعلم أولادك وأحباءك وأهل وقتك على يدك وعلى يد أولادك وأولادهم إلى يوم القيامة).

قال شيخي سيدي حمزة شقور: سِرُّ سيدي البوزيدي يبقى إلى يوم القيامة.

عـــند أول ملاقـــاة ســـيدي البوزيدي مع شيخه، قال مولاي العربي الدرقاوي:ما تـــريد عـــندنا؟ فقـــال ســـيدي الـــبوزيدي: أردت أن أكـــون بـــبركاتك من ملـــوك الآخـــرة، فقـــال الـــشيخ مولاي العربي الدرقاوي: أعطيناك سلطنة الدنيا والآخرة.

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

سيدي البوزيدي طلب أن يبقى مستورا في الدنيا مثل مولاي عبد السلام بن مـــشيش، فقال له شيخه: أعطيناك المملكة في الدنيا والآخرة، أي أن تكون معروفا في الدنيا والآخرة. التلميذ يطلب، والشيخ يُخَصِّصُ.

* قال مولاي العربي الدرقاوي لتلامذته بخصوص سيدي البوزيدي: (وأنتم وأنا في أثره).

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

ســـيدي البوزيدي أمامَنا يفتح الطريق، ونحن نتبع أثره. الشيخ مولاي العربي الدرقاوي يطلب من الله أن نرى أثر سيدي البوزيدي وأما سيدي البوزيدي فلا نراه.

* قـــال مـــولاي العربي الدرقاوي لسيدي البوزيدي: (اعلم يا سيدي أن الله أعطاك عطاء كبيرا حيث فقهك في طريق أوليائه وجعلك من ورثة أنبيائه).

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

الـــولي، وإن وصـــل إلى مـــا وصـــل، لا يـــصل إلى درجة النبوءة. سيدنا الخـــضر ســـلطان الأولـــياء، لكـــنه لم يلحق النبوءة. النبوءة فوق الوصف. الولي ولي، والنبي نبي.

مـــولاي العـــربي الـــدرقاوي يقصد وراثة العلم. العلم شيء، والمقام شيء آخر. (وجعلك من ورثة أنبيائه) أي وراثة العلم لا وراثة المقام والدرجة.

* قال مولاي العربي الدرقاوي: (من أراد أن ينظر وجه أبينا آدم الأكبر فلينظر وجه محمد بن أحمد البوزيدي).

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

هـــذا تعظيم. سيدي البوزيدي على خَط أبينا سيدنا آدم عليه السلام. سيدي الـــبوزيدي له الصورة الحسية لسيدنا آدم، وله وراثة سيدنا آدم عليه السلام. مولاي العربي الدرقاوي التقى بسيدنا آدم عليه السلام.

* قال مولاي العربي الدرقاوي: (سيدي محمد هو والله فرد الأولياء وسيد أهل وقته بلا امتراء).

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

سيدي البوزيدي هو سيد الأولياء في زمانه مشرقا ومغربا.

* قـــال مـــولاي العربي لسيدي البوزيدي: (إن أردت أن تكون أعلم العلماء كلهم فلا تترخص في المنطق ولا تَزد ولا تنقص).

قال شيخي سيدي حمزة شقور:

(أعلم العلماء) أي في علم الباطن. يقول له: لازِمِ الصمت في جَمْع أهل الله. سيدي البوزيدي يَقبض.

سند سيدي محمد البوزيدي في طريق التصوف

أخذ سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الطريقة الدرقاوية الشاذلية عن مولاي العربي الدرقاوي، عن سيدي علي العمراني الجمل، عن سيدي العربي بن عبد الله، عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله، عن سيدي قاسم الخصاصي، عن سيدي محمد بن عبد الله (وهو أب سيدي أحمد بن عبد الله)، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن أخيه سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي، عن سيدي إبراهيم أفحام، **عن سيدي أحمد زروق،** عن سيدي أحمد الحضرمي، عن سيدي يحيى القادري، عن سيدي علي بن وفا، عن أبيه سيدي محمد بحر الصفا، عن سيدي داوود الباخلي، عن سيدي ابن عطاء الله، عن سيدي أبي العباس المرسي، **عن سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن مولاي عبد السلام بن مشيش،** عن سيدي عبد الرحمن المدني، عن سيدي تقي الدين الفقير، عن سيدي فخر الدين، عن سيدي نور الدين، عن سيدي تاج الدين، عن سيدي شمس الدين، عن سيدي زين الدين القزويني، عن سيدي إبراهيم البصري، عن سيدي أحمد المرواني، عن سيدي سعيد، عن سيدي سعد، عن سيدي فتح السعود، عن سيدي سعيد الغزواني، عن سيدي جابر، **عن سيدنا الحسن السبط رضي الله عنه، عن أبيه سيدنا علي كرم الله وجهه، عن سيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.**

الشريفة الرحمونية، زوجة سيدي البوزيدي

قال سيدي أحمد بن الصديق في كتابه" الموذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المؤمن":

(وكان الشيخ مولاي العربي- الدرقاوي- رضي الله عنه قبل ذلك جالسا مع زوجته الرحمونية وهي التي كانت زوجة تلميذه العارف الكبير سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه وأخذها شيخه بعد وفاته فوجَدها لا تزال بكرا لأنه كما يقال علم من طريق الكشف أنها ستكون زوجا لشيخه فلم يقربها).

وهكذا تأدب سيدي محمد البوزيدي مع شيخه مولاي العربي الدرقاوي، في حياته وبعد مماته.

سبحة سيدي محمد البوزيدي

قال شيخي سيدي حمزة شقور نفعنا الله ببركاته:

(عـــندما توفي سيدي محمد بن أحمد البوزيدي عام 1229 هجرية، ورِثتْ زوجته الشريفة الرحمونية سبحته، ثم تزوج بها مولاي العربي الدرقاوي فأخذ سبحة تلميذه سيدي البوزيدي. هذا ومولاي العربي الدرقاوي عاش عشر سنين بعد وفاة سيدي البوزيدي. ثم بعد وفاة مولاي العربي الدرقاوي عام 1239 هجرية، تزوجت الشريفة الرحمونية بسيدي أحمد شقور، وكان مولاي علي بن أحمد شقور يعامل زوجة أبيه الشريفة الرحمونية معاملة طيـــبة ويـــبر بها غاية البرور حتى إنها قالت له لو كان لي ولد لما استطاع أن يعاملني مثل معاملتك، وأهدت الشريفة الرحمونية السبحة لربيبها مولاي علي شقور).

توفي مولاي علي شقور عام 1315 هجرية.

ضريح سيدي محمد البوزيدي

قال سيدي أحمد بن الصديق في كتابه "الموذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المومن":

(وهـــو [ســـيدي أحمد بن عبد المومن] الذي بنى ضريح العارف الكبير أحد إخـــوانه في الشيخ [مولاي العربي الدرقاوي] سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه دفـــين تيجـــساس من قبيلة بني زيات الغمارية وذلك بأمر من شيخه مولاي العربي رضي الله عنه فإنه أمره بذلك وقال له: الجزاء من جنس العمل حسًّا ومعنى، فحقق الله لـــه ذلك وبنيت على الشيخ المترجَم [سيدي أحمد بن عبد المومن] قبة شبيهة بالقـــبة الـــتي بناها هو على العارف البوزيدي في الكيفية والتفصيل إلا أنها أعني قبة المترجَم أعلى وأوسع منها).

يقـــع ضريح سيدي البوزيدي قرب مدينة السْطِيحَاتْ، بقبيلة غمارة، عمالة الشاون. قبيلة غمارة تقع في شمال المغرب.

مدينة السطيحَاتْ تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

لشيخي سيدي حمزة شقور نفعنا الله ببركاته وللأستاذ الفاضل المحترم المحب لأهل الله سيدي عبد الرحيم بنضراوي، فضْلٌ كبير في إصلاح وترميم هذا الضريح وحفر بئر قريبة من الضريح وبناء مسجد يقع قريبا جدًّا من الضريح، فجزاهما الله خيرا.

نطلب من الله تعالى أن يتم تكميل بناء هذا المسجد.



صورة ضريح الإمام سيدي محمد البوزيدي

الباب الثاني

بعض رسائل سيدي محمد البوزيدي

الرسالة الأولى

من عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني إلى أخيه في الله سيدي محمد بن العربي أخريف الحسني :

سلام عليكم والرحمة والبركة، وبعد فقد وصلني كتابك وفهمت مقصودك، اسمع إن شاء الله نفيدك اعلم أن استقامة الباطن متوقفة على استقامة الظاهر، أو نقول استقامة القلب متوقفة على استقامة الجوارح، أو نقول استقامة الحقيقة متوقفة على استقامة الشريعة، إذ بقدر الشريعة في الظاهر تشرق أنوار الحقيقة في الباطن، والشريعة واسعة منها ما هو لعامة الناس ومنها ما هو لخاصتهم، فالذي لعامتهم معلوم كالصلاة والزكاة والحج والجهاد الظاهر، والذي لخاصتهم هذا وغيره كالتحقق بوصف العبودية ظاهرا كالفقر والذل وقس على هذا وكالتخلق بوصف الربوبية ظاهرا كالحلم والكرم وقس على هذا، فالتحقق والتخلق في البداية عَبَّروا عنها بالطريقة لأجل ما فيها من المشقة على النفس الأمارة، وفي النهاية عبروا عنها بالحقيقة لأجل ما فيها من الخفة والراحة والهناء والسرور على النفس المطمئنة وهذا حالها مع ربها في سابق الأزل ولما نزلت إلى هذا العالم الظلماني أطفا نورها وحطّ قدرها وصَيَّرها خديمة بعد أن كان هو خادما لها وصَيَّرها أيضا فقيرة بعد أن كان هو فقيرا إليها وذليلة بعد أن كان هو ذليلها إلى ما لا نهاية له، وإن أردت رجوعها إلى أصلها بكمال أدبها رغما عليها لتكون أهلا لمطالعة الأنوار وحمل أثقال الأسرار، إذ الحقيقة متوقفة على الطريقة، والطريقة متوقفة على الشريعة، وإلا فلا، لأن الشريعة باب، والطريقة مفتاح، والحقيقة دار، والبيوت التي لا تؤتى من أبوابها فلا مطمع لأحد في سكناها ولا في دخولها فافهم قال جل علاه ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ يعني وأتوا الحقيقة والطريقة من باب الشريعة، ولا فرق بين الشريعة

والطريقة إلا أن الشريعة للضعفاء من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والجمع بينهما وهم الوارثون لحاله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال والأحوال وقليل ما هم، ولا يحصل الحال الذي هو المراد إلا بعد موت النفس والغيبة بالكلية عن عالم الحس، فأعط للشريعة حقها، وأعط للطريقة حقها، ومن زعم الاطلاع على أسرار الحقيقة من غير سلوك الطريقة ولا تمسك بأذيال الشريعة فهو المفتري على الله إلا من اجتباه الله واقتطعه عن حسه وغيَّبَهُ عن شهود نفسه ومن كان حاله هذا لا يخفى سواء كان سالكا أو مجذوبا وقد تكون هذه الحالة بواسطة وبغير واسطة تدبره، واعلم يا أخي أن الحقيقة نور عظيم وسر كبير لا تحملها إلا القلوب الصافية من الأغيار والأرواح الطاهرة من أوصاف الأشرار، وإلا فمدعيها من غير هذه الحالة جاهل بها ولو كان علمه كالسحاب وعمله كالمطر، إذ هي ترى بالقلوب والأرواح لا بالنفوس والأشباح، إذ هي شيء ترى بالعقول لا بالعقل المعقول ولا بالعلم المنقول وإنما ترى بالعلوم اللدنية والأسرار الغيبية بعد تطهير القلوب من الأغيار وتزكية النفوس من أوصاف الأشرار كما ذكرنا، ولا شك أن المجاهد لنفسه المتحقق بوصفه تمده بشيء من أنوارها من وراء حجاب فيظن الكثير من السائرين أنهم واصلون فيحلون عقدة الجهاد ويسيرون على طريق الرخص والتأويلات، وأما الواصل فلا يحل عقدة المجاهدة ولو بلغ ما بلغ اتهاما لنفسه وصدقه مع ربه، وكيف ينبغي للكامل أن يحل عقدة الجهاد والله سبحانه يقول ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ ، فجاهد نفسك في ربك، وغب عن شهود نفسك ووجود حيلتك حتى تكون في هذا الوجود كأنك لست بموجود، وعلامة فنائك استواءُ أحوالك وسكونها عند أهوالك، فإذا كنت كذلك يا أخي قربتك إليها وكشفت لك عن وجهها وغيبتك في شهود عظمتها فتردك إليها بها لا بك فتقوم بكمال الأدب بين يديها متعلقا بأوصاف عبوديتك متحققا بأوصافها متخلقا من غير تعب ولا مشقة، فهذه حقيقة العارف بها، وأما العاجز عن التحقق الجاهل للتخلق فهو المدعي، واعلم يا أخي أن أهل الدليل حظهم المراقبة ولذلك قاموا بغاية الخدمة خوفا ورجاء لفقدهم الدلالة، وأهل العيان حظهم المشاهدة فغايتهم في العبادة الظاهرة القيامُ بما لا بد منه لكنهم انصرفت قوتهم في العبادة الباطنة كالعلم بالله والمعرفة به مراعيا للأدب معه في كل ما يتجلى، وأي عبادة يا أخي تلحق المعرفة بالله، إذ العبادة الظاهرة قدر ما عظمت وسيلة إلى عبادة الباطن وهي المعرفة بالله فافهم، وقَل من تجده من الكُمَّال لا غيرهم أقوياء في الظاهر أقوياء في الباطن إذ المشاهدة تهدم قوة

الظاهر لامحالة ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ صدق الله العظيم، والمراد بالقرءان أن معناه المعرفة بالله أعني الشهود والعيان، ولذلك ترى أهل المعرفة بالله لم يجدوا القوة الظاهرة إلا ما يقيمون به الفرائض والمسنون، وكل من كان ظاهرا قويا في الخدمة فباطنه ضعيف في النظرة، ومن زعم خلاف هذا فهو جاهل بها، وقد قال شيخنا رضي الله عنه النظرة والخدمة لا تجتمعان قط إلا في رجل على قدم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا معنى كلامه رضي الله عنه، وأما من عجز عن المفروض والمسنون إن كان مجذوبا غائبا عن نفسه مقتطعا عن دائرة حسه فهو معذور عند أهل الظاهر سيما أهل الباطن، وإن كان غير ذلك فهو السلكوط[1] الكبير عند أهل الظاهر والباطن، إذ الطريقة لا تنال إلا بارتباط الشريعة كما أن الحقيقة لا تنال إلا بارتباط الطريقة هذا الذي عندنا وسمعناه من شيخنا ورأيناه فيه وأخذناه عنه، فالشريعة تنور القلب وتحيي الجوارح، والطريقة تقتل النفوس وتحيي الأرواح الميتة بسموم العوائد والشهوات، فإذا تنورت القلوب وحييت الجوارح وماتت النفوس وحييت الأرواح واشتاقت لعالمها القديم فينزل عليها براق الشوق والمحبة بعد أن يناديها منادي العلوم اللدنية فيختطفها من حضرة النفوس ويدخل بها حضرة القدوس، فإن أردتم ذلك يا إخواني فيقوا نفوسكم[2] وزيدوا فلوسكم[3] لربكم ولا ترددوا، فإن التردد من سماع حديث النفس الأمارة، والمستمع لحديثها لا تفتح له أبواب الملكوت ما دام كذلك،وإن أردتم أن تزكوا أعمالكم وتستنير قلوبكم وتطيب أرواحكم فلا تستمعوا لحديث نفوسكم، فاعقدوا ولا تحلوا، فإن الفقير إذا ربط ربطة صحيحة ونوى نية كبيرة فإنه لا يرجع إلى شهواته وعوائده انقطع عنه حديث النفس في الحين وتبدل بخطاب الروح الروحانية لا يمل من سماعه أحد قط، وأما قولك يا أخي: المرقعة والتسبيح[4] والعكاز وغير ذلك فهي نسبة عظيمة وشهرة تالله كبيرة، فاحمد الله على اشتهارك واشتهار غيرك بأولياء الله ولو جعلك مشتهراً بأولياء الشيطان ماذا تفعل، فاشكر الله على هذه

(1) السلكوط: أي السّفيه.

(2) أي استيقظوا من غفلاتكم.

(3) أي أنفقوا أموالكم في سبيل الله.

(4) التسبيح: أي السُّبْحَة، وهي خرزات منظومة في سلكٍ تستعمل لذكْر الله.

النعمة ليزيدك غيرها وليظهر عليك سرها، إذ الحق سبحانه إنه قادر أن يستر عورات الكاذبين مثلي من أهل نسبته ويحليهم بحلية أهل الصدق ظاهرا وباطنا كرامة لنسبته لا لهم، وهذا تجريب صحيح سيما من كان صادقا في بعض الأمور، واعلم أن كل من تجرد بنية حسنة فهو بخير عظيم ما دام مجردا أو محسوب ما دام رابطا، إذ لولا الصدق مع الله والشوق إلى كرم الله ما تجردوا، وهذا ما شهدنا في كل من تجرد والأمر الغائب لا يعلمه إلا الله أمِرْتُ أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، واسمع يا أخي نفيدك فائدة أخرى إن شاء الله اعلم أن أهل التجريد بخير عظيم ما داموا متجردين كما ذكرنا وإن كانوا ضعفاء عن الجهاد فهو في حصن الشيخ والكُمَّال من الإخوان وهمتهم تحفظهم وترعاهم دنيا وأخرى، فاصحبهم وادن منهم واحفظ سرهم وسلمْ لهم واخدمهم بنفسك ومالك، واحذر نفسك ولا عليك والأمر ظاهر، من نصح نصح نفسه، ومن غش غش نفسه، والسلام على خير الأنام.

الرسالة الثانية

اعلموا رحمكم الله يا إخواني ويا أحبتي أن كل من أحب شيئا أكثر من ذكره، وكل أحد له محبوب يحبه، وكل أحد عبد لمحبوبه، والله تعالى يجعل محبوبنا هو هو سبحانه ولا يجعل محبوبنا ما تهوى نفوسنا، إذ الخلق كلهم لهم محبة في قلوبهم قديمة فإن سبقت لأحدهم العناية يعني السعادة قام بتلك المحبة لمحبة مولاه إلهاما منه سبحانه وتكرما وجودا وفضلا، والذي سبقت له السابقة بالخذلان يعني الشقاوة قام بتلك المحبة لمحبة هواه، والهوى كل ما تشتهي النفوس دون الله سبحانه أو تعودت به فمالكها وسارها إلى غير حضرة الله أو نقول خدمة الله، وهذا حال الناس جملة لا ترى إلا عبدا لمولاه أو عبدا لهواه لا غير. إخواني كونوا عبيدا لمولاكم ولا تكونوا عبيدا لهواكم ولا بد ولا بد، وإني أرى أكثركم عبدا لهواه، ولولا أن الله تعالى أمر بالستر لقلت لكم فلان وفلان وفلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون، إخواني افتقدوا أحوالكم كنتم أوقاتكم معمورة بالذكر والمذاكرة والفكر، واليوم خلاف ذلك انعكس أمركم وأنتم لا تشعرون، وإن شعر أحدكم فلا سبيل له للخروج من يد هواه إلا القليل. إخواني الزموا حلقة الذكر صباحا ومساء وسافروا إليها لعند أهلها إن علمتم أين هي أي حلقة الذكر لا سيما إن كانت

بالقرب منكم وكنتم جماعة، وأقل الجماعة اثنان وواحد، وإن كنتم على محبتنا في الله فـــلا نـــسمح من ثلاثة إخوان إذا اجتمعوا ولم يعقدوا حلقة الذكر أحرى أكثر من ذلـــك، الزموها بارك الله فيكم ولا بد ولا بد ولا بد ولا بد ولا بد ولا بد ولا بد حـــيث كنـــتم وحيث مررتم وكيف ما كنتم، لأنها أي الحلقة تشهد لأهلها لكمال الطريق والوصول إلى التحقيق والسلام.

الرسالة الثالثة

كثـــر الله عـــددكم، وقوى مددكم، ومن كل وصف مذموم أنقذكم، والسلام علـــيكم والرحمة والبركة والعافية، وبعد فالضعف الذي حصل على باطنكم هو من ظواهـــركم، لأنـــه الوقت الذي حصل لكم الإقبال على الله حصل لكم الإدبار عن الدنـــيا وأهلـــها وظهر عليكم سر إقبالكم على مولاكم مثل التوكل والحلم والرضا والتـــسليم والتواضع والخشوع والسخاء وغير ذلك من الأخلاق الكريمة، والوقت الـــذي حصل لكم الإعراض عن الله والعياذ بالله ظهر عليكم شر إقبالكم على الدنيا وذلـــك مثل الغضب والحسد والكبر والبخل والشح والاهتمام بالرزق والخوف من الخلـــق وغـــير ذلك مما لا حصر له، والله إن لم تنتبهوا لحالكم وترجعوا سريعا إلى ربكـــم وتعرضـــوا عن هواكم وتلاقوا أورادكم التي كنتم عليها مثل الصلاة والذكر والتلاوة والعزلة والصمت والجوع والسهر والمواصلة وغير ذلك مما كان حالكم مع الله تعالى حتى تفتشوا على هذه السنة التي في أيديكم ولا تجدوا لها خبرا قط ويخلق الله من يتولى حالكم وأنتم تنظرون، فهذه الطريق لا تحسبوا أنه مزهود فيها لا والله، أهلها يأتي بهم الله من الغيب كما هي غيب، والسلام.

الرسالة الرابعة

لا كرامة أعظم من الاستقامة ظاهرا وباطنا، لأن الكرامات الحسية يكونون عند استقامة الظاهر دون استقامة الباطن، وأما بعد استقامة الظاهر والباطن لا يكون إلا الكرامات المعنوية، والحسية قلَّ أن توجد لغيبتهم في الله عمن سواه، وأي كرامة قدر استقامة الظاهر والباطن، فعليكم بالذي خلقنا إليه وأمرنا به إذ هي المطلوب منا ومن غيرنا، وكل من ظن أن الولاية شيء زائد على الاستقامة فهو جاهل بالولاية،

ولا نسمع لكلام العوام الذين يقولون إن الكرامات كانت للأولياء، كذلك كانوا في زمانهم رضي الله عنهم كانوا يقولون لهم أين الكرامات، وهذه سنة الله في أوليائه أن يتسلط عليهم من يكذبهم وهم صِدِّيقُون لمحبته فيهم وقد قال جل من قائل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ وقال ﴿ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ ، واعلموا رحمكم الله أن الظواهر إذا كانت ممتثلة لأمره مجتنبة لنهيه متحققة بأوصاف العبودية ظاهرا متخلقة بأوصاف الحرية باطنا كانت البواطن لا محالة مستغرقة في شهود عظمة الألوهية، ولا منع البواطن من هذا إلا عدم هذا، ولو كان هذا لكان هذا، إذ العبودية ذات، والحرية صفات، والذات لا تفارقها الصفات، وإخواننا لهم الحرية الكبيرة من حيث لهم العبودية الكبيرة: ظواهرهم ممتثلة لأمره مجتنبة لنهيه متحققة بأوصاف العبودية التي هي الذل والفقر والضعف وغير ذلك وهذا هو الفنا متخلقة أيضا بأوصاف الحرية التي هي الحلم والكرم والعلم والرأفة والحنانة والمحبة والصدق والتعظيم وسلامة الصدور والتواضع والرضا والإيثار والتوكل والاكتفاء بعلمه سبحانه وحسن الخلق وحسن الظن وغير ذلك وهذا هو الفناء، فصار إخواننا لهم الباطن الكبير من حيث لهم الظاهر الكبير شعروا أم لا، من لم يكن عنده الكثير كان عنده القليل، وإخواننا في الزيادة لم يبق لهم شيء إلا الثبات في حالهم والثبات معنا، إذ بالثبات مع بعضنا بعضا تثبت لنا المعرفة الكاملة بعد أن تكون ناقصة (تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين) الحديث، فاثبتوا في إخلاص العبودية لله، ولا تلتفوا إلى سواها فإنه فقر لقلوبكم وغناء لنفوسكم، ويحصل لكم بسبب التفاتكم إلى الكرامات احتقار للاستقامة التي في أيديكم سيما إذا كان اعتقاد البعض أن الولاية شيء زائد على الاستقامة فلا يظهر له سرها وإن كان فيها بسبب نظره إلى سواه، إذ لا يظهر لأحد سر الشيء إلا إذا أعطاه كليته كائنا ما كان، فأعطوا كليتكم لربكم ولا تتركوا منها بقية لغيره فإنه أقل شيء يقطعكم عن الله سواء كان حظًّا دنيويا أو أخرويا، لأن طريق أهل التحقيق لا حظ لهم سوى مولاهم وأي حظ أعظم منه، فاللهم اجعل

حظنا منه سبحانه وإخواننا النظر في وجهه في الدنيا وفي الأخرى، ولذا قالوا الصوفي لا يرى أحدا في الدارين غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله الخ، واعلموا رحمكم الله أنه لا حاجة للفقير في طلب الكرامة إذ ليست هي المقصود وليست هي المطلوب، إنما المطلوب العبادة والإخلاص فيها لله، إذ هي شيء زائد على ما أمر الله به ونهى عنه، من طلبها مع الأعمال فعبادته معلولة مدخولة بحظ نفسه، ومن طلبها من غير الأعمال فهو جاهل، واعلم أن الكرامة تبرز من الولي الكامل وغير الكامل إذا أراد الله أن يظهرها وإلا فلا لأنها ليست في يد الولي ولا له عليها حكم، ربما أراد ظهورها ولم يجد منها شيئا، وربما لم يردها فتظهر، فهي أحوال تَرِد على العبد بغتة، ولا يزيد ولا ينقص بها إلا ضعيف اليقين، وأما أهل اليقين الكبير والصدق الكامل فوجودها وعدمها على حد سواء فإنهم لا يفرحون إلا بالعبودية الخالصة لله عز وجل ولا يحزنون إلا على فقدانها إذ فقدت وهذا شأن أهل الله جماعة رضي الله عنهم، فهكذا نحب إخواني بارك الله فيهم، وإلا فلا، والسلام.

الرسالة الخامسة

أخونا في الله وصاحبنا من أجله العالم الناصح الخير الطالب المبارك الواضح أبو عبد الله سيدي محمد بن الحاج المزوني، السلام عليكم والرحمة والبركة والعافية، وبعد فقد بلغنا كتابكم وفهمنا مرادكم، وذلك أن الغيرة على الدين المحمدي أحرقت كبدكم كما أحرقت كبد غيركم من قبل هذا الوقت، وقَلَّ من حصلت له هذه الحالة الشريفة التي هي الغيرة على الدين، فلا ترى في وقتنا هذا إلا الغيرة على الدنيا وشهواتها وعوائدها وسائر حظوظها، واتفق الناس على خدمتها ومحبتها وتعظيمها وعزتها وشرفها وجعلوها مذهبا صحيحا لا يمكن لأحدهم أن يتحول عن تلك الحالة الحسية من شدة تمكنها في القلوب واستيلائها عليها صارت يقينهم وروحهم وراحتهم وسرورهم، وإذا فقدها أحد من فقرائنا وعلمائنا وصلحائنا لا غيرهم تزلزل واضطرب وانقبض وانكمش وضاق وغضب ودبر واحتار وقنط واهتم وكاد أن يخرج عقله، ولا يسكن حاله ولا يطيب وقته إلا إذا وجدها، ومن كان هذا حاله فكيف يكون من أهل الفقر والعلم والصلاح، معاذ الله أن تكون تلك الحالة

الخسيسة حالة الفقراء والعلماء والصالحين إنما هي حالة الراغبين الجاهلين الظالمين، ومن قال من أهل وقتنا أنه على غير ما ذكرنا فليخرجها من يده ويفارق أهلها ويدوم على ذلك ما شاء الله وينظر نفسه إن كانت من أهل الفقر والعلم والصلاح حقيقة لا يزيده تركها إلا عزًّا وشرفا ويقينا وفرحا وسرورا وبسطا وقربا ووصولا وعلما وفهما ونورا وسرا وغير ذلك من نتائج الصدق، وإن كان خلاف ذلك لا يزداد إلا حزنا وضيقا وهـــمّا وغمًّا واغتماما وتدبيرا واختيارا وغفلة وجهلا ولا تزال نفسه توسوسه وتضيق عليه وهو يسمع كلامها وحديثها حتى تنسيه مولاه بالكلية والعياذ بالله وهذا حال جملة فقرائنا وعلمائنا وصلحائنا وهؤلاء هم الأموات حقا لا أموات القبور، وقد زعموا بنظرهم القصير أن الدنيا لا تفسد الدين، وهي والله ما دخلت عليه إلا أفسدته وغيَّرته وخربته وصيرته على دينها أحبوا أم كرهوا، إذ لو كان الدين باقيا على أصله لوجدوا الناس سر علمهم وعملهم وفقرهم وحجهم وجهادهم وغير ذلك كما كانوا يجدونه السلف الصالح رضي الله عنهم وذلك مثل العلم والفهم والحلم والرضا والتسليم وسائر أسرار القلوب التي لا حد لها ولا حصر، ولما كانت القلوب مريضة بحب الدنيا مدنسة مغيرة مظلمة صارت أعمال الجوارح لا تؤثر فيها قليلا ولا كثيرا، وتأمل في هذا تجده صحيحا والله أعلم، وقد فسد والله ظاهر الوجود بسبب هذا الآدمي لا محالة، وسبب فساد ظاهره فساد باطنه، وسبب فساد باطنه حب الدنيا لا غير، فلو حصل التطهير للقلوب من حبها لحصل ذلك للجوارح، ولو حصل ذلك للجوارح لحصل ذلك لظاهر الوجود، والله على ما نقول وكيل، ولما ضعف نور العقل وصارت العلماء والفقراء على رخص النقل انحجبت الأسرار وغابت الأنوار وتاهت الأفكار في عالم الأغيار واتفقت الناس على الدنيا خاصة وعامة بجوارحهم وقلوبهم، وصار العلم حده اللسان، والعمل حده الجوارح، والفقر حده البدن، والقلب الذي هو محل السر والنور مزبلة الدنيا، والعجب كل العجب ينسبون ما هم عليه من جميع الدنيا وشهواتها وعوائدها للصحابة رضي الله عنهم والتابعين ولأئمة الدين الذين تقدموا فيقولون كانت عندهم الدنيا وما ظنوا أنها كانت في أيديهم لا في قلوبهم وكان ذلك بعد إخلاصهم من طبع بشريتهم لا قبل، فكيف بنا نحن لا نعرف الإخلاص ما هو ولا نشم رائحته ونزعم أنها لا تضرنا ولا

تهلكنا ولا تخلي دار أبونا هذا والله لا يظنه مع وجود العلم إلا الجاهل الكبير، لا تسمع من يقول ذلك واسمع قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ ﴾ [فاطر: 5-6] يعني بسببها دخل الشيطان على نفس ابن آدم فزيَّن لها ظاهر الكائنات وألهاها عن باطن آيات الأرض والسماوات، ولولا هذا السبب الذي دخل به هذا العدو على النفوس لكانت باقية في حضرة القدوس مع نزولها إلى هذا العالم المحسوس. الدنيا يا أخي غاية الظلمة، والآخرة غاية النور، أو نقول الجهل غاية الظلمة، والعلم غاية النور، وفقراؤنا وعلماؤنا وصلحاؤنا جمعوا بين الدنيا والآخرة غاية الجمع أو نقول بين العلم والجهل وألفوا بينهما غاية التأليف وهذا لا يمكن قط إذ هم أضداد لبعضهم بعضا ولا يجمع بين الضدين إلا من له قدم كبير في الولاية العظمى وهذا صنف من أعراف الأولياء رضي الله عنهم، وأما الجمع الذي بين هذا وهذا فقراؤنا وعلماؤنا وصلحاؤنا إنما جهل وطمس وبعد وطرد، وقد قلنا قبل هذا فليترك الدنيا من يده ولينظر نفسه وهذا ميزان صحيح على غنائها بالدنيا، وقد يظهر لي والله أعلم أنهم إذا تركوها يوما واحدا ماتوا حسرة على فراقها، كيف يصلح حال العامة إذا كان هذا حال الخاصة، إنا لله وإنا إليه راجعون، واحمد الله واشكره على ما بقي من الدين قبل أن يغيب بالكلية، أما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم (بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا)، واحمد الله أيضا واشكره على ما بقي بلاد المشرق والمغرب لم يستول عليها بنو الأصفر وغيرهم من أجناس الكفرة دمرهم الله، لكن أبشر أيها الفقيه الجليل واعلم أن ليل الجهل قد انتهى سواده ونهارَ العلم تبسم فجره ولاح ضياؤه، فقريبا إن شاء الله تعظم الولاية وتظهر العناية وتنتشر الهداية والله غالب على أمره، لكن اسمع وفقنا الله وإياك ومن أمراض الشرك الخفي طهَّرك أن مراده سبحانه هو ما تراه وهو في غاية الحسن والإتقان وإن كان كما كان صنع الله الذي أتقن كل شيء لا مدخل لأهل العلم بالله هنا وكل من دخل في بحركم وكيف مع وجود العلم عوقب بالحجاب نسأل الله العافية إذ هي أعظم معاصي القلوب، ولولا وجود الجهل بالله لهلكت العامة من كثرة تردد تلك المقالة على ألسنتهم، فصاحبها منازع للربوبية معترض على أحكام الألوهية، فاحذر أن تعترض عليه بقلبك، ولا بأس بما قلت

أيضا لجريان ذلك على الألسن فيما وافق الشرع وإن كان القلب سالما من الاعتراض على الحق سبحانه وهذا حال أهل التحقيق شرفنا الله بذكرهم، ولا بأس أيضا أن يحير ذلك ألسن عامة الناس إن وافق الشرع أو إن كان القلب غير سالم لأنهم لا علم لهم بالاعتراض على الله تعالى إنما يظنون اعتراضهم على الخلق، ولولا هذا الظن لهلكوا، والغالب أن هذه المقالة لا تنطق بها الألسن إلا إذا تجلت على القلوب ظلمة الشرك الخفي لا محالة، وما سلم أحد منهم إلا من تحقق بوصفه واستغرق في حضرة قدسه وإلا فلا بد منها بالقلب والجوارح إما عن جهل كحالة العامة وإما عن غفلة وسهو كحال الخاصة نفعنا الله بذكرهم، وإن شئت أن يتطهر باطنك من الشرك الخفي فاشغل نفسك بذكر مولاك آناء الليل وأطراف النهار، والذكر واسع منه التلاوة والتدريس وغير ذلك، وامزج ذكرك بالصلاة والسلام على النبي المختار، واقنع من الدنيا بالقليل وفر من أهلها كفرارك من الأسد الجائر، فإن صحبتهم والنظر إليهم والقرب منهم سم قاتل وإن كانوا في صفة الفقهاء وفي صفة العلماء وفي صفة الصالحين، لأن الفقر والعلم والصلاح الذي لا يزهد صاحبه في الدنيا فهو دنيا أحب أم كره، والله ما غابت الأسرار واختفت الأنوار إلا من قلب الحقائق، فلولا قلب الحقائق لأشرقت أنوار القطبانية على أضعف الخلائق، والسلام، وكتب محبكم ومجلكم محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله آمين.

الرسالة السادسة

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده. إلى كافة محبينا وإخواننا فقراء أهل مدشر[1] تفروت وغيرهم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد سادتي كثر الله عددكم، وعظم قدركم، ونور بصيرتكم، وأجرى من قلوب أوليائه مددكم، وحفظ قلوبكم من الأغيار والأكدار وجوارحكم من أعمال الفجار، اعلموا رحمكم الله أن حصن هذه الطريقة وسورها الذي لا ينهدم دعائمه الصمت، وسراجها

(1) مدشر: أصغر من قرية.

العزلة،......الفكرة، وأزهارها الزهد، وثمارها الورع، فمن تمسك منكم بهذه الأوصاف الحميدة كانت الولاية له الولاية الكبرى التي هي لمولانا عبد السلام بن مشيش وأمثاله رضي الله عنهم نصب عينيه، ومن تركها وطلب الولاية طلب المحال، وكل وصف من هذه الأوصاف ضامنة لوصف آخر: أما الصمت فضامن لرفع الهمة، وأما العزلة فضامنة لصفاء القلب، وأما الفكرة فضامنة لفيضان العلوم اللدنية والمواهب الربانية، وأما الزهد فضامن للعز بالله، وأما الورع فضامن للأدب مع الله ومع رسوله ومع أوليائه. واحذروا رحمكم الله من التحبيط في طريقكم فإنها أصل لكل طريق، ومن فرط فيها لا يَلوم إلا نفسه، واجتمعوا مع بعضكم بعضا، وعظموا بعضكم بعضا، وأكرموا بعضكم بعضا، وإياكم والبخل فإنه فساد لهذا الطريق، وإياكم والملاججة والقلق، فإن الملاججة والقلق يلدان الغضب، والغضب وصف من أوصاف جهنم نسأل الله السلامة والعافية، وإياكم والطمع فيما بأيدي الناس فإنه سم قاتل، لا يفلح قلب فيه طمع قط، وإياكم والميل لحب المدح والثناء، فإن الرجل الصادق لا يحب أن يمدحه أحد فإذا مُدح كأنه وُصف بالذم وإذا ذم كأنه وُصف بالمدح، لأنه من شأن النفس وهواها فلأجل ذلك تحب أن يمدحها الخلق، فمن وجد منكم حب المدح أحب إليه من الذم فليجاهد نفسه عن هواها الطبع الذميم الذي هو طبع العوام، وإياكم أيضا وزيارة النساء والقرب إليهن فإنهن أفسد للمريدين من فساد القطران للعسل، وأكثروا واجتمعوا على ذكر الله ليلا ونهارا ولا تملوا فإن الله لا يمل حتى تملوا: الحديث، وكذلك المذاكرة، وإياكم والكسل فإنه وصف من أوصاف المنافقين وإليهم الإشارة بقوله سبحانه ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية صدق الله العظيم، والسلام.

الرسالة السابعة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله من عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني إلى جملة إخواننا، وبعد فالحاذق اللبيب هو الذي لا يتعدى فكره وقته، ولانظره قدمه، لشدة ما على قلبه من الحضور، وسره من مطالعة الأنوار والسرور، والحاذق أيضا هو اللازم للحرص لوقته، الدائم الغيبة عن نفسه، لا يبالي باسمه، ولا برسمه، شغله مولاه عن سواه، ونسي به حظوظه وهواه، تدكدكت أوهام وجوده، وفنا عن

شهوده في معبوده، يتلاقى مجاري الأقدار بالفرح سرًّا وجهراً، حتى إذا قيل له ماذا أنزل ربك أيها العارف المحقق يخبر عن حاله بلسان مقاله خيرا خيرا، فهذي هي حقيقة الفاني عن نفسه الباقي بربه، الذاكر لربه على الدوام، الناسي لنفسه والسلام، فعليكم بنسيان نفوسكم، إن شئتم أن تكونوا ذاكرين لربكم، إذ لا يذكر الله يا إخواني من ذكر نفسه ولو كان دائما يا إخواني يقول بلسانه الله الله الله، ولا ينساه أبدا إذا نسي نفسه ولو كان لا يقول بلسانه الله الله الله، فالعبد إذا نسي نفسه كان ذاكرا لله بقلبه، وهذا هو الذكر الحقيقي الذي يعنون به الذكر الخفي، وإليه أشار نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (أفضل الذكر الخفي)، فانقطعوا إلى ربكم ولا تنقطعوا إلى نفوسكم لتهلكوا، والانقطاع إلى الله هو نسيان النفس عند انقطاعها إلى الفقير، ولا يكون إلا بالمراقبة العظيمة أو بالمشاهدة، لأن النفس إذا شهدت النور ذابت كما تذوب الشمعة على النار، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا، أي إذا تجلى نور الرب للقلب صار جبل النفس دكًّا وفنيت وذابت وزالت وامتحقت واضمحلت، وهذا لا يكون إلا بعد ذكر القلب، وذكر القلب لا يكون إلا من باب المراقبة العظيمة أو من باب المشاهدة، فالذكر بالمراقبة على ظاهر القلب وبالمشاهدة من باطن القلب، ومن أراد محو النفس ليكون ذاكر الله بصميم القلب فليسكن الذل والفقر، إذ بهما تفنى وتزول، ويبقى من لم يزول وهو الله عز وجل، وعلى هذا الباب الذي هو الذل والفقر سلك أرباب التجريد كلهم إذ هو والله ميزان أهل الهمة العلية الذين لا يرضون بشيء دون الله تعالى، منه ابتدؤوا وإليه انتهوا، بدايتهم العبودية المحضة، ونهايتهم أكثر وأكثر لشدة ما عليه قلوبهم من اليقين وسرهم من الرسوخ والتمكين، فجاهدوا نفوسكم، وغيبوا عنها في وقت مجاهدتكم لها، ولا تروها في العمل ولا قبله ولا بعده، فادخلوا في العمل بالله واخرجوا منه بالله لتكونوا عبيداً لله، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية صدق الله العظيم، وأوصيكم بالأدب وحسن الخلق مع كل مخلوق، إذ الأدب وحسن الخلق يشهد للفقير بكمال معرفة التوحيد، وسوء الأدب وإساءة الخلق يشهد لصاحبه بالجهل بالتوحيد، فالأدب وحسن الخلق عليهما بنيت الطريق،

فعليكم بالتعظيم لكل شيء وحسن الأدب مع كل شيء والتواضع لكل شيء ليظهر لكم سر ما أنتم عليه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأوصيكم: عليكم بتعظيم بعضكم بعضا ومحبة بعضكم بعضا ومودة بعضكم بعضا وزيارة بعضكم بعضا، إذ لو علم الفقير ما في زيارة إخوانه من الخير والسر والقرب من الله تعالى لما أقام في داره أكثر من ثمانية أيام، ويكفي في شرف الزيارة هذا الحديث العظيم قال جل من قائل لنبيه داوود على نبينا وعليه الصلاة والسلام (يا داوود اجعل عصا ونعلين من حديد وطف بهما في الأرض حتى ينقطعا)، فالفقير إذا جلس في داره فوق ثمانية أيام من غير سبب وذلك السبب لا يمكنه التخلف عنه بوجه من الوجوه فاعلموا أن محبته قد ضعفت وهمته نزلت وأنوار فؤاده تشتت، فبادروا له قبل أن يهلك، وتهلوا في كبرائكم واسمعوا لهم ولا تتعدوا نظرهم، فإن تعديتم نظرهم تعديتم نظرنا، والله يأخذ بيدكم، والسلام.

الرسالة الثامنة

إلى فقراء تلمسان[1] وأهل قلعية[2]، أقلعكم الله عنكم وأغرسكم به، وأفناكم عنكم وأبقاكم به، وأذلكم بكم وأعزكم به، وأفقركم منكم وأغناكم به، وجهلكم بكم وعلمكم به، وبعدكم منكم وقربكم إليه، وضعفكم بكم وقواكم به، وقساكم بكم وذكركم به، وأوحشكم منكم وأنسكم به، وأصمتكم عنكم وكلمكم به، وجوعكم منكم وشبعكم به آمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فهذه أيام قليلة يعني أيام العمر ينبغي للإنسان أن يكون فيها على بصيرة، إذ العمر جعله الحق تعالى سوقا، فأهل العقول اشتغلوا بما ينفعهم وهي العبادة الخالصة له سبحانه فصدقوا، وأهل الحمق اشتغلوا بما يضرهم وهي عبادة نفوسهم يعني اتباعها في هواها فتلفوا، فافهموا ولا تتبعوا نفوسكم في شهواتها وعوائدها، ولا تقنعوا منها بأعمال الظواهر دون أعمال البواطن، فأعمال الظواهر تقدر عليها نفوس العوام وذلك كالصلاة والصوم وغير ذلك، وأعمال البواطن لا تقدر عليها إلا نفوس الخواص وذلك كالذل والفقر والصمت والصبر والرضا والتسليم والتواضع والسخاء والقناعة

---

(1) تلمسان: مدينة تقع في غرب الجزائر، قريبة من الحدود المغربية.

(2) قلعية:قبيلة من قبائل الريف الشرقي، في شمال المغرب.

من الدنيا والمسكنة والجلوس مع المساكين وفي المواضع التي يجلس فيها المساكين والإيثار عند الحاجة وحمل إذاية الخلق وكف إذايتهم وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي هي لباب السنة، إذ لا يعرف السنة من كان متكبرا ولو كانت عبادته كالسحاب والمطر، وكذلك من كان بخيلا وحريصا وحسودا ومعاندا ومبغضا ومرائيا ومنافقا ومتصنعا للخلق وغير ذلك، إذ السنة هي التطهر من أوصاف البشرية لا غيرها، والناسُ يظنون أن السنة خلاف ذلك لغربة السنة الكبيرة فيهم يظنها هي الصلاة والصوم، وما ظن أن الصلاة والصوم هي مفاتح السنة لا غير، والمراد بالمفتاح دخول الدار وهي التخلق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم، إذ لا يعرف السنة من البدعة إلا من سار على سيره، فمن تخلق بخلقه الحسن فهو سني، ومن تخلق بخلق نفسه فهو بدعي عند أهل السنة وإن كان كثير الصوم والصلاة فافهموا.انظروا كيف وصفه الله بالخلق الحسن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ ولم يقل له وإنك لعلى صلاة وصيام، إذ الصلاة والصيام تقدر عليها العوام، والأخلاق الحسنة لا يقدر عليها إلا الخواص الذين سلكوا منهاجه القويم فافهموا، إذ كل من سار على سيره وصل إلى حضرته صلى الله عليه وسلم، ومن وصل إلى حضرته وصل إلى حضرة مولاه، ومن وصل إلى حضرة مولاه هنيئا له قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 31]. جعلني الله وإياكم والمسلمين من أهل اتباعه آمين، ولا يسمى المتبع به خليفة حتى يتخلق بأخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم، إذ العبادة هي حسن الخلق مع كل مخلوق إذ بها قرب إلى الله تعالى من قرب، وبسوء الخلق بعد عنه من بعد، والسلام.

الرسالة التاسعة

اعلمـــوا أن التجـــريد الظاهر له شرف كبير، لا يقدر عليه إلا من غلبت عليه مـــراقبة الحـــق على مراقبة الخلق، إذ التجريد الحسي ضامن للتجريد المعنوي إذا حصل الثبات فيه إذ هو لائق بالضعيف والقوي وفيه منافع كثيرة، منها أن المتجرد كالرياض بالزَّرْب المانـــع، والمتـــسبب كالـــرياض بلا زرب[1] من جاء يدخله ويقطع أشجاره ويأكل أثماره،

(1) زَرْب: السور من القصب.

والمتجـــرد لا سبيل لهم إليه، ومنها أن المتجرد لا يبالي بنفسه ولا بأبناء جنسه لسقوط قدر نفسه وكذلك الخلق لا يعبئون به فهو منهم في راحة ومن نفسه، ومنها أن المتجرد عـــنده العمارة والخلا كلاهما سواء، أين ما جن عليه الليل ذاك قراره، وبالجملة أسراره لا تعد ولا تحصى، إذ لا يعرفون قدره إلا أهله، إذ التجـــريد عند أهله كالكبريت الأحمـــر عـــند أهلـــه وأعظم وأعظم وأعظم، هذه كمية حسية وهذه كمية معنوية، والحس قدر ما يعظم ينقص من المعنى.

الرسالة العاشرة

من عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله إلى إخواننا في الله فقراء سلا وغيرهم، السلام عليكم والرحمة والبركة، وبعد فوالله ما خصّنا[1] العلم ولكن خصنا العمل به، إذ العلم بلا عمل كالأشجار بلا أوراق ولا أزهار فضلا عن الثمار، إذ لا يوجد الثمار إلا بعد الأزهار، كما أن الأزهار لا توجد إلا بعد الأوراق. قلّ من الأشجار من يسبق أنوارُهم أوراقهم لكن بعد الأنوار تأت الأزهار وبعد الأوراق تأتي الأثمار، فمن سبقه الجذب فليعقبه السلوك، ومن سبقه السلوك فليعقبه الجذب، ومن رأيته في السلوك ولم يدركه الجذب فسلوكه غير حقيقي، ومن رأيته في الجذب ولم يدركه السلوك فجذبه غير حقيقي سوى المجذوب الغائب لا كلام عليه، فمن أدركه الجذب قهرا فليمزجه بالسلوك اختيارا، ومن أدركه السلوك اختيارا فليمزجه بالجذب قهرا، ولا يقف مع قهرية السلوك ولا مع قهرية الجذب، إذ كلا الوقوف معهما حجاب، فكثير من أهل السلوك وقفوا مع سلوكهم فحجبوا عن الجذب، وكثير من أهل الجذب وقفوا مع الجذب فحجبوا عن الله، والعارف بالله هو الذي لا وقوف له مع شيء سواه ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ فأهل الآخرة قالوا أهل الدنيا هم أهل الخوض، وأهل الله قالوا أهل الآخرة هم أهل الخوض، وكلاهما على الصواب، قد علم كل أناس مشربهم، فأهل الآخرة اشتغلوا بالأنوار، وأهل الله

(1) ما خصنا: أي ما نقصنا.

اشتغلوا بالله فاشتغلت بهم الأنوار فطلبوا الأنوار بعد الأزهار وطلبوا الأزهار بعد الأوراق وطلبوا الأوراق بعد الأشجار، إذ لا توجد الأوراق إلا بعد الأشجار كما أن الأثمار بعد الأزهار، فكيف تطلب الثمار من الأشجار وهي لم يظهر فيها أزهار: ليس هذا والله عقل الكبار إنما هو عقل الصغار، **ولا نحب إخواننا بارك الله فيهم أن يكونوا من الصغار بل نحبهم أن يكونوا من كبار الكبار** فافهموا، فيقوا[1] يا إخواني من نومكم واجتهدوا في كمال معرفة ربكم ولا تتمتعوا بالعلم دون العمل ولا بالعمل دون الحال ولا بالحال دون المحول فافهموا، ومن أراد أن يكون من كبار الكبار فليكن من صغار الصغار، أو نقول من أراد أن يكون من أقوياء الأقوياء فليكن من ضعفاء الضعفاء، أو من أراد أن يكون من عز العز فليكن من ذل الذل، أو من أراد أن يكون من أهل علم العلم فليكن من أهل جهل الجهل، يعني من أراد أن يكون من أهل العلم بالله الذي هو لباب العلم فليكن من أهل العلم بنفسه فإن كان من أهل العلم بنفسه كان من أهل العلم بربه...................، إذ لا علم حقيقي ولا عمل حقيقي لمن يطلب الأشياء من غير أضدادها، فاسكنوا وصفكم إن شئتم أن يتجلى لكم بأنوار أوصافه سبحانه وتعالى، إذ ما منع الناس من ظهور الأسرار وشروق الأنوار سوى عدم إخلاصهم في عبوديتهم لربهم، فإن قلت كيف ذلك قلنا دخلت العلل مع علم العلماء ودخلت العلل أيضا مع فقر الفقراء وذلك كحب الدنيا وحب الجاه والمدح والثناء وحب إقبال الخلق وحب الرياسة والطمع لما في أيدي الناس من حطام الدنيا وغير ذلك، فحرموا الوصول من تضييعهم الأصول، فالعالم الذي لا ينقطع نظره عن الدنيا بالنظر إلى الآخرة فليس بعالم، والفقير الذي لا ينقطع نظره عن الآخرة بالنظر إلى الله فليس بفقير، فعليكم بأصول الطريق إن شئتم الوصول إلى كمال التحقيق، وأصولها هو ما قلناه لكم قبل وسنقوله لكم إن شاء الله بعد هذا واسمعوه وتأملوه وتفكروا فيه ليلا ونهارا ولا تهملوه إذ ما سلك أحد ولا يسلك إلا عليه وهو أن تكونوا ضعفاء الناس للناس ودوموا على ذلك حتى لا تروا

(1) فيقوا: أي انتبهوا واستيقظوا.

ضعفا لنفوسكم ولا قوتها إلا القوي سبحانه وتعالى، وكونوا أجهل الناس للناس ودوموا على ذلك حتى لا تروا لنفوسكم لا علما ولا جهلا إلا العليم، وكونوا أذل الناس للناس ودوموا على ذلك حتى لا تروا صغيرا ولا كبيرا إلا الكبير المتعال وهو الله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته، وهكذا إلى ما لا نهاية لهذا التعبير، فالنفس إذا حققها صاحبها بوصفها تطهرت وتروحنت وصعدت إلى ملكوت رب العالمين، وإذا تصرفت هي فيه وحققته بوصفها هبطت إلى أسفل سافلين، إذ الآدمي من حيث هو لا بد إلى أعلى عليين أو يهبط إلى أسفل سافلين لا غير، ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ الآية، إذ لا حجاب على قلب العبد سوى أوصاف البشرية، فاخرجوا عن أوصاف بشريتكم إن شئتم أن تكونوا عارفين بربكم، ولا تتركوا منكم فيكم بقية لنفوسكم ليصدق عليكم قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 111] عند العارفين بالله والذين لم يشغلهم عن مولاهم شيء سواه، ولا ينبغى أن يحمل كلام الله إلا على الغاية، فبيعوا أنفسكم ولا ترجعوا فيها، ما أحسن من تركها ولا يعود إليها، وما أقبح العكس، إذ كل من رجع إليها سببه رضاه عنها أو خوفه منها لا غير، فلا ترضوا عليها ولا تخافوا منها إذ هي أمر وهْمي عدمي لا وجود لها ولكن جعلها الحق تعالى قهرية ليعرف الكاذب من الصادق، والكاذب قهرته بوصفها وسجنته في ليل ظلامها، والصادق قهرها بتحقيقه وطورها في تصديقه فأظهر له الجمع في تفريقه، فافهموا يا إخواني واهبطوا ولا تطلعوا لتطلعوا، وافتقروا ولا تغتنوا لتغتنوا، واضعفوا ولا تقووا لتقووا، واصمتوا ولا تتكلموا لتتكلموا، وانذلوا ولا تنعزوا لتنعزوا، وجوعوا ولا تشبعوا لتشبعوا، إذ الأشياء كامنة في أضدادها إن شئتم الدخول ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ ، إذ كل من أراد الدخول على الحرية من الحرية فقد أراد المحال، فسيدكم وإمامكم من جاء تحتكم كلكم صغيركم وكبيركم، وعبدكم وعبد عبدكم من جاء فوقكم كلكم، فعليكم بالعناد على السُّفليات، إذ كل من تعاند على العُلويات فهو الجاهل الكبير، والسلام.

الرسالة الحادية عشر

من عبد الله محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله إلى كافة إخواننا الفقراء أهل الرباط وسلا المتجردين والمتسببين، السلام عليكم والرحمة والبركة، الله أكبر ما أحسن الفقير الناسي لنفسه على الدوام وإن كان قليل الذكر، وما أقبح الفقير الذاكر لنفسه على الدوام وإن كان كثير الذكر، إذ لا ينفع كثير الذكر مع ذكر النفس، ولا يضر قليل الذكر مع نسيانها، فإن وقت الذكر كله غفلة عند ذكر النفس، والذاكرُ عند نسيانها لمحة يقظة عند الذاكرين، إذ لا يذكر الله من ذكر نفسه وإن كان ذاكرا باللسان، ولا ينسى الله من نسي نفسه وإن كان لا يذكر باللسان، فإن الناسي لنفسه ذاكر الله بقلبه، وذكر القلب هو الذكر، والذاكر لها غافل عن الله بقلبه، والغفلة بالقلب هي الغفلة، إذ كل من نسيها سببه ذكر الله بقلبه شعر أم لا، وكل من ذكرها سببه نسي الله بقلبه شعر أم لا، فعليكم بنسيان نفوسكم إن شئتم أن تكونوا ذاكرين لربكم، ولا تذكروها لئلا تكونوا غافلين عن الله في حالة الذكر، وقد قلنا لكم من لا يذكر الله بقلبه فقد ذكر نفسه، لأن الذكر الحقيقي الذي هو ذكر الخواص هو بالقلب، والقلبُ قلنا لكم لا يكون إلا بنسيانها، فالذاكر لنفسه راجع عن الله من حيث لا يشعر، فالناسي لها سائر إلى الله بقلبه، وسير القلب كراكب السفينة يركب من بلد يعرفها فإذا هو في ساعة قليلة في بلد لا يعرفها، وهذا السير المعنوي أكثر وأكثر، فسيروا إلى الله بقلوبكم وجوارحكم، ولا تسيروا بجوارحكم فقط إذ هذا سير العوام لا يعبئون بالقلوب من قلة معرفتهم بها وبأربابها إذ الجوارح وسيلة إلى القلوب وهم يظنون لطف الله بنا وبهم أنها هي الغفلة، إذ الحق سبحانه خاطب القلوب فقال ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ وقال ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ والقلوب لا توجد إلا بفقد النفوس، كما أن النفوس لا توجد إلا بفقد القلوب، إذ لا يحضر لأحد قلبه حقًا وتحضر له نفسه أبدا، ولا تحضر له نفسه ويحضر له قلبه أبدا، إذ هما ضدان، والضدان لا يجتمعان، القلب نور والنفس ظلمة، والنور والظلمة لا يجتمعان أبدا، مهما حضر الواحد غاب الآخر. الظلمة ذكر النفس، والنور ذكر الحق. الخاصة إن ذكروا نفوسهم أيسوا من الخير إلا إن رجعوا لنسيانها سريعا لأنهم يعرفون أن المدار على القلوب لا على الجوارح، والعامة تراهم

يذكرون نفوسهم وهم يذكرون الله باللسان ويظنون أنهم ذاكرون وهم غافلون في ذكرهم، لأن الذكر باللسان مع غفلة القلب خير من ترك الذكر باللسان والقلب، اللهم وفقنا وإخواننا لكمال المعرفة بالله آمين. واعلموا رحمكم الله أن القلب مدينة بين ملِكيْن دائما يتخاصمان عليه، الواحد منهما ساكنه أبدا يعني الغالب، والمغلوب مطرود عنه أبدا، إن جئنا في عون روحانيتنا أمدنا الله سبحانه بالقوة وأسكنه جنود النور، وإن جئنا في عون بشريتنا أمدنا الحق بالضعف وأسكنه جنود الظلمة، فجيئوا في عون روحانيتكم بالبعد عن أوصاف بشريتكم، ولا تجيئوا في عون بشريتكم بالبعد من أوصاف روحانيتكم، فإن قربتم من أوصاف بشريتكم ذكرتم نفوسكم، وإن ذكرتم نفوسكم نسيتم ربكم بقلوبكم، وإن حصل لكم البعد من أوصاف بشريتكم نسيتم نفوسكم، وإن نسيتم نفوسكم ذكرتم الله بقلوبكم، وإن ذكرتم الله بقلوبكم كنتم أهل الله لا أهل الهوى، إذ لا شيء يذكره العبد بقلبه غير ربه أو نسيه لا غير، وذكر الله له نتائج لا تعد ولا تحصى، كما أن ذكر النفس أيضا له نتائج لا تعد ولا تحصى، الذاكر لنفسه عبد الأشياء كلها أحب أم كره، والذاكر لربه الأشياء كلها خديمة له مسخرة بين يديه أحب أم كره، الذاكر لنفسه عبد الخير والشر أحب أم كره، والذاكر لربه الخيرُ والشرُّ عبيد له أحبوا أم كرهوا، والذاكر لنفسه يطلب الأشياء كلها بالليل والنهار ولا يجد منها شيئا في وجودها، والذاكر لربه تطلبه الأشياء كلها بالليل والنهار ولا تجد منه شيئا في وجوده إذ هو لله لا لها، كما أن الذاكر لنفسه هو للأشياء لا لله ولذلك صار لا يجد منها شيئا في وجودها. الجاهل يظن أنه ملك الأشياء فلم يزل قليلا حتى تتركه وتذهب إلى أين شاءت فيبيت في الخلاء لأنه كان في الخلاء وهو لا يشعر، كما أن العالم بالله العارف به حقا تظن الأشياء أنها ملكته فلم يزل قليلا حتى يتركها ويذهب إلى أين شاء فتبيت في الخلا لأنها كانت في الخلاء وهي لا تشعر، إذ العالم بالله الذي هو العارف لا يذكر نفسه أبدا ولو ذكرها لذكر الأشياء كلها ولو ذكرها لكان عبدا لها ولو كان عبدا لها لما كان عبد الله تعالى، إذ العبد مهما ذكر شيئا من الأشياء بقلبه نسي الله وكان مملوكا لسائر الأشياء، كما أن الذاكر لله بقلبه إن تعرضت له في قلبه شيء من الأشياء ثم نسيها وذكر الله نسي جميع الأشياء وكان مملوكا لله، واعلموا رحمكم الله أن من ذكر

شيئا من الأشياء ذكر نفسه، ومن ذكر نفسه ذكر الأكوان كلها، إذ النفس هي الأكوان الحاجبات على أسرار المنان، وسبب وجود النفس الظلمانية الوهمية الخالية اتباعها للشهوات والعوائد لا غير، إذ لو تركنا ذلك تركا كليًّا لغابت عنا نفوسنا غيبة كلية، ولو غابت عنا نفوسنا غيبة كلية لغابت عنا الأكوان غيبة كلية كما غابت عن أولياء الله جملة ولكنا في القرب من الله على الدوام، وذلك بسبب حياة روحنا، وحياتها بسبب موت نفوسنا، وموتها بسبب بعدنا عن شهواتنا وعوائدنا التي هي ماء بشريتنا، فاتركوا وفقنا الله وإياكم أوصاف بشريتكم وتخلقوا بأخلاق روحانيتكم التي هي أصل خلقتكم قبل أن تكونوا لنفوسكم، فبذلك تكونوا عارفين بربكم، وإلا فلا معرفة، ولا تكونوا كمن يدعي المعرفة بالله ونفسه مثل الجبل لم يهدم منها حجارة، وحجارة جبال النفس الأوصافُ الذميمة من حيث هي، فإن هدمتم جبال النفس بني جبال الروح، فجبال النفس بني بالحجر والخشب، وجبال الروح بني باليواقيت والجواهر، وجبال النفس بني بالجهل، وجبال الروح بني بالعلم، وجبال النفس بني بالأوصاف الذميمة، وجبال الروح بني بالأوصاف الحميدة، وجبال النفس بني بالأوهام والخيالات والظنون والشكوك، وجبال الروح بني بالتحقيق والتدقيق والسر الرقيق. واعلموا رحمكم الله أن من أراد أن يعرف هل هو خاص أم عام فليقابلْ نفسه مع الصبيان الصغار الذين لا عقل لهم، فمن وافق خلقه الصبيانَ فهو فيه خاص، وما لم يوافق فهو فيه عام، فكما أن الصبي لا مبالاة له بنفسه ولا بأبناء جنسه، كذلك الولي لا مبالاة له بنفسه ولا بأبناء جنسه. الصبي خلقه خلق أهل عالم الملكوت، وكذلك الولي خلقه خلق أهل عالم الملكوت، والولي أعظم لأن الولي له عقل والغيبة عن العقل في العقل أشد من خلق الصبي، فالصبي له حمق بلا عقل، والولي له حمق وعقل أو تقول جذب وسلوك، وقد عبرنا على الجذب بالحمق يعني الحمق في الله وعلى الله فنعْمَ الحمق وذلك حمق الخواص لا حمق العوام، وعندنا أن كل من أتاه عقله في شيء غير الله تعالى فهو أحمق، إذ العقل هو الذي يكون في الله أي يصرف كلية صاحبه في الله، فالولي صارت نفسه كالسراب والخلق كالتراب، وكما أن الصبي لا تدبير له ولا اختيار ولا حرص ولا غضب ولا بخل ولا حسد ولا غير ذلك وإن صدر منه شيء يشبه ذلك فهو غير مقيم فيه، فكذلك الولي وإن صدر

منه شيء يشبه ذلك فهو عابر لا يقيم عنده أبدا، إذ لا يقيم إلا في أوصاف روحانيته، فالصبي ملكته الأنوار ولذلك أقل شيء يبسطه ويقبضه، والولي ملك الأنوار ولذلك تراه كالجبل الراسي لا يزحزحه ريح من الأرياح ولا يسمع صيحة من الصياح: هذا حال الكُمَّال، والسائر مثلنا إن ظهر له من أوصاف بشريته لا يرضى عن نفسه ولا يصطلح معها حتى يردها عنه إلى ضده الذي هو الوصف المحمود أحبت نفسُه أم كرهت ولا يزال معها هكذا حتى يقع له منها الإخلاص....... خلصنا وإخواننا ومن تعلق بنا إلى يوم الدين آمين. واعلم أنه لا فرق بين العوام والخواص سوى الخروج من الأوصاف الذميمة والدخول في الأوصاف الحميدة، وانظر هنا العوام يزدحمون على أوصاف البشرية كما يزدحم الذباب على اللبن، والخواص يزدحمون على أوصاف الروحانية كما يزدحم النحل على العسل، **ومن زعم أن الولاية شيء زائد على التخلق بالأوصاف الحميدة قلبا وقالبا فهو جاهل بها وبأهلها**، إذ لا يطلب من الفقير كرامة غير الأخلاق الحميدة إذ هي الكرامة التي ينبغي لكل واحد أن يفني عمره في طلبها، إذ بصاحب الأخلاق الحميدة يعبؤوا وإليه ينظروا وبه يُقتدى ولو كان لا كرامة له حسية سيما حاش من له أخلاق حسية أن يخلو من شيء أبدا من الخير، ولا يُعبؤ بكرامة صاحب الأخلاق السيئة وإن كانوا كالسحاب حتى يتأدب ويتهذب. واعلم أن من ظهرت عليه الأخلاق الحميدة في وقت لا يمكن أن تظهر من غيره إلا الأخلاق الذميمة فهو الولي إذ لا يحلم وقت الغضب إلا الولي الكامل إلى غير ذلك، وهذه هي الرُّجْلَة عند الرجال إن ذكرتك نفسك فتذكر ربك وتنساها كما ذكرنا، ما دام الفقير تذكره نفسه ويذكرها فهو بعيد من الله فافهموا، واذكروا الله في كل حال وقت الضيق والتّاسيع[1] ووقت القبض والبسط ووقت الوجد والفقد ووقت الضعف والقوة ووقت البعد والقرب ووقت المرض والصحة إلى غير ذلك حتى تصيروا مع اللـــه صادقين ولحضرته لائقين وبالسباق لاحقين.

---

(1) التّاسيع: أي التوسعة.

الرسالة الثانية عشر

مـــن عبيد ربه وأقل عبيده محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله بمنه إلى إخوانـــنا في الله أهـــل سلا وغيرهم من الحواضر والبوادي، السلام عليكم والرحمة والـــبركة........ فـــشيء خفيف من الأسباب الدينية والدنيوية تكفي صاحبها إذا حـــضرت القلـــوب، وإذا غابـــت فلا يكفي شيء من ذلك لا خفيف ولا ثقيل، والقلوب لا توجد إلا بعد طهارتها من حب الدنيا وأهلها وجملة الشهوات والعوائد، ولا شك أن حب الدنيا هو أصل ذلك كله، إذ لولا حبها ما ظهر في الإنسان وصف مذمـــوم أبـــدا، فالقلوب إذا تطهرت من حبها سكنتها جنود الأنوار وظهرت على الجوارح المحاسن والأسرار، والدنيا جميع ما يلتفت إليه القلب ولو لقمة خبز وخرقة وخـــيط وإبـــرة وغـــير ذلك، فإن كثيرها هو قليلها، وقليلها هو كثيرها، فافهموا واحـــذروا أن تسكنوا لشيء سوى مولاكم بقلوبكم ولا بجوارحكم، ودوموا على ذلـــك حـــتى يـــصير سكونكم لا لشيء سواه، وبذلك تتحررون من رقة الأكوان وتصيرون عبيد الواحد المنان. طهِّروا ظواهركم يا إخواني إن شئتم طهارة بواطنكم، إذ الظاهـــر عين الباطن، مهما حصلت طهارة الظاهر حصلت طهارة الباطن، إذ ما حجبـــنا عن الله تعالى سوى اشتغال ظواهرنا بالشهوات والعوائد لا غير، إذ بذلك عظمـــت الـــنفوس وماتت القلوب وفقدنا الأسرار والأنوار، ولو تركنا ذلك لماتت نفوسنا ولحييت قلوبنا ولشهدنا الحق أقرب إلينا منا بعين بصيرتنا شهودا لا حجاب عليه، فالحجاب الذي هو على الأنوار هو اشتغالك بالأغيار والأكدار، مهما اشتغلت الظواهـــر بذلك انطمست البصائر عن ذلك، فابعدوا عن ما يشغلكم عن الله تعالى بقلـــوبكم وجـــوارحكم كما ذكرنا لكم بذلك مشاهدة كما شاهدوه أهل التحقيق رضـــي الله عنهم الذين باعوا نفوسهم لربهم بيعا بلا إقالة وزادوا فلوسهم تهديدا لا غير، فإن هذا الأمر لا قيمة له إلا موت النفوس، إذ كل من نفسه حيَّة لا يطمع فيه ولـــو كان صائما قائما متجردا، إذ الأعمال كلها وسائل للإخلاص الذي هو موت الـــنفوس، فصار من لا يتخلص من نفسه لا يطمع في شهود عظمة ربه، ولا سبيل للإخـــلاص إلا بنـــسيانها، ولا سبيل لنسيانها قبل أن يسْكن بها السُّفْـــلِيـــاًت، إذ

السفليات لا حظ لها فيهم أبدا، والسفليات هو كل ما يثقل عليها في المباح لا المكروه، إذ الصادق يقتل نفسه بقليل المباح، والكاذب ربما يوقع في المكروه ولم يحصل شيئا والسلام. وإن شئتم بارك الله فيكم أن تنصحوا عباد الله فحضُّوهم على البعد من الدنيا وأهلها إذ هما أصل الهموم والغموم والحزن والضيق والنكد وسائر أنواع الحجاب، وحضُّوهم على الذكر والفكر وسلامة الصدر وصدق اللسان وتعظيم الخلائق جملة بالقلوب وبالجوارح ما هو أهلا للتعظيم، إذ هذا يوصلهم إلى حقيقة المعرفة، وحضُّوهم أيضا على الاستبراء التام وطهارة الثياب والبدن والبقعة وتقليم الأظفار وتحسين الوسط والإبط وسائر طهارة الجسد، فإن طهارة الجسد تدل على طهارة المعنى، وأن لا تفتنوا الناس على الأعمال الصالحة كالصلاة والتلاوة والتدريس وغير ذلك إذ ذاك كله يزيد للفقير تظليما لسريرته وخمود أنوار روحانيته، وتهلوا في الكبار ولا بد ولا بد، والكبار يتهلون في الصغار، ولا صغير في الحقيقة، (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) الحديث، فانظروا عباد الله بالتعظيم، ولا تحقروا شيئا من الأشياء، صُنْعَ الله الذي أتقن كل شيء، انظروا ماذا في السماوات فافهموا، كفاكم بالجاهل الذي ينظر الناس بعين التصغير أنه غير شاكر لله، والذي ليس بشاكر لله ليس بذاكر، لو كان ذاكرا لكان شاكرا، ولو كان شاكرا لكان ناظرا عباد الله بعين التعظيم والإجلال والسلام، وأيضا احذروا وقت المذاكرة من المحاججة والملاججة، ولا تنظروا لأنفسكم مزية إذ هي من أعظم الانتصار، إذ النفس الأمارة من شأنها تحب أن تعرف بالعلم والمعرفة والصلاح وغير ذلك وترك الاكتفاء بعلم الله وراء ظهرها وذلك كله لجهلها بالله، وبالجملة فلا تنتصروا لأنفسكم ولا تنظرون لها قليلا ولا كثيرا، ومن رأيتموه انتصر لها اتركوها له في عنقه واذهبوا، فإن المذاكرة هي من أعظم الذكر ومن أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى الله تعالى، وأما إذا رجعت محاججة وملاججة رجعت مناجات الشيطان، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين، إذ محال تقوى نفس الفقير في المذاكرة ويجد حلاوة الذكر أبدا، إذ الحلاوة بالله توجد في الغيبة عن النفس، لأن طريقتنا طريق الصوت الطغث، فمن هبط أوجدها ومن طلع أخطأها ولو كان عالما زاهدا وغير ذلك، والسلام.

الرسالة الثالثة عشر

من عبد الله تعالى محمد البوزيدي الحسني إلى كافة إخواننا أهل سلا وغيرهم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

فقد كتبت كتابا لبعض الإخوان فيه ثلاث وصايا اسمعوهم وتأملوهم إذ هم والله روح الطريق وذات التحقيق، إذ لا مدخل لأحد إلا عن بابهم، ومن تخلف عنهم لا مدخل له، ومن زعم الدخول وهو لا يتمسك بهذه الثلاث فهو الجاهل الكبير. **الوصية الأولى** قلتُ لهم فيها: الفقير إذا زهد في الدنيا وقنع بالقليل منها وآثر الله على نفسه بذلك القليل ولا يقول إني فقير ومحتاج وأنا أولى بذلك من غيري بل يمنع نفسه من ذلك ويخرجه كرها عليها أحبت أم كرهت ليصدق عليه قوله تعالى﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: 9] عند ذلك يشهد السرور ويكاشف الفقير الصادق بحقيقة الأمور ويكون بربه لا بنفسه، انظروا كيف نبَّه ابن عطاء الله رضي الله عنه بقوله (الفاقة أعياد المريدين) وقال أيضا (ربما وجدت من المزيد في الفاقة ما لم تجده في الصوم والصلاة) إذ النفس ما دامت متسعة وهي لا ترحل من هذا العالم، وإذا لم ترحل لا خير فيها ولا نور ولا سرور ولا ذوق ولا حال، فأدخلوها في الضيق إن أردتم الوسع، والضيقُ جميع ما تكرهه عند نفسها وعند أبناء جنسها ولا يخفى عليكم والله تعالى أعلم.

الوصية الثانية قلتُ لهم الفقير إذا فارق سوق النساء ولم يقرب صغيرة ولا كبيرة إلا ما أحل الله وذلك عند الاضطرار لا غير فإنه ينال من الله القرب التام، إذ هن يشتتن الفكر ويمنعن الذكْر ويحجبن عن السكر ويستجلبن النظر، إذ ما من فقير قرُب من النساء إلا وقد أخذ باطنه وقيل ظاهره إذا أراد الله به خيرا، إذ هن كالثعابين الصغير يهلك والكبير يهلك إلا من سلمه الله وقليل ما هم، فاحذروا النساء فاحذروا النساء.

الوصية الثالثة قلتُ لهم الفقير إذا سكت بلسانه ولم يتكلم إلا فيما يعنيه كالذكر والمذاكرة والتلاوة والصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ما يناسب حاله لا يرى شرا قط، **فما من مصيبة أتت الجوارح والقلب**

إلا أصلها من إطلاق اللسان فيما لا يعني، وغير الذكر وما لا يتوصل به إلى حقيقة الذكر كله مما لا يعني، وما دام الفقير فيه شيء مما لا يعني وهو بعيد عن الله، فإن **عبادة أهل القلوب ترك ما لا يعني**، فإذا زال ما لا يعني لم يبق إلا ما يعني، والفقير الحقيقي هو الذي يعبد الله بالقلب لا بالجوارح فقط، إذ كثير من الناس لهم عبادات كثيرة بالجوارح والقلبُ فاسد وذلك من عدم معرفتهم بما لا يعني، وأصل فساد الإنسان اللسانُ، فاصمتوا فاصمتوا فإن كثرة الكلام بالعلم بالله عند أهل العلم بالله جهل فما بالك بغيره، والسلام.

الرسالة الرابعة عشر

من عبد ربه وأقل عبيده محمد البوزيدي إلى الشريف العلمي سيدي محمد بن الطيب حفيد الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، نفع الله بالجميع بجاه النبي الشفيع، السلام على أخينا والرحمة والبركة، **لا أذاقك الله يا سيدي طعم المخلوقات ولا طعم سماع حديثهم**، فإن ذقت هذين الأمرين لم يذق قلبك بعدهما خيرا ولا نورا ولا علما ولا حكمة، إذ هما والله قُطَّاع الطريق، لِكل مريد غير صديق، فمن حصل في شبكتها امتنع من الزيادة، وردته نفسه سريعا لكل شهوة وعادة، فجنب ذلك ما استطعت إن أردت فتح الباب ورفع الحجاب والانخراط في سلك الأحباب، فسبب منع رضاهم والاستماع لحديثهم حب الدنيا، وسبب حب الدنيا جهل القلب، ولو أن القلب ذاق شيئا من العلم لأبغضها، ولو أبغضها لعظمت مراقبة الله في قلبه ولغاب عن مراقبة المخلوقين وكانوا عنده كالحجر لا يرى منهم رؤية نفع ولا ضر وهذا هو العالم، وليس العالم من كان كثير الحفظ والنقل والفهم وغير ذلك،إنما **العلم نور ينبته الله في القلوب بسبب الزهد في الدنيا وأهلها، كما ينبت الجهل بسبب الرغبة فيها وأهلها**، فافهم يا أخي وفِقْ من نومك وارجع إلى ربك بجوارحك، فإن قلت انا عند ربي نعما لكن حصل الانحطاط من الرتبة العالية التي هي التجريد إلى الرتبة التي دونها بكثير وهي رتبة الأسباب ما أبعد هذا من هذا فافهم، وقد خرج التصريح، دون الإشارة والتلويح، فالبس يا أخي مرقعتك وطفْ

علـــى الفقراء ليزيدوا بك إلى ربك وتزيدهم أنت كذلك، المومن للمومن كالبنيان المرصـــوص يشد بعضه بعضا الحديث، إذ التجريد حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحال الصحابة والأكابر من الأولياء رضي الله عنهم كمولانا عبد السلام والجنيد والشاذلي والجيلاني وأضرابهم، واعلم يا أخي أنه ما نال أحد معرفة الله ونفسُه لها بقية فليس عنده بهذا معرفة وعند غيري ومعرفتها حقًّا هي معرفة الله، ومعرفتها لا تحصل لأحد قط إلا إذا ذبحها بسيف الفقر وقطع عظامَها وجلودَ بـــشاقور[1] الذل وأتى بها إلى قدْرة الصدق بحنط الإيثار والسخاء وأوقد تحتها نار الـــصبر وحـــرَّكها بمعرفة الرضا والتسليم وأعمل عليها أبازير القناعة وبصل الورع وسمـــن الحلم وجعل فيها ماء العلم ثم صبها في مخفية الخمول وأرفعها بيد المسكنة وأنهشها بلسان الزهد وأمضغها بفم المحبة وأدخلها بطن الشوق، فبهذا يمتحى اسمها ويزول رسمها، فإذا سلك الفقير هذه المقامات وصل من المعرفة أعلى الدرجات يا أخـــي، والخَلْـــقُ محذوفون في إثباتهم مفقودون في وجودهم، لكن أثبتهم الوهم من حـــيث الجهل بالله وصاروا في عين صاحبه عظاما من حيث الغفلة عن الله وانتقلت مراقبة الله بمراقبتهم لتعلقهم بتعلقه وتدلت محبته بمحبتهم، فهذا شرك خفي يكاد أن يقطـــع من قلب صاحبه عروق الإيمان، فاهرب يا أخي لربك بقلبك وجوارحك، وكـــن له ليكون لك، ولا تكون لنفسك لئلا يوكلك إليها فتهلك، وإن أردت أن تكون لله كما تحب ويكون لك هو سبحانه كما تحب فاخرج عن فلسك وجنسك خـــروجا لا رجوع إليهم أبدا والسلام، إذ الخلق يقربك من الدنيا، والدنيا تقربك مـــنهم، وما نال أحد من القرب من الله بلا إعراض عنهم وعن دنياهم قال جل من قائـــل ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ صدق الله العظيم، والسلام.

---

(1) شاقور: أي سَاطُور.

الرسالة الخامسة عشر

مـــن عبد الله محمد بن أحمد البوزيدي الحسني وفقه الله إلى أخينا في الله العالم العلامة سيدي محمد بن الهاشمي محراش الحسني، سلام عليكم والرحمة والبركة.

سيدي لما أراد الله الأخذ بيدنا حققنا بولاية ولي من أوليائه فمنعنا أذننا من استـــماع حديث المخلوقين قبيحا كان أو مليحا وذلك بتوفيق من الله سبحانه، لأن المليح ربما يعطل صاحبه عن المسير إلى الله ويمنعه دخول الحضرة لأنه فيه حظ النفس ولا يتذكر، ولا يذكرون الله عند حظها إلا الرجال الكبار وقليل ما هم وهم الذين استوت عندهم الأحوال لغيبتهم في المُحَول، والقبيح لا حظ للنفس فيه فيليق بالضعيف مثلي ليرده إلى ربه ويقهره عن شهوات نفسه، وأقرب ما يكون العبد من الله وأحـــبه عند الله وأنفع للقلب من كل شيء الوقتُ الذي لا حظ للنفس فيه إن حضر معه الصبر والمراقبة ولا سيما إن حضر معه الحضور يعني العيان، وأيضا أقرب مـــا يكـــون العبد من الله عند وقت الانكسار، ولا ينكسر إلا إذا فقد حظ النفس، وعند فقدان حظوظها يكون الرجال عند الله عز وجل من غير عبادة، وهذه المعنى لطيفة رقيقة لا يفهمها إلا أهل القلوب وأريهم يا سيدي محمد، رحم الله سيدي أبا مدين الغوث رضي الله عنه حيث قال في بعض قصائده:

متـــى أراهم وأنا لي برؤيتـــهم   أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا

فـــافهم. **ومنعـــنا أيضا بصرنا من النظر إليهم بما هو متجلي فيهم أدبا معه ســـبحانه،** قال مولانا أسمعْ بهم وأبصر ما أشار إليه الحق إلينا وتأملها، وإياك والجهل مع وجود العلم، قال مولانا عز وجل ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ ، فإذا حضر التدبر فكل واحـــد يأخذ منه أي من القرآن على قدر قربه إلى الله، وبقدر القرب إلى الله تشرق البصيرة بالأنوار، فيطالع بها الأسرار التي هي وراء الأسرار فافهم، **ومنعنا أيضا فهمنا مـــن الكلام معهم أدبا معه سبحانه لتحقيقنا بهم التحقيق ورسوخنا وتمكننا فيه،** لأن علـــم التحقـــيق يمنع صاحبه المجادلة والمحاججة، وذلك لشدة الاكتفاء بعلم الله وجواب من تحقق قال مولانا تعالى ﴿ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: 63]...... اللهم اغفر

لقومي فإنهم لا يعلمون فافهم، وقد جاد الله علينا سيدي بالبصيرة انفتحت فغبنا بما أشرق في سمائها من الأنوار، بصحبة المقربين الأخيار، فحققنا الحق بتحقيق الحقائق، وفهَّمنا سبحانه معاني الرقائق والدقائق، ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝ ﴾ صدق الله العظيم، حمدنا الله وشكرناه حيث ذكرنا وذكرناه وأحبنا فأحببناه قال مولانا تعالى ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: 54] وقال ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: 21] صدق الله العظيم. قد تقدم سيدي جوابنا على السؤال من غير حاجة لقوله سبحانه ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: 63]، ولولا خفتُ عليك أن تشتغل بهم عن الله لما رأيت مني جوابا إليهم لا قليل ولا كثير، **فجَوابُ من يشتغل فينا الاشتغالُ بالله والانقطاع إليه**، وأجيبك إن شاء الله فإن الإنكار على أهل هذا الطريق إلى يوم القيامة ولا سيما في هذا الوقت الذي يعتقدون الجميع أنها مقطوعة لكثرة غربتها من باب أولى وأحرى، وستظهر إن شاء الله ظهورا لا خفاء بعده رغما على أنف كل أحد، وقال سيدي أحمد زروق رضي الله عنه حين أنكروا عليه بعض ممن هو جاهل بأحوال الرجال وطريقهم لما رأوه بالغاً في المباح غاية وقيل زاد في المكروه وهو الصحيح فقال ما لم تقو جدا يعني الكراهة وقال ربما أنكرها عليهم من لا يعرف مقاصدهم والسؤال جائز للمضطر............ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (من مات جوعا ولم يسأل دخل النار)، فإن كان السؤال مباحا في وقت الحاجة فغايته مكروه من غير حاجة وإن كان حراما لم يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم المضطر، فالعارف إذا سأل من غير حاجة فمراده بذلك قوت الأرواح لا قوت الأشباح.......... يظهر لي أن الذين ينكرون علينا يموتون على حب الدنيا وحب الجاه والتفاخر وإظهار العلم لا على الاكتفاء بعلم الله، وهذا هو السبب في الرضا عن النفس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن كانوا سالمين من هذه العلل نتكلم معهم أو نحط لهم رأسنا، ويا ليتهم تحققوا بوصفهم واقتصروا على المسكنة وأنزلوا نفوسهم منازل العبيد لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتا، وأيضا يا سيدي هؤلاء القوم أهل قلوب، والذين ينكرون عليهم أهل جوارح، فإذا لم يعذروهم أهل القلوب فليسوا بعارفين بالشهود والعيان، وأهل الجوارح إذا لم يعذروهم أهل القلوب فليسوا بعارفين بالدليل والبرهان، وكذلك أهل المراقبة الكبيرة المستشرفة

علـــى المـــشاهدة وأهــــل الفطرة الذين هم من خيار العوام القريبين العهد من الله. الحاصلُ: أهل الشهود والعيان يعذرون من عذرهم ويعذرون من لم يعذرهم فيعذرون من لم يعذرهم لعدم معرفتهم بالله أعني المعرفة الحقيقية وهم لا يعذرون أهل القلوب لأن معـــرفتهم مجازيــــة وعلامةُ كونها مجازية أنها إذا خرجت عليها المعرفة الحقيقية هدمتها، والمعرفة الحقيقية لا يهدمها شيء، فإذا رأيت من تكبر على أهلها فاعلم أنه حاسد أو منافق أو راض عن نفسه أو جاهل، وأصلُ ذلك كله الجهلُ بعلم التحقيق، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر)، اشتغال العبد بعيوب الناس عن عيوب نفسه وذلك لبعد القلـــب من العلم، ولو استنشق رائحة العلم لاقتصر على ما يليق به.............. الجـــوارح من خوض القلب في الأكوان، ولو اقتصر على الأحوال الحسنة لاقتصرت الجـــوارح، ومـــن علامة الاقتصار إظهار ذلك على الجوارح لحسن الظن بعباد الله وسلامة الصدر وحسن الخلق وما أشبه ذلك فهذه ثمرة القلب الذي روي بماء العلم، في الحـــديث (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب)..... أصلحْ جوارحك يصلح قلبك، ولا سبيل لإصلاح القلـــب إلا مـــن الجوارح، فرد جوارحك عن الهوى يرجع قلبك، فاشتغل يا أخي بعيوب نفسك وقصر من حسك ودع جنسك واجعل بالله أنسك تنفتح لك إن شاء الله بـــاب قدسك، وأيضا من يتعلم علم التحقيق وهو روح الأدب فصفاته عن أهله بالصحبة والخدمة والأدب والتواضع والاستماع وإعطاء النفس والمال بالكلية لا ينال منه شيء لا ينال منه شيء لأنه أمر عظيم عظيم عظيم كبير كبير كبير وبعد هذا لا يـــنال إلا بفـــضل الله ورحمته ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 73] صدق الله العظيم انتهى. وأما المنكرون يا سيدي فهم مسلطون على أهل هذا الطريق تقوية لهم وتأييدا واختبارا من الحق سبحانه ليميز الخبيث، لولاهم لوقع التعطيل عن المسير إلى الله ولرجعت المحبة دعوى، ولولاهم لسكن القلب في ظل العز والجاه والمدح والثناء ولوقـــع بذلك الوقوف، ومن وقف رجع، بهم يعرفون الرجال نفوسهم هل هي ميتة أي خالـــصة لله: فإن لم تحب الإذاية من جميع المخلوقات فهي لم تمت، فيجتهدون في إخراجها عن عوائدها، وعلامة خروجها من عوائدها حب الإذاية، ولا تؤذي هي

أحـــدا لا ظاهرا ولا باطنا، فهذه علامة إخلاصها، والمراد بالإخلاص السكون في الحضرة والاستقرار فيها، والإذاية تارة تبرز من النفس وتارة تبرز من الجنس وهذا هو المعبر عنه بالتعرف، فالعارف الحقيقي يشهده من الله لا من نفسه ولا من جنسه ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: 78].

لمـــا تحقـــق ابـــن عطاء الله رضي الله عنه بهذا المعنى قال (إلهي قد علمتُ باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلـــك في شـــيء) وهذه هي المعرفة الكاملة، ومن لم يصل إلى هذا المقام فعليه بالمجاهدة إن كان متمسكا بشيخ وإلا فليلجأ إلى مولاه يجده قريبا، والسلام.

الرسالة السادسة عشر

أما بعد فالأمور التي سألتني عنها تقدم جواب جلها حيث لقيتمونا أول مرة إن فهمـــتَ معـــناها وفي الكتاب الذي بعثناه إليكم إن فهمت، وتأمل ما قلناه وإلا يا ســـيدي إن كـــان مرادك علم الأذواق فعلم الأذواق لا ينال بفهم ولا بمراسلة ولا ببلاغة ولا بحفظ، بل ينال بمحبة أهل الأذواق وانحطاط الرءوس إليهم وترك ما هو عاملـــه وعالمه وحاله وأحواله، ثم بعد ذلك يقوده أهل الحضرة إلى الحضرة ويرفعون عنه ما حجبه عن النظرة ثم تفيض عليه العلوم وتنفتح له أبواب الفهوم ثم يجلس مع الأخـــيار ويشهد ما شهدوه من الأسرار والأنوار، وإن شئت سيدي معرفة الأشياء علـــى ظاهرها كما يطلبها كثير من الناس فأخبرنا نجاوبك عنها إن علمنا الله وإلا فنسكت، وسكوتنا مع معرفتنا فيها أولى، لأنا إن جهلنا مع وجود المعرفة كان ذلك تشرفا لنا، وإن جهلنا مع عدم المعرفة كان ذلك وصفنا، من لم يتحقق بوصفه كان دلـــيلا على جهله، تحققْ بأوصافك يمدك الحق بأوصافه. وأيضا **إن سألتَ وليًّا من أولـــيائه فاســـأله عن حقيقة عبوديتك ولا تسأله عما هو ناشئ عنها**، فهذا الذي تـــسأل عنه هو ثمرة العبودية، فإن كنت سائرا في الطريق وتجلتْ لك بعض المراتب والمقامـــات ثم غـــشاك السكر مع الصحو عند الاستشراف على البقاء فلا بأس إن ســـألت عن ذلك واستشرفتَ على الفناء يشكل عليك التوحيد أعني الجمع لقرب عهـــدك من الفرق أيضا فلا بأس بذلك وهذا مع ملاقات الشيخ أعني شيخ التربية،

لأنـــه لا يسير الإنسان إلى الله إلا على يد شيخ التربية وإلا فلا يدري المسير كيف هـــو، أعني سير الخصوص لا سير العموم، ولا يسير للخصوصية إلا بملاقات أهلها كما تقدم، وإلا يتمسك الإنسان بحبل النية والصدق وحسن الظن لعل مولانا يجمعه به، والسلام.

الرسالة السابعة عشر

وبعد ساداتنا والله لو استنشقنا منكم رائحة المحبة ما تكلمنا معكم في شأن هذا لأن هذا لا ينبغي إفشاؤه إلا للأحباب وأنتم منهم إن شاء الله...............عن القسَم الذي يقسم به الرجال، اعلموا رحمكم الله أن الولي إذا تولاه الله أفناه عنه وأبقاه به وغيبه فيه وحققه بتحقيق الحال والمقال فيجمعه فيحفه الحق تعالى بالهداية ويحمله بالعناية فيتكلم بالله لا بنفسه، فإن العجز والفقد وما أشبه هذا ذهب بذهاب العبد في الله، ألم تسمعوا قول الله سبحانه (فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث، فافهموا رحمكم الله واحملوا على الكمال ما رأيتم أحدا من المنسوبين عليه، فإن المنسوبين على الله سيوفهم في أرضه ويأتون بحلل جلاله لا يفهموه إلا أهله ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: 24] صدق الله العظيم، ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفهم قوله (إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأَبَرَّهُمْ) ولا سيما أن لله رجالا إذا اهتموا بشيء أو خطر ببالهم من غير قصد له كان بحول الله وقوته من غير قسم....... اعلموا رحمكم الله أن سيدي عبد العزيز الدباغ ولي الله حقًا، ومعنى ما قلنا لكم فيه أنه صاحب الفناء في الاسم ومستشرف على الفناء في الذات، لأن صاحب الفناء في الله لا يتكلم في الأرض ولا في السماء ولا في الجن ولا في الإنس ولا في غير ذلك من جميع الفروع، وإن شئتم أن تعرفوا هذا فمن كتابه تفهموا ذلك، لأن الوقت الذي يغرق في بحر الوحدة لا يتكلم في فرق قط، ولكن هذا نادر في كتابه أعني الجمع ولا سيما من خرج من الجمع إلى الفرق كالشاذلي وأبي العباس المرسي وابن عطاء الله والجنيد والجيلاني وغير ذلك من الأقطاب الكبار، فاقربوا منا نعرفكم بالله لتعرفوا الرجال من الرجال معرفة الله، ولا يعرف ذلك إلا لمن عرف الله حق معرفته كما الذي ذكرته لكم، وأما شيخنا رضي الله عنـــه لم نقدروا أن نصفوه بوصف خاص، وأما الذي ذكرناه لكم من التعبير

والأسرار والأنوار والعــلوم اللدنية والمقامات العلية هي في كثير من تلامذته رضي الله عنه وعنهم.......... شأن الفرق والجمع وجمع الجمع.

الفرق مجاهدة وهو مقام الإسلام، فيغيب العبد في الاسم فيفنى فيه فناء سرمدا، وحقيقة الفناء في الاسم أن لا يرى فاعلا إلا الله وهذه حقيقة الإسلام.

الجمع مشاهدة وهو مقام الإيمان، فيغيب العبد في بحر الذات فتستوي فيه الأحوال الخير والشر والحلو والمر والعز والذل والفقر والغنى وهكذا وهذا معنى قوله سبحانه ﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ ﴾ [النحل: 30] ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم (وبالقدر خيره وشره حلوه ومره) وهذه علامة صحيحة على رفع الحجاب، وإن شئت قلت دخول الحضرة، وإن شئت قلت مقام الفنا، وإن شئت قلت مقام الإيمان هكذا وإلا فلا فافهموا رحمكم الله. أما جمع الجمع فهو مقام الإحسان، يخرج من الجمع إلى الفرق ولا ينحجب بالفرق عن الجمع ولا بالجمع عن الفرق (أن تعبد الله كأنك تراه) ومعنى هذا تراه ولا تراه، تراه باطنا مشاهدة ولا تراه ظاهرا مجاهدة، وإن شئت قلت تراه حرية ولا تراه عبودية، وإن شئت قلت تراه جمع ولا تراه فرق، وإن شئت تراه قرب ولا تراه بعد وهكذا وهذا هو المعبر عنه بجمع الجمع وهذا هو المقام الأصلي الذي ليس فوقه مقام ولا يبلغ هذا إلا بتربية شيخ عارف موصل، فإذا وصل إلى هذا كان قطبا كبيرا، وما بقي من الكلام علي إلا في مسألة تجدها في كتابنا إن تأملتَ فيه غاية ولهذا قلنا تأمَّله يا سيدي، فإن كلام أهل القلوب الأحياء ليس ككلام أهل القلوب النائمين، فرقٌ كبير بينهما، كلام أهل القلوب الأحياء يستمد صاحبه أي مطالعة من الروحانية والبشرية، وغيره يستمد من الروحانية فقط، والسلام.

الرسالة الثامنة عشر

وبعد، فاخمل ذكرك، واهمل نفسك، وادفن حسك، واجعل بالله أنسك، واحذر أن تنتصر لنفسك، إذ بذلك تنفتح لك حضرة قدسك، فالذي يحب الجاه والصيت والـــشهرة لا يطمـــع في صفاء النظرة ومشاهدة عجائب القدرة. من لم يتأدب مع

الحبيب، لا يطمع بهذا السر العجيب. من لم يكن في سلوكه كالطريق، لا يطمع أن يظفـــر بالتحقيق. من كان عاشقا في المال والجاه، كيف يطمع أن يعرف الإله. من كـــان محبًّا في الدنيا، كيف يطمع الوصول للمقامات العليا. من كان في عوائده مثل الـــناس، كيف يطمع أن تطيب له الأنفاس. كيف تتجلى الحقائق والأسرار، لمن هو قلـــبه مشحونا بالأغيار والأكدار. ظاهر العبد محل الذل والافتقار، وباطنه محل العلم والأسرار. من كانت عبوديته في ظاهره سلك الطريق، ومن كانت حريته في ظاهره مـــنع التحقيق. الحقائق مطر سماء المعاني تتنزل في أرض القلوب، والشرائع الكريمة ثمـــرة المعرفة وغاية المطلوب. شرائع الطريق للسائرين، وشرائع التحقيق للواصلين. الـــشرائع الظاهـــرة، بقـــدر وسع الحقائق الباطنة. البواطن محل الجمال، والظواهر محل الكمال. حقائق حضرة القدوس، محجوبة عن أهل حضرة النفوس. أمدك بوصفه لتعرف وصـــفك وتقـــف عنده ليقربك بذلك إلى حضرة قدسه، وما مدك به لتعارضه وتنازعه وتـــشارك في ملكه، فافهم، وبالجملة كن عبدا لربك تكن حراً بربك، كن ذليلا لربك تكن عزيزا بربك، كن فقيرا لربك تكن غنيًّا بربك، كن جاهلا لربك تكن عالما بربك، كـــن صامتا لربك تكن متكلما بربك، كن ميتا لربك تكن حيًّا بربك، كن عاجزا لربك تكن قادرا بربك، (لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنتُ له سمعا وبـــصرا ويـــدا ومـــؤيدا) الحديث، ونوافل الخيرات هي ما ذكرناه إذ هذه هي النوافل الحقيقـــية وهـــي نوافل القلوب، وأما نوافل الجوارح فهي وسيلة إلى نوافل القلوب وقد جُعلـــت والله لضعفاء المومنين وأنهم لا يطيقون سواها وذلك هو مقامهم في الأزل، إذ الهمـــم تعلـــو إليه بحسب السوابق فافهم، **واعمل على ما تقتضيه عبارتنا الأُمية، تعلو بقدرة القادر إلى المقامات العالية**، والله غالب على أمره، والسلام.

الرسالة التاسعة عشر

من عبد ربه وأقل عبيده وأحوجهم إلى عفوه وغفرانه محمد البوزيدي الحسني إلى الأمـــراء الذين طغوا وأنكروا على الفقراء المنتسبين إلى الله الذكر جهرا وحرفوا طريق الصوفية التي أمرها ظاهر وحالها شاهر السلام عليكم ورحمة الله تعالى والبركة.

كيف جرى لكم حتى أنكرتم طريق القوم التي كان عليها الأكابر من الصحابة كسيدنا أبي بكر وأضرابه رضي الله عنهم وكذلك الأكابر من الأولياء الذين كانوا عليها ولا يزالون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فباب السنة الزهد في الدنيا وفي النفس وعلى هذا سنة الصوفية، والزهدُ في الدنيا وفي النفس أمر عظيم وفي الوجود غريب، تمسَّكوا بذلك الغرباء وهم الصوفية، ولذلك وقع الإنكار عليهم من حيث الجهل بحقيقة ما هم عليه، فعامة الناس لا يعرفون إلا ما هو ظاهر وما ظنوا أن للخاصة شرائع لا يعرفها أحد سواهم ولا يقدر عليها غيرهم لما فيها من الثقل على النفوس كالزهد والتواضع والصبر والخمول وسلامة الصدر وحسن الظن والتوكل والحلم والسخاء والإيثار والاكتفاء بعلم الله والرضا بالبلايا وغير ذلك، فالصوفية عرفوا الظاهر حقًّا من حيث عرفوا الباطن، وتمسَّكوا بالظاهر حقًّا من حيث تمسكوا بالباطن، وقاموا بالظاهر حقًّا من حيث قاموا بالباطن، فهم مشغولون بالذكر والفكر أين ما كانوا وكيف ما كانوا، قد تولاهم وأخذهم عنهم ولم يترك فيهم بقية لغيره، ولكل وقت أقوام وارثون لأقوام، ولهم أقوام ينكرون عليهم وارثون لهم، وهذه سنة الله في أنبيائه وأوليائه، وما أنكرنا عليهم هذا بقلوبنا بل بلساننا فقط لأننا والحمد لله على بصيرة لكن ذكرناكم لكي تفيقوا من نومكم وتتأملوا في كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد وقع الإنكار على الغزالي وغيره وحرقوا كتابه وهو أعلم من أهل هذا الوقت كلهم وكذلك على سيدي علي بن حرزهم رضي الله عنه هذا مع معرفته، فكيف بمن هو مغلوق الباب في وجهه لا يعرف إلا ما عليه عامة الناس، أما سمعتَ قوله سبحانه ﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: 76]، كيف وقد وقع التكذيب بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام فما بالكم بالأولياء، وقد كذبوا حبيبَنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لولاه لم تخْرج الدنيا من العدم أخبرنا عنه سبحانه بقوله ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ ﴾ [الأنعام: 34] الآية وقال أيضا جل من قائل ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ [فصلت: 43] وقالوا ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾ [سبأ: 8] والقرآن كله محشو يا فقهاء بمثل هذا فتأملوه لعل الله يفتح بصيرتكم، وما هذه إلا نصيحة لكم ولغيركم، والسلام.

الرسالة العشرون

مـــن عبد ربه تعالى محمد بن أحمد البوزيدي الحسني لطف الله به إلى من يقف علـــيه من العلماء والفقراء السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.......فثمرة العلم العمـــل، وثمرة العمل الحال، وثمرة الحال الذوق، وثمرة الذوق الوجد، وثمرة الوجد المعـــرفةُ الخاصة الناشئة عن الشهود والعيان، وعلامة المعرفة استواءُ الأحوال عند العارف كالفقر والغنى والمرض والصحة والمدح والذم والعز والذل والقبض والبسط وغـــير ذلـــك من تقلبات الأحوال، فإن لم تستو عنده هذه الأحوال فليس بعارف، وكـــل علم لا يوصل لهذا فهو وسيلة بلا غاية، وكل علم لا يزهد صاحبه في الدنيا ويرغبه في الآخرة فليس بعلم، فالعلم الذي تصحبه الرغبة في الدنيا والانكباب عليها وحـــب الرياسة والجاه فإنما هو فتنة وحجة على صاحبه فهو كالشمعة تضيء على غيرهـــا وتحرق نفسها، فالعلماء جعلهم الله رحمة بالعباد وأئمة يقتدى بفعلهم، فإذا انكبوا على الدنيا تبعهم الناس فضلوا وأضلوا وفي الخبر (العلماء ورثة الأنبياء وأمناء الرســـل ما لم يميلوا إلى الدنيا ويخالطوا الملوك فإذا مالوا إلى الدنيا فاحذروهم على دينـــكم) وقـــال الفـــضيل رضـــي الله عنه كان العلماء......الناس إذا نظر إليهم المريض.......وإذا نظر إليهم الفقير لم يود أن يكون غنيًّا وقد صاروا اليوم فتنة على الـــناس، ولا بد من صحبة شيخ عارف يدلكم على سلوك هذه المقامات ويطوي عنكم المسافات وهو موجود لِمَنْ مَنَّ الله عليه بالصدق، والسلام.

الرسالة الواحدة والعشرون

الحمد لله وحده صلى الله على من لا نبي بعده.

الأخويْن الصديقين العارفين المحققين الشريفيْن الأجلين سيدي أحمد بن عجيبة وسيدي الهاشمي، السلام عليكما والرحمة والبركة، وعلى كافة إخواننا أهل الحواضر والبوادي، كثر الله عددكم، وقوى مددكم، ومن كل شهوة وعادة أنقذكم، وبالكتاب والسنة شرفكم، ومن خيالات الوهم خلصكم، وبالعلم به سبحانه أيدكم، والرحمة والبركة والعافية كل ذلك من فضل الله سبحانه يشملنا ويشملكم وكافة

الأمة المحمدية آمين، وبعد فسبب التعب من هو الدنيوي والأخروي الجهلُ بالله، ولو حصل العلم بالله لحضرت الراحة الكبيرة والعافية الكبيرة والهناء والسرور ولأطعتنا سائر الأمور، لكن لما حضر الجهل بالله عصتنا أنفسنا فأطعناها فعصانا الكون بأسره من حيث معصية الله، وأي معصية مثل طاعة النفوس، فكل من عصاها فقد أطاع الله، وكل من غاب عنها فقد عرف الله، ونرى يا إخواني الدنيا كثيرة عند كثير من الناس وهم فقراء منها في حال غنائهم بها، ونرى أيضا الآخرة كثيرة عند البعض وهم فقراء منها في حال عمارتهم بها، والعلة في كل منهما الجهلُ بالله، ولو حضر العلم بالله لحضر الغنى بالله بأقل شيء من الدنيا وبأقل شيء من الآخرة، فانتبهوا بارك الله فيكم لقلوبكم إذ هي محل الخير، ولا تنتبهوا لجوارحكم وتتركوا القلوب التي هي المراد من بني آدم وهو لا يشعر لجهله بالله، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، والقلب القاسي هو الخالي من الفكرة، إذ لا شيء يلين القلب مثل الفكرة، ولا شيء تستريح به النفس من الجولان في الأكوان مثل الفكرة، والمشتغل كثيرا بجوارحه لا تستقيم له فكرة وحتى في الآخرة، لأن قوة الظاهر تفتر[1] قوة الباطن لا محالة، وهذا المعنى لا يذوقها إلا أولو البصائر، وأما عامة الناس فالمدار عندهم على قوة الظاهر. العامة قوتهم في الدنيا، والخاصة قوتهم في الدين، وخاصة الخاصة قوتهم في الله أعني لا يطلبون إلا المعاني وهؤلاء هم الذين عبدوا الله حقا جعلنا الله وإخواننا منهم وكل من علت همته إلى هذا المقام الشريف آمين، واعلموا بارك الله أن النفس ما دامت تجول في الأكوان وصاحبها في هم وغم حتى تجول في عالم المعاني أعني تسرح فيه به وتروح منه إليه عند ذلك يستريح صاحبها ويصدق عليه قولـــه تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28]، ونرى يا إخواني أنه ما خص لإخواننا التجريد الظاهر وإنما خصهم الاعتناء بقلوبهم، ويكفي قليل التجريد إذا حضر الاعتناء بأمر القلوب، ولا يكفي كثير التجريد إذا لم يحضر الاعتناء، وصاحب

---

(1) تفتر: أي تُضْعِف.

الاعتناء لا تجده إلا كالوحش من الناس إن كان في حال الضعف وأما إن كان في حال القوة لا يعجبه إلا وسط الناس ولكن لا يكثر فيهم المشي ولا المجيء ولا الأقوال ولا الأحوال كل ذلك فسق لدخوله خلوة الخلق وإنما يكون كالصخرة بين الناس وذلك لشهوده حقيقة الأمور وإن قام للسؤال مثلا أو قام لغيره قام ليتأدب مع مولاه وليظهر فيه حقيقة العبودية ظاهرا، لا ليأخذ الدنيا من أيديهم أو ليعرف بنفسه وأنه فقير أو غير ذلك: من هذا حاله هو السلكوط الكبير، فردوا من هذا حاله يا إخواني أين ما رأيتموه، لأن طريقنا هذه وهي الشاذلية لا تقبل من هذا حاله وإنما ترميه كما يرمى خبث الحديد بالنار وهي مثل البحر لا تقبل إلا الحي وتدفع الميت للبر، فافهموا بارك الله فيكم، وتأدبوا واتركوا الخشانة إذ الخشانة ليست للصوفية إذ هم أهل علم، والخشانة صفة أهل الجهل، وكل صوفي رأيتموه خشينا فاعلموا أنه مدعي، إذ الصوفية ورثوا النبي صلى الله عليه وسلم في الأحوال وأحواله كلها خُلق وهي السنة، ومن لا خلق له فلا سنة له وإن كان يدعيها. العجب ممن يدعي السنة وهو يغضب من أجل نفسه على عباد الله، والعجب ممن يدعي السنة وهو يتكبر على أحد من عباد الله من أجل نفسه، والعجب ممن يدعي السنة وهو يبخل على عباد الله بما عنده لأجل نفسه، والعجب ممن يدعي السنة وهو يقول أنا شريف مثلا أو عالم أو عابد أو زاهد أو غير ذلك ويرى نفسه أنه أفضل من الناس هذا واللهِ هو المدعي الكبير. العالم مشتغل بربه عن نفسه، لا يبالي بمن مدحه ولا بمن ذمه ولا بمن أعطاه ولا بمن منعه وهكذا، وإن التفت إلى نفسه ولو قلّ خرج من حضرة العلماء وكذلك سائر أهل المقامات، والسلام.

قال سيدي مــحــمــد داود في كتابه "تاريخ تطــوان"

المجلد السادس، من صفحة 244 إلى صفحة 250:

عرفنا مما سبق، أن الشيخ ابن عجيبة قد تلمذ لشيخه البوزيدي وألقى إليه قياده وباع جل ما كان يملكه وأنفقه عليه وعلى مصالحه.

ومن المعروف أن إقامة الشيخ البوزيدي كانت في إحدى قبائل غمارة الجبلية، وإقامة ابن عجيبة كانت بمدينة تطوان، وتبادل الرسائل بين الشيوخ والتلاميذ، من الأمور العادية.

وقد وقفت على عدة رسائل كتبها الشيخ البوزيدي إلى تلميذه ابن عجيبة وإلى غيره من الفقراء الدرقاويين بتطوان، وأرى من الفائدة أن أثبتها هنا.

أولا لمعرفة نفس الشيخ البوزيدي واتجاهه الذي أثر في الفقيه ابن عجيبة كل التأثير حتى انقلبت أحواله وانقاد له وصار من أكبر أتباعه وخدامه.

وثانيا لبيان طريقة الشيخ المذكور في التربية الصوفية، وأسلوبه في ميدان النصح والإرشاد، وخصوصا للمنغمسين في الماديات، والمكبين بكليتهم على الدنيا وشهواتها.

[الرسالة الثانية والعشرون]

فهذه رسالة مختصرة من البوزيدي إلى ابن عجيبة خاصة، وقد وصفه فيها بالعالم العلامة، ونصها:

محبنا في الله، العالم العلامة سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني، السلام عليك والرحمة والبركة.وبعد سيدي فلا شيء أحب إلى الله مثل الأسماء التي يذكر بها، ولا شيء أحب إلى الأسماء مثل من يذكرها، فإن الأسماء أذيال المسمى، وإن شئت قلت عين المسمى، فمن اشتغل بتكرير أسماء شيء على الدوام، فني في ذلك الشيء حتى يصير يشاهده في اليقظة والمنام، وفي القرب والبعد، وفي الظلمة والنور، وغير ذلك حتى يغيب عن وجوده في وجوده، لأن العقل الذي يشهد به وجوده، هو مع غيره بسبب تكرير أسماء محبوبه، فهكذا ينبغي للعاشق المحب الصادق، أن يشتغل بذكر الله على الدوام، ليلا ونهارا، حتى يمتزج الذكر مع لحمه ودمه وعروقه وأعظمه وكليته، فلا يرى لنفسه حركة ولا سكونا ولا غير ذلك من كثرة القرب إلى الله عز

وجل، وهنا يشهد الأنوار، التي هي ثمرة الأفكار، والأفكار ثمرة الأذكار، والأذكار على قسمين، أذكار بالجوارح الظاهرة، وأذكار بالقلوب، فأذكار الجوارح الظاهرة، هي الفناء في الاسم، وأذكار القلوب، هي لأهل الفناء في الذات، قلَّ من يعرفها، ولها علامات يستدل بها على صاحبها: أولها ترك الدنيا بالكلية، ظاهرا وباطنا، وثانيها السكون في الذل اختيارا، وثالثها احتمال إذاية المخلوقات كلها عن طيب نفس، فإن هذا الحمل ثقيل على من هو بنفسه، ولا يحمله إلا من غاب عنها غيبة أبدية، ولا يغيب عنها غيبة أبدية إلا بصحبة من غاب عنها غيبة أبدية، وإلا فلا سبيل له إلى ذلك.

وكتب محمد بن أحمد كان الله له آمين.

[الرسالة الثالثة والعشرون]

وهذه رسالة متوسطة من البوزيدي إلى ابن عجيبة خاصة، وقد وصفه فيها بالولي الصالح، ونصها:

محبنا في الله، الولي الصالح سيدي أحمد بن عجيبة الحسني، السلام عليك والرحمة والبركة. وبعد فتَهَلَّوْا [1] في ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، وسرا وجهرا، أفرادا وجماعة، ولا ترضوا دونه بدلا، ولا تلتفتوا إلى سواه بقلوبكم ولا بجوارحكم، ولا تشتهوا غيره، ولا تطلبوا سواه، إذ هو السر والعناية والولاية الكبرى والفتح الأعظم وخير الدارين، ويكفيكم في شرفه قوله سبحانه:" اذكروني أذكركم" وقوله أنا جليس من ذكرني الحديث، **ومن أراد أن لا يقع له الملل من الذكر ولا من الفكر ولا من الحضور، فليذكر الله تعالى بقلبه وجوارحه**، إذ الذكر بالقلب هو المطلوب، والجوارح إليه وسيلة، وذكر الله بالقلب لا يحصل إلا بعد تطهيره من حب الدنيا

---

(1) تَهَلَّوْا: أي احْرصوا.

والجاه وغير ذلك، فإذا طهر الفقير قلبه من أوصاف النفس، تطهر من رؤية الحس، وإلا فلا، والعلة التي منعت القلب من شروق الأنوار وكشف الأسرار، هي الأوصاف الخبيثة، كالكبر والحسد وحب الجاه والمدحة والثناء والتعظيم والتبجيل وغيره مما يناسب ذلك، سيما إن كانت النفس حية قريبة العهد من الأوكار التي خرجت منها، ومن أراد يا سيدي أحمد أن تطوى عنه الطريق، وينزل مقام أهل التحقيق، فليؤيس نفسه من الرجوع إلى الدنيا، ولا يرجع إلى شهوة ولا إلى عادة تركها قبل، وإن صدر فليتب وليرجع سريعا إلى مولاه، فإن حصل للنفس اليأس مما ذكرنا، ارتحلت إلى عالم الملكوت، ورجعت إليه بما فيه من النعوت، كالعلوم اللدنية، والمعارف الرحمانية، والسلام. وتَهَلاًّ [1] يا سيدي في الإخوان المتجردين والمتسببين، والمتجردين أكثر، إذ هم نزلوا في أرض غريبة لا يعرفونها، فَحُلْ[2] لهم ذلك البلاد حتى يعرفوا قدرها، ويشهدوا نورها وما فيها من الأسرار، فحينئذ اتركهم، وحضهم على السنة المحمدية، إذ هي الطريق، والرفيق إلى حضرة التحقيق، وهي كمال التحقيق لمن عرف قدرها، وليس هي غير التحقيق، لكن لا يعرفها إلا العارفون بالله، الغائبون في شهود عظمته سبحانه، ثم حضهم بعد ذلك، ولكن على أعمال الطريقة كالصمت والجوع والذل والفقر، والقناعة والصبر، والرضا والتسليم، والتواضع والسخاء والحلم والعزلة، وما أشبه هذا، إذ بالطريقة يظهر سر الشريعة.

وانهم عن فضول الكلام إن أرادوا الربح والنجح، وعن فضول الأكل، وعن فضول التأنس بالمخلوق، فإن المتأنس بالمخلوق، لا يطمع في التأنس بالخالق، سيما شهوده، وإياكم والبسط، فإنه فساد لطريق الفقر، والسلام.

---

(1) تَهَلاًّ: أي احرصْ.

(2) حُلْ: أي افتحْ.

وطالعْ إخواننا كلهم على بطاقتنا هذه وغيرها إن شاء الله، ولا نحبك أن تجمع عليك كثرة الفقراء في مدينة تطوان، إذ هي ضيقة غاية، فمن بات ليلة فذكره الله، وأمره بالخروج إلى بلاده، ليتذكر به إخوانه.

وأما الخروج، فتأن شيئا إلى خروج الحسوم إن شاء الله.

وأما الآية التي ذكرت، إن قوي عزمك فافعل والسلام.

وكتب عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني كان الله له آمين.

ثم هذه رسالة مطولة من البوزيدي إلى ابن عجيبة وكافة الإخوان الدرقاويين في الحاضرة والبوادي، وقد وصف فيها ابن عجيبة بالولي الصالح، العالم الناصح.

[الرسالة الرابعة والعشرون]

محبنا في الله، الولي الصالح، العالم الناصح، سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني، وكافة إخواننا أهل الحاضرة والبادية، السلام عليكم والرحمة والبركة.

وبعد نحبكم، أحبكم الله وأرشدكم، أن تقصروا على المسكنة وحضوا عليها كل من قرب منكم ولا بد، إذ بها عرفوا أهل الله جملة وكل من كان من أهل الخير، وبضدها عرف أهل الشر جملة إلا من قهرته القدرة رغما على أنفه، فشدوا أيديكم على المسكنة، إذ كل من أطلقها يفتش عليها ولا يجدها، إذ هي من أعظم المراتب، وأشرف المنازل، وقد أجاز عمره المبارك فيها صلى الله عليه وسلم، وكان أعز الناس عنده الفقراء والمساكين، فسيروا على سيره، وتخلقوا بأخلاقه الكريمة، من المسكنة والحلم والتواضع والسخاء، والصدق والمحبة والتعظيم، وغير ذلك مما يناسب حالكم رضي الله عنكم، فاجعلوا علمكم مقرونا بعملكم، ولا تجعلوا العلم في جهة، والعمل في جهة أخرى كالحلوي يغني عليها ولا يأكلها، غنوا عليها وكلوها، ووكلوا لغيركم، فهذا هو الكمال.

وأوصيكم أن تحذروا صحبة أهل الفضول وإن كانوا منتسبين، إذا لم يرجعوا عن فضولهم، فإن رجعوا عن فضولهم واشتغلوا بما يعنيهم فارجعوا إليهم، وإلا فلا، لأن صحبة أهل الفضول، فساد للقلوب والجوارح. ومن أراد أن يكون مسكينا على الدوام، فليترك نفسه عنه تركا كليا، حسا ومعنى، كما تركوها أهل الله جملة رضي الله عنهم. وأما من لم يتركها ويظنها صاحبها أنها تتمسكن، هذا لا يتصور في العقل وجوده، وإن أردتم مسكنتها فاسلخوها من أوصافها الذميمة، وألبسوها الأوصاف الحميدة، سيما عند ظهور وصفها ظاهرا، فذلك الوقت أسرع لقتلها من لمحة البصر، وأسرع لحياتها كذلك، فكونوا على بصيرة في ذلك الوقت لتنالوا من الله القرب التام، الله يتولى أمرنا وأمركم وأمر المسلمين أجمعين عند إرادة توليتها علينا، فانقطعوا إلى الله عند انقطاعها لكم، واشتغلوا بالله عند اشتغالها لكم، واذكروا الله عند ذكرها لكم، لأن ذكر الله في وقت الضيق، ليس كذكر الله في وقت التاسيع، فرق كبير: عند التاسيع يظهر لكثير أنهم ذاكرين، وعند الضيق لا يبقى ذاكر إلا الصديق، فعليكم بالحلم في وقت غضبها، وبالتأني في وقت تقلقها(1)، وبالتواضع في وقت ارتفاعها، وبالكرم في وقت بخلها، وبالذل وقت عزها، وبالفقر وقت غناها، وبالوجد وقت فقدها، وبالصمت وقت كلامها، وبالعزلة وقت تاسيعها، وبالقبض وقت بسطها، وبالمدح وقت ذمها، وبالعطاء وقت منعها، وبالإقرار وقت إنكارها، فمن ملكها هذه الملكية، كان من عباد الله المخلصين.

وأوصيكم أن لا تشتغلوا بمحاربتها، فإن ذلك هو الغفلة الكبيرة، ولكن اشتغلوا بالله يكفيكم شرها ويمنعكم بأسها، فإن ذكرتم الله ونسيتموها ذهبت نفوسكم، وبذهاب نفوسكم يذهب وجودكم، وبذهاب وجودكم تستولي أنوار بصيرتكم على كليتكم حتى لا يبقى إلا البصيرة في العين والأذن واليد والرجل، لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا، الحديث.

---

(1) التقلق: أي القلق، وهو الإضطراب والإنزعاج.

وهذه النوافل التي يحصل بها هذا الأمر العظيم، هي خروجكم عن أوصاف بشريتكم وتخلقكم بأوصاف روحانيتكم، وجربوا تروا.

وأوصيكم أيضا أن لا تأخذوا أيضا من حوائجكم إلا ما سهل، وما صعب دعوه عنكم فإنه لا خير لكم فيه، إذ كل من رأيتموه يريد قضاء حوائجه كلها فاعلموا أنه غافل عن ربه ذاكر لنفسه، ولو كان ذاكرا لربه لكان ناسيا لنفسه، ولو كان ناسيا لنفسه لكان ناسيا لحوائجها، لكن كل حاجة غير الأهم فهي من حوائج النفس، فخذوا الأهم واتركوا ما زاد، فإنه من فضول النفس، وقد قال لي بعض الإخوان في هذه الساعة: أين ما خصتني حاجة من حوائجي نمشي إليها أم لا ؟ فقلت له: اسمع نفيدك، لا تأخذ من حوائجك إلا ما هو أهم، ولا تمش لذلك الأهم إلا عند الاضطرار، وإن صعب قليلا دعه، وسرْ هكذا مع حوائجك، تقضى لك الحوائج، ولا تفقد قلبك أبدا، لأن سبب فقدان القلوب، اتباع الحوائج بالظواهر والبواطن، ولو نسيناها لما شغلنا عن الله شاغل.

فاشتغلوا بربكم، تشتغل بكم جميع الحوائج، ولا بعدهم عنا إلا بعدنا عن ربنا.

واعلموا رحمكم الله، أن النفس إذا كانت أرضية سفلية ظلمانية بشرية، تنزل على حوائجها غايتها ولا تنتقل عنها، سواء قضيت أم لا، وإذا رجعت سماوية علوية نورانية روحانية، تنزل على حوائجها عبودية لربها، لا لشهواتها ولا لحظ من حظوظها، سواء قضيت أم لا، كلاهما عندها سواء، لغناها بالله، عن كل ما سواه، فهذه علامة صحيحة على موت النفس.

وأوصيكم أيضا أن لا تتكلفوا لبعضكم بعضا، سيما لنفوسكم أحرى وأحرى، فالكلفة غفلة، ومراد الله منا اليقظة لا الغفلة، والكلفة التي أشرنا لكم إليها، هي أن يتكلف الفقير بما ليس عنده، وهذا لا نحبه ولا يحبه الله ورسوله، قال صلى الله عليه وسلم: أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف، الحديث.

فالصوفي الحقيقي، إذا وجد أنفق، وإذا فقد اتقى، أعني الكلفة، فلا تتكلفوا لنفوسكم ولا لغيركم، لتكونوا من الأتقياء، والسلام. انتهت.

ولتمام الفائدة، نثبت هنا أيضا **رسالة كتبها الشيخ البوزيدي إلى بعض فقراء تطوان، ومن جملة ما فيها، حضهم على البرور والاعتناء بسيدي أحمد بن عجيبة**، وربما كانت كتابة هذه الرسالة عقب زهد الفقيه ابن عجيبة في الدنيا وانضمامه إلى طريق القوم.

ونفهم من هذه الرسالة، أن أهل تطوان في ذلك العهد، كانت من بينهم جماعة من الفقراء الدرقاويين المتصلين بالشيخ البوزيدي، والرسالة المذكورة هذا نصها:

[الرسالة الخامسة والعشرون]

الحمد لله وحده   وصلى الله على من لا نبي بعده

أخونا في الله ومحبنا من أجله، الولي الصالح، الخير الدين، المبارك الطيب، سيدي الحاج أحمد البشري، السلام عليكم والرحمة والبركة.

وبعد نحبكم بارك الله فيكم، أن لا تلتفتوا إلى شيء دون الله، ولا تعمروا قلوبكم إلا به، ولا تسكنوا إلا إليه، ولا تذكروا إلا إياه، ولا تحبوا سواه، وإنه سبحانه أجل ما يذكر ويعظم، وأجل ما يفني العبد فيه عمره، إذ لذلك خلقنا، وبه أمرنا، والذي يضيع عمره في الاشتغال بسواه، يندم ولا تنفعه الندامة، ونحب أخانا وحبيبنا أن لا يفك قدمه عن الزاوية كما هو شأنه، وأن تواصل إخواننا الذين لا يصلون إليها كسيدي الطاهر شعبان، والسيد أحمد المصمودي، وسيدي عبد القادر أحديد تهلا فيه، إذ هو والأحباب وسيدي عبد الرحمن.......وجملة من كان ينسب علينا، وقل لهم قال عبد ربه محمد، نحبكم أن لا تفارقوا سيدي أحمد بن عجيبة، إذ هو والله من يقرب منه العباد، وقل لهم يتهلون في القناعة من الدنيا غاية، ليستقيم حالهم مع ربهم، إذ لا يستقيم للراغب فيها حال من الأحوال، ولا يتلذذ بصلاة ولا

صوم ولا بغير ذلك من عمال أعمال البر كله، وإن حصلت القناعة منها يقع الالتذاذ بأقل عمل، ويرى السر لأقل عمل، والبركة والخير، والله لولا الرغبة في الدنيا وأهلها قطع كبد أهل الأعمال، تروا من السر ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر، في قليل الأعمال، قلْ لإخواننا يا سيدي الحاج أحمد، اقنعوا من الدنيا، وازهدوا فيها وأعرضوا عنها بالكلية إن أردتموها ولا بد ولا بد والسلام.

ونحبك بارك الله فيك وفي أهلك وإخوانك، أن تترك الدراز المذكور، وأن تنظر سببا يليق بك في القيسارية أو في العَطَّارِين أو غيرها، الله يبارك لك في كل ما تصنع من أمور الدنيا والأخرى، ونسأله بمنه أن تكون دنياك أخرى بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والسلام.

عبد ربه محمد البوزيدي الحسني كان الله له آمين.

استدراك: اللهم ولا أحسن، المؤمن يعيش فقيرا من الدنيا ويموت فقيرا، وما أقبح العكس. انتهت.

وأخيرا، هذه رسالة أخرى كتبها الشيخ البوزيدي إلى البشري المذكور وإلى كافة الإخوان بمدينة تطوان، ونصها:

[الرسالة السادسة والعشرون]

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

محبنا في الله الولي الصالح سيدي الحاج أحمد البشري وكافة إخواننا أهل المدينة التطوانية، السلام عليكم والرحمة والبركة.

وبعد، فطريق الصوفية مبنية على ثلاثة أصول لا غير:

فالأول الصدق، والثاني الخروج عن النفس، والثالث الخروج عن المال.

فالصدق أساس، والخروج عن النفس سور، والخروج عن المال سقف، فالصدق هو امتثال كل ما يشير به علَيه، والخروج عن النفس هو خروجها عن جميع العوائد،

ومنها من جميع اللذائذ لشهوتها الفانية، ومن العوائد المبالاة بالمخلوقات، ومن العوائد حب الجاه وحب الرفعة وحب العز وحب الغنى وحب المدح.

وسبب العوائد كلها، حب الدنيا الساكن في القلب لا غيره، ولو خرج حبها لامتلأ القلب بنور الله، ولكان العبد عبدا لله، ولشهد سر الله، ولا حجبنا عن الحق سبحانه إلا عدم عبوديتنا له لا غير، ومن لم يتعبد لله تعبد لنفسه، ومن تعبد لنفسه تعبد لجميع الأشياء، فكان أقل شيء في هذا العالم يتصرف فيه لبعده عن ربه وقربه من نفسه، فغيبوا عن مراقبة نفوسكم، لتغيبوا عن مراقبة الأشياء، وراقبوا فيها مولانا أو شاهدوه لتكون مراقبتكم لله لا للأشياء، فحينئذ إن تواضعتم معها تواضعتم مع الله، بخلاف التواضع من الأشياء عن جهل، فإنه لها لا لله، فافهموا وتواضعوا مع الأشياء كلها بعد أن تراقبوه كما قلنا أو تشاهدوه، وتواضع العبد على قدر معرفة ربه، فمنهم من انتهى به التواضع إلى أن حمله على التواضع مع الحجر والمدر، والأخيار والأشرار، لشهوده صنعة الجبار، ولا يزال التواضع بأهل العرفان، حتى ينزلون أنفسهم منازل الكلاب ولا يبالون، وأما من رفع نفسه عن الكلب في المنزلة الحسية، فهو متكبر حقا، وهل الكلب فيه تصير صنعة الله وحكمته وقدرته وإرادته وعلمه، واعجبا لمن لم يفهم حقيقة الأشياء، فحققوا أنفسكم بوصفها ليذهب عنكم ظلمة جهلها، ويتجلى لها بنور العلم فتستريحوا من همومها وجميع كدراتها. واعلموا رحمكم الله، أنه ليس للعبد إلا منزل واحد إن نزل فيه نجا، وإن خرج منه هلك، وهو منزل العبودية، والسلام.

وكتبه عبد ربه وأحوج الورى إلى عفوه وغفرانه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني كان الله له ولسائر المسلمين آمين.

وأما الزاوية فهي اللائقة بكم، فجزاكم الله عنا خيرا، وعن كافة إخواننا يا سيدي الحاج أحمد، لكن نحبكم أن تعمروها بالذكر والمذاكرة وبكل ما يناسب، والسلام.

[انتهت هذه الرسائل من كتاب "تاريخ تطوان"]

الباب الثالث

شرح سيدي البوزيدي للأبيات الثلاثة التي أوَّلها

" تطهَّرْ بمَاء الغيْب إنْ كنْتَ ذا سِر "

تطهَّرْ بمَاءِ الغيْبِ إنْ كنتَ ذا سِرّ　　وإلاَّ تيَمَّمْ بِالصَّعيدِ أوْ بالصَّخْـــر
وَقدِّمْ إمَاما كنتَ أنتَ إمَامَــــهُ　　وَصَلِّ صَلاةَ الظهْرِ فِي أوَّلِ العصْرِ
فذاكَ صَلاةُ العارِفِينَ برَبهِـــمْ　　فإنْ كنتَ منهُمْ فانضَحِ البَرَّ بالبَحْرِ

قوله (تطهرْ) أي تطهرْ من وجود حسك وشهود نفسك، وقوله (بماء الغيب) يعني العلم بالله الذي يذهب بوجود الأكوان ويأتي بوجود الحق ظاهرا للبصيرة لا للبصر، إذا البصر نور محصور لا يرى إلا المحصور التي هي الأكوان، فإذا انفتحت البصيرة واستنارت السريرة أشرق نور العيان على الأعيان فغابت الأكوان وبقيت عظمة المنان كما هي باقية لم تزل ولم يحجبها شيء سوى الوهم، والوهم باطل، فظن من جهلها أنه معها غيرها فأثبت الجهل بالأكوان الخالية فوقف معها وانحجب عنها بها، ولو كانت له بصيرة نافذة لاستدل على رؤيتها بآيات الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الحق تعالى قال ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ [يونس: 101] والنبي صلى الله عليه وسلم قال (ما رأيتُ شيئا إلا رأيت الله فيه) أي ما رأيت شيئا ببصري إلا رأيت الله فيه ببصيرتي فغاب بصري وما رأى في بحر عظمة ربي، فمن لم يبلغ نظره هذا النظر فهو بعيد من مقامات الرجال ليس له سر ولا نور، لأن أهل السر والنور شاهدوا الأشياء بالله لا بها فغابوا برؤيته سبحانه عنها في وجودها، فأهل الدليل استدلوا بها على الله لبعدهم من حيث يظنون أنها موجودة مع الله تعالى. فإن قال قائل إنها موجودة بإيجاده سبحانه، قلت نعم أهل الشهود إذا شاهدوا إيجاده سبحانه فيها غاب توهم وجودها وبقي وجود الحق تعالى كما هو باقي إذ لا

يشهدون معه سواه لقربهم منه سبحانه وكمال معرفتهم به، وأهل الدليل لطف الله بنا وبهم إذا راقبوه فيها أي في الأشياء بقي توهم وجودها لا يسقط عن قلوبهم رؤية الكون أبدا فيثبتون معه غيره فيحجبهم ذلك الغير عن كمال معرفته فلا يعرفونه إلا بالاستدلال عليه بسواه، ومن استدل عليه بسواه فهو جاهل به وإن كان عالما وعابدا وزاهدا وورعا وغير ذلك، لأن الذي يستدل به عليه أمر باطل عدمي لا وجود له، فيستدلون عليه بالوهم، والوهم كالحلم يظهر للنائم أنه شيء في منامه فإذا استيقظ لم يجده شيئا، كذلك أهل الدليل إذا تحققوا يجدون أنهم كانوا يستدلون عليه بالباطل المحض ولهذا قال ابن عطاء الله رضي الله عنه (يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) وقد كان قبل ذلك من أكابر أهل الدليل ولما صار من أهل الشهود تحقق عنده أنه كان جاهلا بالله تعالى فصار يستغرب من جهله مع علمه. هذا معنى قوله رضي الله عنه (**تطهرْ بماء الغيب إن كنت ذا سر**)، والماء ينقسم على قسمين: ماء حسي يحصل به الطهارة الحسية التي هي طهارة البدن والثياب والبقعة وغير ذلك فتلك الطهارة تحصل بها الصلاة الحسية، كما أن الماء المعنوي الذي هو العلم بالله يحصل به طهارة القلب عن ما سوى الله تعالى فبذلك تصح الصلاة المعنوية، ولكوْن قلب العارف بيت الرب كما قال الله عز وجل لنبيه داود عليه السلام (طَهِّرْ لي بيتاً أسكنه)، ولا يطهر هذا البيت إلا شهود الحق تعالى، ولا يكون شهود الحق تعالى إلا بعد الموت، ولا يكون موتها إلا بالبعد عن الدنيا وأهلها، ولا يكون البعد عن الدنيا وأهلها إلا بصحبة مَنْ غاب في الله عن ما سواه وهو الشيخ أو الأخ الناصح، فافهم وفقك الله وإيانا آمين. وقوله(**وإلا تيممْ بالصعيد أو بالصخر**) **فالصعيد** علم الشريعة الظاهرة وعملها، فخاطب العامة بذلك وهم الضعفاء عن الجهاد أعني جهاد النفس فقال لهم: إن لم تقدروا على ما وراء ذلك من التحقيق بأوصاف العبودية الذي هو الفقر والفاقة والمذلة والإهانة وغير ذلك من سائر أوصاف العبودية الخالصة لله تعالى التي لا حظ للنفس فيها فعليكم بما هو أرفق من ذلك وهي الشريعة الظاهرة لعلكم تتقوون على الشريعة الباطنة التي هي شريعة الخواص وهي التي ذكرنا إذ لا يحملها إلا الصِّدِّيقون ولذلك سماها **بالصخر** لرزانتها وثقالها على النفس الأمارة، فتكلم رحمه الله على المقامات الثلاثة في هذه الثلاث كلمات، فتكلم مع أهل الإحسان قال لصاحبه: لا تغفل عن النظرة والأدب فإنك في محل القرب من ربك، وقال لصاحب مقام الإيمان: لا تغفل عن مجاهدة نفسك فإنك طالب الوصول، وقال لصاحب مقام الإسلام: قمْ

بما أمرك الله به ظاهرا ونهاك عنه ظاهرا ولا تترك ذلك فتكون من المطرودين فإنك إن ثبت في ذلك زادك الله خيرا وقوَّاك على المقام الذي بعده والله غالب على أمره. أو تقول أيضا بعبارة قصيرة مختصرة قوله **(تطهرْ بماء الغيب)** أي تطهر من وجود نفسك وثبوت حسك الذي هو الحجاب بينك وبين ربك بماء الغيب وهوالشهود والعيان **(إن كنت ذا سر)** أي إن كنت من أهل هذا السر **(وإلا تيمم بالصعيد)** أي اشتغل بأعمال الشريعة الظاهرة **(أو بالصخر)** أي أعمال الطريقة إن كنت قوي الصدق شديد المحبة رافع الهمة عن هذه الأكوان الوهمية الخيالية كما تيمم بذلك الأقوياء رضي الله عنهم لأن هذه الشريعة والطريقة لا يقدر عليها غيرهم كما تقدم إذ هي أثقل على النفس وأمرّ عليها من الشريعة الظاهرة ومن أجل خفتها حملتها نفوس العوام وأنكرت شريعة الخواص لأن شريعة الخواص تقتلها فصارت من جهلها بالله لا تحب أن ترى السيوف التي يذبحونها مقلدين بها الخواص، ولهذا المعنى أنكر العوام الخواص وصارت أنفسهم تدافع عن نفسها لئلا تموت بذلك كأنها تقول إذا أقرتهم قربوا مني وإذا قربوا مني أخذوني وقتلوني فهي تقول منهم الحذر الحذر وتحَذر النفوس الغافلة التي هي على الفطرة لتتقوى بجنسها على الخواص، وكذلك نفوس الأولياء الكُمَّال رضي الله عنهم يتسلطون على نفوس العوام ليأخذوهم أحبوا أم كرهوا ويأذنون رضي الله عنهم مَنْ لا يخافون عليهم الرجوع إلى ما كانوا عليه من الغفلة قبل فيسرقوا العامة ويأتون بهم إلى حضرة المشايخ فيقتلوا لهم نفوسهم، كما أن الذي تقدم من العوام يسرقون نفوس الخواص الذين لا تمكين لهم ويأتون بهم إلى أشياخ الغفلة ليحيوا نفوسهم بعد أن كانت قريبة من الممات، وقد شهدنا ذلك عيانا من هؤلاء وهؤلاء، الحذر الحذر يا فقراء من الغافلين، كما أنهم يقولون الحذر الحذر من الذاكرين. وقوله **(وقدمْ إماما)** أي اتخذْ شيخا عارفا بالله يعرفك الطريق ويكشف لك عن كمال ذات التحقيق إن كنت صادقا في طلب الوصول إلى حضرة الله تعالى، وسَلِّمْ له الأمر في نفسك ومالك وما عندك وكل شيء حتى لا تتحرك إلا بإذنه في جميع العادات والعبادات إلا ما هو فرض فلا كلام عليه، واجعل نفسك بين يديه كالميت بين يدي غاسله، ودع انقيادك لنفسك كما كنت منقادا لها قبل وصولك إلى هذا الشيخ العظيم حيث كنت إمام نفسك قائدا بها إلى ما فيه موت قلبك بجهلك، واليوم اجعله أيها المريد إماما كما تقدم ولا تلتفت لسواه في الحس وفي المعنى حتى يسلك بك الطريق ويدخلك حضرة التحقيق ويقول لك ها أنت وربك، فإذا كنت بالله يتولى الله أمرك كما تولى أمره وهذا من شأن المشايخ رضي

الله عنهم، فكن معه أيها المريد كما هو شأن المريدين يَكون معك هو كما هو شأن الشيوخ. وقوله (**وصَلِّ صلاة الظهر في أول العصر**) أي صل أيها المريد الفاني في الجمع الصلاة المعلومة الظاهرة التي هي صلاة الفرق، في أول العصر أي في أول عصر الحقيقة أي دخولك فيها واستغراقك في شهودها، واجمعْ بينهما لتكون من الكُمَّال، ولا يدهشك جمعها عن فرقها ولا فرقها عن جمعها، فإن أخذك الجمع فادخل للفرق، وإن أخذك الفرق فادخل للجمع، وسرْ هكذا حتى يحصل الاعتدال، فإن في أول إشراق نورها لا يقدر على الجمع بين هذه وهذه إلا الرجل الكبير، فإنها تدهش العقول، وتفني النقول، وتغيب العقل المعقول، فتنحل العزائم وتنهدم القوائم ويبقى صاحبها في هذا الوقت كأنه المهبول المجنون، لا يمسك عقله إلا الرجل الحاذق الذي مكنه الحق من الفناء والبقاء وقوّاه عليهما، وقد كان هذا الشيخ حصل له الجمع بينهما من أول وهلة فدلّ السالكين المجذوبين على حاله، إذ هذا حال الكُمَّال من الأولياء والصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولهذا أتى بعد البيت بما يناسبه فقال (**فذاك صلاة العارفين بربهم**) أي كذلك صلاة العارفين الكاملين كالصحابة والأولياء لكمال علمهم بالله، لا يحجبهم جمعهم عن فرقهم، ولا فرقهم عن جمعهم، يعطون للشريعة حقها حين تشرق عليهم أنوار الذات، ويعطون للحقيقة حقها حين تشرق عليهم أنوار الصفات، فهم يتقلبون بين أنوار جلاله وجماله، ساكرين بنور عظمة ذاته، صاحين بنور جمال صفاته، لم تحجبهم رؤية الحق عن رؤية الخلق، ولا رؤية الخلق عن رؤية الحق، فافهم. وقوله(**فإن كنت منهم**) أي كنت من أهل هذا الصنف العظيم الشأن (**فانْضَحِ البر بالبحر**) أي اجمع البر الذي هو الشريعة مع البحر الذي هو الحقيقة وكنْ برزخا بينهما لتكون إماما مقتديا وعالما مهتديا، وقد عبر عن حاله وحال الكُمَّال من غيره الذين كانت بدايتهم نهايتهم ونهايتهم بدايتهم، وقد أهلهم الحق سبحانه للاقتداء بهم من أول بدايتهم، كما أهلهم بذلك في نهايتهم، نفعنا الله ببركاتهم، وجعلنا منهم آمين. انتهى بحمد الله وحسن عونه والحمد لله رب العالمين.

الباب الرابع

كتاب (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية)

لسيدي محمد البوزيدي

الحمـــد لله المتفـــضل المنان، الفاتح لمن شاء من خواص أصفيائه ما شاء من العرفان، الذي أزاح عن قلوب أوليائه حجب أوهام الكائنات فسطعت عليهم أنوار البـــساط وأشـــرقت عليهم شموس العرفان، وترجمت الألسن بما تجلى للسرائر من الشهود والعيان، وألبس ظواهرهم حلل الأدب والأخلاق الحسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نور الأنوار وعين الأعيان، الذي تفجرت منه ينابيع العلوم وأسرار الرحمن، وعلى آله وصحابته ذوي البر والإحسان.

وبعـــد، لمـــا كانت الطرق إلى الله تعالى وخصوصا طريقتنا هذه لا تسلك إلا بـــالأدب، وإلا زلت قدم السالك وأسرع إليه العطب، لكونها صعبة المرام، عظيمة الـــنفع على الدوام، والأدب أساس الطريق، عليه تبنى الأعمال والأحوال من صادق وصـــديق، رأيـــت أن أثبت نبذة من الأدب، مَنَّ بها علينا الكريم الوهاب، وسميته **الآداب المرضـــية لـــسالك طـــريق الصوفية**، وربنا المسئول في حصول النفع به للإخوان، إنه رؤوف رحيم منان.

(فصل): اعلم يا أخي أرشدنا الله وإياك أن بالأدب تطوى المسافة، وبه يذهب عنك ما في الطريق من المخافة، والصوفية رضي الله عنهم لا يعرفون ولا يتميزون إلا بالأدب، إذ الشرائع كلها أدب مع الحقيقة، ولولا الأدب ما ظهرت أسرارها، ولا أشرقت أنوارها، وليس في الوجود سوى الحقيقة وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: 7] وقوله تعالى ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ

لأنفُسِكُمۡ ﴾ [الإسراء: 7] وقوله تعالى ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرًا ﴾ [الأنفال: 70] وقوله تعالى ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ [فصلت: 46] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأدب مع الجميع فضلا مع أوليائه تعالى، فعلى المريد أن يلزم نفسه الأدب، لينال من أسرار القرب العجب، وبالأدب الظاهر يحصل أدب الباطن أعني التعظيم، إذ سوء الأدب ينشأ عن عدم التعظيم، وعدم التعظيم من ضعف المحبة، وضعف المحبة من التفات القلب إلى الغير، فلو حصلت المحبة لحصل التعظيم، ولو حصل التعظيم لحصل الأدب، ولو حصل الأدب لحصل التحقيق، وأنواع الأدب كثيرة ولكن نذكر ما هو آكد منها على المريد فأقول وبالله أستعين:

فمن آداب المريد الظاهر ألا يكثر الجلوس مع الشيخ لئلا يزول عنه التعظيم، وكثرة الجلوس مع قلة التعظيم لا تزيد المريد إلا بعدا، ومن هنا كان لملوك الدنيا أدباء وأمراء وبوابين وحراس، ولو أن كل من جاء دخل عليهم من غير مشورة ولا أدب ولا تعظيم لسقطت حرمة الملك وصغر قدره ويخسر الملك فافهم، وكذلك مجلس مِلك الآخرة إذا كثر فيه سوء الأدب خسر وامتنع جريان مدد الشيخ للمريدين فيظهر عليهم الضعف والتكاسل وكثرة الكلام ويبقى المجلس إذ ذاك عاريا من كسوة الأنوار فافهم.

ومن آداب المريد ألا يكثر الضحك مع الشيخ وإن ضحك معه الشيخ فليقصر هو وليراع الأدب، وقد يكون ذلك من الشيخ اختبارا له لينظر مقامه في الأدب فافهم، وليكن على حذر فإن هذه علل تؤدي إلى المقت، ومن ظهر عليه شيء منها فالواجب عليه أن يبادر إلى التوبة وأن يلزم نفسه الحياء من الشيخ وليجاهدها في الخروج من طبع أهل اللهو واللعب، فإن الشيخ على قدر ما يكون عندك تكون عنده، فإن أردت أن تعرف ما عندك من حرمة الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر ما عندك من حرمة شيخك فافهم.

ومن آداب المريد ألا يكثر الكلام بحضرة الشيخ، أحرى وأحرى مع رفع الصوت، ومن كثر كلامه حتما يرتفع صوته، وإذا كان كثرة الكلام بخفض الصوت سوء أدب فكيف مع رفع الصوت، واسمع ها هنا قوله تعالى ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ

صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية، وينبغي للمريد أن يروض نفسه ويعودها الكلام اللين ليخرج من صفة الجبابرة الغافلين ويتحلى بصفة الذاكرين الخائفين قال تعالى ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ الآية، ثم ينقلها إلى الصمت بسياسة ورفق، ويستعين على ذلك بشيء من الجوع والعزلة وحضور الفكرة حتى يحصلها في شبكة الحضرة، ومن لم يسلك سبيل الرياضة فهو مملوك في يدها مقهور تحت حكمها، ولا حول ولا قوة بالله العلي العظيم.

ومن **أدب المريد** ألا يجلس عن يمين الشيخ أو عن يساره ولو دعاه إلى ذلك، فليقدم الأدب على الأمر كما هو معلوم، بل يجلس أمامه وجهه إلى وجهه وعيناه إلى عينه وقلبه إلى قلبه، وإن كان المجلس كبيرا فليجلس من وراء الناس مقابلا له كما قلنا، فإن المريد إذا دخل على الشيخ كان كمن دخل المسجد، ولا ينبغي لمن دخل المسجد أن يجلس مدبرا عن القبلة أو يشتغل بغير ذكر الله، لأن المسجد موضع العبادة، والشيخ قبلة المريد وحرمته أعظم من حرمة القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم يخاطب الكعبة: ما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك، وإذا كان هذا في حق كل مؤمن فكيف بالولي منهم، ولقد قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه (لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما بالك بنور المؤمن المطيع)، فاعرف يا أخي قدر الرجال عند الله، وعظمْ ما عظم الله، وإياك والعكس فتمقت ويستهزأ بك من حيث استهزائك بآيات الله قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾ [البقرة: 231]، وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه، وأن يلزمها تعظيم المؤمنين جميعا، ولا سيما الأولياء منهم، وأحرى وأحرى الشيخ الذي أخرجه من ظلمات الشهوات وأنقذه من نار نفسه وسرحه من سجن حسه فهو أولى بالتعظيم من كل أحد، وأن يتحفظ على الأدب لسانا وعينا وأذنا وبطنا وفرجا ويدا ورجلا وغير ذلك، فافهم.

ومن **آداب المريد** ألا يكثر النظر إلى الشيخ إذا جلس أمامه، فإن كثرة النظر إليه تورث قلة الحياء إلا عند التذكير، نعم إن غلب عليه الشوق وأشرقت على قلبه

أنـــوار الصفات فلا يضره ذلك، ولا يقع هذا إلا عند الاستشراف على البقاء حتى تتجلـــى له أنوار المصطفى صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما تظهر له في الشيخ، فإن اتسعت ظهرت له في جميع الصالحين، فإن اتسعت عادت له في جميع المؤمنين بل في سائر المخلوقات، وهذا مقام عظيم يحتاج إلى صفاء كبير فافهم، وأما قبل هذا فلا ينبغي له أن يرفع بصره في الشيخ إلا كرفع المرمود بصره في الشمس، وإلا خلا قلبه مـــن التعظيم ورجع عنده كأحد الناس، وينبغي لهذا المريد أن يلزم نفسه مراقبة الله ومـــراقبة رســـول الله صلى الله عليه وسلم ومراقبة شيخه، وأن يحملها على المودة والـــسخاء مـــع الشيخ والإخوان، فمراقبة الله ورسوله تنبت التعظيم، والمودة تنبت الـــصدق، وإن شـــئت قلت مراقبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي التي تنبت الـــسخاء والمحبة والتعظيم والنية والصدق والإخلاص وغير ذلك، لأن من راقب الله خافه، ومن خافه اتقاه، ومن اتقاه أحبه، ومن أحبه آثره، ومن آثره فنا فيه، ومن فنا فيه بلغ قصده ومناه.

ومن **آداب المريد** أن لا يبادر بالكلام عند تقدير شيخه بعض العبارات، لئلا يحكم فيها برأيه وفهمه فيحملها على غير ما أراده الشيخ فيغير معانيها ويطمس أنوارها، فيتغير عليه الشيخ وهو لا يشعر، وحيث منع ظهور وجه الحكمة فلا يفتح على باطنه شيء من أسرار الغيوب فافهم قال تعالى ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: 37]، وينبغي لهذا المريد أن يضع علمه وراءه ولو كان عالما، لئلا يقع أحيانا فيما قلناه، ولا سيما إن كان يحكم بعلم الظاهر، فالواجب عليه أن يسكت ولا يتكلم حتى يفتح الله عليه وهو خير الفاتحين.

ومن **آداب المريد** أن لا يجلس أمام الشيخ جلسة العامي مع العوام، بل يجلس جلسة المملوك مع الملوك، وذلك كجلوس المصلي في الصلاة، لأن الشيخ قبلة المريد كما تقدم، ولا ينبغي له أن يلتفت يمينا وشمالا ما دام أمام شيخه في مجلس الذكر والمذاكرة، فإن قام الشيخ فليلتفت إلى أين شاء إن كان راسخ القدم في الحضور وإلا فليستحضر شيخه ومذاكرته بين عينيه في كل مجلس حتى يحصل له الحضور مع الله تعالى، وحينئذ فلا يغيب عنه شيء لكونه ينظر بالقلب لا بالجوارح،

ومن هنا كانت النظرة جنة العارفين وكليتهم، قال الله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: 18] أي تحسبهم ينظرون إلى هذا العالم بنور العينين وهم رقود عنه، أي ينظرون إليه بنور العيان، فما فقدوا الكون على التحقيق إلا لكونهم شهدوه بالله، فخذْ يا أخي سياسة قلبك إلى الحضور، واعرف حقيقة الأدب، ولا تستهزأ فيستهزأ بك، ولا تلعب فيلعب بك، وإن جهلت فاسأل عنه أهله، وإياك والتكبر، قال الله تعالى ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43] أعني أهل المعرفة بالأدب كالشيخ والإخوان الذين لهم سبقية في الصدق والمحبة والتعظيم وغير ذلك فافهم.

ومن **آداب المريد** أن لا يمشي عن يمين الشيخ أو يساره مثاله فضلا عن أن تقدم، بل يتأخر قليلا، فإن الشيخ إمام والمريد مأموم، ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم أمام الإمام، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: 1]، وإن تكلم معه فليجاوبه بملاطفة ولين لقوله تعالى ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: 2] كما تقدم، وإن كان الشيخ راكبا وقد مرَّ أمامه فلا بأس إذ هو إمامه في الحقيقة، وإن لم يقدمه فليتأخر، فعلى قدر ما يظهر من التعظيم في المريد يظهر عليه من التنوير والعكس، والله لو صحب الإنسان عاصيا وعظمه لله لأمده الحق تعالى بما ليس هو فيه، فإن حقيقة الأشياء كلها عظيمة فضلا عن المسلمين، فاستحضر يا أخي مراقبة الله ومشاهدته في كل شيء، لتعظم كل شيء ويمدك الحق سبحانه من كل شيء قال الله تعالى ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال: 70] وقال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه (من شهد الكمال في كل شيء استمد من كل شيء وزاد قربا من الله، ومن شهد النقص في كل شيء استمد منه كل شيء وزاد بعدا من الله بكل شيء) فافهم هذه الإشارة يرحمك الله.

ومن **آداب المريد** ألا يتقدم بشيخه للصلاة، فإن أمره الشيخ فليتقدم ولا يعود إلا إن أمره كذلك وهكذا، وإن أمره أن يكون إماما راتبا فلا يتأخر، وإن تأخر كان

ذلك منه سوء أدب، كما أنه إذا تقدم من غير إذن أساء الأدب، وليستغفر إذا قدمه الشيخ للصلاة وليقل (اللهم اجعل صلاتي بأوليائك رحمة بي ولا تجعلها نقمة علي يا أرحم الراحمين يا رب العالمين)، وينبغي للمريد أن لا يرى نفسه أهلا للتقديم بأحد من المسلمين فضلا عن أوليائه تعالى، والمريد الصادق إذا تقدم بالشيخ ارتعد جسمه وسال عرقه بل يهون عليه قطع رأسه دون أن يتقدم بشيخه لكثرة الحياء من الله تعالى، فتأمل يا أخي، واحتفظ جهدك، والله يعيننا وإياك.

ومن آداب المريد أن لا يجلس في موضع الشيخ ولا على بساط يجلس عليه الشيخ، ولو أمره، سواء كان في موضع جلوسه أم غيره، وليتحذر ما أمكنه، وإن جلس ولم يشعر فلا يضره إن لم يعد، وليقم مهما شعر، فإن عاد فلا يلومن إلا نفسه، وانظر أدب الرعية مع ملوك الدنيا مع أن ذلك بعض البعض من آداب الصوفية، إذ الصوفية تأدبوا مع الأشياء كلها ظاهرا وباطنا، والرعية تأدبوا مع وجهة واحدة ظاهرا فقط، وانظر ما خص به الصوفية من الخير والسر والبركة يرحمك الله، فلا شيء أنفع لضعف الحجاب أو رفعه بالكلية من الأدب مع الشيخ، وإن أذن لك يا أخي في شيء فزنه بميزان الشرع ثم ارجع إلى قلبك واستعمله إن كانت شمس قلبك قد طلعت وإلا فاعمل بالأدب الظاهر وهو ما قاله الشيخ حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين، لأنه قد يكون في إذنه أراد اختبارك بها وأنت لا تشعر، والإنسان يدرك بالأدب ما لا يدركه غيره بالاجتهاد في كثير من العبادات، وقد قال صلى الله عليه وسلم (ما فاتكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم ولكن بشيء وقر في صدره) أعني الأدب، لأن العبادات كلها من هي قولا وفعلا راجعة إلى الأدب، فلا يحيط بها إلا من حصله، وهذا لا يدركه إلا من خرجت الدنيا من يده وقلبه، ولا تخرج من اليد والقلب إلا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى، لأنها قد تخرج من الظواهر وتبقى في البواطن، ولا يعرف البواقي الباطنة إلا أهل المعرفة بالله، فاسلك يا أخي على يد شيخ عارف لتخرج من طبع الجهل إلى طبع العلم ومن طبع العلم إلى طبع المعلوم ثم يحليك ويخليك ويقربك ويوصلك ويهنيك ويتركك وربك وما ذلك على الله بعزيز.

ومن **أدب المريد** ألا يأكل مع الشيخ، سواء كان وحده أو مع الناس، لأنه إذا حصل التعظيم حقا حصل في كل موضع، وأما من لا يعظم شيخه إلا بمحضر الناس أو عكسه لكون يستحي من الناس أو يعظمه أو يعظم أولاد الشيخ وأهل داره إذا حضر ولا يعظمهم إذا غاب فهذه صفة المنافقين المخادعين الذين يَسْتَخْفُون من الناس ولا يستخفون من الله، فلا تأكل يا أخي مع شيخك وإن ألح عليك غاية الإلحاح، فاعتذر له غاية الاعتذار، فإنه لا يضرك شيء إلا إن قسم لك فلا تتأنَّ، وإن لم يقسم لك فابعد ولا تقرب، فإن الأكل مع الشيخ سم قاتل لأهل الصدق، وكلامنا كله مع أهل الصدق، وغيرهم لا يفهم معنى ما قلناه، وثم معان أخر لا تسطر في الأوراق وإنما محلها القلوب، ولا تغتر بمجرد إذنه لك في الأكل، فقد يكون اختبارا منه لك لينظر مقامك في الحياء من الله، لأن من حصل له الحياء من الله عز وجل يستحي أن يفتح خياشيمه أمام الشيخ، فإذا استحييت منه علم أنك استحييت من الله وتحقق أنك دخلت حضرة الله، وإن لم تستحي منه علم أنك لم تحصل مقام الحياء من الله وتحقق أن ليس لك في الحضرة نصيب، فتسقط من عينه ويتركك وما تريد لعلمه أنك لا تحصل للحضرة لا سيما إن طالت معه صحبتك مثل سنة أو أكثر، ومن لم يصل إلى هذا المقام من الأدب مع الأشياخ فليلازمهم وليحمد الله على مخالطتهم إذ لو جعله الله مُقاما على أبواب الظلمة ماذا كان يفعل. اللهم لا تحرمنا من خيرهم وبركاتهم وسرهم وحكمتهم وأنوارهم الساطعة، بجاه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إنك على كل شيء قدير.

ومن **آداب المريد** ألا ينام مع الشيخ في بيت واحد، ولو لم يجد سواه، بل ينام خارج البيت، سواء كان البرد أو الحر أوخاف من اللصوص أو السباع، وإن ألح عليه الشيخ فليعتذر إليه بمرض أو ما أشبهه، فإن نومه مع الشيخ يمنعه من النوم وذلك من أعظم سوء الأدب، وقد وقع مني شيء من هذا مع شيخي وكنت جاهلا بظاهر الأدب فانتبهت وحمدت الله حيث ألهمني لعيوبي وسوء أدبي وشكرته بقلبي ولساني، فإياك يا أخي ثم إياك أن تبيت مع شيخك في بيت واحد فتؤذيه بريحك وسعالك أو ما أشبه ذلك، ومن لم يحصل له أدب مع طول الصحبة فالواجب على

معلمه أن يعلمه إلى حضرة المخزن[1] حتى يتربى ويتأدب، وحينئذ يرده إليه فيسلك به الطريق ويكشف له عن حقيقة التحقيق، فالطريق كلها أدب، ومن لا أدب له فلا طريق له، وقد قال شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه (إذا حضر الأدب حضرت الطريق، وإن غاب الأدب فلا أدب ولا طريق)، والأدب سفينة النجاة من ركبها نجى وإن كان مع جهل، وقد رأيت من الناس من فيه أوصاف محمودة مع عدم علمه وقلة فهمه ورونقة تلك الأوصاف ظاهرة عليه، ورأيت من له علم وفهم مع أوصاف مذمومة وقد ظهرت عليه ظلمة تلك الأوصاف، والمؤمن لا يفوق أخاه إلا بحسن خلقه لقوله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) وهو غير عابد، ولما كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس قدرا كان أعظمهم خلقا قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

ومن **آداب المريد** ألا ينادي على الشيخ إذا دخل داره، ولو كانت له به حاجة كبيرة وألجأته إليه ضرورة، فلا يقرب باب داره ولا ينادي عليه، بل يصبر حتى يخرج، فربما يكون نائما فتشوشه، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [الحجرات: 5]، فالزم نفسك يا أخي الأدب، واصبر حتى يخرج الشيخ وتلقاه بأدب وتواضع وهيبة وتعظيم، وسله حاجتك تقضى في الحين إن شاء الله، وقد تقضى حاجتك قبل خروج الشيخ إن كنت على ما وصفنا من الأدب، لأن تأدبك مع أولياء الله تأدب مع الله، وكيف تتأدب مع الله تعالى ولا يقضي لك جميع الحوائج، ولا يمنع حوائج الدنيا والآخرة من الأولياء سوى الأدب، وقد تعطى بعض الحوائج مع سوء الأدب لأجل الاضطرار لأنه مقرون بالإجابة، والإجابة عند أهل التحقيق على قدر الأدب، فافهم.

ومن **آداب المريد** أن لا يجلس مقابلا لباب دار الشيخ، إلا بإذنه، وإن لم يكن له إذن فحرام عليه بإجماع من أهل الأدب، وإن أذن له فليعط بظهره لباب الدار، وإن كان الشيخ هناك ورأى أن استدبار الباب يؤدي إلى استدبار الشيخ

---

(1) المَخْـزَنْ: أي السلطة.

فليعتذر إليه ولا يجلس في ذلك الوقت ليسلم باطنه، ولا يضره ذلك الاعتذار لكونه على وجه شرعي، أو نقول إن أخطأ في الظاهر أصاب في الباطن، والخطأ في الظاهر أولى من الخطأ في الباطن، إذ عقوبة الباطن لا تداوى إلا بتوبة صادقة، نسأل الله السلامة بمنه.

ومن آداب المريد ألا يدخل دار الشيخ إلا بإذنه وحضوره، ولا يدخل بمجرد الإذن إلا إذا صرح له بذلك وقال له ادخل وحدك فلا بأس لأن بعض الصوفية حفتهم الغيبة وانتشر عليهم رداء الهيبة وليس هم في هذا العالم ولا لهم نظر إلى الأنام محفوظون من جميع الآثام رضي الله عن جميعهم، والدخول إلى منازل الناس يحتاج إلى تقوى عظيمة وفي منازل الأشياخ أكثر، ومن أراد الخير كله فعليه بالأدب مع الله ورسوله ولا يتحرك في شيء حتى يستحضر الله ورسوله والملائكة، فإن كان هكذا فالتقوى حاصلة مع الحجر والمدر وغير ذلك، ومن لم يكن هكذا فلا يتعرض إلى هلاك نفسه، فإذا أردت يا أخي أن تدخل حيث شئت فلا تفك قلبك عن الحضور، فإن الله تعالى يحضر معك في كل موضع حضور الرضا، ويحفظك من سابق القضا، والله غالب على أمره.

ومن أدب المريد أن لا يأخذ من الشيخ شيئا من متاع الدنيا قلّ أو جلّ، ولو ألحّ عليه الشيخ في ذلك، إلا إذا لم يكن عنده قوت ساعة وكان قد قصد زيارته لله لا غير، ثم أعطاه شيئا وألح عليه في أخذه فليأخذه، فلعل فيه خيرا، وقد يكون سببا لقناعته وغناه القلبي فافهم، وأما إن كان عنده قوت يومه فلا يأخذه، وإن ألح عليه فليعتذر إليه جهده، فقد يختبره وينظر هل خرج من قلبه الطمع أم لا، فإنك إن أخذت منه على غير الوجه الذي ذكرنا دل على أنك لم ترفع همتك عن الخلق ولم ينقطع نظرك إلى الحق، وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه بترك الطمع ويلزمها الزهد والورع حتى يعرف من يطعمه ويسقيه ويكسيه ويحركه ويسكنه، ولو ترك الطمع ورفع همته إلى الله تعالى لكانت الأشياء تابعة له فافهم، فاصرف يا أخي همتك في الله واقنع بالقليل تصِر شاكر الله عز وجل، وغِبْ عن القليل والكثير تكن ذاكر الله تعالى على الكمال، ومن شكر الله على القليل أغنى الله قلبه ورزقه القناعة ومنعه

التدبير والاختيار، وقطع عنه جيوش الحرص وظلمات الأغيار، وكساه رداء السكينة والوقار: هذا سر ترك الطمع في الخلق، ورفع الهمة إلى الملك الحق.

ومن آداب المريد ألا يقوم لزيارة الشيخ إلا بهدية أو مودة قليلة كانت أو كثيرة، ولو لم تكن غيبته عنه إلا نحو الثلاثة أيام، وإن كان فقيرا ولم يجد شيئا من طريقه فليحتطب حطبات ويأتي به إن وجده أو غير ذلك، ومن لم يجد لا قليلا ولا كثيرا فلينفق نفسه، ومن لم يكن عنده إلا شيء قليل فلينفق منه قال مولانا تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق: 7] صدق الله العظيم. وأما إن قدم فارغ اليد فإن مدد الشيخ يمتنع جريانه له، كماء البئر إذا فقد منه الدلو والماء موجود ولكن لا سبيل إليه فافهم، ومن كان ذا مرض أو فاقة شديدة فلا ينبغي أن يمنعه ذلك من الزيارة، وذلك كله لمن طبعه طبع العوام وعلامته البخل، وأما من كان طبعه السخاء والمحبة فليقدم بالشيء أو بلا شيء، وقدومه بلا شيء كقدومه بالشيء، لأن القوم ليس مرادهم الدنيا وإنما مرادهم خروج المريد عن طبعه المذموم الذي منعه دخول الحضرة، إذ الحضرة لا يدخلها بخيل، وقد قال الله تعالى فيمن لم يجد شيئا ينفقه ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: 91] بعد قوله ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ [التوبة: 91]، وتأمل قوله تعالى ﴿ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة: 12] والمودة أي الصدقة تدل على أن الزائر جاء بقلبه وبدنه، وعدمها يدل على أنه جاء بالجسد دون القلب، ومن أتى بالقلب رجع بالقلب، ومن أتى إليه بالجسد رجع بالجسد فافهم، وينبغي لهذا المريد أن يملك نفسه للشيخ ليقوده إلى عالم الملكوت ويقف به على حضرة أهل الجود والكرم، فيعظم الآخرة على الدنيا، ويحب الانتقال من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية، ويشهد الدنيا سوقا في طريق الآخرة يتزود منه السائرون، وكثير من الناس اتخذوا هذا السوق دار وطن، وحجبوا عن دار البقاء، وألهتهم حياتهم الفانية، ورجعت الدنيا عندهم كأنها دار بقاء، فانكبوا على شهواتهم، واسترسلوا مع عوائدهم على مر لياليهم وأيامهم، ولا يعتبرون بآية سمعوها ولا بموعظة خوطبوا بها، لأنهم أموات نسأل الله السلامة في ديننا وعقلنا بمنه وكرمه ومن هنا قال شيخنا رضي الله عنه (ليس المرض الكبير هو

الحَب[1] الذي يخرج في الجسد بالقيح والصديد، إنما المرض الكبير هو حُب الدنيا) فافهم ما قاله رضي الله عنه.

ومن آداب المريد أن لا يقرب عياله لعيال الشيخ إلا بنية الزيارة والتبرك بهم لله لا غير، وينبغي لهم إذا قدموا لدار الشيخ أن لا يجلسوا أكثر من ثلاث سوائع إلا إن كانوا من بلد بعيدة فيجلسوا ثلاثة أيام، وإن أرادوا أكثر من ذلك فما شموا للأدب رائحة إلا لعزم كبير من الشيخ أو من أهل الدار على الإقامة، وينبغي لهم ألا يكثروا الكلام ولا الضحك ولا الأكل ولا الدخول والخروج بل يلزمون الحياء والوقار، ومن الواجب عليهم أن يقوموا بأشغلة الدار كلها، ومن علم من أولاده عدم القيام بهذه الآداب فليمنعهم من القدوم إلى دار الشيخ وليقل لهم أن حقيقة الزيارة لا تقدرون عليها لأنها عظيمة وزيارتكم من هاهنا أحسن، فإنهم إن قدموا وأساؤوا الأدب عاد ذلك عليك أيها المريد لا عليهم، فتؤذَى وأنت لا تشعر، وينبغي لهم ألا يقدموا إلا بهدية ومودة تفرح أولاد الشيخ كما تقدم في الأدب قبل هذا، ومن أقبح عيوب الفقير البخل مع عامة الناس فضلا مع شيخه، وإياك يا أخي أن تقول أنا فقير وعيالي فقراء فهم أولى بما يقدمون به على الشيخ، لأنا قدمنا أن المريد لا بد له من ذلك ولو لم يكن عنده إلا الشيء القليل لقوله تعالى ﴿ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق: 7] ولا يسمع قول نفسه الأمارة لئلا تخدعه، وعيوب الفقير البخل والكذب، واعتبر هنا لحكاية وقعت لشيخنا رضي الله عنه مع بعض من كان يطلب الطريق على وفق هواه وشهوته وينسب لنفسه الإخلاص ويتكلم فيه بل كان يدعي الأنانية المحضة ويتكلم في خرق العوائد، وذلك أن الشيخ رضي الله عنه كان يتكلم في الإخلاص وما ينشأ عنه فقام إليه ذلك الرجل وقال يا سيدي لم أر شيئا من هذه الأسرار التي تذكر وأنا لا أعلم في باطني بقية من البواقي، فقال له الشيخ بل هي باقية فيك، فقال وما هي، فقال له منها أنك إذا رزقك الله ستة فلوس وجاء من يطلبها منك تقول لك نفسك أنا أولى بها فتشح، فسكت، وكان يتكلم في الفقر

---

(1) الـحَبّ: أي القروح والبشور التي تظهر على ظاهر الجلد.

كثيراً ولا يتهمه أحد منا بشيء سوى الشيخ كان يتهمه، فضيقت عليه نفسه فسافر إلى ناحية المشرق فخرجوا عليه اللصوص فوجدوا عنده عشرة مثاقيل فأخذوها وتركوه، فرجع وظهرت عليه الخيانة، وزلت قدمه عن الطريق، ولم يزل في زيادة الضلال حتى عاد ينكر على الفقراء أحوالهم، نسأل الله السلامة بمنه، فتأمل رحمك الله ما صنع حب الدنيا بأهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عجبا لمن يدعي الخروج عن نفسه ولا يقدر أن يخرج ما في يده، وينبغي لهم إن أعطاهم أهل دار الشيخ شيئا لا يأخذوه لتكون زيارتهم لله لا لغيره فافهم إلا أن يكون مما يؤكل قليلا.

ومن آداب المريد ألا يلبس فضلة الشيخ من ثوب أو غيره، فإن أعطاه الشيخ فضلة من حوائجه فليرفعها وليحترمها ويعظمها ويتبرك بها لكونها قريبة العهد من الله كانت على جسد ليس بينه وبين الله حجاب، ومن لم يأخذها على هذا الوجه فليتركها ولا يأخذها، ويعتذر ولا يضره الاعتذار، لأن الشيخ شفيق على المريد، فإن حمل عنه الشيخ القيام بحقوقها فلا بأس بأخذها، واعتذار المريد في عدم أخذها يؤخذ من قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ [الأحزاب: 72] أي اعتذرن لربهن فإنهن لا يقدرن على حملها خوفا منهن أن يقعن في سوء الأدب مع الحق تعالى، واعتذارهن شريعة لا حقيقة، إذ هو مصحوب بالأدب، ولو كان عاريا عن الأدب لكان حقيقة، ولو كان حقيقة ما عذرهن الحق تعالى ولكلفهن بالحمل ردًّا على أنفهن، فتأدب يا أخي يرفع عنك كل مشقة ومحنة ونقمة.

ومن آداب المريد ألا يلبس ثوبا جديدا إلا بإذن الشيخ، ولو كان ما قيمته ثلاثة دراهم، لأن الثوب الجديد على المريد الصادق حرام، فإن لبسه فقد زلت قدمه عن طريق الصديقين، وعلامة الفقير الصادق أن يبيع كل ثوب جديد ساقه الحق إليه ويشتري به ثوبا خلقا ويتصدق بما فضل، والثوب الجديد الذي يقوم في الزينة مقام الثوب البالي من كون النفس لا تنظر إليه ولا الخلق فلا بأس بلبسه، وأما الجديد الرفيع فلا بد أن يشاور الشيخ في بيعه أو لبسه، فإن لبسه بغير مشورة كان مقتديا بنفسه، إذ الثوب الجديد الرهيف لباس أهل الدنيا، وحرام على أهل الآخرة أن يتزينوا

بزينة أهل الدنيا، ومن تزين بزينتهم بطلت نسبته الظاهرة، وإن بطلت النسبة الظاهرة بطلت الباطنة على التحقيق، ولا يكون الفقير فقيرا حتى يكون كاملا ذاتا وصفة أعني ظاهرا وباطنا، فإن لم يكن على هذا الحال بطل فقره عند المحققين، لأن الظاهر هو الذي يشهد لصاحبه بما في باطنه، وأيضا أما يستحي أن يكذب خَلق الله حين ينادونه بما ليس فيه فيقولون له يا فقير، وهذا التكذيب حقيقة، وأما شريعة فكذبه عليه، فاشهر نفسك يا أخي ظاهرا وباطنا، وإياك والتصنع والتزين بالأقوال دون الأفعال والأحوال، وتخلق بأخلاق الفقراء الذين وصفهم الله في كتابه العزيز وإلا ستفضح قال مولانا تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [الحشر: 8] الآية، ومن علامتهم أن تحن القلوب عند رؤيتهم وتنحل الأيدي المعقودة وتخضع لهم الرقاب المتكبرة، وسبب هذا ملازمتهم لأوصافهم من فقر وذل وضعف وعجز وجهل وغير ذلك، اختيارا منهم واقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم، تركوا الشهوات مع وجودها لديهم محبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإن أردت يا أخي أن تكون منهم فتخلق بأخلاقهم، ومن لم يتخلق بأخلاقهم فلا يطمع في نيل مراتبهم ولو كان على عبادة الثقلين إلا إن كانت له فيهم محبة عظيمة وكان يؤثرهم على نفسه، لأن الفقر والمسكنة عنهما تفرعت العبادات كلها، فاسلك يا أخي على يد شيخ يعالج أمراض قلبك وتبرأ من هم الرزق ومن محبة العز والجاه، فإن هذه العلل هي التي قطعت كثيرا من السائرين إلى الله تعالى، وهي عتبة كبيرة، فمن جازها سهل عليه ما بعدها والعكس، فالزم يا أخي أهل حضرة الله واصبر على مناقشتهم وإقماعهم وإهمالهم لك، فذلك منهم كله حرب مع نفسك الأمارة لا معك، فاصبر حتى يقطعوا بك القواطع التي قطعتك عن الفكرة ومنعتك من دخول الحضرة، فإن صبرت نبتت، وإن نبتت لقحت، وإن لقحت زهرت، وإذا زهرت أثمرت، وإذا أثمرت أكلت ووكّلت[1]، وما ذلك على الله بعزيز، فتأمل يرحمك الله، فإني طويت لك الطريق بنعت التحقيق، والله عليم حكيم.

---

(1) وَكَّـلَتْ: أي أطْعَمَتْ.

ومـــن آداب المـــريد ألا يشكو لشيخه حوائج دنياه، فإن عسر عليه شيء فليتوســـل إلى الله تعالى بشيخه ولا يظهر ذلك، ومن أظهر ذلك فقَلَّ أن يفلح، فإن دخوله في حضرة الشيخ كان بنية الآخرة لا بنية الدنيا، وحينئذ فلا يطلب خلاف ما قـــصد، وإن طلب كان ذلك غشا منه وسوء أدب، ومن كان على هذا الحال فهو محسوب من العوام، فإن ظهر من المريد شبه هذا فليعترف لله ولرسوله وللشيخ بأنه مـــسيء الأدب ثم يـــتوب إلى الله توبة نصوحا ظاهرا وباطنا، ظاهرا بالجوارح مع الشيخ، وباطنا بالقلب مع الله ورسوله، والله تعالى أعلم، وينبغي له أيضا ألا يشتكي بالفقـــر وإذايـــة الخلق ولا للإخوان ولا لغيرهم، بل يلزم نفسه المجاهدة والمكابدة والصبر على معرفة الله، فإن المعرفة أولها صبر ومجاهدة، ثم حب ومكابدة، ثم غيب ومـــشاهدة، ثم صحو ومكالمة، فمن كانت بدايته كما ذكرنا كانت نهايته كذلك، واعلـــم أن المريد إذا اشتكى للشيخ الفقر والإذاية سقط من عينه إلا إن كان جاهلا بعلم الطريق فيعلم، فإذا علم ثم شكا سقط من عينه، لا سيما إن كان يدعي القرب مـــن الحـــضرة ويزعم أنه ثابت في النظرة، فإن شكواه تكذب دعواه، والراسخ في المعـــرفة لا يخفى، وعند وجود التعرفات يعرف كل واحد حده، ولا تبقى دعوى خفية عند وجود البلية فافهم، والمريد الحقيقي لا يشتكي من جوع أو عري أو غير ذلك محبة في الله، ولأنه لا يعلم فاعلا غير الله، ولا يشتكي إلا من شهد فعل غيره، ومن كان كثير الشكوى لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال، وهذا مـــن جملة النساء، لأن النساء يشتكين من قرص ذبابة لكثرة عزة نفوسهن عليهن، وينبغـــي لهـــذا المـــريد أن يروض نفسه وأن يلزمها الذل حتى ترجع بمنزلة الكلب الأبرص يستثقل الناس النظر إليه فضلا عن القرب منه لأكل أو غيره، لتذوب نفسه وتفـــنى وتضمحل وترق وتدق ليسرع دخولها من باب الحضرة، لأن باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه أو غير ذلك من العلل التي منعت كثيرا من الناس دخول الحضرة، والحضرة معنى، ولا يدخل الحضرة إلا من كان معنى، ومن لم يحمل الفقر والإذاية فليس له نصيب في الولاية.

ومن آداب المريد ألا يسرع بالجواب إذا شاوره الشيخ في أمر ديني أو

دنيوي، بل يتأنّ ويتأمل ما مراد الشيخ، فإن فهم مراده فليجاوبه بما أراد منه، وإلا فليقل له أنت أعرف يا سيدي، لأنه هو أعرف منه بجميع الأمور الدنيوية والأخروية، ومشاورته معه امتثالا لأمر الله لقوله تعالى ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: 159] أي لكونهم ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف في شيء أو خفي عليه أمر، ومشاورته مع أصحابه صلى الله عليه وسلم إنما هي إظهار للعبودية فقط، وكذلك ورثته صلى الله عليه وسلم، فمن جهة الحقيقة لا يحتاج إلى مشاورة أحد، ومن جهة الشريعة أمره الحق تعالى بمشاورة أصحابه ليقف الكُمَّل من ورثته على حد الشرع، ولولا تشريعه صلى الله عليه وسلم لانهتك سد الحقيقة على الشريعة فتبطل الشريعة، فما ظهرت أنوار الحقيقة إلا بوجود الشريعة فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يستبرأ بموضع يراه الناس، أحرى في ذلك إخوانه الفقراء، أحرى وأحرى شيخه، إلا إذا كان مغلوبا بالمرض أو شبهه، ومن فعل شيئا من ذلك لغير عذر فقد خلع ربقة الحياء من يده، ومن أعرى ظاهره من حلة الحياء أعرى الله باطنه من حلة الإيمان، وأيضا قاضي الجماعة بمرأى من الناس متهم في التقوى لأن التقوى تحمل صاحبها على الأحوال الحسنة، والاستتار في الاستبراء من أحسن الأحوال وأشرفها، وإذا كان المريد مطلوبا بستر الحقائق النورانية فكيف لا يطلب بستر الحقائق المظلمة، وما رأينا أحدا من أهل تربية الأخيار يفعل ذلك فضلا عن أهل تربية الأولياء الذين ينظرون المريد بنور الله ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كان بين أيديهم وظهر عليه شبه هذا فهو ميت القلب، وحضوره بين أيديهم بالجسد فقط، كالذين كانوا ينظرون النبي صلى الله عليه وسلم بعيون رأسهم دون قلوبهم، وما رأيت أحدا مال إلى أولياء الله بقلبه وبقي سيئ الخلق والعكس فاعمل يا أخي قلبك مع أولياء ربك فإنهم ورثة الأنبياء في الحال والمقال، ومن ثمرة جلوس العارفين وصحبتهم الحياء، والمريد ينبغي له الحياء من سائر المسلمين ويراقب فيهم نور الإسلام الذي هو من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو من نور الله، ويعظم الحياء في حق الأولياء لعظم نورهم، وسواء كانوا أحياء أو أمواتا،

وفي حق الأحياء أعظم، ومن علامة رسوخ الإيمان في القلب ظهور الحياء على الجوارح، ومن لم يظهر عليه الحياء فهو كاذب في دعوى الإيمان، يصدق عليه قوله تعالى ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: 14] فلو حصل لهم الإيمان حقًا كما زعموا لحصل لهم الحياء منه صلى الله عليه وسلم ولا قدروا أن يقولوا آمنا ولكن يقولوا أسلمنا وهذا أدب من حصل له الإيمان فافهم قال تعالى ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: 32] إذ لا ينبغي للمؤمن الحقيقي الذي يخاف الله أن يقول أنا تقي من غير أن يقول حقًا فلا بأس، نعم إن استوت فيه الأضداد وقال أنا مؤمن حقًا فلا يضر ذلك لأن مقامه اقتضى ذلك، وقد قال صلى الله عليه وسلم لحارثة كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقًا قال فما حقيقة إيمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عرفتَ فالزم، فاسلك يا أخي على يد شيخ عارف بالله قائم بسنة الخواص والعوام بلغ في البعد من الدنيا الغاية وبلغ في علم الأحوال الغاية إن أردت الوصول إلى ما تطلب، وقد تشعبت الطرق وتوعرت على سالكها ولا سيما في هذا الزمان، ومن لم يسلك على يد أهل الأحوال فلا يجد طريقا عن طريق الأقوال، وكيف يكون الوصول بالأقوال دون الأفعال، وقد ظهر لي أن الطرق الظاهرة كثيرها معلل بحب الجاه والرفعة والسمعة، لأن العاجلة دخلت معهم دخولا تامًا، وتأمل ترى ذلك بعين رأسك، فعليك يا أخي بشيخ عارف كامل يخرجك من شبكات الهوى ثم يمنحك الفوائد ويمنعك العوائد ويعرفك بأصول السنة وفروعها وحينئذ يحسن ظنك بأهل الأحوال فتبلغ مبالغهم وتحصل الراحة والهناء والعافية وتعرف أين قلبك من القلوب وأين جسدك من الأجساد والله تعالى أعلم.

ومن آداب المريد أن يحب بحب الشيخ، ويبغض ببغضه، ويفرح بفرحه، ويحزن بحزنه، ومن كان على العكس فهو مرائي منافق ليس له اقتداء بالشيخ، وكيف يسير إلى الله من يحب ما أبغضه شيخه أو يبغض ما أحبه، فالواجب على المريد أن يحب ما أحبه شيخه وأن يبغض ما أبغضه شيخه ويكون قلبه على قلبه

وجسده على جسده، فإن كان على هذا الوصف فهو محب صادق، ولبيب حاذق، وللزوم أهل القلوب لائق، وبدسائس نفسه عايْق[1]، وبشطحات الوجد طارق، وللقاء المحبوب شائق، وفي عين بحر التوحيد غريق، ومن هنا وصل من وصل، وانفصل من انفصل، فكن يا أخي موافقا لأستاذك في جميع أقوالك وأفعالك، ليتخرج حسك بحسه ومعناك بمعناه، وحينئذ تفتح لك باب حضرة الأولياء والملكية ثم باب حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم باب حضرة الحق تعالى، فرَحِمَ الله من تفرغ لصحبة الرجال قلبا وقالبا، ففرح بفرحهم، وحزن بحزنهم، ومشى على منهاجهم اللطيف، وترك منهاج أهل الحجاب الكثيف، فإياك يا أخي والتخلق بأخلاق العوام: اللسان يضحك والـــقلب يشرك يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وهذه صفة أهل الهزل، وأما صفة أهل الجد فالظاهر عنوان الباطن، واعلم أن الطريق إلى الله تعالى طريق جد، ومن لم يكن صاحب جد لا ينال منها شيئا، فينبغي للمريد أن يجاهد نفسه في الخروج من واد النفاق وأكثر ما يقع مع المدعين والجبابرة وأرباب أهل الدنيا، فأما المدعون فيقع النفاق معهم استحياء منهم، وأما الجبابرة فلأجل الخوف منهم، وأما أرباب الدنيا فللطمع فيهم وهو من أقبح القبائح للمريد، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ ، ولا بد لمن أراد الخروج من هذا الوصف الذميم من رياضة عظيمة وصبر شديد على مناقشة شيخه في خرق عوائد نفسه، حتى ترجع عن هواها، ويدفع عنها شرها وبلواها، حتى تحصل له الغيبة، فيمتلئ قلبه خشية وهيبة، فيشغله ذلك عن الهزل والمزاح، وحينئذ يستريح من التعب، فافهم.

ومـــن **آداب المريد** أن لا يُظهر العلم أمام شيخه وكذلك الأحوال والفراسة، ولو كانت مواهبه كالسحاب، إلا إن غلب عليه حال فالدية حينئذ على القاتل، لأن صاحب الحال سقط عنه شروط الأدب لكونه محكوما عليه، ومن أكبر سوء الأدب

---

(1) عايْق: أي فَطِن.

أن تتظاهر بالعلم على مَنْ عَلَّمَكَ، وقد كنتَ جاهلا أعمى أبكم أصم، وقد علَّمك علـم التحقيق وكشف عن قلبك حجاب الغفلة، فسمعتَ ما لم تسمع ورأيت ما لم تر ونطقت بما لم تتعلم قبلُ، فكيف يليق بك يا أخي أن تظهر القوة في العلم والحال وأنت نقطة من بحر علمه وحاله، وتدعي صفاء البصيرة ونور البصيرة وأنت لمحة من بصيرته، وتدعي فصاحة اللسان وأنت لغة من لغاته، وتدعي المكالمة مع الله وأنت لم تحصل المكالمة مع أولياء الله، فلو فهمت المكالمة وسمعت المناجات لفهمتها من أيـن هـي، ولعرفت قدر من كان سببا في وصولها إليك ولتواضعت له وانكسرت واحتقرت وضعفت، ولتركت علمك وعملك وأحوالك وقمت مقام العبد المملوك بـين يدي الملوك، ومن لم يكن على هذا الحال فهو من قوم نيام لا يصلح للحضرة ولا للجلـوس مع أهلها، وإنما يصلح لكنس المزابل الخبيثة لعل نفسه تموت بذلك وتقـرب وحينئذ تساعده على الأدب مع أهل الله، والله يأخذ بيد مَنْ عثر، وينبغي لهـذا المـريد أن يـروض نفسه ويلزمها الصمت والجهل ظاهرا وباطنا حتى يصير كالبهيمة لا تتكلم إلا عند إرادة إشباع بطنها، هذا لمن أراد النصح لنفسه، ومن أراد أن يغشها فليبادر إلى الكلام وليجاوب عن كل ما بدا له قال في الحِكم[1] (من رأيته مجيـبا عن كل ما سُئِل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا لكل ما علم، فاستدل بذلك علـى وجـود جهله)، وكثرة الكلام والإشارات من دعوات المريد، فإن النفس لا تحب أن ترى جاهلة لكثافة حجابها، اللهم اجعل بيننا وبينها نظرة قلبية تحجبنا عن رؤيتها وتمنعنا من دخول حضرتها الباطلة بمَنك وكرمك أن لا يستحق أحد شيئا إلا بفـضلك، فألهمنا اللهم أسباب القبول إلهاما حاليا، كما ألهمت إبراهيم خليلك عند نزول بلائك، وغيِّبْنا بمعرفتك عند نزول جلالك، اللهم من أنعمت عليه فتحت له بـاب الرضـا والتـسليم وعرَّفته ذلك في نفسه وألهمته الصواب معك والأدب في حـضرتك، فامـنن عليـنا بفضلك. اللهم من اخترته لحضرتك، فقد أنعمت عليه بمعرفتك، وهيأت له التعرفات، لترفع له الدرجات، وقدمت له في هذه الدار جملة ما

(1) أي قال سيدي ابن عطاء الله في حِكَمِه.

كان في سابق أزلك، مرسوما في لوح حكمتك بقلم قدرتك، فامض اللهم علينا هنا من ذلك حظا وافرا، بلطف منك ورحمتك، وعرفنا اللهم معرفة كاملة بمكالمة محفوفة بأنواع الأذواق بطلوع شمس توحيدك، واجعلنا هائمين في بحر أحديتك، متحيرين بوجد محبتك، عند مُلكك وملكوتك وجبروتك، غائبين مع مَنْ سكر، حاضرين مع من حضر، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

ومن آداب المريد إذا اتخذ شيخا كاملا واصلا موصلا جامعا لأنواع الجذب والسلوك يسير على طريقة التجريد والاكتساب كيف ما شاء، ألا يلتفت إلى سواه كائنا من كان، وإن التفت إلى سواه فلا ينال ربحا أبدا، بل ولو اتخذ ألف شيخ كلهم جامعين لا ينال شيئا لعدم نيته وقلة صدقه، إذ لو كانت عنده نية لوجد حاجته في موضع لا يتهم بسر ولا بركة ولا خير قط لقوله صلى الله عليه وسلم (لو حسن أحدكم نيته في حجر انتفع به)، فما منع الناس من نيل حوائجهم سوى قلة نيتهم، فافهم، ولو وجدت النية لوجد الخير كله أينما كان.

ومن أدب المريد أن لا يطالب شيخه بالكرامات وأن لا يخدمه لأجل ذلك، ولا يطلب ذلك إلا من لا عقل له ولا علم ولا خير فيه، والذي ينبغي أن يطلب المريد من شيخه: أن يذكره الله وينسيه نفسه ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة ويعرفه بحقيقة ما خلق لأجله من العبادات لله خالصا ويقهره عن الشهوات بمذاكرته وهمته ويمنعه الدعوات ويحبب له أوصافه ويقوده إليها بسياسة حتى لا يدري أي وقت حصلها ويصلحه مع الفقر وغيره حتى يكون الدين كله لله، ولا يبلغ المريد حقيقة المحبة والتعظيم والصدق حتى لا يطلب من الشيخ غير ما ذكرنا، وأي شيء أعظم وأكبر وأجل من الاستقامة التي جاءنا بها البشير صلى الله عليه وسلم، فما من كرامة ظاهرة وباطنة إلا وهي ناشئة عن ذكر الله وراجعة إليه، ويكفي الذاكر من الكرامات كونه جالسا في حضرة الله ما دام ذاكرا لما في الحديث القدسي (أنا جليس من ذكرني وأنا معه حين يذكرني) إلى آخره، ومن لم يشعر بهذا تكفيه محبة الشيخ لله، المرء مع من أحب، ومن لم يقنع بصحبة الأخيار ومجالستهم فهو غير شاكر لنعم الحق تعالى عليه، وعدم الشكر موجب لسلب النعم، كما أن شكرها

موجب لنيل ما هو أعظم من ذلك، قال تعالى ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 7]، ويكفي المريد من الشيخ أن كان ضالا عن الطريق فأرشده إليها، وكان لا يتعظ بموعظة فوعظه فاتعظ، فاعقد يا أخي النية الصالحة والظن الحسن واقرب إلى شيخك تهتدي وترشد وتنال ما تشاء، وما تعطل الفتح على كثير من الناس إلا لقلة نيتهم وسوء ظنهم في أولياء الله تعالى، نسأل الله اللطف بمنه.

ومن آداب **المريد** مع الشيخ ألا يشرع في حال من الأحوال إلا بإذن شيخه، وكل شيء فعله من غير إذن فلا يجد له سرًّا ولا بركة، لأن السر مرموز في الإذن لا في العمل فافهم، وكذلك إن أذن لك بشيء كالسؤال مثلا فلا تشرع فيه حتى تعرف حقيقته، فإن لكل حق حقيقة، وحقيقة السؤال أن لا تترك شيئا مما عندك قليلا كان عندك أو كثيرا، وحينئذ تذوق حلاوته ظاهرا وباطنا، ظاهرا ذلا وإهانة، وباطنا عزًّا وولاية، وأنت بين الحالتين تتبختر، إن نظرت إلى ظاهرك وجدت وصف البعد، وإن نظرت إلى باطنك وجدت وصف القرب، فسبحان مَنْ ألف بين العسل والقطران، فمن لم يجمع بين الضدين فليس بواصل مواصل العرفان، ومن جمع بين الفقر والغنى والذل والعز والفقد والوجد وغير ذلك فقد أمن شر كل البواقي. ثم إن سألت أيها الأخ شيئا قليلا كان أو كثيرا فخذ نصفه، وتصدق بالنصف الباقي كفارة للنصف الأول، هذا إن كان لك أولاد، وإلا فيكفيك منه ما ترد به جوعك وما تستر به عورتك مثل الكرمة اليابسة والجبة الخشينة مما يقيك البرد والحر، والزيادة فوق هذا حرام أخذها.

ومن آداب **المريد** أن لا يظن بشيخه أنه يبغضه أو يهينه ولو قَلَّ أدبه أو ليس هو عنده في نظر كبير أو أنه يرفع عليه غيره ولو كثرت خدمة ذلك الغير، فإن هذا كله سوء أدب يوقع صاحبه في الحسد، والشنئان في الإخوان يقع فيه من لا صدق له، والمبتلى به قلَّ أن يفلح، قال تعالى ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: 23]، وأهل الحضرة مطهرون من مثل هذا،

لأن المريد إذا ظن بالشيخ ما ليس فيه كان متصفا بالبهتان العظيم، فإن الفقراء عند الشيخ كأصابع اليد كما قال الشَّرْقِي[1] ليس واحد منهم أعز من الآخر ولو فعل ما فعل، فطهرْ قلبك يا أخي من أوصاف البشرية التي منعت أسرار الروحانية لتكون من أهل الأجساد النورانية، لقد انحجبت في محل رفع الحجاب، وأسأت الأدب في لباب الأدب، والزمْها الخروج من حضرة سوء الظن إلى حضرة حسن الظن، وامنعها من شهواتها، وطهر قلبك من رعونات بشريتك، وانصر الله ولا تنتصر لنفسك لينصرك الله ويثبت قدمك، والله غالب على أمره.

ومن آداب المريد أن لا يكتم محبة الله ورسوله وشيخه وإخوانه إن كانت له قلبية، فإن في إظهارها زيادة إلى الله عز وجل، قال تعالى ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: 105] أي محبتكم، وإظهارها يكون بالخدمة والتعظيم والتحدث باللسان، واعلم أن المحبة هي أفضل الأعمال، وقد يبلغ العبد بالمحبة ما لا يبلغ غيره بكثير من الأعمال الزكية فضلا عن غير الزكية، وقد قال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: الشوق يوصل إلى الله بالطريق أو بغير طريق انتهى، لأن ثمرة الأعمال كلها راجعة إلى المحبة والشوق، ولا فرق بين المحبة والشوق إذ هما اسمان لشيء واحد، والمستمسك بالمحبة لا يفوته شيء من الخير والسر، فتأمل ذلك فإنه رقيق، والزم نفسك الأحوال التي تنبت المحبة والشوق لتقرب عليك الطريق، والله المعين، وفي إظهارها أيضا زيادة المحبة والتعظيم لمن أراد الاقتداء بأحوال الإخوان لكونه رأى نفسه ليست بأهل لأحوال الشيخ، لأن أقوال الشيخ رضي الله عنه كبيرة على أهل الصدق فضلا عن أحواله، فأقواله شهاب الحضرة تحرق النفوس البعيدة المدنسة بالشهوات، وكيف يتلقاها الضعيف مثلي، ومن هنا كان كلام أهل الإخلاص ثقيلا لا يقدر أحد على العمل به، بخلاف كلام الإخوان فإنه يخف من بعضهم على بعض لعدم التمكين في الإخلاص، والنفسُ تشم رائحة البقية فتسكن إليها وتطمئن، فلا تزال تسمع منهم حتى تحمل أحوالهم، فإذا اندرست بحال

(1) أي الولي سيدي بُوعَبَيْدْ الشرقي، دفين مدينة أبي الجَعْد، جنوب الدار البيضاء، في المغرب.

الإخــوان واستمرت معها عادت تحمل أقوال الشيخ، فإذا اندرست بأقواله عادت تحمــل أحــواله، فإذا اندرست بأحواله حصل له التمكن في الإخلاص، والله تعالى أعلــم، ولا تظــن أن كل من دخل يد العارفين دخل بالنية والصدق، فإن النية أمر عظــيم، فمــا بالك بالصدق، بل الداخلون على ثلاثة أقسام: منهم من دخل بالنية والصدق، ومنهم من دخل بالنية دون الصدق، ومنهم من دخل بغير نية ولا صدق، فــصاحب النــية والصدق فتحه بمجرد وصوله، وصاحب النية فتحه بعد وصوله، والــذي لا نية له ولا صدق يطول فتحه لأنه يحتاج إلى معالجة كبيرة، وقد يمكث المــريد مع الشيخ الثلاثين والأربعين سنة ولا يكمل صدقه، إذ الصدق أمر عظيم، ومــن كمل صدقه كملت ولايته، ومن علامة كمال الصدق أن لا يشير إليه أستاذه بشيء إلا فعله ولو كان مزاحا ولا يفعل شيئا بغير إذنه حتى لو تيسر له أن يشاوره في كــل ما يتقوت به لما أكل شيئا إلا بإذنه، وهذا حال كبير، فاعمل يا أخي على قــدر استطاعتك، قال الله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: 16] وهذه رحمة بالــضعفاء، وأما قوله تعالى ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: 102] فهي للأنبياء والكُمَّل من الأولياء، فألزمْ يا أخي نفسك النية والظن الحسن إن أردت أن تقدم على شيخ عارف يوصلك للحضرة، وإن قدمت عليه بغير نية وصدق شققت عليه غاية، فيشق عليك هو أيضا، ومن شق عليه الشيخ فقل أن يفلح، لأن الشيخ لا يشق على أحد إلا إن أراد اختباره وفضيحته: إما لربح ظاهر أو لخسران ظاهر، ولا يفعل ذلك إلا مــع من طالت صحبته ولم تظهر عليه ثمرته، وقد يشق على بعض المريدين في أول قدمــه لــشدة تحققه بصدقه ولكن هذا نادر والنادر لا حكم له فتأمل ذلك، والــداخل بغــير نية منافق عند أهل النية، ولذلك يشق على الشيخ معالجته، فمثله كالمــنافقين الذين كانوا يقولون لا إله إلا الله، فمن تخلص من النفاق إنما ذلك بعد مدة طويلة، كذلك المريد الذي لا نية له لا يتخلص من الهزل والمزاح وغير ذلك إلا بعد مدة طويلة، وصاحب النية لا يكون كثير الهزل والمزاح ولا الضحك ولا اللعب ولا غــير ذلــك بل يكون صاحب جد لعظم ما تعلقت همته به، والنية هي مفتاح الإسلام وكذلك لا بد منها لمن أراد الترقي للإيمان والإحسان على يد العارفين، والــذي لا نية له لا يحصل شيئا ولو جلس كذا وكذا وعمل كذا وكذا فلا يظهر له شــيء من نتائج الصحبة ولا من نتائج العمل، فإن البناء من غير أساس لا يستقيم،

وأوصيك يا أخي ألا تعمل عملا إلا إذا استحضرت النية حالا لا علما فقط، وحينئذ مهما غرست شيئا إلا وأكلت ثماره في الحين (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) أي في الحين والله تعالى أعلم، فمن أراد حصول النية في القرب فليصدق ولا يكذب، فوالله ما لزم أحد الصدق وخاب من النية قط، ولو لم تكن عنده لجاءت سريعة، وما لزم أحد الكذب وبقيت عنده ولو كان معمورا بها، فتأمل ذلك يرحمك الله، فإن الصدق مع عباد الله صدق مع الله، والحق تعالى إنما أبرزك إلى عالم الأشباح ليعرفك قدر دعواك في عالم الأرواح، لأن الأرواح يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ كلهم ادعوا الصدق وأقروا به، وهو أعلم بمن اهتدى، فاصدق يا أخي ما استطعت، قال شيخنا حجة الإسلام سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه (من أراد أن يصدقه الله في كل ما يقول، فلا يكذب ولو رأسه يزول)، وينبغي لطالب الصدق أن يصحب شيخا عارفا بالله تعالى يسلك به مقام الخوف من الله تعالى حتى يضعف حجابه الكثيف فيستحضر الآخرة كل وقت وحين ويرى الدنيا كأنها لم تكن ويرى النار كأنها إنما خلقت لأجله ويرى أنه يستحق النار بأفعاله القبيحة، ثم يسلك به مقام الرجاء حتى يرى الجنة كأنها إنما خلقت لأجله، ثم يجمع له بينهما، فإذا تمكن مقام المراقبة نقله إلى مقام الغيبة حتى يكون الكون معدوما في نظره من شدة ما أشرق على قلبه من أنوار التوحيد، ثم ينقله إلى مقام الحضور حتى يتم سلوكه فيرى الكون موجودا، فإذا انتهى إلى المشاهدة تركه وربّه. وينبغي أيضا لمن محبته ضعيفة أن يبديها ويصرح بها، فإن في إظهارها إعانة على دفع الظنون والشكوك والأوهام التي هي من جنود النفس الأمارة لأنها تحقر صاحبها وتهينه وتذله إذا علمت منه الصدق في طلب الله تعالى فتجدها تحدثه بأحاديث الغفلة على صفة اليقظة وتقول له لا خير فيك ولا نية ولا صدق ولا محبة لو فعلت كذا وكذا لقويت نيتك ولعظمت محبتك ولكثر صدقك، ومرادُها منه أن تكسر ظهره بثقل ما تحمله لكي يسمح[1] في الخلطة كلها، فتأملْ في غشها يا أخي وخداعها، وذلك حين عزم على قتلها فأسرعت إلى قتله قبل أن يقتلها، فإذا علم منها هذا وشبهه فليبح بالمحبة

(1) يسمح: أي يترك.

والـــصدق والنية والخدمة وغير ذلك ليدفع شرها عنه، وإن لم يكن فيه ذلك حالا، فإياك يا أخي أن تغتر بسماع حديثها قبل أن تقطع بها قواطع الجلال وتساعدك في طريقه مدة طويلة حتى تستنشق رائحة الصبر عند نزول المصائب ورائحة الحلم عند وجـــود الغـــيظ ورائحـــة الكرم عند وجود البخل ورائحة العلم عند وجود الجهل ورائحة البسط عند وجود القبض ورائحة القوة عند وجود الضعف ورائحة العز عند وجـــود الذل وما أشبه هذا وتوسع عليك في هذه الأحوال كلها وتردك إلى ذكر الله قهـــرا، فإن علمتَ منها هذا وتحققته تحققا واضحا فاستدل بذلك على إخلاصها، وإن لم يظهـــر ذلك ماذا ذكرناه فلا تأمنها وإن كانت تساعدك في قيام الليل وصيام النهار وغير ذلك، قال الله تعالى ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ [الأنعام: 70] يعـــني النفس الأمارة بالسوء فإنها تأتي لصاحبها بأحوال العدل ومرادها منه ما قدمـــناه فـــافهم، وهذا كله قبل الرسوخ والتمكين في المجاهدة، وأما إذا صبرت مع صاحبها حتى يقطع بها قواطع الجلال كالفقر والذل والضعف والعجز وغير ذلك من الأوصـــاف التي تحفر على عروق عروقها حتى تصير أوصافها عندها كدارها ومالها وأولادها وشهواتها كلها مهما أردت نقلها منها فلا تقدر كما كنت في الابتداء تريد أن تدخلها في وصفها فلا تقدر، فإذا سكنت هذا السكون واستقرت هذا الاستقرار ولم تبق عقبة واحدة فهناك ينبغي لها تزكيتها، ظاهرا بالقول، وباطنا بالفعل، قال الله تعـــالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس: 9] على طريق أهل الإشارة واعمل بهذا وتأمـــل إن ظهـــر لك وجهة كما ذكرنا وقال تعالى ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: 10] يعـــني من تحقق بإخلاصها كما ذكرنا وشهد له أهل الإخلاص وبقي مـــتهما لهـــا يظهر دسائسها بعد كمالها فقد ظلمها، ومن ظلمها خاب من إظهار أسرارها وشروق أنوارها ونسمات أزهارها، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾، لأن النفس المخلصة المطمئنة أقرب لصاحبها من كل أحد وأصدق إليه، فهي أولى بالإحـــسان، وفي الحديث (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) فافهم معناه رحمك الله، فإن الـــنفس الغير المخلصة الواجب على صاحبها أن يبدأ بغيرها وكيف يبدأ بها والحق تعـــالى مدح بالإيثار المخلصين فضلا عن غيرهم، وإياك أن تفهم الحديث على غير معـــناه. واعلـــم أن الـــنفس إنما سميت مطمئنة لكونها اطمأنت بشهود الله بعد أن

اطمأنـــت بوصفها وسكنت فيه سكونا لا خروج بعده، وسميت أمارة لكونها تأمر بالاتصاف بأوصاف الحق كالغنى والعز والقوة والكبرياء وغير ذلك وتنهى صاحبها عـــن الاتصاف بأوصافه وليست بظالمة في حقيقة الأمر لأنها تشير إلى قرارها الأول الذي هو عالم الملكوت فأخذت من جهة الشريعة التي لها الحكم هنا دون الحقيقة وما ذلك إلا بجهلها بعالم المُلك لكونه اختفى عنها بالتحسس الكثيف وحصل لها إنكاره، ولو اتخذ صاحبها شيخا عارفا لعرفه حقيقة الكون ولحققه به وحينئذ فلا تطلـــب نفسه الصعود عنه إلى عالم الملكوت، لأن عالم الحس هو الذي أظهر عالم المعـــنى، والشيء الذي أظهر ضده هو عينه، فحق الحقيقةِ الشريعة فافهم، فكما أن الحقـــيقة حـــق، فالـــشريعة حق، فإذا تحققت هذا التحقيق وشهدت الحقيقة حقًا والشريعة حقًّا وقمت بحكم هذه وهذه عادت نفسك راضية مرضية داخلة في عالم الملكوت بالله وداخلة في عالم المُلك بالله، وهذه نفس الكُمَّل من ورثة الأنبياء عليهم الـــسلام، وأما نفس المستغرقين فهي داخلة في عالم الملكوت بالله خارجة من عالم المُلـــك بـــالله وكـــذلك نفس المجاذيب والحُكْمُ مرفوع عن أهل الغيبة حال غيبتهم كالمجاذيب، والله عليم حكيم.

ومن آداب **المريد** أن لا يوصل كلام الخواص للعوام، ولا كلام العوام للخواص، لئلا يمقت، ولو لم يكن من المقت إلا ما أصابه من الغفلة عن الله حتى أصغى بقلبه إلى غير ذكر الله، ولو كان قلبه مشتغلا بذكر الله ما أصغت الجوارح إلى مثل هذا، فإن من الحرمان أن يسرق كلام أهل الحضرة ويفشيه لغيرهم، أو كلام غيرهم ويفشيه لهم. ألم الألم مريد نمام ﴿ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ۝ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ﴾ الآية الذين يسترقون السمع، فصاحب هذا الحال معدود من الشياطين، فمن وجد في نفسه شيئا من ذلك فليبادر إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار، فإن الله يتوب على من تاب، لأن حضرة أهل الله طيبة مطيبة، وكيف يليق بطالبها أن يكون باطنه مشحونا بالخبث وكذلك ظاهره، هذا لا يكون، فإياك يا أخي والاستهزاء بحرمات الله، وأعظم حرمات الله كافة المسلمين فضلا عن الصالحين منهم فضلا عن أولياء الله العارفين، فوالله ما دخل أحد حضرتهم باللهو واللعب إلا وانتقم الله منه عاجلا. وينبغي للمريد إذا كان في موضع من مواضع الغفلة أن يشتغل بذكر الله سرًّا وجهرا، ولا يتراخى حتى تنحل باب مدينته ولا يبالي بكل من دخل، فإن العدو يدخلها ويملكها ويخرجه

منها قهرا، وحينئذ تخطفه السباع واللصوص وهي الشهوات، فأغلق يا أخي باب مدينتك، وكن عساسا[1] على الدوام، ولا تطلب الراحة والهناء قبل التعب، والله المعين.

فصْل: ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن لا يتهاون برياضة نفسه، ولو بلغ من الرياضة ما بلغ، ومن تهاون بها وتراخى فيها حتى انحلت عزائمه وفشلت قوائمه فذلك دليل على ميل قلبه إلى الدنيا، إذ لا يقع العبد في التكاسل عن الرياضة إلا إن أخذ قلبه وحصل في شبكة الشهوات، وعلامة من أخِذ قلبُه: اللسانُ يشير إلى الخوارقِ والجوارحُ تتعلق بالعلائق، أو نقول اللسان يشير إلى الرياضة والجوارحُ عاجزة عن الإفادة بميلها إلى العادة، وحيث حَلَّ صاحبها عقدة الرياضة صارت الشهوات صيّادة، فاللسان يشير إلى المعنى، والقلب مصروف إلى ما يفنى، كذلك كنا لولا فضل الله علينا، كذلك كنتم من قبل فمَنَّ الله عليكم، أللهم إنا لا نستحق شيئا إلا بفضلك، ولو أردت هلاكنا لقابلتنا بعدلك، فأظهرت فضلك وجودك على من أحببتَ له قربك، وسترتَ ذلك على من نفذت فيه حكمك. من الذي يأخذ بيدنا إذا عثرنا، ومن الذي يتجاوز عنا إذا جهلنا، ومن الذي يعفو عنا إذا جزعنا سواك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، فإياك يا أخي أن تحل عقدة الرياضة ما دمت في هذه الدار، وينبغي لك أن تجدد النية كل يوم كذا وكذا مرة، لأن تكرار الشيء يدل على محبته، ومن أحب شيئا أخذ منه نصيبا، ونية الجهاد جهاد، وإن لم يتحرك صاحبها، وينبغي لك يا أخي أن تنظر كل صباح إلى سير أمسك، لتسير سيرا أقوى منه، وإياك أن يكون سير يومك أقل وأضعف من سير أمسك، فإن ذلك يوقفك، وإن وقفت رجعت، وإن رجعت فإلى بلد العوام انتهيت، بل ربما جزت مقام العوام في الانحطاط، وقد قالوا: من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له، فالعاقل من يزن سير الأوقات بميزان العدل وينظر ما زاد وما نقص، ومن لم يزن أوقاته بطلت نفقاته، فتأمل ذلك يرحمك الله، وينبغي لصاحب الرياضة أن يتحرز من مجالسة

(1) عَسَّاس: أي حارس.

الضعفاء غاية التحرز وهم ضعفاء اليقين، فإن القرب من الضعفاء يضعف الأقوياء فضلا عن الضعفاء، وكل من اختار صحبة الضعفاء وهو سائر في الطريق فلا يطمع في الوصول إلى الحضرة لعكوف قلبه على حضرة الدنيا، ولو تعلق قلبه بحضرة الآخرة لما قدر على صحبتهم ساعة، وإن قدر عليه بخلطة معهم يجد نفسه كالذي هو في السجن، ومن لم يجد في نفسه هذه العلامة فلا يتهم نفسه بمراقبة الحق تعالى فضلا عن مشاهدته، بل يتحقق أن قلبه خال من الفكرة فضلا عن النظرة، فإن صاحب الفكرة كالأسد لا يأوي إلا إلى الفيافي وإن كان في العمارة لا يعمر مع أحد من أهل الدنيا، فإن خلط آخرته مع دنياهم خربوا عليه آخرته، المرء على دين خليله، واعلم أن العبد إذا أراد الله به خيرا أوقع في قلبه نورا فيوفقه إلى الرياضة، ولا يميل أحد إلى الرياضة وقلبه خال من النور، وهذا النور نور إيمان لا نور إسلام، وما دام القلب مظلما فالجوارح كاسلة عن الرياضة لاهية بخيالات الشهوات، فإن حصل هذا النور في القلب أسرعت الجوارح إلى الطاعات، وهذا النور على ثلاثة أقسام: نور خوف وهيبة، ونور رجاء ورحمة، ونور شوق ومحبة، فالنور الأول به يقوم العبد إلى الطاعة، والنور الثاني به يقوم إلى الزهد في الدنيا لشدة قربه إلى الآخرة، والنور الثالث من إشراق نور الصفات أو الذات فيعبد الله كأنه يراه وهذا مقام عظيم، ومن أراد تمكين النور من قلبه وسكونه فيه فليعالج نفسه بثلاثة أمور هي مفتاح الباب: الأول المواظبة على العزلة، الثاني المواظبة على الصمت، الثالث المواظبة على الفكرة مع قلة الطعام، فإنه ما عمل أحد بهذه الثلاثة إلا وترادفت عليه الأنوار والأسرار وانتسخت منه ظلم الأغيار والأكدار، فاعمل على هذا ترى سر ما قلناه عيانا إن شاء الله، فإن الفكر وحده ضامن للأوصاف الحسنة كلها ومن ذلك الصمت والعزلة، ومن ادعى أنه غاص في بحر الفكر وبقي فيه وصف مذموم فما شم لطريق الفكر رائحة، قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: 3] وهو ضعف الحجاب أو رفعه بالكلية، فإن كان الفكر ناشئا عن معرفة أعني بتربية شيخ عارف فمنتهاه رفع الحجاب كما ذكرنا، وإن كان من غير شيخ فمنتهاه ضعف الحجاب، ولا يصل لمقام المشاهدة إلا على يد شيخ عارف، ولا إلى مقام المراقبة

إلا على يد عالم عامل، لأن رؤية الأكوان لا يرفعها إلا من رفعت عنه وهم العارفون فاصحبهم يا أخي تسترح من هم رؤية الأكوان، فلا ترى عَيْنا مع العِيان لا أنت ولا شيء من الأكوان، ثم تراها وتثبتها بالملِك الديان، فافهم.

ومن **آداب المريد** أن لا يجلس في موضع فيه سبب فقدان قلبه، فإن علم ذلك وتعمد الجلوس فيه فهو ظالم لنفسه مخالف لأمر ربه قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: 68] وقال تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: 195] وأي تهلكة أعظم من الغفلة، فمن طلب اليقظة وجلس في مواضع الغفلة فقد طلب المحال، ومن شك فليجرب، إذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ومثَل الذي يطلب اليقظة في مواضع الغفلة كمن يطلب رائحة المسك في العذرة وهذا حمق كبير، فإن أكثر الناس تحصل لهم الغفلة في مواضع اليقظة كالمساجد وبين يدي الأولياء وفي الصلاة والصيام والتلاوة وغير ذلك فضلا عن المواضع المعدة للغفلة، ومِن أعظمِ قلب الحقائق طلبُ اليقظة في محل الغفلة. عجبتُ ممن يقرب من الدنيا وأهلها ويدعي ذكر الله بقلبه، وعجبت ممن يبعد من الدنيا وأهلها ولا يذكر الله بقلبه وجوارحه إلا إذا كان ميت القلب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فمن أراد أن يكون عالما عاملا زاهدا ورعا حليما كريما متواضعا صابرا قانعا عارفا بالله كل المعرفة فليخرج من قلبه حب الناس وحب ما هم عاكفون عليه فإنه يرى من أسرار التقوى والعلم ما لا يدخل تحت حصر، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة: 282]، ومن زعم أنه يتقي الله وهو يحب الدنيا وأهلها فقد كذب، لأن التقوى قلبية، ولا يسع القلب إلا شيء واحد، فافهم، والله على ما نقول وكيل، الله أكبر ما أحسن اللسان بعيدا والقلب قريبا، وما أحسن اللسان جاهلا والقلب عالما، وما أحسن اللسان ذليلا والقلب عزيزا، وما أحسن اللسان فقيرا والقلب غنيا، وما أقبح العكس، واعلم أن كل من رأيته قانعا من الأحوال وراغبا في الأقوال فاستدل بذلك على أن

قلبه محشو بحب الرياسة والجاه وحب الرفعة والثناء من الخلق وطول الأمل، وكل ذلك من عمى البصيرة، نسأل الله اللطف، وما مرض أحد بهذه العلل إلا ومات قلبه، وهذا هو العلم الغير النافع، أعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن رأيته قليل العلم كثير العمل فاستدل بذلك على أن قلبه عامر بحب الله ورسوله ومراقبته وخوفه وهيبته وسطوته وحيائه، قد ضعفت حجبه الكثيفة، وانتهى في القرب من ربه حتى صارت الآخرة نصب عينيه، ولم يبق له التفات إلى العلم، بل ربما غاب في بعض الأوقات عن العمل لكثرة هيبة الحق تعالى وعظمته، وهذا هو العلم النافع الذي يرد العبد إلى ربه عن جميع الشهوات ويمنعه حب البقاء في هذه الدار الفانية، فيرى الآخرة كأنها حاضرة، والدنيا كأنها لم تكن، ولو كشف له عن عمره ورأى فيه ألف سنة لرأى ذلك كساعة واحدة، ولا يغتر بالغرور، ولا يميل إلى شهوات نفسه، وصاحبُ هذا الحال وإن كان جاهلا بكثير من العلوم فهو عالم على التحقيق، لأن العلم نور في القلوب يهدي إلى صراط مستقيم، كما أن الجهل ظلمة يهدي إلى ضلال مبين، فأي جهل لمن يخاف الله ويتقيه، وأي علم لمن لا يخاف الله ولا يقف على حدوده، فاعمل يا أخي بما تعلم تتفجر حِكَمُ قلبك بمواهب ربك، ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وأحسِنْ صلاة جوارحك واحتفظْ عليها جهدك ليصلي قلبك، لأن صلاة الجوارح وسيلة لصلاة القلوب، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [العنكبوت: 45] يعني صلاة القلوب لا صلاة الجوارح، لأن صلاة الجوارح غايتها أن تنهى عن الفواحش الظاهرة، ولا تنهى عن الفواحش الباطنة مثل الحسد والبغض والكبر والحرص وما أشبه ذلك، نسأل الله اللطف، والفواحش الظاهرة أخف من الباطنة وصاحبها يعرفها وينكسر من أجلها، بخلاف الفواحش الباطنة فإنه لا يعرفها إلا من أخذ الله بيده وجمعه مع أرباب العقول، فطهرْ يا أخي قلبك لتصلي مع أرباب القلوب، وأما ما دام متنجسا بأنواع الفحشاء والمنكر فلا تطمع أن تصلي صلاة واحدة، فضلا عن الصلاة الدائمة التي هي اتصال الحضور وملازمة السرور. فرِّغ قلبك من الشهوات، وامنع جوارحك من وجود الدعوى

فإنها تجر البلوى. ما أحسن وصف العبودية مع تحقيق الأمور بكشف حقيقة حالا لا علما فقط، وما أقبح العكس. عجبتُ ممن يدعي حقيقة الأشياء مع حياة نفسه، ويطلب الحضور مع ربه وهو حاضر مع غيره، ويطلب حضور الله معه وهو لم يحضر مع الله في كل نفَس ولحظة، فالزم يا أخي نفسك الحضور بالمجاهدة يطلبك العيان والمشاهدة: لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث، واعلم أن من أراد الله به خيرا أقامه في المجاهدة وفتح له باب الحضور حتى لا يخطر بباله غير ربه، وحينئذ تحفظ جوارحه من سائر الفواحش، وهذه ثمرة المجاهدة، وكل مجاهدة ليس لها نتيجة حضور فهي مجاهدة رياء وسمعة، ومن علامة الحضور أن تنقلب مرارة المجاهدة عسلا، ولكن هذا لا يحصل إلا بعد مدة طويلة غالبا، وقد تحلى لبعضهم في أول مجاهدته والله تعالى أعلم، واعلم أن مراقبة الله تعالى واجبة على كل أحد، وليس للعبد طمع فيها إلا بالمجاهدة، فهي واجبة أيضا على كل أحد، إذ ما لا يتوصل للواجب إلا به فهو واجب، فالمجاهدة واسطة للمراقبة، والمراقبة ضامنة للتقوى الظاهرة أعني تقوى العوام، وهذا مقام طلبه الحق منا بشرط الجهاد إظهارا للعبودية، وأما مقام المشاهدة فنحن نطلبه من الحق تعالى تفضلا منه وكرما، إذ لا يستحقه أحد بفعله ولو عمل ما عمل، وكذلك مقام المراقبة، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا، ولكن الله تعالى نسب المقام الأول لنا من حيث وجود العبد ليقوم ضده الذي لا نسبة للعبد فيه فافهم، وحقيقة الجميع ليس هناك إلا تجلياته الظاهرة، ومثل ذلك ضياء الفجر المستضيء من الشمس، فإن الناس إذا رأوا الفجر تحققوا وتيقنوا بطلوع الشمس بعده، فانحجبوا بضياء الشمس عن ضياء الفجر، كذلك أهل التحقيق حجبوا بالحق عن الخلق في وجود الخلق، كما حجب الناس بالشمس عن الفجر في وجود الفجر، فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يزكي نفسه ولو بلغ ما بلغ في الخدمة والصدق والمحبة والنية وغير ذلك قبل أن يزكيه الله ورسوله وشيخه، فإن وقع له الإذن من الله ورسوله أذن له شيخه لا محالة، وحينئذ فلا ينبغي له أن يرجع إلى نفسه، فإن رجع

إليها بعد هذا فهو ظالم لها، وقد يُسلب من هذا المقام ويرد إلى المقام الذي يظن بنفسه: أنا عند ظن عبدي بي، وإن كتم حالة تأدبا مع الشيخ وحياء منه زاده الحق تعالى رفعة، وطلبه ذلك المقام الذي أعطي له قهرا عليه، فإياك يا أخي أن تطلب الحرية قبل أن تطلبك، فإن من يطلبها قبل أن تطلبه كمثل من صلى قبل الوقت فصلاته باطلة، وفي الحِكم (ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه)، وكذلك لا ينبغي له أن يطلب من الشيخ تزكيته، فإن ذلك من سوء الأدب، لأن الواجب على المريد أن يكون في خدمة شيخه كالعبد المخلص في عبادة ربه لا يرجو جنة ولا يخاف نارا، والذي ينبغي له أي يطلبه من الشيخ الاطلاع على دسائس نفسه حتى يصلح لمجالسة ربه، ومن طلب غير هذا فقد انحط من رسم المريدين إلى مقام العوام، لأن العوام إذا جلسوا أمام ولي تجدهم يتمنون إدراك الدنيا والآخرة في ساعة واحدة، وذلك لقلة معرفتهم بالأمور وبكيفية السبيل إلى وصولها، فافهم إشارتنا أيها الأخ، وقم بحق الوسائط، وإياك أن تطيع نفسك في شيء غير ما يأمرك به الشيخ، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: 59] أعني الذين تولوا أمر الطريق إلى الله عز وجل من أولياء الله العارفين والعلماء العاملين، وإياك أن تفهم الآية على غير هذا، إذ لا ينبغي أن يطاع من الخلق من لم يطع الله ورسوله، بل لا ينبغي لنا أن نطيع سوى من يردنا إلى الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والمريد مشغول بما يعنيه ليس له مدخل في الفضول، فلأجل ذلك كان خارجا من حكم كل حاكم وعن جور كل جائر وداخلا تحت حكم من يخرجه من أسر نفسه ويقربه من حضرة ربه، فإن ارتكب الفضول واشتغل بما لا يعنيه فقد خرج عن حد المريدين، فيلزمه ما يلزم العوام من أحكام الولاة وطاعتهم فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يتصدر للتربية وإعطاء الورد قبل الإذن من الله ورسوله ومن شيخه، ومن تصدر لشيء من ذلك بغير إذن فقد تعرض للهلاك وأهلك من تبعه، إذ لا بد من معرفة قواعد التربية ومعرفة دسائس النفوس الأمارة

واللوامة، ومن لا معرفة له بذلك فهو أعمى، والأعمى لا يقود غيره في ظلم الليالي في بلد قفراء وعراء، فالواجب على من وقع في شيء مما ذكرنا أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفر من ذلك ويبكي على خطيئته ويسعى في السلوك على يد المشايخ وإلزام الوقوف ببابهم، وإلا وقع في الرضا عن نفسه والاستحسان لحاله فيخسر خسرانا مبينا والعياذ بالله، فإياك يا أخي ثم إياك، وإن مال إليك أحد فادفعه عنك لئلا تميل نفسك إليه وتستحلي ذلك فتطلب غيره وتستحليه فلا تزال كذلك حتى يكثر الخلق عليك فتقول لك نفسك أنت مخلص وأنت أهل للتربية ولو لم تكن مخلصا ما انقاد إليك أحد، فتستدرجك من حيث لا تشعر، فاحذر يا أخي من هذا الباب جهدك فقد خسر منها كثير من الصديقين كان قصدهم مولاهم فرجع قصدهم حظ نفوسهم، واعمل على سياسة نفسك أبدا حتى يحصل لك التفرغ منها ظاهرا وباطنا، وهناك تصلح لسياسة غيرك، فإن سياسة النفوس الأمارة صعبة لا يقدر عليها من فيه بقية ولا سيما مع عدم الإذن، إذ الإذن عطية قديمة مخصوص بها أهلها في سابق أزله وهي تطلب أهلها لا أهلها يطلبونها، بل ينبغي للمريد أن يكون في أموره كلها هكذا، فلا يطلب شيئا حتى يطلبه ولو كسرة خبز، فإن الشيء المفروغ منه لا بد لك منه، فإن كنت ولا بد لا تترك الطلب فاطلب على وجه الشريعة إن كنت ضعيف التحقيق بذلك، وتأمل قول الله سبحانه ﴿ وَلَا تَعْجَلْ إِلَيْكَ يُقْضَىٰٓ أَن قَبْلِ مِنۢ بِٱلْقُرْءَانِ وَحْيُهُۥ ﴾ [طه: 114] وقوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة: 16] أي لا تتعب نفسك في الأمر الذي سبق لك فهو واصل إليك، فتأمل يا أخي هذا الخطاب ما أحسنه لمن عرف معناه، فكأنه تعالى يقول ما كان سابقا لكم في أزلي فهو واصل إليكم من غير مشقة فافهم. واعلم يا أخي أن من علامة الإذن في التربية أن يثقل ذلك على المريد غاية الثقل لكونه لا يرى نفسه أهلا لذلك رؤية حال فتضيق روحه ولا يتقدم لذلك ثم يؤذن له ثانيا فيثقل عليه أكثر من المرة الأولى ثم يؤذن له ثالثا وحينئذ يتقدم من غير اختيار فإن لقن أحدا أو ذكر أحدا أو نظر أحدا ظهرت فيه من أسرار التوجه العجائب

والغرائب: وهذه علامة الإذن من الله ورسوله وأوليائه، فإياك أن تتقدم لما فيه خسرانك وخسران غيرك وإن كنت وليا من أولياء الله، فإن الإذن مخصوص به أهله كما تقدم، وقد تاه كثير من الناس في هذا الباب فمالوا لحب الجاه والمدح، فينبغي لمن تفطن لشيء من هذا في نفسه أن يستعمل عملا مباحا يخرج به عادة نفسه ليقع منه الفرار ويتفرغ لعبادة خالقه ويستفيد أسرار قلبه، وكثيرا ما يستعمل هذه الحالة أهل الصدق الكبير، اللهم اجعل لي فيهم نصيبا ولا تجعلني منهم غريبا يا قريب يا قريب يا قريب، واعلم أن من جهل المريد وغفلته أن يكون مشغولا بحاله ليس له معرفة بأحد فيتعرض لمعرفة الناس، وسبب هذا عدم تحققه، ولو تحقق لاكتفى بعلم الله، وصاحب هذه الحالة يحتاج إلى سياسة عظيمة حتى يخرج من حضرة الخلق إلى حضرة الخالق، ومن ادعى الشهود مع التعرف للخلق فشهوده علمي فقط، ولو كان شهوده حاليّاً لأغناه عن رؤية الخلق، أيها الحبيب كن مع الله بالله، ولا تكن مع الله بغيره، فما دام الغير موجودا وأنت بعيد والله تعالى أعلم.

ومن آداب المريد أن لا يرى نفسه فوق أحد من المسلمين فضلا عن إخوانه الفقراء، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [الحجرات: 11] صدق الله العظيم، ومن خطر بباله أنه خير من أحد من المسلمين فقد اشترك مع إبليس في المقام حيث قال ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ [الأعراف: 12]، ولا سيما إن كان يدعي الخصوصية الكبرى، فالواجب على المدعي ذلك أن يرى الأشياء كلها خيرا منه فضلا عن المسلمين، ولا يخرج من هذه الرؤية لحظة واحدة، وإن خطر بباله شيء من ذلك فدعواه الخصوصية باطلة، وعند التعرفات يعرف الصادق من الكاذب كما قيل عند تقلبات الأحوال يعرف الرجال من الرجال، واعلم أن هؤلاء القوم لهم علم بالعظمة، وكل من خطر بباله غير العظمة فهو مسلوب من نور العلم المخصوص بالإحسان مع الجميع لشهود وحدة الذات، اللهم إني أعوذ بك من السلب بعد العطاء وتقديم وتأخير الخطايا يا أرحم الراحمين يا رب

العالمين، ومن أراد بشهود العظمة على الدوام فعليه بذل نفسه لله ولا يسعى إلا في الأسباب الموجبة لحطها وإهانتها وتصغيرها واحتقارها وعجزها وضعفها وفقرها وفاقتها واضطرارها وإنزالها في كل منزل هو لها، ولا يسعى في شيء من حظوظها ظاهرا ولا باطنا، وعند ذلك تنال الروح حظها، لأن حظ النفس وحظ الروح لا يجتمعان، ومن أراد الحظوظ كلها فليلزم ما ذكرناه، وقد قالوا كلما دفنت نفسك أرضا أرضا سمى قلبك سماء سماء، وأي حظ أعظم من رفع الحجاب، فانتبه يا أخي فإن بعض الدسائس تخفى على كثير ممن يطلب القرب من الحضرة، ومن أقبحها أن يكون ظاهر العبد متصفا بالعبودية وباطنه ينظر إلى الرفعة والعز والجاه وميل الخلق إليه وإقبالهم عليه، وهذه علة قاطعة تحتاج إلى مجاهدة عظيمة وفراسة كبيرة، وقد أُخِذ منها كثير من العباد والسياح وغيرهم ممن ظهرت العبودية على ظواهرهم، وأما من لم تظهر عليه عبودية فإن كان موجب إخفائها خوف الرياء واستدراج النفس فتبارك الله وإن كان موجب إخفائها عدم معرفته بالعبودية فالله أدرى به، وينبغي لنا التسليم لجميع المسلمين، فاصحب يا أخي شيخا عارفا ماهرا في رياضة الظاهر والباطن يمدك بمد المعرفة، فيستنير قلبك بنور الحكمة وتعرف أسباب النور وأسباب الظلمة، وحينئذ اذهب حيث شئت ولا تخف ولا يُخاف عليك، والله غالب على أمره، واعلم أن حقيقة الكمال أن تشهد الحق في وجودك وليس لك وجود، وأن تنفق الدنيا وما فيها إن وجدتها ولا ترى لك إنفاق، وليس من الكمال أن تشاهد الحق أقرب من شهودك أو ترى الحق مع وجودك أو تنفق الدنيا ثم يخطر ذلك على بالك، إذ ذاك دليل على بقاء نفسك ورؤية الكون حذو أذنك، واعلم أن كل فقير متكلم ليس بعالم ولا متعلم. مِنْ علامة القلوب الخالية، الألسنُ بالألفاظ مالية. مَنْ طلب الأنوار بكسوة الأحرار، طلب الأغيار ودوام الأكدار. الإفلاس كل الإفلاس، من طلب الإخلاص بقربه للدنيا والناس. إذا قبلك وأحبك واجتباك، مَنَعَك حبهم وحبهم إياك. من علامة العلم بالله، حب الفقر والمذلة. إذا أشرقت على القلوب

الشموس، انهزمت الجوارح وفنيت النفوس. قلوب العارفين في أعلى الملكوت، ممتدة بأنوار الجبروت، إذا تكلمت سلبت، وإذا نظرت جذبت، وإذا انقبضت دفعت. إنما منع القلب من دخول المعاني، إثباته للأواني. الأكوان وصف قهريته، بها قهر غير أهل حضرته. ثم اعلم أن العالم لا يكون عالما حتى يرى خلق الله تعالى كلهم أعلم منه رؤية حال ولا تحدثه نفسه بذلك، ولا يرى نفسه إلا جاهلا مع وجود العلم: هذا هو العالم، ووجوده في هذا الزمان قليل، وكل من رأى نفسه عالما فهو جاهل لما في الحديث (من قال أنا عالم فهو جاهل)، ولا يكون الصوفي صوفيا حتى يرى خلق الله تعالى كلهم أعلم منه وأحسن حالا وأدبا وأقرب منه حضرة وأصفى منه بصرا وبصيرة وغير ذلك حالا لا علما فقط، وتظهر صحة هذا النظر حالة إذاية الخلق له وازدرائهم به، كما تظهر أيضا صحة نظر العالم عند وجود من يجهله ويتفقه عليه، لأن صاحب هذا الحال يكتفي بعلم الله، قد سلم الأمر لله، والخلقُ إنما هم ظروف لا فعل لهم على التحقيق، والصوفي الحقيقي يرى الأشياء كلها بعين التعظيم والإجلال، لكونه يراها بالله لا بنفسه، فهي عنده كلها خزانة السر والعلم والنور من حيث أشرقت عليها أنوار الحضرة الإلهية القدسية الأزلية الديمومية الأبدية، وكل من رآها بغير أنوار الحضرة فإنما يراها ظلمة، فمن أراد أن يمتد قلبه من أنوار الحضرة فليمنعه من دخول مدد الظلم عليه، ومن أراد منعه من ذلك فليمنع جوارحه من العوائد التي منعته من جميع الفوائد ومرَّرَتْ عليه سائر اللذات، ورأس العوائد الدنيا لما في الحديث رأس كل خطيئة حب الدنيا، وتركها فرض عين عند علماء الظاهر والباطن، ومن قال بعدم تركها فقد ضل عن منهاج الشارع صلى الله عليه وسلم، والعالم الحقيقي يرى المسلمين كلهم خزائن العلم وليس له علم، لأن خزانة علمه لا تفتح في هذه الدار لئلا ينقص منها شيء وإنما تفتح في دار الآخرة وترفع درجاته على غيره، والمراد من العلم التقوى، فإياك أيها العالم أن تحقر أحدا من مساكين المسلمين فإن لهم يوم القيامة برهانا عظيما وسرا كبيرا دون غيرهم وقد قال

فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لهم دولة يوم القيامة كدولة الملوك، فالواجب على كل متكبر بعلمه أو جاهه أو نسبه أو غير ذلك أن يذل نفسه لمساكين المسلمين وأن يجلس معهم، وفي الجلوس معهم فائدتان: الأولى جبر قلوبهم لما هم فيه من الانكسار فيجبر الله قلبه إذا انكسر في هذه الدار، والثانية يحشر معهم يوم القيامة، ومن حشر معهم كان في حضرة الله ورسوله في مقعد صدق، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر: 54-55] الآية، والمراد بالمتقين هنا الذين اتقوا الله في وصفه وهذه تقوى القلوب قال تعالى ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: 32] والشعائر هي أوصاف الحق تعالى، فمن اتقى أوصاف الله فقد عظمه وعظم رسوله وأولياءه وقال عز وجل من قائل ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: 28] أي وصفه، فمن أراد الله به خيرا أسكنه وصف العبودية من الذل والفقر والضعف والعجز والتواضع والانكسار وغير ذلك ظاهرا وباطنا، وحينئذ يتولى الله أمره، اللهم تول أمرنا ولا تول علينا نفوسنا يا أرحم الراحمين، فعلى العالم ألا يرى علمه، وعلى الصوفي ألا يرى حاله، وعلى العامل ألا يرى عمله، وكل من رأى علمه أو عمله أو حاله فهو صاحب كبر وعجب، وسبب العجب رؤية العلم والعمل والحال، فالعاصي لا يقع منه عجب أبدا لانكساره بخلاف الطائع قال الله عز وجل ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ أي لا يؤخذ منها الأمان من العجب ولا يأمن منها إلا من سلك على يد شيخ عارف ناصح يظهر له عللها الخفية والجلية ثم يغيبه عنها وعن عللها فافهم، وأيضا الصوفي لا يرى لنفسه وجودا، وإن رأى وجودا غير وجود الحق فقد ضل والله عن الطريق، إذ من غاب عن الأشياء لا يراها، ومن لا يراها كيف يرى غير الله تعالى، وثبوت الأكوان من غير محلها من رؤية العادة، وكيف يثبتها من محلها من لم يخرق في نفسه العادة، والغيبة عنها لا تكون غيبة إلا إذا كانت حالا لا علما كما يظن كثيرا ممن يدعي التصوف وهو في عوائد نفسه مكبل بسلاسل الأغيار والأكدار، لأن العلم لا

يخرج من رؤية السوى، ومن لم يخرج من رؤية السوى لا يجد لرؤية الحق سبيلا، لأن من رأى الحق لا يخطر بباله رؤية السوى، نعم قبل التمكين يخطر على قلبه السوى لكن كالخيالات التي يراها النائم في منامه فإذا استيقظ لم يبق لها وجود ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201]، والناس في الشهود على قسمين: قوم شهدوا الحق بالحق وهم أهل الفناء، وقوم شهدوا الخلق بالحق بعد شهودهم الحق بالحق وهم أهل البقاء، وقوم استشرفوا على التحقيق وهم على قسمين: قوم استشرفوا من باب مطالعة علم التحقيق في كتب القوم حين حصلت لهم محبة القوم والإيمان بهم فلم يزالوا على المطالعة حتى تفرغت قلوبهم فذاقوا بعض الحلاوات إيمانا وتصديقا لا حالا وتحقيقا، وقوم اشتغلوا بكثرة العبادة حتى تفرغت قلوبهم فأشرقت عليهم شمس التوحيد ولكن لم يعرفوا ذلك الأمر ما هو فزاد بهم ذلك حتى وقفوا في الحيرة فترادفت عليهم الخواطر من قبل الحضرة فظنوا أن ذلك كفرا وربما دخلتهم وساوس، ومن هنا كان دخول الخلوة من غير علم ولا إذن مضرا بصاحبه، وكذلك مطالعة غير ما هو ظاهر وغير ما هو معروف حكمه عند أهل الظاهر من كتب القوم توقع صاحبها في الوساوس والدعوى، وبالجملة فكل مريد أراد سلوك الطريق بنفسه لا يسلم من آفاتها إلا من أخذ الله بيده ورزقه الصدق العظيم، ومن أراد السلوك مع السلامة مما ذكرنا فليصحب شيخا واصلا يعرفه طريق الرياضة ويخرجه من علائق نفسه ويمنعه كل شهوة ويجانبه كل دعوى ويرغبه في دار البقاء ويحبب له اللقاء، ولا زال يرقيه في مقام العبودية وينقيه من أوصاف الربوبية فيخليك ويحليك ويرقيك ويفنيك ويبقيك ويتركك وربك، ثم تعرف في نفسك حقيقة ربك بعد تخلقك بخلق الأرض قال الله تعالى ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات: 20] إشارة إلى العبد كالأرض يباهي عليها ولا يباهي بتا، فإن كان هكذا شهد حقيقة نفسه بربه لا بنفسه، وما حجبنا عن أسرار الحضرة وأنوارها وثمارها وغير ذلك سوى عدم تحققنا بوصفنا، ولو كنا

كالأرض كما قال عز وجل لشهدنا السر المرموز في أنفسنا، فافهم أيها الأخ ما قدم لك الحق تعالى من وصف العبودية فالزمه فإنه الخير، وإياك أن تطمع في سر الآية التي بعدها ما لم تحقق بسرها أعني قوله تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 21]. اللهم أرنا حق حقيقة آياتك الظاهرة، وأنوار عظمتك الباهرة، بألطاف مواهبك اللدنية العُلوية الملكوتية التي كشفتها لأحبائك وأصفيائك، حين منعتهم ما ليس لهم، ومننت عليهم بأوصاف آداب حضرتك القدسية، فأدبتهم بجلالك في حضرة مُلكك بلطف منك يا أرحم الراحمين، فارجع أيها الإنسان لنفسك واعتبر في جسمك بعين بصيرتك لا بعين بصرك ترى جماله مرموزا في جلاله وقدرته مرموزة في حكمته، فإن أردت كشف ذلك يقينا لا علما فقط فاصحب شيخا عارفا يرفعك إلى مقام المراقبة فتتحقق بحقيقة أفعال الحق سبحانه متصرفة كيف شاء بما شاء فترتفع عنك أسباب طمس البصيرة من أنواع الجهل، ويعرفك حقيقة العبودية من حقيقة الربوبية، فتأخذ ما هو لك، وتترك ما هو لغيرك من رؤيتك عدم الحول والقوة، فترى ما منه إليك من المنة والفضل، والذي منك إليه باطل على التحقيق، ثم يرقيك إلى مقام الكشف بأحدية الذات فترى نفسك ليست بموجودة فتستغفر الله من المقام الأول حين تتمكن في هذا الثاني، ثم يرقيك إلى المقام الثالث الذي هو إثبات الأثر فترى الفرق في عين الجمع والجمعَ في عين الفرق، فإذا تحققت بذلك استغفرت من المقام الثاني، وحينئذ تتخلق باسمه الحكيم من وراء حجاب أي حجاب القهرية، ولا حجاب في الحقيقة لأنك إذا نظرت إلى رجل وعليه ثيابه فإنك تعرف حقيقة جسمه ولا تحجبك ثيابه عن معرفة جسده فبمجرد نظرك لظاهره تعرف باطنه لكونك تعرف ذلك من نفسك فإن الرجال كلهم على هيئة واحدة في الصورة غير الطباع فإنها مختلفة، ولولا اختلافها لكان الجمع فيهم ظاهرا من حيث أنهم شيء واحد في الصنعة الأزلية، فلولا الطبع البشري المغير لأنوار البصيرة لما ضلت الحكمة على أحد، إذ الأشياء كلها صنعته وحكمته

وقدرته، فهي كلها حسنة، وليس هناك شيء قبيح أو من هو أهل للقبح، ولا يرى القبح إلا الطبع البشري لكونه مركبا من حب الشهوات، وإلى هذا المعنى بالإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر) وبقوله في الحديث القدسي (مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وعريت فلم تكسني وعطشت فلم تسقني)، فتأمل يا أخي تعرف حقيقة كل شيء من باب الإشارة فضلا عن الكشف إن كنت من أهله، والله يأخذ بيد من عثر، واعلم أن الثوب شريعة البدن، كما أن الفرق شريعة الجمع، فلو كان الناس كلهم عراة لما كان عليهم سر ولا وقع العشق من بعضهم لبعض ولصاروا كالحيوان، فسِرُّ الحقيقة في وجود الشريعة، إذ الشيء لا يقوم إلا بضده، ولذلك سمى نفسه تعالى الحكيم، ومن أعظم حكمته سبحانه أن جعل الحجاب بينه وبين خلقه ليعبدوه: (كنت كنزا لم أُعْرَف فخلقت الخلق لأعرَف)، ثم اعلم رحمك الله أن ما من حقيقة إلا ولها شريعة ظاهرة تسترها كالعورة فإنها حقيقة ظاهرة وشريعتها سترها، والحقائق كلها ظاهرة لمن يعرفها، وكلها باطنة لمن لا يعرفها، ظاهرة لمن يراها ببصيرته، باطنة لمن يراها ببصره، فمن أراد صفاء بصيرته فليلزم أهل الصفاء من أهل الخفاء، ومن أهل الخفاء من يضيء نوره على الوجود كله ولا يُعرَف له قدر مثل نور الشمس فإن الناس تعودوه صغارا وكبارا وإذا قوي نورها في بعض الأوقات استعاذوا بالله من حرها وفروا من الشمس إلى الظل، كذلك الولي قد يقوى نوره في بعض الأحيان حتى يثقل على الناس النظر إليه، ولا يكثر قرب الناس إلا ممن نوره ضعيف أو كامل سترت أنواره بالشرائع وهو نادر قَلَّ أن يوجد، وأيضا أولياء الله تعالى لا يظهرهم الله إلا لأهل الصدق وهم الذين ينتفعون بهم، وإن وقع ظهورهم لعامة الناس فلا ينالون منهم سوى التبرك بهم وهو شيء عظيم، وأما الصالحون من العلماء وغيرهم فإنهم ظاهرون في كل زمان لكونهم أهل ظواهر بخلاف الولي فلا يعرفه إلا ولي، فمن كشف الله له عن حقيقة ولي فليعلم أنه أراد سبحانه أن يكشف له عن حقيقة سر توحيده، لأن الولي دليل يدل به

الحق سبحانه على نفسه، والصالحون والعلماء من أهل الظواهر دلائل يدل بهم الحق تعالى على الطريق لا على عين التحقيق، فإن التحقيق نهاية الطريق، والطريق نعت للتحقيق، وهذا هو الفرق بين أهل الظاهر وأهل الباطن، أهل الظاهر يسيرون وراء القصر يلتمسون حضرة الأحباب.

ومن آداب المريد أن لا يطلب التقديم على الإخوان ولا أن يكون رئيسا يرجعون إليه في أمورهم، فإن هذه علة خفية قد وَحَلَ في شبكتها جل المريدين، وقَلَّ من سلم من ذلك، وهي من أقبح القبائح تؤدي صاحبها إلى الفضائح، وهم في هذا على قسمين: قسم يميل إلى ذلك بقلبه ولا يحب أن يظهر ذلك على جوارحه وذلك لقربه من الإخلاص، وقسم يكون ذلك في قلبه ويظهره على جوارحه وذلك لبعده من الإخلاص وصاحبُ هذا الوصف قل أن يفلح ونفسُ هذا أمّارة ولو لم تكن أمارة لما أرادت الإمارة، ولعل صاحبها كان يطلبها قبل ذلك على العامة فلما دخل حزب الخاصة ولم تكن له نية قوية وصدق تام ولا إيمان راسخ جعل يطلب الإمارة على الخاصة، وهذا كله من عمى البصيرة وتشتيت الفكر والبعد من طريق الأخيار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقولنا لم تكن له نية قوية إلى آخره يدل عليه ما ظهر عليه من طلب الإمارة، ولو دخل بنية قوية وصدق تام وإيمان غليظ لظهرت نتيجة ذلك على ظاهره ولتحقق بأوصاف العبودية كالفقر والذل والعجز والجهل وغير ذلك من الأوصاف التي فيها رضا الحق تعالى، وينبغي لهذا المريد أن يلزم نفسه الخروج عن عوائدها وأن يصحب الذل التام في الظاهر والباطن مع الإخوان والتأخر عنهم في كل ما فيه رائحة الجاه والرفعة، وليلزم خدمتهم والأدب معهم، وليجلس في محل حط نعالهم، وليكن عبدا مملوكا لهم إن أراد أن يكون من الملوك، ولا يتقدم عليهم في شيء وإن قدموه إلا إن علم من نفسه السلامة من هذه العلة الخفية التي كانت ساكنة في باطنه، وهو يعرفها قبل صحبتهم وبعدها وهي حب التقدم والتصدر والرجوع في النظر إليه ليقال سيدي فلان رئيس الفقراء وهو بركتهم متاع الله لله يا ولي الله، وهو ليس له من الولاية سوى الحظوظ والكذب بالدعوى وغيرها. نعم أيها المريد إن غبت عن وجودك، وفنيت عن شهودك، وتحققت بمعبودك في جمعك وفرقك، وامتحت عنك الصور بشروق الأنوار، وذهبت جميع

الأغـــيار بالتمكن في حضرة الأحباب، ثم قطعت مهامه الجلال، حتى عرفت الله في كل حال، وكنت لا يؤثر فيك الذم ولا الثناء وسواء قدَّموك أو أخروك أو رفعوك أو وضـــعوك، فـــإن كـــنت هكذا وعلمت من نفسك هذا مع وجود القيام بالأوامر والنواهي وقدَّمك شيخك أو إخوانك الراسخون في الطريق فتقدمْ، فإن ذلك يزيدك خـــيرا وأدبـــا على أدب، ومن تقدم قبل هذا فقد أضر بنفسه، ففق أيها المريد من نومك، وانتبه لعيوبك، واسْعَ في تزكية نفسك، واعمل بما يرفع الحجاب عن قلبك مـــن أنواع العبودية الخالصة التي لا حظ للنفس فيها، وقد سطرنا لك ما فيه كفاية لكـــل طالـــب، والله يأخذ بيد من عثر، واعلم أن هؤلاء القوم أهل معرفة واضحة وصدور منشرحة حركتهم بالله وسكونهم بالله وكلامهم بالله وسكوتهم بالله فهم في كل شيء بالله لا بنفوسهم، فكلما تأخرتَ قدَّموك، وكلما تواضعتَ رفعوك، وكلما بعـــدت مـــن وصـــف ليس هو لك قرَّبوك، وكلما أبغضت نفسك أحبوك، وكلما حذفـــتها أثبتوك، وكلما جهلتها علموك، وكلما جعلت نفسك ذنَبا جعلوك رأسا، وكلما جعلتها سُفْلية جعلوك عُلويا، وقد قال لقمان لابنه (يا بني كن ذنَبا ولا تكن رأسا فإن الضربة أول ما تقع في الرأس) وذلك لتحققه أن الأشياء كامنة في أضدادها وهـــذه هي السنة المحمدية وقد تمسك بها كل نبيء وكل ولي، والحكمة لا تسكن في قلب فيه شيء من الزيغ ولو قدر الذرة، وقد يبرز شيء من جمالها على ظاهر القلب فيظهر على صاحبها بعض العبارات وبعض الأحوال وذلك لتفريغ القلب في بعض الأوقات، وأما سكونها فلا يكون إلا بعد صفاء القلب بالكلية فافهم.

ومن آداب المريد أن لا ينزع عنه حالة السيادة، التي هي لباب العبادة، وآلة أربـــاب الأحـــوال من أهل الإفادة، وهي التجريد ولباس المرقعة، إذ التجريد لباس الملوك، الجامعين بين الجذب والسلوك، فإن حكم عليه الحق سبحانه بنزعها فليترك عليه منها شيئا كي يتميز بحاله الشريف، وحالة الفقير وآلته المرقعة والسبحة والعصا والـــنعلين وتخريق الكلام عند ملاقات العوام لئلا يملكونه، فإذا تمكن وأراد الخروج لـــتمام السلوك فلا يخرج من الجميع، بل يترك عليه شيئا ليكون بين هذا وهذا، ولا ينزع ذلك بالكلية إلا من لا ثبات له فيه فافهم، وكل من وصل للحق تعالى من غير باب التجريد فلا بد أن يظهر عليه شيء منه عند نهايته جزما، لأن أنوار الحضرة إذا أشـــرقت علـــى القلوب أنست صاحبها على جوارحه رغما على أنفه فيظهر عليه

التجــريد وهو نسيان الجوارح، والتجريد تارة ينزل في الباطن فيخرج إلى الظاهر، وتارة ينزل في الظاهر فيدخل للباطن، فالذي يخرج من الباطن وهبي، والذي يدخل مـــن الظاهر كسبي، فالتجريد بدايات السالكين ونهاية الواصلين، فالسلوك دليل على وصـــول المتجـــرد، كما أن الجذب دليل على وصول المتسبب، فالذي يصعد من الأرض مستقره السماء، والذي ينزل من السماء مستقره الأرض، والتجريد من الدنيا وشهواتها وزينتها وسرورها طريقةُ الأنبياء والرسل عليهم السلام والكُمَّل من ورثتهم رضـــي الله عنهم، إذ لا يبلغ أحد مبلغ الرجال حتى يتركها ظاهرا وباطنا ليكون لله ظاهـــرا وباطـــنا، ومن زعم خلاف هذا فهو لم يشم لسُنتهم رائحة ولا لمنهجهم فائحة، فافهم هاهنا فهم أهل الإشارة قول الله سبحانه ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [الأعراف: 32] وأي زيـــنة أشـــرف عند الله وأعظم من ترك الدنيا والـــزهد فـــيها والقناعة منها، إذ به يحصل التحقق بالوصف الذي هو لباب العبادة كالفقر والذل والعجز والضعف وغير ذلك، ومن طلب التحقق بالأوصاف التي هي سير الأنبياء مع إمساك الدنيا فقد طلب المحال، وقوله تعالى ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ [الأعراف: 32] هـــي العلـــوم اللدنية والمواهب الربانية والأسرار الروحانية والأنوار الرحمانية والمقامات السنية والدرجات الحقيقية، فهذه وشبهها هو رزق العارفين به المحـــبوبين عـــنده المحـــبين فيه، وكل مؤمن بطريقهم يجب عليه التشبه بهم والتخلق بـــأخلاقهم الظاهـــرة والباطنة وإن لم يعرف لها معنى، فإن المقامات تعطى على قدر التخلق بها لمن كانت له نية حسنة، إذ النية تقود صاحبها لسر الأعمال (إنما الأعمال بالنيات)، وانظر إلى الرجل الذي سمع قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ ﴾ [يونس: 32] فمشى على البحر، لم يكن معه علم ولا عمل سوى نيته الحسنة ويقينه الحسن، فالمشي لم يقع منه بالعلم والعمل وإنما وقع بالإيمان واليقين، والأعمال كلها راجعة إلى الإيمان واليقين، إذ هما غاية القصد والمنى، ومن لم توصله أعماله إلى هذا فهي مدخولة معلولة. واعلم أنه لا ينبغي لنا أن ندل كل من طلب الدخول في طريقنا على لبس الخرقة أي المرقعة إلا إذا علمنا منه الصدق وتحققنا أنه لا يرجع عنها ولا يلتفت إلى الدنيا بشرط تعظيمها واحترامها وتوقيرها وأن تكون عنده في شأن كبير، وإن علمـــنا منه خلاف ذلك دللناه على شيء من التخلق بأخلاقهم حتى يظهر لنا وجه ما طلب منا ولا بأس إن أمرناه بشيء من الأوراد واتخاذ العصا بشرط القناعة

من الدنيا والميل للفقر دون الغنى والضعف دون القوة والذل دون العز والسخاء دون البخل والتواضع دون التكبر وهكذا، فإن دام على هذا ورأيناه قد صلح لما وراء ذلك دللناه عليه وإلا تركناه في مقام الانتساب على الفقراء، ولا ندخله مقام الفقراء الحقيقي الخاص بهم كأن يلبس المرقعة وشبهها لأن الخرقة تشهد لصاحبها ظاهرا بالولاية، ولذلك كان لا ينبغي لبسها قبل البعد من الشهوات، فإن لبسها كذلك عظمت عليه نفسه وطلب بلبسها حظوظه الظاهرة والباطنة وهو لا يشعر به أحد فيقع في الوزر هو ومن ولاه على ذلك، ومن هنا يقع التخليط في الطريق ويتميز أهل الدعاوي بالمشيخة فيكدرون على أهل الله وقتهم إلا من أخذ الله بيده، ولا شك أن صاحب البصيرة النافذة يعرف من يصلح للطريق ومن لا في أول دخوله عليه وقد يكون مستغرقا في بعض الأوقات فيرى كل داخل عليه يصلح للطريق فلا يحكم بالظاهر لأجل غلبة الباطن، ومن لم تكن له بصيرة لا ينبغي له أن يدل أحدا على دخول الحضرة وإن كان من أهلها إلا إن كان يتذاكر مع الجميع دون أن يخصص أحدا على دخول الحضرة، فإن كل مؤمن يجب عليه أن يسمع ممن هو أعرف منه وواجب عليه هو أن يذكره الله إن كان أعرف منه قال تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43]، وكل من هو أحسن منك حالا لا مقالا فقط فهو من أهل الذكر، لأن صاحب المقال دون الحال لا ينتفع به غالبا إلا إن كان باقيا على الفطرة التي ولد عليها وقليل ما هم، وإنما ينتفعون بأهل الحال والمقال وقليل ما هم.

ثم اعلم أن الفقر على أربعة أقسام: قسم بالرضا والعلم والحال وهو أعلى، وقسم بالعلم والرضا دون الحال، وقسم بالعلم والصبر دون الرضا والحال، وقسم بالصبر دون العلم والرضا والحال، فصاحب الصبر والعلم إذا خرجت عليه الدنيا نجى منها لوجود الصبر الذي هو ناشئ عن العلم، وصاحب الصبر من غير علم إذا خرجت عليه الدنيا فإنها تأخذه لا محالة، وهذا الفقر كله محمود، والفقر الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي لا يكون مع صاحبه علم ولا صبر فضلا عن الرضا به فإنه يريد دفع ما أراده الحق تعالى، وهذا هو الجهل المركب، ولا يكون هذا في مسلم قط وإنما يكون في الكفار، لأن المسلم لا بد أن يكون معه شيء من الرضا والصبر فافهم، وكذلك لا ينبغي لنا أن ندل إخواننا الفقراء الملازمين لنا على الراحة والهناء قبل الوصول، لأن السائر إذا سكت عنه شيخه يقع له الكسل والعجز فيحصل له الملل من الرياضة فيرجع إلى أدنى رتبة العوام وإن رجع للرياضة وأراد قتل نفسه فلا

يقــدر لـــشدة تمكنها منه، فالواجب علينا أن ندل الكل على الرياضة من السائرين والواصــلين لتكون الطريق مصونة، ومن الآفات مضمونة، فالواصل لا مجاهدة له في شرائع الخواص والعوام، والسائر يقوم بمجاهدة الخواص ومجاهدة العوام إن كان قويًّا وإن كـــان ضعيفا فعلى قدر ما يطيق منهما ولا نأمره بمجاهدة الخواص وحدها أو مجاهــدة العــوام وحدها بل لا بد منهما، لكن إن كان كثير الصدق أمرناه بشرائع الخواص وشيء من شرائع العوام، وإن كان قليل الصدق أمرناه بشرائع العوام وشيء قلــيل من شرائع الخواص، فإن عظم صدقه جذبه الحال لكمال شرائع الخواص، ثم يجــره الحال الثاني لكمال شرائع العوام، فشرائع الخواص التجريدُ ظاهرا وباطنا من الــشواغل والعوائق والعلائق والتغلغل في علم الحقائق، وشرائع العوام إدامة الصلاة والصيام. وكذلك لا ينبغي لنا أن نرخص لمن علمنا منه الصدق في طلب الحق تعالى في شـــيء من الدنيا، فإن الرخصة فيها تفسد عليه صدقه، ولا بأس أن نرخص له في شيء منها بعد الوصول لأنها لا تضره، وكذلك نرخص في شيء منها لمن علمنا منه ضــعف اليقين وقلة الصدق فإذا قوي يقينه أمرناه بالانسلاخ منها لتنسلخ منه هي بالكلــية، لأن مـــن انسلخ منها مع وجود اليقين انسلخت منه لا محالة فيسير سيرا مـــسرعا كالذي هو في الطريق مسافر ولا عليه سوى ما هو ساتر عورته فإنه يقطع المـــسافة البعــيدة في ساعة قليلة، وأما الذي يميل إليها بقلبه ويتبعها بجوارحه فهو كالـــسائر في الطريق وعليه ثقل شديد والمسافة بعيدة فإنه لا يرى أين يسقط، ولا شيء يقطع المريد ويعثره على المسير مثل الميل إلى الدنيا، وبالجملة فما نجى منها أحد سوى الواصلين، وقليل ما هم، والله تعالى أعلم. وكذلك لا ينبغي لنا أن نمدح كـــثيرا من السائرين إلى الله سبحانه لأن ذلك يضرهم وينقصهم لأجل العلة الباطنة الـــتي هـــي حب المدح والجاه والرفعة وغير ذلك فلعدم تحققه بالإخلاص إذا سمع الـــشيخ يمدحـــه حمل ذلك على غير ما أراده الشيخ فيطيش إلى الكمال فتزل قدمه فـــيهلك، فـــلا إلى النهايات وصل، ولا هو في البدايات بقي، إذ السائر نفسه حية بخـــلاف الواصـــل فإنه إذا مُدح زاد محبة وتواضعا وحياء من الله ومن الشيخ فيرى نفسه ليس بأهل للمدح وذلك لوجود إخلاصه وشدة صدقه وكمال تحققه، وتأمل حالـــة الكمَّـــل رضي الله عنهم يظهر لك صحة ما ذكرناه ألا ترى أنهم إذا مُدحوا بـــادروا إلى العبودية شكرا لله عز وجل وخوفا أن يكون ذلك استدراجا، حتى إن العارف الكامل يخاف أن يخرج من وصفه فيموت كما يخرج الحوت عند إخراجه

من الماء، بخلاف من مُدح ونفسه حية فإنه يُخاف عليه أشد الخوف لأنه لا يعرف قدر المدح ولا مراد من مدحه فيحمل ذلك على ظاهره كما تقدم فلا يزال في النقص حتى يرجع إلى حالة العوام ويحصل له الرضا عن نفسه فيخسر خسرانا مبينا والعياذ بالله من ذلك، نَعَمْ إن علمنا من بعضهم وتحققنا أنه لا يسير إلى الله إلا بالمدح لضعف صدقه وقلة تحقيقه فهذا لا بأس أن يمدح مدحا خفيفا قليلا، وأما المدح الكثير فإنه يضره وينقصه، وأيضا كثيرا من الناس إذا مُدحوا حدثتهم نفوسهم بحديث الكمال فيسمعونها لقرب عهدهم منها فيسيرون بسيرها وهم لا يشعرون، ويا ليت صاحب هذا الحال أن يتأمل بعقله في خطابها ويقول لها ما معنى هذا إن كان منك نصحا لي فساعديني على الأدب والمسكنة والحياء والخوف وترك الحظوظ فإن كل مقام أو حال تواضعنا لله فيه وحقرنا أنفسنا أن نكون له أهلا حققنا الله به أحببنا أم كرهنا، وإن كان هكذا فاللائق بنا أن ندع ذلك حتى يأتينا فنتحقق بما أشار به لنا شيخنا رضي الله عنه تحقيقا لا شك فيه، أو يقول لها إن الشيخ لما رأى منا الجنوح إلى الكمال ونحن في النقص مدحنا لنتأمل في أفعالنا وأحوالنا هل هي موافقة لما قال أم لا فإن كانت موافقة حمدنا الله تعالى وشكرناه وزدنا رجوعا إلى العبودية وإن كانت غير موافقة لذلك انتبهنا واستيقظنا من سكرات الغفلة ونرجع ونستعين بالله ونصبر ونعلم أن مراد الشيخ بمدحنا أن يوقظنا وينبهنا بالمدح لقلة صدقنا، ولو نبهنا بالذم والزجر عن ما نحن عليه لربما وقع الفرار من الشيخ فافهم، وبالجملة فواللهِ إنه لقليل السلامة من مُدح ونفسُه حية، ولا يتفطن لما ذكرناه إلا الصادق الحاذق الذي أحرقت نار الصدق كبده، وهو قليل الوجود، وقد يُمدح بعض الأخيار ويُشار إليه ببعض المقامات العلية وهو عار عنها فيزداد محبة وحياء وخوفا وتواضعا وسخاء بنفسه وماله إن كان له مال ولا يقع له الرضا عن نفسه قط ولا يراها أهلا لشيء من ذلك حتى يصل إلى تلك المقامات التي أشار الشيخ بها إليه، وقد رأيت من الإخوان من هو على هذا الحال فلا يرى نفسه أهلا لكل ما مُدح به، فاحذر يا أخي إذا مدحك الشيخ أو الإخوان أن تقف مع ذلك وقلْ لست أهلا لذلك، وإن ذموك فقل هذا وصفي تنجح وتسلم من دخول آفات الجهل، وقد يمدحون رضي الله عنهم الضعيف ليتقوى على ذكر الله، ولا يمدحون الأقوياء ولا يلتفتون إليهم لشدة صدقهم فافهم، فالعاقل من أعطى للمجاهدة حقها وألزم نفسه وصفها، والأحمق من أتبع نفسه هواها وطلب مع الأكدار صفاءها، ومن علامة حياة النفس إذا مُدح

صـــاحبها حيي بحياتها أي انبسط وإذا ذم مات بموتها أي انقبض، ومن علامة موتها وفنائها واضمحلالها إذا مُدح زاد وإذا ذم زاد، فلا يرى مدحا ولا ذما لشدة يقينه في ربــه وشـــهوده لقربه، ثم لتحققه أن الله تعالى إنما أبرزه لعبادته لا غير لم يزل على العهد لا يراعي إلا صفاء قلبه في عبادة ربه، ليس له خوف من نار ولا طمع في جنة، قـــد امتحى من قلبه شهود الخلق، ومن لم يبلغ شهود التحقيق بالتحقيق لم يمتح من قلبه جمال الجنان ولا جلال النيران لرؤية الحق، ومن لم تمح من قلبه صور الكائنات لا يشم رائحة العلوم اللدنية والأسرار الغيبية، ولو أنه زال ولم يشهد لنفسه حولا ولا قـــوة بل ولا وجود أصلا كما هو نفس الأمر لخلصت عبادته ولظهرت عليه نتيجة الزوال ولاندرج في مقام الكُمَّل. أرحْ قلبك من رؤية الخلق وأذنك من سماع كلامهم المليح والقبيح، ترحْ وتسترحْ، ويكون نظرك غير قصير، وعقلك غير صغير. وينبغي للمـــريد أن يسير نفسه على ما تكره من شدة الفاقة والمذلة، وأن يقصد بها مواضع الذم دون المدح، ومواضع المنع دون العطاء، ويلزمها ذلك حتى ترجع إلى وصفها وتمتزج معه ويمتزج معها، فتعرف قدرها، وحينئذ لا تطلب وصف العلو قط، وكل نفس طلبت وصف العلو فهي غير متحققة فافهم.

واعلم أن حب المدح دون الذم والغنى دون الفقر والعز دون الذل إنما هو من غلبة رؤية الخلق لا غير، ولو فنا فناء سرمدا لرأى المدح والذم اسمان لشيء واحد، حتى إنه إذا نودي يا زنديق أجاب، وإذا نودي يا صديق أجاب، لأنه ماء الزجاج كل واحد يرى وجهه فيها فيخاطب كل واحد باسمه أي بوصفه، وإلا فهو لا اسم له في التحقيق، فافهم هكذا يكون العارف وإلا فلا، والتعرض للإذاية جائز عند القوم بل هو مطلوب لأنه موجب لصفاء قلوبهم وموت نفوسهم، وقد جاء في تحمل الأذى والصبر عليه فضل كبير وخير كثير، هذا فيمن أصابه شيء من ذلك قهرا عليه فكيف بمن رضي بذلك وتعرض له اختيارا منه، وقد قال صلى الله عليه وسلم (أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، فقالوا وما كان أبو ضمضم يا رسول الله، قال كان إذا أصبح وأراد الخروج من داره قال اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك) فكان يؤذَى ولا يؤذِي، وخذ هذا المعنى من قوله تعالى لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام حين أرسلهما إلى فرعون ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾

[طه: 46] لأن الحق تعالى أمر سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام بحمل إذاية فرعون لإخراج الناس من يده ليكونوا لله لا له، كذلك الأشياخ رضي الله عنهم أمروا المريدين بحمل إذاية الخلق لإخراج نفوسهم من الطبع البشري ليكونوا لله لا لنفوسهم، والنفس هي فرعون المريدين، لأن فرعون كان يدعي الربوبية ظاهرا والعياذ بالله، والنفس المتكبرة تدعيها ادعاء خفيًّا من حيث لا يشعر صاحبها، فانتبه يا أخي من سكرات الغفلة، والزم نفسك وصفها، وجاهدْها في الله حق جهاده، ليعينك الله على التحقق بوصفك، ومن علامات موت النفس والتخلص منها بالكلية أن يعمل صاحبها أعمالا كثيرة من أعمال أهل الإخلاص ولا تعظم في عينه بل ولا يرى شيئا منها ولو مقدار ذرة، وهذا هو العمل المقبول، ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: 10] أي يغيبه عن عينه بمعنى يحجبه عنه ليكون اتكاله على الله لا على العمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعملوا ولا تتكلوا) فدل على الإخلاص بالتبري من العمل بعد العمل، لأن المخلص هو الذي لا يرى لنفسه عملا مليحا كان أو قبيحا، وإن شئت قلت المخلص هو الذي إذا مُدح لا يزيد وإذا ذم لا يزيد، وهذا هو الشاهد الحقيقي على زوال الزوال، وهو لا يحصل إلا بعد تبري النفس من وجود جميع الحس، فافهم.

(فصْل): واعلم أن وقتا من الحضور برفع الستر أفضل من عبادة العمر كله من وراء الستر، فمن تمام نعمة الجليل أن يرزقك الحضور المتصل، وانظر إلى قوله عليه السلام (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة) والفكرة هي الحضور أو ما ينشأ عنها الحضور، فأول عبادة القلب الفكرة ثم النظرة ثم السكون في الحضرة، فمن لم يعبد الله بقلبه فليس بعابد على التحقيق، وإن شئت قلت الفكرة مفتاح، والحضور باب، والحضرة دار، فمن تمسك بالمفتاح لا بد أن يفتح، والفكرة فكرتان: فكرة أهل الدليل والبرهان وفكرة أهل الشهود، ولا تحصل فكرة أهل الدليل إلا لمن تفرغ من حب الدنيا وأقبل على العبادة، ولا تحصل فكرة أهل الشهود إلا لمن تفرغ من حب الدنيا ومن حب الآخرة ليكون فكره بالله، وفكرة أهل الدليل في الله من حيث

إنهم شغلتهم الأكوان عن مكونها لبعدهم عنه، وسبب بعدهم العمل على الجزاء، فتاهت فكرتهم في الصنعة، فوقفوا على جسر الرجاء والخوف وذلك لاعتمادهم على العمل، ولو أنهم تخلصوا لغيبهم الحق عن الرجاء والخوف لكانوا عبيد الله حقًا ولرفع عنهم الحجاب الموضوع عليهم من أجل الجزاء، ولو أنهم افتقروا إلى أطباء القلوب ودفعوا إليهم نفوسهم لعرفوهم بحقيقة العبادة ولصاروا كالكيمياء يخرقون الهند بالنظراء، فما حجب الخلق عن الله سوى ظنهم أنهم موجودون فعملوا عمل البر لنفوسهم وانتظروا رفع الحجاب، وأي حجاب أعظم من وجودهم، إذ لو فقدوا نفوسهم لما احتاجوا إلى كثير العمل، فالقليل يعود كثيرا، فما حصل التعب والمشقة إلا من عدم فقدان النفس، فلو فقدت لحصلت الراحة مع وجود المشقة والتعب في الظاهر، وأي تعب على من هو بالله، وأي راحة لمن هو بنفسه، وأهل الشهود فكرهم بالله غيبهم الحق تعالى عن نفوسهم وعن جميع الكائنات فخلصت لهم العبادات لوجودهم إياه وفقدانهم لنفوسهم، ولو أنهم شهدوا غيرًا ما قدروا على شيء من الإخلاص ولو كان الواحد على عبادة الثقلين، فما طلب الحق سبحانه من المخلصين سوى قلوبهم حتى لا يتصور فيها غيره، فكانت ساعة من هؤلاء خيرا من عبادة سبعين سنة وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه السلام (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة)، فانظر رحمك الله ما في الحضور من السر والخير، والزمه بجوارحك وقلبك فإن له وقتا لا يسعه عقل عاقل ولا يفهم معانيه حافظ ناقل، وقد ينتهي بصاحب الحضور حتى لا يعرف اسمه ولا اسم غيره ويبقى جسمه كالحجر الصم إن ضربته لم يحس، وقد يجد لذلك الضرب حلاوة خاصة، وكيف لا يجد الحلاوة من شهد يد الحق تضربه، وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى، ولذلك قيل الأحجار من يد الأخيار أثمار: هذا قول أهل الفناء في المخلوق فما بالك بأهل الفناء في الخالق، ولا تحسبن الحضور بالعلم لا والله إنما الحضور بالحال، إذ مثل الحضور بالعلم كرؤية الجائع الطعام الممنوع منه فافهم. وينبغي لطالب الحضور أن يسلك على يد شيخ ذي همة قاطعة إذا ذكَّرك سيَّرك وإذا نظرك غيَّبك وإذا همَّ بك حفظك ورعاك ومنعك تدبيرك واختيارك وعَرفك بقبيح أفعالك ورقاك إلى مقام كمالك والله غالب

على أمره، ثم لا يزال يسلك بك مسالك الشهود حتى يقف بك على الحدود فتعرف قدرك من قدر المعبود ثم تركع ولا تقطع ثم تسجد ولا ترفع فإذا كمل أدبك ناجيته من وراء الستر، ويكون هذا الستر من تمام السرور، وهذا لا يحصل إلا لمن قطع جميع العلائق، وصبر على إذاية الخلائق، وكملت فيه الشرائع والحقائق، وإياك يا أخي أن تطلب هذا مع القرب إلى الدنيا وأهلها والميل إلى زينتها وشهواتها ولذائذها، وذلك طلب المُحال، وقد يكون الرجل مقصرا من الدنيا ومعرضا عنها بجوارحه ولكن لم تظهر عليه ثمرة التقصير، والعلةُ في ذلك الترددُ والالتفات إلى الشهوات التي منعت القلوب من دخول الأسرار وشروق الأنوار، فإن منع نفسه التردد وقطع عنه الالتفات وقع اليأس منها فتنكف الجوارح قهرا، وكذلك القلب يمتنع مما امتنعت منه الجوارح ويقع له اليأس من مساعدة الجوارح فيحصل له الانكسار ويتذلل بتذلل الجوارح وانكسارها فيرجع إلى الله ورعايته لتحققه أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فتحصل له النصرة بعد الذلة ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ فاعمل يا أخي على هذه السياسة فإنها سبيل إلى الحضور، واقربْ من أهله واصحبهم واعرف قدرهم ليعرفوك قدرك، فإن قدرهم عند الله عظيم، والذي حجبك عنهم جيوش نفسك الساكنة في فؤادك وجوارحك فأهانتك وَصغَّرتك وحقرتك وضعفتك وملكتك للأشياء بعد أن كانت هي مملوكة لك وخادمة لك، ومن هنا ورد (من عرف نفسه عرف ربه)، فاسْعَ يا أخي في ملاقات العارفين الموحدين المجذوبين السالكين ليجذبوك عنها ويسلكوك به لا بك حتى تصير عنها حرًّا وله عبدا، فتخرج من حضرات الأكوان إلى حضرة المكون، ثم ترجع إلى حضرة الأكوان بحضور حضرة المكون: وهذا مقام نفيس وهو المعبر عنه بمقام البقاء، واعلم أن احتمالك لإذاية الخلق أو تقول غيبتك عنها وهو أبلغ إنما هو لغيبتك عن شهود نفسك ووجود حسك، وعدم احتمالك لإذاية الخلق إنما هو من شهودك لها وتعظيمك إياها، ولو أنك غبتَ عنها لصغرت في نظرك ولرأيت عزك في ذلها وإهانتها، وكل من حضر علم التحقيق صبر واحتسب ورضي لمراقبة الحق تعالى في

خلقه، لأن العبد إذا راقب الله تعالى استحيى منه أن يؤذي عبيده، فالزم يا أخي مراقبة الله تعالى والحياء منه والخوف من سطوته وقهريته المقهور بها كل أحد، وراقب الله تعالى في خلقه، وتحملْ ما ظهر من الأغيار والأكدار، ولا تنظر للأفعال، وانظر للفاعل المختار، واغسل يا أخي مرآة قلبك من جنبات رؤية أفعال الخلق، وطهرْ نفسك من أوصاف بشريتك تشرقْ عليك أنوار روحانيتك، فتعظم مراقبة الله تعالى في قلبك، إذ نتيجة المراقبة رؤية الأفعال كلها من الله، ومن لم يرَ الأفعال كلها من الله ذوقا وكشفا فمراقبته ليست بساكنة في قلبه وإنما هي عن ظاهر قلبه، وسكون المراقبة في القلب ينشأ عنه المشاهدة وهي ألا موجود على الحقيقة إلا الله: كان الله ولا شيء معه، لي وقت لا يسعني فيه غير ربي، لم أرَ عند رؤية ربي أحدا من خلقه، إلى غير ما ورد في معنى العيان، وقال بعضهم لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى أشهده، وقال آخر محال أن تشهده وتشهد معه سواه، إلى غير ذلك، فالمقام الأول وهو مقام المراقبة لخاصة أهل الظاهر، والثاني وهو مقام المشاهدة لخاصة أهل الباطن، وعلامة المراقبة القلبية التي لا يشاهد صاحبها فاعلا إلا الله حسنُ الظن وحسن الخلق وحب المؤمنين أجمعين ولا يسمع قول أحد في أحد ولا يظهر ما في أحد لأحد من القبائح إن اطلع عليها، وأما المحاسن فلا بأس بإظهارها، وقد يتحتم عليه إظهارها تخلقا بأخلاق الحق تعالى، إذ الحق تعالى يستر على عبيده القبائح ويظهر عليهم المحاسن لأنه رب غفور، وهذه أخلاق الصالحين، وأما أهل الشهود فقد اشتملوا على جميع المحاسن الظاهرة والباطنة وهم غائبون عنها في حال وجودها لشدة إخلاصهم وإفلاسهم من نفوسهم، فافهم ذلك وتأمله، والله على كل شيء قدير.

(فصْل) واعلم أن الحق سبحانه يؤيد هذا الدين بأهل الخراب من الخاصة، ولولاهم لوقع الخلل، إذ الإخلاص الكامل هو في أهل الخراب وأهل البلايا من الخاصة، ومن لم يظهر فيه الخراب فلا يخلو من البواقي وإن كان عارفا، لأن الإخلاص التام لا بد أن يظهر على صاحبه ظاهرا مثل عدم المبالاة بجوارحه فلا يكترث بمرض أو فقر أو غير ذلك مما يدل على عدم رؤية السوى، فإن من تخلص

لا يكترث ولا يبالي على أي حال كان سُفليا أو عُلويا فقيرا أو غنيًّا عالما أو جاهلا ذليلا أو عزيزا مريضا أو صحيحا غائبا من الأحوال في المُحَول، ومن قال أهل الحضرة لا يشترط فيهم هذا فوالله ما عرف أهل الحضرة فضلا عن الحضرة، إذ الحضرة رؤية جماله وجلاله، وكيف تحصل للعبد ولا يظهر عليه دهش ولا خضوع ولا ذل ولا إغفال عن نفسه ولا إهمال لها هذا محال ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ صدق الله العظيم، واعلم أن أرباب الأحوال لا يرتكبون أمرا ولا يستعملون شريعة من شرائعهم إلا وذلك مأخوذ من الآيات والأحاديث، لكن تارة يأخذون بظاهرها، وتارة يأخذون بباطنها، والغالبُ عليهم الأخذ ببواطنها إذ هم أهل البواطن، وظاهر الآية والحديث قد يكون فيه رخصة للضعفاء وأما باطنها فإنه يشير إلى الإخلاص التام، فإياكم يا معشر الفقهاء من الاعتراض على أرباب التوحيد الخالص فإنهم ما حملهم على الشطح والرقص والصياح والبكاء والفرح والبسط إلا ما كوشف لهم من عالم الغيب في صفاء مرآة قلوبهم حين وَفوا بحق العبودية التي لا حظ للنفس فيها مثل الزهد في الدنيا والمسكنة والسخاء والذل والصبر وحمل إذاية الخلق والفقر والفاقة والعزلة والصمت وغير ذلك مما هو مناسب للعبد، وطرق أهل الحقائق على عدد أنفاس الخلائق، وأهل الرسوخ والتمكين يعرفون ذلك، وهذه الشرائع التي استعملوها مثل السؤال وغيره إنما هي لخروج النفس من عوائدها لا غير، ومن عوائدها ركونها إلى الناس وركونهم إليها، ولو لم يكن في السؤال إلا دفع الناس عنك ودفعك عنهم لكان كافيا، وما من حقيقة مباحة إلا وفيها وصف من أوصاف العبودية إلا السؤال فإنه جامع لها كلها لكن إن كان مع شروطه وفيه حقيقة كبيرة ولا يبلغ تلك الحقيقة إلا أهل التجريد، وكذلك ما يوافق السؤال من الحقائق المباحة التي تثقل على النفوس، وما اختاروا السؤال إلا لكونه الغاية في قتل النفس مع كونه من الأمر المباح ولأن سيوفه قاطعة وأنواره ساطعة ومقاماته علية وحقائقه جلية، فبقدر ما يتذلل العبد لربه بنية التخلص من نفسه والتواضع لله يعزه الله ويرفع قدره، وقد قالوا كلما دفنت نفسك أرضا أرضا سمى قلبك سماء سماء، ونتيجة

السؤال الذل والفقر وغير ذلك من أوصاف العبودية، ولهذه الأوصاف شريعة وحقيقة، فشريعة الذل التذلل لله ظاهرا وهو الذي اشترك فيه العامة والخاصة كالصلاة والصيام والتضرع والبكاء وغير ذلك مما هو مشهور عند العوام والخواص، وحقيقة التذلل لله باطنا وهو خاص بالخواص وهو افتضاح عورات النفس على رؤوس الخلائق وهذا هو الذل باطنا ولو كان ظاهرا ما أنكره العامة، فكان باطنا عند العامة، ظاهرا عند الخاصة، ظاهرا عند أهل القلوب، باطنا عند أهل الجوارح، ومن لم يصل إلى الحقائق المباحات فليس هو من أهل التجريد، وكثير من الناس سلكوا الطريق إيمانا وتصديقا بالتجريد وليس لهم فيه قدم ظاهرا ولهم فيه قدم باطنا، وعلامته أن يقف صاحبه ويرجع عن الدنيا ولا بد أن تظهر أحوال هذه الحالة على صاحبها مثل السخاء المتصل والتواضع والصبر والنية والصدق وحب الفقراء والمساكين والميل إليهم دون غيرهم والقرب منهم دون غيرهم والسخاء معهم أكثر من غيرهم واستحسان أحوالهم الظاهرة والباطنة والتشوف لمقامهم على الدوام وهذا لا بد أن يسلك الطريق إيمانا وتصديقا، ولكن شتان بينه وبين من سلكها حالا وتحقيقا، والتجريد مقام عبيد العبيد، لا يقيم فيه إلا صادق شديد، يصبر صبر الحديد، حتى يرجع عنده المر لذيذا، والسؤال شريعة في حق الخواص بعد الفاقة والاضطرار والإذن من الشيخ، ومن لم يكن له إذن فلا يتقدم إليه، وإن كان له توكل ويقين فلا عليه وجد أو فقد، وإن كان ضعيف اليقين فليستعمل سببا خفيفا تطمئن له النفس حتى يعظم يقينه ويتركه السبب، فإذا تخلص من الاهتمام بالرزق وتعلق قلبه بالحق رجع حينئذ إلى شيء من الأسباب الخفيفة ليكون حرًّا عنها عبدا فيها له لا لها، وهو حقيقة في حق العوام لمن لا فقر له فافهم، والسؤال على ثلاثة أقسام: فسؤال العامة وسؤال الخاصة وسؤال خاصة الخاصة، فسؤال العامة لقوت أشباحهم، وسؤال الخاصة لقوت أرواحهم، وسؤال خاصة الخاصة لسَعة أسرارهم، وليس للخاصة أن يسألوا كلهم ولا لفقراء العامة أن يسألوا كلهم، بل مباح للخاصة لمن أخذه عن شيخ واصل عارف بمفاتح الحضرة كلها، لأن الحضرة لها بعض المفاتح شرائع، بعض المفاتح حقائق، والشرائع لها حقائق باطنة لا يعرفها إلا هم، كما أن

الحقائق لها شرائع ظاهرة لا يعرفها غيرهم، فإذا جاءهم مريض بعوائد نفسه نظروا إليه بعين البصيرة فإن كانت نفسه أمارة استعملوا له حقائق مباحة كالسؤال وغيره مما يثقل على النفس، وإن كانت لوامة استعملوا له شرائع مسنونة ومستحبة كالزهد والورع والعزلة والصمت، ولا يزالون في معالجته حتى يصل إلى حضرة مولاه وحينئذ يقطعون عنه المباح، ومن الحقائق المباحة السؤال فإن رأى الشيخ في بعض المريدين أن مفتاحه السؤال دله عليه لما فيه من الذلة والإهانة وسقوط نفسه من عينه بسقوطها من أعين الناس، وهو مباح في وقت الحاجة للخاصة والعامة، لكن للعامة بشرط عدم القدرة على الكسب وأما مع القدرة فلا يعذرون وفيهم ورد أنهم يُبعثون وليس في وجوههم مزعة لحم، بخلاف الخاصة فإن لهم عذرا شرعيا وهو اشتغالهم بذكر الله وحرصهم على حفظ قلوبهم من أن يدخلها غيره لعلمهم أن ما اشتغلت به الجوارح حتما تشتغل به القلوب، فتركوا الأسباب واستعملوا منها ما خف وما لا شهوة للنفس فيه وهو السؤال لأنه لا حظ لها فيه بل ولا تقدر أن تلتفت إليه ولا تحب أن تسمع حسه لما فيه من الذلة والإهانة، لأن السائل سيره ذل وكلامه ذل ولباسه ذل، وما سكن أحد وصفه اختيارا إلا ونَشَر الحق سبحانه عليه رداء وصفه قهرا عليه، وقد بلغنا أن نبيا من أنبياء بني إسرائيل كان فقيرا في أول رسالته وكان إذا جاع وقف على أبواب بني إسرائيل يسأل شيئا فشق ذلك عليه فقال إلهي خزائن رزقك مليئة لا تعجز عن غنائي فلو أغنيتني عن بني إسرائيل فأوحى الله تعالى إليه إذا كانت هذه السياسة في خلقك مع بني إسرائيل وأنت محتاج إليهم فكيف لو أغنيتك عنهم، فتأدب وصبر حتى أغناه الله وعادت بنو إسرائيل كلهم يأكلون معه سماطه انتهى، فتأمل حال هذا النبي الكريم لما عرف الله في نفسه دله الحق سبحانه على أن يعرفه في جنسه، فما مراد الحق تعالى منه السؤال من خلقه وإنما أراد أن يعرفه في خلقه، فلما عرف مولاه في نفسه وجنسه غاب عنهم فيه كان الله ولا شيء معه، وهذه هي المعرفة بالله ولله وفي الله، إذ المعرفة على ثلاثة أقسام: معرفة في النفس دون الجنس، ومعرفة في النفس والجنس، ومعرفة بالله ولله وفي الله، فالمعرفة في النفس معرفة العلم به والتصديق والإيمان به وبأوليائه وهو لأهل

البدايات، ومعرفة في الجنس التعرضُ للتعرفات من الخلق اختيارا وهذه معرفة أهل العمل بالعلم وهو مقام السائرين، ومعرفة بالله ولله وفي الله معرفة أهل الحال فلا مجاهدة لهم في العلم ولا في العمل لأن علم التحقيق وعمله امتزج مع دمهم ولحمهم من شدة الحال وهذا حال أهل الرسوخ والتمكين وهو مقام الإحسان المعبر عنه بالبقاء. وسؤال الخاصة المستغرقين في بحر الذات مباح في وقت الحاجة وفي غير الحاجة لغيبتهم عن الخلق وعن الرزق لأن الحق تعالى كشف لهم عن عظمته وكبريائه فدهشوا وغابوا عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب، مَلكتهم الأحوال في الأقوال والأفعال، فلا معرفة لهم بالسكر ولا بالصحو، إذ لا يعرف السكر إلا صاح، وإن دامت بهم الغيبة سقط عنهم التكليف، لأن التكليف مع وجود العقل، وكل مستشرف فهو صاحب سُكر، والناس في السكر على ثلاثة أقسام: قسم مطموس الأثر مستغرق على الدوام، وقسم تارة بتارة، وقسم ممزوج السكر بالصحو من أول قدم، وغالبهم وأكثرهم يكونون تارة بتارة، رضي الله عنهم أجمعين، ولا يباح السؤال لخاصة الخاصة في بعض الأوقات وذلك حالة وجودهم لقوت أجسادهم وأرواحهم لأن الشريعة تطالبهم بالقيام بحقها كما أن الحقيقة تطالبهم بالقيام بحقها، بخلاف الخاصة فإنه مباح لهم في كل وقت لأن الحقيقة تطالبهم بالقيام بحقها أكثر مما تطالبهم الشريعة، لأن الشريعة تطالبهم بالمهم فقط إن كان لهم صحو، فالشريعة باب، والمراد من الباب الدخولُ عليها للدار لا الوقوف فيها، فإن دخلوا كان ذلك مرادها منهم، فمن كان معه صحو حالة سيره فالواجب عليه شكر الباب أعني الشريعة كما يجب عليه شكر الدار أعني الحقيقة، ومن لم يكن معه صحو فلا يطالب بالقيام بالشريعة قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ [النساء: 43] فالصلاة الحسية إنما هي باب للصلاة المعنوية كما تقدم ولا شك أن الجمع بين الصلاتين أمر عظيم والجامعُ بينهما ولي كامل، ومن كانت عنده صلاة المعنى فقط فهو ناقص بالنسبة لمن جمع بينهما، ومن كانت عنده صلاة الحس دون صلاة المعنى فهو ناقص بالنسبة لمن عنده صلاة المعنى فافهم، فإن قيل إن السؤال حرام لمن عنده كفاية قلنا الخلق كلهم يطلبون الرزق وإنما يتفاوتون في الاعتقاد على

قسمين عامة وخاصة، أما الخاصة فإنهم يعتقدون أن الرزق من الله تعالى سواء كان السبب أو لم يكن وحالُهم في عدم السبب أقوى لكون خواطر هم الرزق تنقطع وتذهب عروقها بالكلية ولا ينقطع ذلك إلا بترك أسباب الدنيا بالكلية أو بوجود شيء من الأسباب مع التوكل على الله سبحانه، فالأول مقام الزهاد والعُبَّاد، والثاني مقام العارفين الجامعين، وقد يكون من العارفين من لا يقدر على شيء من الأسباب في بدايته لشهود مسببها فإذا انشرح قلبه واتسع وعرف الحق ظاهرا وباطنا أمده الحق تعالى بالقوة على الأسباب فيكون حاملا لها من غير مشقة ولا تعب وهذا حال من فني عن نفسه وبقي بربه، فمن صحَّ بقاؤه كما ذكرنا فالواجب عليه شيء من الحركة الخفيفة سترا للقدرة وأدبا معها، وأما اعتقاد العامة فهو ظاهر فقط ولو دخل ذلك الاعتقاد إلى صميم القلب لتركوا الأسباب وإن وجدت كانت خفيفة كما تقدم، وحيث كان الاعتقاد في ظاهر القلب فقط كانت أسبابهم كثيفة ثقيلة غليظة شديدة وذلك من ضعف اليقين الساكن في صميم القلب، إذ كلما عظم السبب ضعف اليقين، حتى يستولي حب الدنيا على ظاهر القلب فتعظم الشكوك والأوهام وغير ذلك حتى يصير ذلك اعتقادا ويرى أنه إذا لم يكن سبب مات جوعا ولا سيما من استغرق الأوقات والأيام والشهور والأعوام في الأسباب حتى عادت آخرته بعضا من دنياه فربما يكون اعتقاد هذا أن الرزق من الأسباب لا من مسبب الأسباب والعياذ بالله، وسبب هذا كله خروج نور التوكل من القلب، لأن القلب إذا كان فيه شيء قليل من نور التوكل حصلت له القناعة من الدنيا، فإن عظم ذلك النور وقع له الزهد فيها، فإن استولى على ظاهر قلبه وباطنه حصلت له الغيبة عنها سواء وجدت أو فقدت، ومن رأيته كثير الاجتهاد في الأسباب الدنيوية فاعلم أن قلبه خال من حب الله عز وجل عامر بحب ما هو مشغوف به ومتعلق بأذياله، وما هو في الجوارح هو في القلب كذلك، ووالله ما في الوجود أقبح وأهون وأذل من العبد الغافل المنهمك في طلب الدنيا ولم يعتبر بمن تقدم قبله ورجع ترابا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم اعلم أن السؤال على أربعة أقسام: سؤال عن علم وحاجة، وسؤال عن علم دون حاجة، وسؤال عن جهل وحاجة، وسؤال عن جهل وعدم حاجة. أما

السؤال عن علم وحاجة فسؤال بعض العارفين بالله المتخذين ذلك ورْدا عن أشياخهم فهو مباح لهم من غير علة لأنه مبني على أساسيْن أساس الإذن وأساس الاحتياج، ولا يصح إذن الشيخ للمريد إلا إذا خرج عن ما عنده وهناك يصح له ذلك، وإياكم يا معشر الفقراء الذين اتخذوا السؤال وردا أن تغركم النفس بالادخار وتظنون أن ذلك لا يعوق أحدا بل والله إنه لسبب في قطع المدد وقلة التوفيق والاستعداد وركوب حمار الطمع بعد النزول عن خيول الزهد والورع. وأما السؤال عن علم من غير حاجة فهو مباح أيضا عند العارفين في شريعتهم لمداوات علل باطنة مثل مراقبة النفس لأبناء جنسها وحبها أن ترى في أعينهم كبيرة وقسْ على هذا، وقصدهم الصدق مع الله وتصحيح العبودية لله خالصا، فهو جائز وإن لم تكن حاجة، وهذا لا يفهمه سواهم، لأنه حكم من وراء العقول، ولا يعرفه إلا أهل البصيرة السالكين طريق التجريد المتحققين بحقيقة التوحيد رضي الله عنهم. وأما السؤال عن جهل وحاجة فسؤال العامة وهو مباح لهم عند الفاقة والاحتياج بل واجب على من بلغ حد الاضطرار ووجب على المسئول أن يعطيه وإن منعه كان عاصيا لله ولرسوله قال مولانا تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾ [الضحى: 10] إشارة إلى أن لا يبخل المسئول أصلا، والفقراء صابون الأغنياء وطهارتهم ونورهم وضياؤهم ووسيلتهم إلى دار الآخرة، هذا لمن عرف قدرهم وقام بحقهم، لأن المعاملة معهم كلها معاملة مع الله أحسنت أو أسأت، فاختر لنفسك ما تشاء، فإن الفقراء حقهم على كل أحد أحب أم كره، انظر إلى قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: 60] فإن الله تعالى أعطاهم حقه فكيف بالخلق، ووالله لولا الحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلت ليس في الوجود إلا متاع الفقراء لكن بشرط ألا يدخروا شيئا، ومن ادخر فليس له إلا ذلك إن كان من حلال فهو له وإن كان من حرام فهو عليه. وأما السؤال عن جهل وغير حاجة فسؤال بعض العامة المنهمكين في بحر العجز والكسل، وسببُه الإهمال لطاعة الله والعجز عنها، فغَيَّر الله ما بأيديهم ورفع البركة من رزقهم، فأهينوا كما أهانوا حق مولاهم، وتركوا كما

تركوه، فضعفوا وذلوا وحقروا قهرا عليهم، وما قام أحد بحق الله وضيعه الله قط، فإن الدين تنزل معه البركة وتحصل به القناعة والراحة والعافية والمسكنة وتتيسر أموره بعد عسرها، وصاحب الدين يحصل له الصبر على الفقر والرضا به، وقليل الدين لا يحصل من الصبر شيء ولا يشم للرضا رائحة، والشريعة شريعتان: شريعة العوام وهي الامتثال خوفا وطمعا، وشريعة الخواص وهي الامتثال محبة وتعظيما وإجلالا. ثم لا يخفى أن السؤال إذا كان جائزا للمضطر، فالفقراء قد سكنوا قصور الفقر والفاقة والمذلة والإهانة، فهم في حالة الاضطرار على الدوام، لما وجدوا في ذلك من القرب إلى الله ما لا يجدونه في القيام والصيام، لأن القيام والصيام إذا كانا مع وجود الشهوات زادت بهما النفس تمتعا وصاحبها لا يشعر، لأن حظها في الطاعة باطن خفي، ومداوات ما يخفى صعب علاجه، ولذلك اختاروا التحقق بالأوصاف دون كل شيء لأنه لا حظ للنفس فيه، فعبادة المتحقق بوصفه كالكيمياء، وعبادة غيره كالفضة، ولذلك كانت ذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، ومن هنا هدم أهل المعرفة بالله على النفوس عوائدها ومنعوها شهواتها ودفنوها في أرض الفقر والاضطرار وأنزلوها منازل العبيد ومنعوها منازل الأحرار، إنما الصدقات للفقراء، ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ صدق الله العظيم، ولهذا قال ابن عطاء الله رضي الله عنه حين تحقق بحقيقة الأسرار وهو الفقر والاضطرار (العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره)، قلت لأنه شغله الحق به عن غيره فلم يجد قوة الأسباب التي عليها الناس فاختار هذا السبب الذي أباحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (من مات جوعا ولم يسأل دخل النار)، وجَوَّزوا السؤال أيضا لكونه أضعف الأسباب وأدناها وأصغرها، فمن بالغ فيه قهرا على نفسه أفضل ممن بالغ في الأسباب الكثيرة الدنيوية اختيارا مع وجود الاستقامة فيها كإخراج الزكاة ودفعها في محلها، لأن الأول خفف الله عنه حسابها وأسكنه موضعه وهو الفقر فحققه بوصفه اعتناء به وشفقة عليه، فهو على أحسن الحالات وفي مواضع النجاة، والآخر لا يدري هل هو ناج أو هو هالك

لكون الحق تعالى نشر عليه رداء نفسه قهرا إما نعمة أنعم عليه بها أو حظه من الآخرة عجله له، والغنى وصف من أوصاف الحق، ولا يقدر العبد أن يتأدب مع الله في وصفه، قال الله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ أي وصفه، وإذا كان الساكن وصفه قهرا ناج فكيف بمن سكن وصفه اختيارا، وسؤال المخلصين سترا لسر التوكل وهم الواصلون، وسؤال السائرين تهذيبا للنفس وسياسة لأن النفس لا تحب أن تنزل لجنسها قط فيهون عليها الموت بالحديد ولا يهون عليها السؤال لمخلوق مثلها، لا سيما إذا سأل شيئا حتى كان بيدها ثم أخرجها عنه ودفعه لغيره، فهذا قتلها قتلتين في مرة واحدة، والسؤال في حق هذا مطلوب وإن أخذه لنفسه وإن كان زائدا على ما يستر به عورته ويرد به جوعته، ومن لم يكن مراده منه ترك الشهوة فهو في حقه حرام إذ يصير ذلك لحظ النفس فقط فتحمله لأجل ذلك فتعتل عبوديته وينفك عن الأسباب ولا يصل إلى التوكل فتقطع به القواطع وتحل نفسه القيد والرواتع، وموت النفس عند أهل الطريق فرض عين، والأشياخ رضي الله عنهم كل واحد فتح الله له في التربية أي في موت نفس المريدين فتحا لا حصر لهم، فمنهم من يأذن له في السؤال، ومنهم من يأذن له في غير ذلك، ولا يأذنون في شيء إلا ولهم الإذن في ذلك، وجَوَّزوا السؤال أيضا من وجوه ولو لم يكن منها إلا إخلاص النفس لكان كافيا، إذ هو صعب عليها ثقيل جدًّا وفيه حقيقة نفي الأسباب فتحمل شريعته لأجل حقيقته ولا حظ للنفس في شريعته وإنما فيه حظ الروح، ومن قال إن للنفس فيه حظًّا فليتقدم إليه بعد خروجه عما في يده ولا ينفق ما أعطي له في سبيل الله بل ينفقه على نفسه، والله لأكل العشب والدخول في الغيران والخروج من الأموال والأولاد أهون عليها من السؤال لكن مع شروطه كالصمت والاكتفاء بعلم الله والصبر على الإذاية ودفع ما أعطي في سبيل الله وغير ذلك، وإن فقدت هذه الشروط كان خفيفا على النفس من أجل أن لها فيه حظ فتستدرج به من حيث لا يشعر. واعلم أن العارف إذا سأل من غير حاجة فمراده منه قوت الأرواح لا قوت الأشباح، لأن قوت الأشباح قد لا يتعرض له العارف لشدة توكله ويقينه، وإذا كان التوكل يحصل لأهل المراقبة الحقيقية فيتركون الأسباب وهم من وراء حجاب فكيف

بأهل المشاهدة الذين ارتفع عنهم الحجاب وجلسوا على بساط القرب مع الأحباب، وهؤلاء أسبابهم توكل في توكل لمن عرف، وتوكل غيرهم بالنسبة إليهم سبب، وأسبابهم وإن شئت قلت عبوديتهم إنما هي ستر لحريتهم العظمى، واختاروا هذا السبب الذي هو السؤال لما فيه من الجمع بين التوكل والسبب وتحقيق نفي الغير وتصحيح العبودية لله عز وجل ظاهرا كفقر وذل وضعف وعجز وغير ذلك، فإن الغنى والعز والقدرة من أوصاف الحق تعالى، والمتصف بأوصاف سيده جاهل على التحقيق ولو كان محيطا بعلم الطروس، إذ المراد من العلم التقوى من الشرك وإن شئت قلت التحقق بالوصف، وما سلم من الشرك الخفي إلا من تحقق بوصفه، والذي ترك وصفه ليس له معرفة بالعلم ولا بأسرار التقوى وأنوارها، فالعلم الذي لا يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه جاهل في علمه، والجاهل الذي يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه عالم في جهله، وسبب الجهل مع العلم الرضا عن النفس والعكس، قال ابن عطاء الله (ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه)، فالذي لا يرضى عن نفسه عبد الله بقلبه ولذلك سمي عالما وإن لم يكن عنده شيء من العلم الظاهر، لأن العلم حقًّا يوصل صاحبه إلى التحقق بالوصف من عدم الرضا عن النفس والتواضع والسخاء والصبر والقناعة من الدنيا والزهد والورع والحلم والضعف والعجز والذل والحنانة والشفقة والرأفة وحب الضعفاء والمساكين والجلوس معهم والتخلق بأخلاقهم الكريمة وما أشبه ذلك كما تقدم فهذه ثمرة العلم، وهذه هي العبادة الحقيقية التي هي عبادة القلوب، فالعلم الذي لا يوصل صاحبه إلى هذا فهو مدخول معلول بحب الرئاسة، وعن ذلك تفرعت علل كثيرة، فوالله إذا لم يجد طبيبا لخسر خسرانا مبينا، ولذلك سمي جهلا، والقوم هم مع ما صلحت به قلوبهم لا مع ما صلحت به الخلائق، قال مولانا ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ، فمن راقب الله تعالى لا يراقب المخلوقات لا سيما من شهده، والذي لا يراقب الله تعالى فكيف لا يراقب المخلوقات، ورحم الله من قال:

من راقب الناس مات غما ... وفــاز باللذات الجســور

وعن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال (والله لو وجدت مصلحة قلبي على مزبلة لجلست عليها)، وأجمعوا على أن هذه الطريق لا تصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل، وقال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه (والله ما رأيت العز إلا في الذل) قال شيخنا رضي الله عنه (وأنا أقول ما رأينا الذل إلا في الفقر) قلت لأن من لم يفتقر من الدنيا لا ينذل، والذي لا ينذل لا يشهد العز الحقيقي الذي هو محجوب بالعز المجازي فافهم.

(**فصل**) اعلم أن الفقير الصادق إذا نظر إلى الدنيا بعين قلبه سُلب في الحين من سر قربه، وناداه الهم والغم لحربه، وغطت أنوار قلبه ظلمات دائرة حسه، وعاد إلى عوائد أبناء جنسه، فتقوده الغفلة من النواصي، إلى حضرة المعاصي، وهذا جزاء القلب القاسي، وإذا تبعها بفكره، تشتت نور عقله، فيحمل أحمال التدبير والاختيار، فيرمى في بحر الأغيار والأكدار، ويمنع الراحة والقناعة، ويتمسك بأذيال الشحاحة، يصدق عليه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾ [التوبة: 76] الآية، وكلما خاض فيها بالجوارح، جاء إبليس في صورة شيخ ناصح، ويقول له يا هذا كل ما تفعله مليح، فاجْر عليها بالليل والنهار لتستريح، وتتفرغ لعبادة ربك بالقلب والجوارح، فيخدعك ويهلكك ويصرعك ويقتلك، فاحذر يا أخي منه على الدوام، وتعوذ بذكر الملك العلام. يا لبيب، لا للهو وللعب. يا حسان، لا تطلق لنفسك في الدنيا العنان. يا خليلا، لا تكن بحب الدنيا عليلا. يا صادقا، لا تكن بأهل الغفلة لاحقا. يا عارفا، كن لقلبك عن الغير صارفا، وعما بأيدي الناس عفيفا، يرتفع عنك الحجاب الكثيف. يا حبيب، لا تستبدل الصدق بالكذب، وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب. يا فلان، غض الأجفان، وسد الأسنان، واطلق من الأبدان، والبس الأكفان، تكن من أهل العرفان. فق أيها العبد الكليل، الحقير الذليل، وراقب من بيده أمرك وعمرك ورزقك، أما سمعت قوله تعالى ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ [طه: 132]. فق أيها العبد الذميم، المهين اللئيم، الغافل النائم، إلى متى وقلبك في بحر الأكوان هائم، ألم تسمع قوله تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: 88 - 89]. فق أيها العبد المغبون، إلى متى تصرعك الدنيا

كالمجنون، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ ﴾ [الذاريات: 56 - 57]. فق أيها العبد الغريب، طردك هم الرزق بعد أن كنت قريبا، ودهاك اللهو واللعب، والحق تعالى يقول ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2 - 3].

الاهتمام بالرزق بلاء ونقمة، الاهتمام بالرزق ضيق وحسرة، الاهتمام بالرزق أساس لكل عثرة، وسحاب على سماء النظرة. ليس لصاحب الاهتمام إلى قمر السير دليل، ولا إلى شمس الوصول سبيل. الاهتمام يطمس باب الحضرة، ويمنع دخول الفكرة، هذا حكم الحكيم العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واعلم رحمك الله أن قوت الروح في هذا العالم حسن الخلق، كما أن قوت النفس فيه سوء الخلق، فمن أراد أن يعرف مقامه في الذكر فلينظر ما عنده من حسن الخلق، فمن غلب عليه حسن الخلق فهو صاحب يقظة، ومن غلب عليه سوء الخلق فهو صاحب غفلة.

وحسن الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: خلق العارفين به، وخلق السائرين إليه، وخلق السائرين به.

أما خلق العارفين به خُلق أهل الرسوخ والتمكين إذ لا يمكن أن تشهد منهم خلقا سيئا لشدة تحققهم وصفاء قلوبهم، فلو أسأت معهم كل الإساءة لأحسنوا إليك كل الإحسان، وإن ظهر منهم ما يشبه سوء الخلق فما هو سوء الخلق ولكن حكم اسمه القاهر لأجل العبودية، إذ وصف العبودية لا ينقطع عن السائر ولا عن الواصل، إلا أن الواصل وصف قهرية فقط، والسائر وصف بشرية، وهذا هو الفرق بينهما، والسائر يزيد وينقص بوصفه لشهود نفسه، والواصل يزيد ولا ينقص لشهود ربه، ولو انقطع وصف العبودية عن الكُمَّل لوقفوا وحاشاهم من ذلك، قال الله تعالى ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ ﴾ [النحل: 30]، فما من قهرية نزلت عليهم إلا شهدوها نعمة وشكروا الله عليها، والسائرين من الخاصة رضوا بها، والسائرين من العامة صبروا عليها، والواقفون منهم تزلزلوا بسببها، والشكر هو مقام

الإحسان المشار إليه بقوله تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: 78] وأهله قليلون.

وأما خلق السائرين إلى الله فهو خلق أهل المراقبة، إذ الغالب عليهم حسن الخلق، وذلك لضعف حجابهم حين ألزموا نفوسهم المراقبة، ولا يرتفع عنهم الحجاب بالكلية ولو بلغوا في المراقبة ما بلغوا، إذ الحجاب لا يرتفع إلا بصحبة شيخ عارف، ولكن لا بد أن تشرق أنوار الحضرة على أهل المراقبة الكبيرة ويهب عليهم من نسيم أزهارها فيطيبون بطيبها، فهم متعوبون مع الأدب تارة حاملون وتارة محمولون وتارة مطروحون يحسنون ويسيئون، فإذا أحسنوا فرحوا بوجود العمل، وإذا أساءوا حزنوا لفقدانهم ذات القبول، ولو تمسكوا بصفات القبول وهي الغيبة عن النفس لفقدوا الحزن فقدا كليًّا، وحين كانت نفوسهم موجودة لم يعرفوا إلا الإحسان الظاهر فقط، وأما إحسان الباطن الذي هو المعرفة بالله فهم غائبون عنه، ولذلك لا يرجون رحمة إلا بوجود الأعمال الحسنة، وإذا قهرهم الحق تعالى بقهرية وصف العبودية أنكروا ذلك لقلة معرفتهم به، فكانوا متوكلين على أعمالهم ونسوا قوله تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ [النساء: 79] صدق الله العظيم.

وأما خلق السائرين به فهو الغيبة من الإساءة والإحسان، فهم محمولون في الإساءة والإحسان لكونهم لا يشهدون لأنفسهم فعلا ولا يرون لها جعلا، فلا وقوف لهم مع الإحسان ولا مع الإساءة بل سائرون إلى الله بكل حال، قال ابن عطاء الله رضي الله عنه (إلهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء) فقد فازوا بمعرفة الله في كل حال، وافهم هاهنا قوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: 201] وهذا الطائف هنا تشويش المقامات والأحوال على العارفين السائرين لئلا يقفوا مع شيء فيقطعهم عن الوصول، إذ جميع ما يتجلى للعارفين من الأنوار وغيرها كلها ظلم وأغيار، وهذا طائف اليقظة يدفع طائف الغفلة بقدرة الله تعالى كما دل عليه قوله تعالى

﴿ تَذَكَّرُواْ ﴾ [الأعراف: 201] أي ذكرهم هذا الطائف سرور الحضرة وأنوارها وأسرارها وأزهارها وثمارها وخيرها كله، وهو الجمال الحقيقي، فساروا مزعجين مقلقين إلى رفع الحجاب المشار إليه بقوله سبحانه ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201] وهذا الخطاب للسائرين فقط فافهم ذلك وتأمله.

(فصل) ومن آداب المريدين إذا اجتمعوا للمذاكرة أن لا يغلقوا الحلقة، بل يتركوا موضع الشيخ فارغا سواء حضر أم لا، فإن حضر وقع المدد وإن لم يحضر كذلك لأنه حاضر في المعنى، وإذا حضر التعظيم حضر المدد في الغيبة كما يحضر في الحضور، والتعظيم هو الأساس، فمن لم يجد في قلبه تعظيما فليعلم أنه ناقص التعظيم، والمدد بقدر التعظيم، فالمريد إذا أعطي التعظيم في شيخه أعطي الفتح الكبير من ربه، لأن هذه الصورة التي جعلها الحق نائبة عنه جمع فيها سره كله، وكذلك إذا دام الفقير على رؤية التعظيم وفتح له في سره صارت عبيد الله تعالى كلها أشياخه لأنه يرى ما في شيخه هو في سائر العباد فيمتد من كل آدمي، ولا يزال به التعظيم حتى يمتد من سائر الأشياء، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى وقد قلنا أن يبقى موضع الشيخ فارغا عند المذاكرة هذا هو الواجب، وأما في حلقة الذكر فلا بأس بغلقها، لأنها محمولة على غفلة الإخوان كالرقص والشطح وغير ذلك، ولو لم تكن الأحوال غالبة على الضعفاء مثلي لكان الواجب فتحها لأن روح الطريق الأدب إن عدم عدمت وإن وجد وجدت، والمريد الذي لا يكون أدبه يفوق أدب وزراء الملوك ليس له في مقام الإرادة نسبة، والإرادة تكون أولا مع الواسطة أعني الشيخ ثم ترجع مع سائر الأشياء، ولا تسقط إرادة العبد إلا إذا سقطت نفسه، ولا تسقط نفسه إلا بشهود الحق، ولا سبيل لشهوده إلا بالأدب، والأدب على قسمين: أولا مع الخلق بالمجاهدة وثانيا مع الحق بالمشاهدة، والثاني نتيجة الأول، ومن لا بداية له لا نهاية له.

ومن آداب المريدين إذا اجتمعوا من غير حضور الشيخ في زاويته أن يبسطوا سجادته التي يسجد عليها ويدورون بها حلقة واحدة، كحضوره معهم من غير زيادة ولا نقصان، ويتركون الضحك والمزاح وجملة الكلام، ويتهيئون للجلوس بين يدي

الملك العلام كما يتهيأ أهل دولة الملوك لملكهم عند ملاقاته بل هذه أعظم وأعظم، لأن ذلك حضرة الخلق، وهذه حضرة الخالق سبحانه، فإذا حضرت هذه الجلسة على هذه الحالة فأنا ضامن لجلسائها الفتح الكبير، فإذا جلسوا يناولهم كبيرهم في رتبة التربية العلوم التي بينهم على حسب صفاء المجلس، إن صرَّح صرحوا، وإن أشار أشاروا، ويشاركونه الأمثال فالأمثال مع ترك المحاججة ورفض الملاججة بالكلية والتسليم له فيما يحكم به عليهم من أمر وقع فيه الخلاف بينهم، فإن لم يعرفوا معنى ما حكم به عليهم فله وجه، ويكفيك من ظهور معناه إطفاء نار النفوس التي تكون بسببها المحاججة والملاججة وهذه الحالة سبب في ذهاب العلوم وأسرارها وأنوارها قال الله جل جلاله ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ معناها والله أعلم لا ترجعوا لنفوسكم واكتفوا بعلم ربكم، لأن المحاججة أصلها طمس البصائر، وذلك أن الفقير أو الفقيه يريد أن يكون أعلم من غيره ولا يحب أن يكون جاهلا بين أبناء جنسه وهذا من تمكن حب الجاه من قلبه، وحب الجاه هو العلة الكبيرة وهو أعظم حب الدنيا، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى اعلم أنه لا ينبغي لصغير السن أن يتقدم أمام غيره وإن كان أعلم منه وأتقى وإن تقدم إلحاحا منه على علم ظهر له من العلوم النفيسة الدقيقة فلا بأس لأن العلوم إن ظهرت لا يقدر أحد أن يمسك نفسه عنها إلا من كانت العلوم ترد عليه مثل السحاب هذا يكون واسع الحال مستغنيا بالله على كل حال، والتأخر للصغير أولى كما قدمناه وهو من الأدب الظاهر والباطن لا سيما إن كان أعلى منه علما وأرق فهما.

ومـــن آداب المـــريدين أيضا إذا كانوا مع الشيخ في غير زاويتهم ثم فارقهم الـــشيخ فالواجب عليهم أن يتركوا موضعه خاليا كما تقدم، إذ لا فرق بين الزاوية وغيرها، إذ الوجود كله زاوية عند أهل العلم بالله، إذ هم لا يجلسون إلا مع الله ولا يـــسمعون إلا منه ولا يتكلمون إلا معه، وذلك حيث ذهبت نفوسهم ذهب عنهم تـــوهم مـــا سوى المولى جل جلاله سبحانه، فهم في حضرته مستغرقون وبشهوده متـــنعمون، ولنـــرجع لما بقي من هذا المعنى اعلم أنه إذا كان في الفقراء من صَدَّره الشيخ للتربية وكان مشهورا عند الخاص والعام فالواجب عليه أن يعمر موضع شيخه

بالذكر إذا غاب وبالمذاكرة والزيارة والمشورة وغير ذلك، ولا ينبغي التكبر عليه ولا التجبر، وقد رأيت من تكبر على شيخي رضي الله عنه من فقراء شيخه بفاس عمَّرها الله بأهل العلم والصلاح وأخلاها من أهل الجهل والطلاح فذهب سرهم ولم يبق لهم إلا القول والقيل، ولا يزال هذا الأمر من هذه الطائفة إلى قيام الساعة، فالذي اشتغل بالله نجى، والذي غفل عنه سبحانه اشتغل بنفسه، والذي اشتغل بنفسه من هذه الطائفة وقع في أهل الله، والواقع فيهم مسلوب، ولا ينال الفتح إلا من نظر إخوانه بعين التعظيم والإجلال وسائر أهل الخير وحتى سائر المسلمين، وإلا فلا يشم رائحة السر، وأكثر ما يقع الحسد الكبير في هذه الطائفة بعضها لبعض، نجانا الله وإخواننا من الحسد بجاه شيخنا وأشياخه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال ذو النون المصري رضي الله عنه والله أعلم أو غيره (شهادة الفقراء تجوز على سائر الناس، ولا تجوز على بعضهم بعضا لأني وجدتهم حسادا) وهذا ظاهر. كنت والله أظن أن الفقراء لا يحسدون بعضهم بعضا، فلما اجتمعنا معهم بفاس وغيرها أصابنا لطف الله بنا وبهم ما أصابنا، فكنا تارة بتارة، لأن عداوة الجنس أصعب كل شيء، كما أن محبة الجنس أيضا أصعب كل شيء، فخروجُها من القلب والاشتغال بالله عنهما أمر ثقيل على النفوس، ولا شك أن من اشتغل بالله تعالى كفاه عداوة عدوه وأفاض عليه من علمه وسره وفهمه ما لو كان أهل السماوات والأرض أعداء له كلهم لوسعهم حلمه، إذ لا يزال المحب مشتغلا بحبيبه حتى يكون حبيبه وسيده ومولاه متجليا له في كل شيء بنعت الجمال وصفة الكمال. ألله ألله إخواني لا تقابلوا من قابلكم بالسوء، بل قابلوه بالإحسان يقابلكم في الحين بالإحسان أكثر وأكثر، فالحقيقة إذا أرادت أن تكشف جمالها تقدم ضده لا محالة، وإذا أرادت أن تكشف جلالها تقدم ضده، ومرادها منا ومن غيرنا أن نعرفها في كل حال، فإذا عرفناها في كل حال ذهب ذلك الحال وبقي حقيقة الحال، فلا يشغلنا حينئذ حال من الأحوال لشهود معانيها في كل حال.

ولنرجع لما بقي من كمال هذا المعنى: وينبغي لخليفة الشيخ الذي يقوم مقامه أن يجلس في موضعه على سجادته، وإن جلس على غيرها فهو أحسن، وإن جلس

في غـــير موضعه فهو أحسن وأحسن، وقد كان شيخي رضي الله عنه يجلسني على ســـجادته وفي موضعه وكان كثيرا ما يقدمني للإمامة وقت الصلاة، وكان رضي الله عنه يأتيني لموضع كنت فيه ويتذاكر معي مذاكرة رقيقة، وكان رضي الله عنه إذا رأى مني وصفا مذموما نهاني عن ذلك نهيا كليا ويقول: الكبير لا يناسبه إلا الكبير، وكان يقول لي: والله ما أنا شاك في ذوقك، وكان يقول رضي الله عنه: والله ما أنت عندنا إلا فوق ما نظن، وكنت جالسا ذات يوم في خلوة لي مع بعض الفقراء فدخل وقال: فـــبالله الذي لا إله إلا هو ما يدخل ذراعك سيدي أبو العباس المرسي ولا سيدي أحمـــد زروق ولا أضـــرابهم رضـــي الله عنه وعنهم وقال لي: إلا أنك حامل لدبلة الفقراء، وقد كان كذلك فذهبت مني تلك العلة في الحين، وكان يقول لي رضي الله عـــنه: إذا جاءك من تذكره ذكره الله وأما من فر منك فالماء والشطابة حتى للبحر، وكـــان يقول لي رضي الله عنه: أنت ميموني وأنا ميمونك، ووجدني يوما في حوز فـــاس[1] عند بعض الإخوان من أولاد جامع وكان هناك رجل من أهل محبتنا حقًّا وكـــان من الصالحين وكان اسمه أبا الشتاء فدخل علي الشيخ رضي الله عنه وكنت مريضا ببصري كاد نورهما يذهب بالكلية وكنت راضيا بذلك فلما دخل قال رضي الله عنه لبعض الفقراء كانوا معنا هناك: من أراد أن ينظر وجه أبينا آدم الأكبر فلينظر وجـــه محمـــد بـــن أحمد البوزيدي، وكنت في المائة الثالثة عشر من الهجرة في عام خمســـة عشر منها نبني له عينا بزاويته الشريفة عمَّرَها الله بالسر والولاية الكبيرة إلى يـــوم القيامة آمين قال: يا ولدي مولانا عبد السلام هو الحج الأصغر قلت له نعم يا ســـيدي فقال لي: وأنت أيضا حج الأصغر مثله، وكتب كتابا لبعض إخواننا حيث رأى منهم الإنكار علينا والحسد الكبير لنا فكتب لهم كتابا وهو يقول فيه: محمد بن أحمـــد خليفتنا في حياتنا وبعد مماتنا رغما على أنفنا، فما زادهم ذلك إلا حسدا إلا بعض الأحباء وقليل ما هم، وهذا لا يستغرب منه إذ ما من نعمة إلا وعليها الحساد، وحـــساد هـــذه الطريقة أكثر من سائر الطرق لأنها طريق الإرث، ولما طال الحال

---

(1) حَوْز فاس: أي ناحية مدينة فاس.

رجعوا والحمد لله عن ذلك إلا النادر فالله يأخذ بيدنا وبيدهم، وكتب لهم كتابا أيضا وهو يقول فيه: والله لا يتكلم في محمد بن أحمد بسوء إلا فاسق أو منافق أو مخدوع أو حاسد أو راض عن نفسه أو من فيه دعوة نافذة، إلى غير ذلك من أقواله الشريفة رضي الله عنه وأرضاه.

(**فصل**) اعلم يا أخي أنه إذا كان يجب على المريدين احترام موضع الشيخ فكيف بثيابه فكيف بجسده الشريف، **وهذا الأدب الذي ذكرناه** أو غيره لا يشق إلا على من كان قلبه فارغا من المحبة، إذ المحبة عنها ينشأ التعظيم، والتعظيم ينشأ عنه الأدب، فمن لا محبة له لا تعظيم له، ومن لا تعظيم له لا أدب له، ومن لا أدب له لا وصول له، ولا يخلو من جلساء المشايخ من فيه طبع من المنافقين والمعاندين والمتصنعين وغير ذلك، وليس كل من دخل في يد المشايخ يتخلص، فالمخلصون قليلون والمنتسبون كثيرون، ولا بد لمن التزم صحبة الشيخ ودام عليها أن يرجى له الإخلاص، لأن للشيخ وقتا تفيض عليه الواردات الإلهية في دفعة واحدة فلا يمكن له أن يملكها بل تفيض على كل من حضر فينال بوجودها النصيب الكبير فمنهم من تنزله في النهاية ببركتها وببركة من نزلت عليه ومنهم من دونه وهكذا، ولا يذهب منها بلا نصيب إلا المحروم، ولكن ذلك الوقت نادر، وقد جلس بحضرته صلى الله عليه وسلم هؤلاء وهؤلاء وذلك ليتميز هؤلاء بهؤلاء، إذ لا بد من الضدين في كل شيء، ولا يقوم الوصف بنفسه، فالموضع الذي عظم فيه النور عظمت الظلمة إلا أن الحكم للأغلب، فمجالس أهل النور الحكم للنور على الظلمة، ومجالس أهل الظلمة الحكم للظلمة على النور، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وسبب حكم الظلمة على النور حب الدنيا والعكس، ومن كان بحضرة المشايخ وغلبت ظلمته على نوره فهو أشد حبًّا لنفسه، والذي هو أشد حبًّا لها هو أشد حبًّا للدنيا، ولذلك تراه في عين الخير وهو بعيد منه. وأحوال الناس بحسب السابقة: فمنهم من يبارز الشيخ ولا يستحي، ومنهم من ينقطع عنه ولا يرجع، ومنهم من لا يشاوره في جميع الأمور وإذا شاوره لا يعمل بمشاورته، ومنهم من يلازمه لأجل بطنه، ومنهم من يذكر عنده رياء واستحياء من الخلق، ومنهم من يقتدي بنفسه في كل ما تأمره به ويقول قال شيخنا سمعت شيخنا وشيخُه نفسُه وهواه، ومنهم من تكون فيه هذه الأحوال وأكثر منها

ويرجع عنها ويتوب ويتوب الله عليه وينال الخير الكبير، ومنهم رضي الله عنهم إذا ذكر الشيخ عنده ذكر الله وارتعد وخاف كخوفه من ربه أو كذكره لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من إذا رآه استغرق في الشهود وغاب في عظمة المعبود، ومنهم إذا رآه اجتمع قلبه على ربه بعد تشتيته وذهبت عنه نفسه كأنها لم تكن وذلك كله لصدق المريد وحال الشيخ رضي الله عنه، ومنهم من لا يغيب عنه لشدة بقائه بعد فنائه، إلى ما لا نهاية له لأحوالهم رضي الله عنهم وجعلنا من أهل حزبهم وودهم آمين إنه سميع مجيب.

(**فصل**) **ومن آداب المريد** أن يأخذ العلم عن الكبير والصغير ولا يتكبر على أحد من عبيد الله، ولا ينبغي لطالب العلم أن يأخذه بعُلو همته ورفعة نفسه فإنه لا يناله وإن أخذ الكلام فهو سم له قاتل، إذ العلم دال على صفة الربوبية لا على نفسه، فمن رآه متكبرا هرب منه إلى أهل التواضع، لأن العلم جاء يدلنا على العبودية لله لا على نفسه، فمن طلبه ليستقر به دون الله أنزل لا محالة، ومن طلبه ليعرفه بربه وجده يدله عليه، ومن فهم الدلالة عليه نزل منازل العبودية فنال القرب من الله وهذا مراد العلم، ومن لم يفهم مراد العلم وقف معه واستقر به دون الله فكان طالبا به الجاه والرفعة وحب الرئاسة وأخذ ما في أيدي الناس وتعظيم الناس له وإقبالهم عليه وهذا العلم الذي لا ينفع الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأل الله السلامة لنا ولإخواننا وسائر المؤمنين لقوله عليه الصلاة والسلام (أعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع)، ولا ينبغي لصاحب العلم أن يضعه أين ما وجد، بل يختار له أهل الفضل والجود وأهل الصدق والإخلاص وأهل المحبة والمودة وأهل الخدمة أعني خدمة الشيخ والإخوان، فالذي لا يختار له دليل على وضع قدره عنده وذلك من علامة جهله به، ولو علم قدره لكان أغير عليه من الرجل على أهله وأكثر، والذي ينزله أين ما وجد هو الذي يفسد الناس ويفسد نفسه، ولا شك أنه لا يفسده العلم إلا من لا خير فيه، وحاش والعلم نور أزلي صفة الذات القديمة الأزلية الأبدية التي أحاطت بكل شيء ولم يحط بها شيء، وذاته سبحانه موصوفة بصفاته العالية كالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك مما يناسبها، فأودع الله سبحانه من أسرار صفاته في عباده ما

شاء، فمنهم من عرف قدرها ورجع بها إلى الله تعالى ورأى أنه ليس له فيها سبب، فنسب الإرادة لله في سائر أوصافه ولم ينسبها له قولا ولا فعلا ولا حالا، فلما حصل له هذا الزوال وانتهى في عبودية الكمال أمدَّه الله بوصفه بمحض كرمه، وعبودية هذا العبد سبب من الأسباب، ولا شك أن من أراد الله أن يعطيه أسراره أعطاه المفتاح الـــذي يفتح به على هذا السر العظيم وهي العبودية الخالصة التي ليس للنفس فيها طمع، ولا شك أن الله تعالى يعطي لعباده بقدر ما أعطاهم من الإخلاص، وكل ذلك عطية من الله سبحانه، ولولا فضله ما كان أحد أهلا لشيء، ووجودنا ووجود غيرنا نعمـــة مـــنه سبحانه، وكل ما مدَّنا من النعم الحسية والمعنوية فهو منه فضل وكرم، ولـــولا الحياء منه سبحانه لكشفنا الحجاب عن السر المصون ولكن لا يناسب أهل الـــصحو ذلـــك. واعلم أن العقل يدرك، والعلم يحقق، ولا تزال الروح تفتش على حقيقتها وهي بالعلم تكاشف وبالعقل تدرك حتى تنتهي في التحقيق الكبير، فيرجع العلم عين العقل، والعقل عين العلم، والعلم والعقل من أسرار الله المودع في الروح، بهما ينكشف الحجاب عن النفس فترجع إلى أصلها وبهما تعرف قدرها، وإذا عرفت قـــدرها عـــرفت قدر خالقها كما قال صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه عرف ربـــه)، والنفس من عين الروح، والروح من عين الكمال، والكمال لله سبحانه، ولا يعرف هذه الإشارة إلا أرباب الذوق الذين ذهبت نفوسهم واضمحلت أحاسيسهم ولم يبق من وصف العبيد إلا اسمهم ورسمهم، وهذا كله لا ينال إلا بملاقات العارفين وهي أعظم النعم، فمن التقى مع أحدهم فقد التقى مع الكيمياء الكبرى، إذ الكيمياء الصغرى تقلب المعادن كلها ذهبا وفضة، وهذه الكيمياء تقلب النفوس روحا وسرًّا ونورا وعلما بعد جهلها وظلمتها وغفلتها، انظر ما في ملاقاتهم من الخير، فالواجب علـــى من تعلقت همته بالله أي بالوصول إلى حضرته أن لا يعمل عملا إلا بالتفتيش عليهم والسؤال عنهم وهذا أفضل له من العبادة، هذا للمضطر الكبير وأما غيره فلا، واعلم أن في صحبة هؤلاء القوم فوائد وخوارق العوائد لا يمكن التعبير عنها باللسان وإن لم يـــبلغ مبالغهم، فإن صحبة الخلق لهم كصحبة العطار إن لم تنفق من حانوته تـــذهب فـــيك رائحته، أو كصحبة الناس للبحر إن لم يأخذوا منه الحوت والجواهر يأخذوا منه طهارة الثياب والبدن، وكذلك لا يخلو صاحبهم من أمرين إما استقامة

الظاهـــر وإما استقامة الظاهر والباطن معا، وقد قال شيخنا مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه (الرجل يُنسَبُ علينا ولا يأخذ النصيب منا هـــذا لا يسمع علينا) وقال سيدي عبد الله الهبطي نفعنا الله ببركاته (أقل ما يستفيده من صحبنا معرفة الحق من الباطل) ويا لها من رتبة لمن رزقها لأنهم كما قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (هم القوم لا يشقى جليسهم) ولا يشقى إلا إذا كان كافـــرا بهـــم، وقد كانوا يرون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يزيدهم ذلك إلا بعدا وطـــردا، وأمـــا مـــن آمن به لا يشقى وإن لم يره، والإيمان به الحقيقي هي الرؤية الحقيقـــية، ولا شك أن من رآه اتبعه ومن اتبعه هو الذي ظهرت فيه أحواله وأقواله وأفعالـــه صلى الله عليه وسلم، ولا يشترط في المتبع له كمالها وإنما ذلك يكون في الذي هو على قدمه وإن ظهر فيه نقص بعض الأوقات فالحكم للأغلب، ولكل زمان رجـــل كامـــل أعني أكمل من أهل زمانه وهو سلطانهم وإمامهم وإن ظهر فيه غلبة الـــسكر مثلا أو غلبة الصحو فمن دونه في المرتبة أكثر منه والله أعلم، ونرى والله أعلم وأحكم أن الأولياء الذين تقدموا في الزمان الأول كانوا أشد أورادا وأثقالا من الـــذين في زماننا، وأهل زماننا أشد منهم نورا أو قربا وذوقا، وذلك أن أهل الزمان الذي تقدم كانت فيه الهداية منتشرة ظاهرة والناس كلهم على الفطرة والنية والصدق وكانـــوا إذا ظهرت لهم كرامة من بعض أهل الله رفعوا قدره وأقروا أمره وكان أهل نسبة الله رضي الله عنهم لا يجدون إلا ما يقربهم من مولاهم ويبعدهم من نفوسهم ومـــن جنسهم، كان الجنس على الفطرة كما ذكرنا وكانت نفوسهم كذلك، واليوم خـــلاف ذلك خرجت النفوس من الفطرة كافة عامة وخاصة فلذلك كان الخاص لا يريض نفسه إلا بعد مشقة عظيمة وكذلك نفوس الجنس أصعب وأصعب، ومن هذا المعنى والله أعلم كانت ولاية المتأخرين أقوى وأعلى من ولاية المتقدمين، وقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر) وقد قال صلى الله عليه وسلم (إخواني يأتون في آخر الزمان يؤمنون بي ولم يروني) أو كمـــا قال الحديث، وأظن وقتنا هذا أشد صعوبة من زمان الصحابة، لأن زمان الصحابة كان الرجل إذا أسلم وآمن حسن إسلامه وإيمانه في الحين وذلك أن النفوس كانت على الفطرة واليوم عكس ذلك ترى الرجل مسلما يصلي ويصوم ويحج وهو

لا نية له في صومه ولا في حجه ولا في صلاته وذلك كله لفساد القلوب بحب الدنيا فنيتهم ومحبتهم وصدقهم وإخلاصهم كلها معها وكيف لا تفسد القلوب إذا كان هذا حالها، وقد كانت العزائم والمواعظ تنفذ في أهل الزمان المتقدم واليوم خلاف ذلك، ولهذا قال الشيخ الحضرمي رضي الله عنه (وقد انقطعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا الهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان) كنت أنكر هذا الكلام سنين حتى فتح الله علينا فيه وكان شيخنا أيضا يتردد فيه مرارا، ونرى أن زماننا لا يحوش الناس فيه إلى الله تعالى إلا من كان ذا همة وحال، وهذا التحويش هو بالقلوب، لا بالجوارح كما هو تحويش العامة يعتبرون كل من ينتسب ولا يفرقون بين من انحاش إلى الله بقلبه وهو الانحياش الحقيقي وبين من انحاش إلى الله بجوارحه وذلك كالعُبَّاد والزهاد وغيرهم وبين من هو منسوب فقط وهم اليوم الأكثرون وأشياخهم يدعون التربية النبوية ونفوسهم كما هي لا يعرفونها ولا يعرفون بها أصحابهم، والذي لا يعرف نفسه كيف يعرف ربه، والذي لا يعرف ربه كيف يعرف الناس، وتغطى أمر الإخلاص حتى كأنهم لم يكونوا، فالله يمنُّ علينا وعلى هذه الأمة الشريفة بفضل منه سبحانه وجود وكرم إنه سميع مجيب، ولنرجع لما كنا بصدده.

ومن **آداب المريدين** إذا قدم عليهم أحد من أهل محبة الله، ينبغي لهم أن يقوموا لملاقاته إجلالا لله، لأن القيام لهم حق لله في الحقيقة لا لهم، إذ هم جاؤوا لله، والجالسون هناك لله، ولا ينبغي للزائرين أن يرسلوا إلى الشيخ بأن يتلقاهم إذ ليس ذلك من الآداب المرضية، نعم إن قربوا من المنزل فليذكروا الله جهرا وفي ذلك إشارة للملاقاة، والذي يكون بالإشارة كله أدب، ولا بأس أن يرسل الإخوان لإخوانهم لأن يتلقوهم إذا قربوا من زاوية الشيخ، فإذا تلاقوا مع بعضهم بعضا تصافحوا وتعانقوا ولا يكفون على بعضهم بعضا إلا على أقدام الشيخ لا بأس لأن ذلك إظهار المحبة وتعظيمه والاشتياق له، والمحبة تهيج وتعظم وتغيب صاحبها عن إحساسه عند ملاقاة حبيبه، وأي حبيب مثل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومثل من يدلك على طريقة الشريعة حتى تصل إلى حضرة ربك، فالمحب لا يدري ما يصنع عند ملاقاة حبيبه، قال سيدي أبو مدين الغوث نفعنا الله ببركاته وببركات أمثاله:

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا ... وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

وملاقاة الواسطة الحقيقية هي ملاقاة الموسوط، إذ الواسطة هي العنصر الصافي الذي هو من بحر المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالذي ذكرناه هو واجب في حق الشيوخ الكاملين، وإذا صدر من بعض الإخوان لبعض غلبة ووجد لا بأس، ولا ينبغي أن يفعلوا ذلك من غير غلبة الحال، فإن قال قائل هذا لم يثبت عن الصحابة مثلا، قلنا الصحابة كانوا أقوياء رضي الله عنهم مالكين للأحوال بوجود المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يسير أحد سيرهم من عامة أهل الله نفعنا الله ببركاتهم كافة، والذي يفعل ذلك بغير حال ثقيل على القلوب، والشيء الثقيل عليها هو مكروه أو حرام قال صلى الله عليه وسلم (الحق ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب وإن أفتاك المفتون) أو كما قال، وبقي من حق الزائرين على المزارين إذا جلسوا بين يدي الشيخ أن نؤثرهم بالقرب منه في الجلوس ونكرمهم بما استطعنا ثلاثة أيام وهي ضيافة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك نصير شيئا واحدا في المحبة لله، والمؤكد به بعد هذا التواضع لبعضنا بعضا والمحبة والسخاء والمودة والحنانة والشفقة وغير ذلك من سائر الأخلاق: وهذا كله واجب على الزائر والمزار، وبالخُلق الحسن تشرَّف من تشرف ووصل من وصل، والواجب أيضا الاستماع لبعضنا بعضا والإنصات لبعضنا بعضا وخفض الكلام لبعضنا بعضا، ونسير على سير ضعفائنا كما قال صلى الله عليه وسلم (سيروا بسَير ضعفائكم) أو كما قال، ونقدم المؤخر، ونبسط المقبوض، ونوسع الضيق، ونبشر المتوجه بالبشارة الحسنة، ونقوي الضعيف، ونرغب الزاهد في الدنيا بالزهادة في نفسه، والزاهد في نفسه نرغبه في اشتغاله بربه، والراغب في الدنيا نزهده فيها لكي يستقيم ظاهره، وإذا استقام ظاهره عند ذلك نزهده في نفسه، وإذا زهد في نفسه دللناه على الرغبة في الله تعالى كما تقدم، ونتكلم على الإخلاص من النفوس ولا نقصد أحدا بذلك وإن علمنا فيه ذلك، وربما إن قصدناه رددناه إلى نفسه وإذا رجع إليها جرت به إلى هواها وأقبحه الرضا عنها، وبالجملة فلا نقصد أحدا، فإن كان مراده معالجة نفسه استمع بأذن قلبه وزاد لربه، ومن كان خلاف ذلك تركناه حتى يستحضر قلبه ويفتقر لربه، عند ذلك تنفع فيه الموعظة، ومن الناس من تعظم نفسه ولا يسمع لأحد إلا إذا أخذ الله بيده،

فـــالله يأخذ بيدنا وينقذنا وكافة إخواننا والمسلمين من الرضا عن نفوسنا آمين بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى.

ومـــن **آداب الملازمـــين لحضرة الشيخ** إذا عزم الزائرون على الرجوع إلى أماكنهم شيعناهم ما استطعنا، ونصغي عند الافتراق لوصية الشيخ إذا حضر وخرج معـــنا وتكلم في ذلك الوقت، وهذا ليس بواجب عليه ربما يتكلم وربما لا يتكلم، لكـــن إذا تكلم يستحضر كليته مع أهل الصدق عند الوداع، وإذا لم يحضر الشيخ وحضر أخ صادق ووعظنا سمعنا موعظته، وإن لم يحضر سمعنا نصيحة بعضنا لبعض، إذ البركة لا تنقطع.

ومن **آداب المريدين** أيضا إذا قدم أحد لزيارة الشيخ وليس لنا به معرفة نفعل ذلك معه لله تصحيحا لدعوتنا ومحبة في ربنا وسترا لنسبتنا، وبقدر تعظيمنا له ينتفع من شيخنا، وربما تكون له نية كبيرة وصدق عظيم فإن رأى ذلك جاء شهيد له على شهيده وهو التعظيم الذي له في قلبه، فيزداد نية وصدقا ومحبة في الشيخ وفي الله، وإن رأى مـــنا خـــلاف ذلـــك نقص صدقه وضعفت محبته فيرجع بلا شيء وإن جلس لـــصحبة الشيخ يطول فتحه، والبداية أساس النهاية وتظهر في صاحبها بقدر صدقه وتعظـــيمه في شـــيخه، وكثير من الواردين تكون نيتهم عظيمة فإذا وصلوا رأوا من الإخوان أمورا قبيحة فأفسدوا عقيدة من رأى ذلك، ولذلك ينبغي لنا الإحسان لكل قـــادم قدِم على الشيخ وإن لم تكن لنا معرفة به ونؤثره بالقرب من الشيخ ونكرمه ونطعمـــه وحـــده إن وجـــدنا ونحدثه بقدر حاله ولا نكثر عليه الإشارات ودقيق العبارات كما يفعله من لا علم له بربه ولا له اكتفاء به سبحانه، وإذا حضر الاكتفاء بعلـــم الله تعـــالى حضر الصمت وعلو الهمة وكتمان العلم والتأخر في الجلوس قرب الشيخ والتأني في الجواب وغير ذلك مما يناسب أهل الصدق.

ومن **آداب المريدين** إذا قدم أحد على الشيخ أن يتركوه له إذا كان بنية الأخذ عنه، وإنما يظهرون له تعظيم الشيخ ظاهرا وعليهم بالسكينة والوقار والصمت كما قدمنا إذ ذاك لله من علو الهمة، ويتركون المزاح الجائز عند القوم على وجه البسط، لأن الداخل داهش ربما يرى من بعض الإخوان ما لا تطيقه نفسه فينكرها ويتزلزل

كما قدمنا، والفقراء يزيدون بالداخلين في حضرة الشيخ أكثر من الشيخ، لأن حقيقة الفقراء ظاهرة، وحقيقة الشيخ باطنة لا يراها إلا مثله، وكذلك ينقصون بهم أيضا، وقد يقدم على الشيخ من لا نية له ولا صدق فإذا رأى صدق الفقراء انجذب رغما على أنفه، وقد يقدم من له الصدق الكبير ويرى من الفقراء عكس ذلك فيتزلزل كما قدمناه لأنه يقول في نفسه لو كان عند شيخهم سر لكان ظاهرا على هؤلاء، ومنهم من يأتي بنية الإنكار فإذا رأى ما يوافق الكتاب والسنة رجع عن ذلك وتاب وربما دخل في حزب الفقراء، وربما أيضا يرى ما لا يفهمه من الأقوال والأحوال فيريه الشيخ معنى ذلك فيرجع ويتوب ويستغفر، لأن أحوال أهل الباطن غريبة تفر منها الطبائع وتأوي إلى أهلها السباع، ولذلك ترى أهل علم الظاهر ينكرونها، ويزعم من لا علم له منهم أن حَد العلم ما عرف وما فهم وما دون ذلك كله خطأ، ومَنْ هذا نظره فهو الخاطئ الكبير، أما أنه لو سمع قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف: 65] وهذا خطاب للنبي الرسول عليه السلام فما بالك بغيره، وقد يظهر لي والله أعلم أن الكثير من الأولياء خصهم الله بعلم ما لم يخص بعضهم، فالولي مثلا إذا ظن أن حَد العلم هو الذي عرف فهو جاهل، والولي لا يكون جاهلا قط إذا كان غير كامل تارة يدخل وتارة يخرج وربما يصيبه ذلك الطبع لغلبة البشري عليه، وأما من تمكن غاية التمكين لا يتصور ذلك في حقه قال عليه الصلاة والسلام (ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا وعَلمه) معناه والله أعلم وإن جهل علمه الله ولا يترك الحق سبحانه نفسه تغلب عليه وتتولاه كيف وهو تولاه، وهذا معنى قوله تعالى والله أعلم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ الآية، لأنه وصف العبد لا يخلو منه الولي، أما وصف البشرية المذمومة فإنه يتطهر منها لا محالة، وأما وصف العبودية فتصيبه كالنسيان والخطأ والهفوة، كيف وقد أصاب ذلك أبونا آدم في الجنة، وليس هذا وصف البشرية المذمومة، حاش إنما ذلك لأمر أراده الله، وكذلك الولي إذا أصابه شيء إنما ذلك لأمر أراده الله، ولا يفهم معنى ذلك سواهم، ولو كان الولي كما

يزعم الكثير بأنه لا يظهر فيه وصف العبودية لكان ذلك نقصا في حق الأولياء رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم، فالولي الكامل يرجع من الهفوة والنسيان والخطأ إلى الله تعالى، والسائر يرجع من وصف نفسه إلى الله، **والرجوع إلى الله هو عين الولاية الكبرى**، وكل أحد الولاية بحسب رجوعه إلى الله، وما خرج أحد من دائرة الولاية إلا من خرج من الرجوع إلى الله قال تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر: 54] فالإنابة حال السائر، والاستسلام حال الواصل، لأن السائر يرجع خائفا من العذاب، والواصل يرجع خائفا من الحجاب، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا، فالحق تعالى جل جلاله يعطي لعباده ما شاء كيف شاء في أي وقت شاء سبحانه لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون.

(**فصل**) **ومن آداب المريدين** المستشرفين الذين غلب عليهم تجلي الحقيقة، فالواجب عليهم أن يستروها ويتركوا الكلام فيها إلا مع خاصة أربابهم، لا عامة أربابها الذين أعطوا العلم بها وهم مقصرون عن العمل بتا، وهذا جل أهل حقيقة غربنا اليوم، واعلم أن صاحب الحقائق عند الاستشراف عليها إذا كثر كلامه لها قلتْ سلامته من تصرفها فيه، لأن من كان تصرفه فيها بالقول كانت تصرفها فيه بالفعل كالحلاج، ومن كان تصرفه فيها بالفعل كالششتري وأضرابه كان تصرفها فيه بالقول وهي العلوم اللدنية ظاهرا كعلوم الششتري وابن الفارض وشيخ شيخنا سيدي علي العمراني الشريف الحسني رَقَّتْ والله عبارتهم عن فعل الخواص لرقة فعلهم، إذ بقدر ما يترقق العمل يترقق العلم، ولا يسلم بظهور علمها إلا من كان له قدم كبير في التجريد الظاهري والاشتغال به أبدا: هذا يسلم من أهل الشريعة ومن أهل الحقيقة فأهل الشريعة يحكمون عليه بالحمق وأهل الحقيقة يحكمون عليه بالجذب فيسلم مَن هذا حاله، وقلَّ من سلك هذا المسلك من الكبار صاحيا سالكا في دفعة واحدة وهو يقلب السكر على الصحو اختيارا فيما يرى وهو في نفسه في غاية الاعتدال، ولا يقدر على هذه الحالة إلا أهل الصدق الكبير جعلنا الله وإخواننا منهم آمين، ففاتوا أهل الجذب والسلوك بهذه المزية كما فات الخضر سيدنا موسى عليه السلام بمزية بعض العلم اللدني، وهؤلاء الكرام كاد تجلي الجمال أو نقول تجلي الصفات أن

يتجلى لهم ظاهرا بمحو الأثر فافهم. واعلم أن جمع الجمع هو حال أهل هذه الطريقة الشاذلية في مرة واحدة، ولا يقدر عليها غيرهم والله أعلم، تراهم فانين في الذات بالصفات بنظرة جمع الجمع ولا يغلب هذا الشرب على هذا، يشربون بكأس جمع الجمع من بحر الفرق، كما يشربون بكأس فرق الفرق من بحر الجمع. واعلم أن الذات المقدسة هي مجموعة في فرقها لعظيم جمالها، مفروقة في جمعها لعظيم جلالها، جمالها كاد أن يكون بلا جلال لشدة ظهوره في عالم الجبروت، وجلالها كاد أن يكون بلا جمال لشدة ظهوره في عالم المُلك. سبحان من هو ظاهر في بطونه، باطن في ظهوره. واعلم أن الله عز وجل جعل الجمع في كل فرق، كما جعل الفرق في كل جمع، إذ لا يقوم الشيء إلا بضده، وهذا المعنى يعرفها من فني عن نفسه وبقي بربه، ومَنْ هذا حاله يشهد في كل فرق جمعا باعتبار رؤية الذات في حال الفنا، وفي كل فرق جمع الجمع باعتبار رؤية الذات عين الصفات في حال البقا، وهذا السر الذي تكلمنا عنه هو سر النفس أخذه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه ونفسه عن ربه، ولا واسطة فيه إلا لمن بعده، فلا يقدر أن يدركه أحد بلا واسطة سواه صلى الله عليه وسلم، وهذا الفن جعل الله للشيوخ لا لـــغيره من سائر العلوم وجعلهم خليفة في ملكه بسبب معرفة حقيقته، ولولا معرفتهم بحقيقة هذا الوجود لما كانوا حاكمين عليه، ففضل الله تعالى هذا الآدمي بخاصية العلم المدركة لحقيقة الأشياء، ولأجل هذه الخاصية كان عاشقا للأشياء لجهله بحقيقتها، وإذا كشف له عن حقيقتها صار معشوقا لإدراكه حقيقة الأشياء فقامت هي حينئذ لعشقه خادمة له وهو يتبختر عليها كما كان يعشقها وهي تتبختر عليه وتموت بعشقه كما مات هو بعشق سيده ولا راحة له منه إلا راحة الزيادة كذلك هي لا راحة لها منه إلا بالقرب له فافهم. واعلم أن النفس هي السر الكامل وهي النور وهي الجمال وهي الكمال، وهذا السر ينكشف لمن سكن بلاد الذل والفقر ولا يرتحل منها أبدا، وأما إذا ارتحل عن الذل والفقر ارتحل هذا السر عنه أحب أم كره إلا إذا كان كامل الفنا، والعز والغنى ينتج عنهما الجهل، والفقر والذل ينتج عنهما العلم حكمة وهبية وهي أخذ العلم، والعلم حكم صفة الذات أعني العلم بالله وأما علم المعاملات فهو حكمة من عالم الحكمة لا للعلم وتنتج ثمرته الذي هو العمل العلم بالله إن صحبه

الإخلاص، والعلم صفة العالم سبحانه وهي الدالة عليه في عالم الجهل، فالدلالة الأولى دلالة خَبر النهار على النهار في الليل، والدلالة الثانية دلالة العين الصافية على الشمس الساطعة، ولولا الجهل لبطلت الدلالة عليها، ولولا العلم بها لبقيت كنزا مطلسما في حال ظهورها، انظر أهل الجهل الجَلي كيف هي فيهم كنزا مطلسما مع شدة ظهورها فافهم، واعلم أنه لولا العلم كما قلناه لما عرفها أحد ولذلك قيل لمولانا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (اطلب العلم ولو بالصين) إلى ما لا نهاية لفضله على غيره، وهذا العلم ينقسم على قسمين: علم الدليل والمطلوبُ العملُ به وإلا فلا علم، وعلم الباطن والمطلوبُ أيضا في بدايته العمل أكثر وأكثر وأما إذا وصل حقيقته صار علمه عمله وذلك لفناء النفوس والاستغراق في عالم المعاني عن توهم عالم المحسوس، لأن نفوس أهله تروحنت فما أدركت صار حالا وذوقا بخلاف غيرهم، وهذا العلم هو الذي قال فيه الشيخ الكامل سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرًّا على الكبائر وهو لا يشعر) لأن هذا العلم بالله لله في الله بخلاف غيره إما أن يكون بنفسه لله وإما أن يكون بنفسه لنفسه فافهم. واعلم أن الجهل صفة لازمة للنفس، كما أن العلم صفة لازمة للروح، وإليه الإشارة بسِر قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ ﴾ [التين: 5] بعد أن كان في أعلى عليين أعني في عالم العلم بالله حيث كانت روحانيته نورانية سالمة من الأغيار والأكدار، فلما تنزلت لعالم الجلال خفيَ عنها حيث قابلها بما لا تفهم فسلط الحق تعالى عليها الأوهام فانحجبت فصار علمها وعشقها وعقلها في غير محله فسُميت نفسا حيث سُجنت في عالم الأغيار، وذلك بظنها أنه عالم الأغيار حكم الحق تعالى عليها بنظرتها فصار عليها أغيارا وأكدارا لا على من يعرفه بالله فإنه عليه أنوار وأسرار كما هو، وهذا هو الفرق لا غير. واعلم أن الجهل ثلاث: جهل أهل الشريعة فروا منه لعلم الظاهر والعمل به، وجهل أهل الطريقة فروا منه إلى علم الطريقة والعمل بها، وجهل أهل

الحقيقة فروا منه إلى الله وإلى العلم به فنجوا وانبسطوا واستراحوا وأراحوا من قرب منهم، وغيرهم كل من قرب منهم أتعبوه بالمشي في بلادهم في العقائب[1] والحداير[2] قاصدين الوصول بالمشقة والمحنة فافهم. واعلم أن النفس لها ظاهر وباطن، ظاهرها جهل، وباطنها علم، ظاهرها فرق وباطنها جمع، ظاهرها ظلمة وباطنها نور، ظاهرها بعد وباطنها قرب، ظاهرها مُلك وباطنها ملكوت، ولما اجتمعت فيها الضدين صارت محل نزول الأسرار والأنوار، وإليه الإشارة بسِر قـــوله تعالى ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [الطلاق: 12] أعني بين عالم النفس وعالم الروح، ولا يمكن أن تقبل نفس مخلوق من الأسرار ما تقبله نفس الآدمي، لأن ظاهرها مجموع فيه عالم الحس كله، وباطنها مجموع فيه أيضا عالم المعنى كله، وكل شيء فيه الجمع بكماله لكن خَصَّ الله تبارك وتعالى نفس هذا الآدمي بإدراك حـــقيقـــة الأشياء دون غيرها كما قلناه. واعلم أن النفس إذا كانت في محل البعد كانت صفة الجهل لازمة لها، وإذا كانت في محل القرب كانت صفة العلم لازمة لها، ومن شرفها وكمالها أن حضرة الجمع دائما تطلبها وحضرة الفرق دائما تطلبها، ومن كمالها أنها عاشقة أبدا معشوقة أبدا، فمهما عشقت حضرة الجمع عشقتها حضرة الفرق، ومهما عشقت حضرة الفرق عشقتها حضرة الجمع، لأنها عروسة، وهي لحضرة الجمع عروسة بالأصل، وأما حضرة الفرق فإنها متعدية عليها لا غير إلا حضرة علم الظاهر والعمل بها فإنها حضرة فرق لا محالة لكن هي المفتاح للجمع تحوشها إليه ولا تتمكن منها كل التمكين إلا بأعمال البواطن، لأن أعمال البواطن حقائق عند أهل الظواهر وشرائع عند أهل البواطن، وحيث كانت أعمال البواطن حقائق نتجت عنها الحقائق، وحيث كانت أعمال الظواهر شرائع نتجت عنها الشرائع، وكل الشرائع عند أهل الباطن حقائق لأن أعمالهم كلها بالله، ولهذا كانت أعمالهم كلها حقائق، وأهل الظواهر وإن كانت أيضا شرائعهم حقائق لكن لا تنتج عنها إلا الشرائع لظنهم أن الأعمال كلها شرائع، قال

(1) العقائب: أي المرتفعات.

(2) الحداير: أي المنخفضات.

جل من قائل فيما يرويه عنه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (أنا عند ظن عبدي بي فليظن ما شاء) الحديث، ومِنْ هذا المعنى كان أهل الله يزيدون إليه سبحانه بكل عمل وبكل حال وبكل قول، يزيدون بالصلاة والتلاوة ويزيدون بالأسباب كما يزيدون بالتجريد ويزيدون بالفقد كما يزيدون بالوجد ويزيدون بالعز كما يزيدون بالذل ويزيدون بالفقر كما يزيدون بالغنى، إذ ليس عندهم إلا تجلي الحقيقة في كل شيء شيء وحتى في نفوسهم ما تجلى فيها ظاهرا فعليًّا وما تجلى فيها باطنا علميا، كل ذلك يرونه بالعلم بالله أنه مظاهر الألوهية، ولا يرون سواه في المظاهر الجلالية ولا في الجمالية، فبنور الله شاهدوا مولاهم، والنور المراد به العلم بالله، وذلك كنور الشمس بنورها ظهرت حقيقتها فصارت هي التي أظهرت نفسَها، كذلك نور الحكمة ظهر به سر القدرة، فصار العارف بالله لا يرى إلا الربوبية تتجلى بجمالها وجلالها في مُلكها وملكوتها بحسب أسبابها، ويرى هذه الأسرار بنور الله كما قلناه غير ما مرة لا به، إذ محال أن يرى العبد مولاه ما دام بنفسه، فصار هذا العارف بالله من جهة وجوده بنفسه لا شيء قط، لأن العلم بالله صفة تكشف عن سر الذات، كما أن علم الدليل دال على وجود الذات، فالعارف لا يرى وجوده بنفسه كما قلناه ولكن مع الصحو يراه بربه، فهو من جهة نفسه لا شيء، ومن جهة وجوده بربه شيء كبير لا يعلم قدره إلا مولاه سبحانه، كما أنه لا يرى وجوده حقيقة كذلك لا إرادة له ولا حول ولا قوة إلا بالله حقيقة مع تصرفه في أموره بالله، إنما يرى تصرف الحق بالحق وتجلي أسرار الحقيقة ظاهرا بحسب أسماء الحقيقة، فالعارف إذا نظر إلى الأشياء بنفسه رآها لا وجود لها لتحقيقه بحقيقتها، وإذا رآها بربه رآها موجودة بإيجاده، فأقامه وصف العبودية مع الله بالأدب، وأقامه وصف الربوبية مع الله بلا سبب ممتد بوصف الربوبية محكوم عليه بوصف العبودية، سبحان من ستر سره في أفضل عبيده، سبحان الحكيم العليم.

فصل في آداب السائر في سيره إلى حضرة ربه: اعلم أن السائر ما دام سائرا نفسه موجودة حية، وحياتها هو ظهور أوصافها الخبيثة تارة عند غلبة طبعها على طبع الروح، والناس فيه مراتب: فمنهم من يكون وصفها هو الغالب عليه وهذا

أدناهم منزلة في القرب، ومنهم من يكون في أوسط الأمور تارة يغلبها وتارة تغلبه، ومنهم من يكون غالبا عليها وتسرقه تارة فإذا أراد الرجوع إلى الحضرة اشتغل بفنائها بالعلم بالله حتى تضمحل وتزول ويرجع في الحال كأنه ما خطرت بباله، بخلاف الواصل لا تظهر له صورة نفسه قط في حال ظهور وصف البشرية فيه لأن ذلك صفة وصف البشرية لا وصفها حقيقة كما في غيره بل هو منزه عن هذا لفنائه في محبوبه وذهاب توهم الغيرية بالكلية بخلاف غيره فافهم، والفرق بين السائر وغير السائر: أن السائر ربما يقع منه الزلات والهفوات الذي يقع من عامة الناس لكن لا يرضى عن نفسه ولا يحب ذلك بقلبه وينكسر عند ذلك حياء من ربه وتصير نفسه عنده بمنزلة الكلب المهجور أو أشر منه، لأن الكلب يعلم هذا العاصي أنه لا يدخل النار، وهو يرى نفسه إذا لم يرحمه مولاه استحق النار بفعله، فإن حصلت منه التوبة النصوح وصحبه الندم والحزن والخوف والحياء والهيبة وأن لا يعود أبدا فهذا دليل على أن رحمة الله قد نزلت به، وهذا هو الرجوع إلى الله تعالى وصاحبه مقبول، قال جل من قائل ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: 135] أي رجعوا إليه خائفين منكسرين حقيرين ذليلين طالبين العفو والغفران وهذا رجوع السائر، ورجوع الواصل هو غيبته في شهود عظمة محبوبه حين الالتفات لأن العارف لا يمكن أن يحضر بباله سواه سبحانه قط وهذا هو الحفظ الكبير، ودونه هو انكساره وحياؤه وخوفه وندمه وتوبته إلى غير ذلك وهو حفظ السائرين، ولولا الحفظ من الله لقلوب أحبائه ما اتصفوا بذلك، والقلب الذي ليس بمحفوظ خراب وهو يفرح بالمعاصي والشهوات والعوائد، فالحفظ الأول حفظ الله لقلوب أحبائه وأصفيائه جعلنا الله وإخواننا منهم آمين، والحفظ الثاني حفظ المَلَك الموكل بقلوب المؤمنين، والحفظ الثالث موكل به الشيطان والنفس والهوى فالشيطان يزين والنفس تتبع والقلب يعشق فصار القلب خرابا والنفس ظلمة، والسلام.

فصل في آداب الفقير الصادق الذي تعلق به بعض الإخوان بعد إذن الشيخ

أن يذكر، فمن آدابه أن يذكر لله لا لشيء سواه، وأما إن قصد بتذكيره حظًّا دنياويا

ولو قلّ فلا يجيء منه شيء، لأن الطمع من رعونات النفس، والذي لا يتخلص من الطمع في الوصل لا يطمع لا سيما في توصيل غيره، وينبغي له أن يترك الطمع في كل ما عند من قدم عليه لأن الأخذ من يديه فساد لنا وله أي للقابض والدافع، ولا نأخذ منه سوى نفسه ولا نقبل منه شيئا من الأشياء فذلك يدل على زهدنا وعلو همتنا وبذلك يزيد هذا الزائر إلى الله تعالى، إذ الدنيا عنده هي حبيبته وإذا رغبت له في حبيبك زهد في حبيبك وسيدك ومولاك وهو الله عز وجل، فعَلٍّ همتك أيها الأخ الناصح إن أردت أن تأخذ الناس إلى الله تعالى، ولا تأخذهم بالهمة الدنية وإن أخذوا لا يجيء منهم شيء فافهم فهذا حال العارفين، وإن أعطى لنا شيء من غير نظر له ولا طمع فيه أخذناه وجعلناه لله لا لنفوسنا، وإن رأيناه يريد المعرفة الكاملة بإعطاء الفلوس دون النفوس صرحنا له بأن لا تنال منها شيئا، لأن الظلمة ليست هي مهر النور إنما مهرها النور وهي النفس، لأن النفس نور وما تظلمت إلا بالفلس والجنس، وليست الدنيا المنهي عن حبها هي الكائنات إنما الدنيا حب النفس للكائنات، والله تعالى خلقها لحبه أي لينال بها حبه، فالمذموم هو حبها لغير الله، ولذلك كانت الأنبياء والأولياء تأخذ الدنيا وتنفقها في الله وذلك بعد أن أخذوها من الله وأعطوها لله، فصار السوى المنهي عن الالتفات إليه هو حبك لشيء مخصوص دون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولو أحببت الله حق حبه لأحبك كل شيء بحبه سبحانه فتأخذ ما أمرك وتترك ما نهاك امتثالا لأمره واجتنابا لنهيه، وذلك علامة المعرفة به، ومثل ذلك كأمير أحبك وأمرك بأن تدخل بعض بساتينه ونهاك عن دخول بعض مع حبه فيك، فالذي أمرك بالدخول فيه فيه الذكور من أهله، والذي نهاك عنه فيه الإناث من أهله، فإن تعديت قطع رأسك، كذلك الذي نهاك عنه سبحانه حقائق خفية لا يطلع عليها سواه، وأعظم ما تشتهي النفس وتحبه ما نهاها الله عنه ورسوله، وأعظم ما تكره ويثقل عليها ما أمرها الله به سبحانه ورسوله، والحكمة في ذلك والله أعلم أن الذي أمرها به عبوديته ظاهرة وحريته باطنة، فمن تمسك به صار عبدا ظاهرا حرا باطنا، بخلاف الذي نهاها عنه فإن حريته ظاهرة وعبوديته باطنة، والعبودية في الظاهر صعبة لا تقدر عليها النفس لأنها مطموسة

البصيرة لا ترى جمالها الباطني وإنما ترى جلالها الظاهري، فلذلك أيدها الله بالعقل، والعقل أيده الله بالعلم، والعلم صفة أزلية لازمة لذاته سبحانه، فالعقل في بني آدم عام، والعلم خاص، فمن أيده الله بالعلم فهو عقل كامل لا يقبل إلا الحق ولا يتبع إلا إياه، ومن هو كذلك هو الذي ملك نفسه عن الهوى، وملكيتها عن الهوى هو عين الدواء، وهذا العلم لا بد أن يكون مقرونا بالخشية وإلا فليس عند صاحبه إلا الصورة، والصورة صفة العلم لا ذاته، والمراد من العلم ذاته وهو العمل به، لا صفته وهو الخبر به، لأن الخبر ظن، والظن لا يغني من الحق شيئا قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ [يونس: 36]، والعمل به حق، والحق أحق أن يتبع، ولنرجع إلى القصد الذي أردناه وإن أراد المعرفة الكاملة بإعطاء الفلوس دون النفوس قلنا له هذا الذي تطلب يا أخي بعد موت نفسك بالذل والفقر والفاقة ولا تطلب على ذلك جزاء من ربك ولا من شيخك، فمِن ربك أن تقوم لحقه وذلك أن تعبده خالصا لوجهه لا لخوف ولا لرجاء، ومِن شيخك أن لا تطلب منه كرامة ولا غير ذلك وإنما تطلب منه أن يعرفك بنفسك ودسائسها ومساوئها الخفية والجلية، فإن قبل ذلك قدمناه وإلى الحق وجهناه، وإن لم يقبل تركناه وإلى الله خليناه، فهو الهادي لمن شاء كيف شاء بما شاء بواسطة أو غيرها، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب، فالاجتباء بلا سبب، والهداية بالسبب، الاجتباء جذب، والهداية سلوك، والكل من فضل الله تعالى ومنه، فمن أدخله من باب الهداية ابتدأ بالعبودية، ومن أدخله من باب الغاية وهو الجذب انتهى في العبودية، فإن قال قائل المجذوب لا عبودية له قلنا هو في غاية العبودية وكيف لا يكون في العبودية وظاهره مثل المزبلة لا يبالي بنفسه ولا بأبناء جنسه وهذا من شدة العبودية لله عز وجل لكن قلْ يا أيها الأخ لا شعور له بها من حيث غلبة الحال على عقله، ولا فرق بين المصطلم والسالك إلا الشعور، هذا شاعر بها وليس هو معها في دفعه وأخذه، وهذا ليس هو شاعر بها ولا بنفسه فافهم، ولنرجع للذي أردناه فإن قبلَ ذلك قدمناه وللحق وجهناه، وإن أبى تركناه، وكيف ينال العبد هذه المرتبة الشريفة بإعطاء الفلوس هذا من المحال، ولا شك أن الفلس بعض من النفس، والذي يعطي البعض لا ينال الكل، قال في كتابه العزيز

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ قلنا أنفسهم من الأقوياء وأموالهم من الضعفاء والله أعلم، أو نقول أنفسهم من أهل المحبة وأموالهم من أهل الخدمة، أو نقول أنفسهم من أهل الحال وأموالهم من أهل العلم والعمل، أو نقول أنفسهم من أهل العبودية وأموالهم من أهل العبادة إلى ما لا نهاية له. انظر رحمك الله كيف قدَّم الحق سبحانه بيع النفوس على الفلوس، لأن النفوس لا يخرج عنها إلا الصديقون، والفلوس تبذل للحظوظ لا محالة إما الحظوظ الأخراوية أو الدنياوية، فكما أن أهل الفلوس الدنياوية يملكون بها الأملاك الكثيرة في الدنيا، كذلك أهل الفلوس الأخراوية حين يخرجون عنها لله يملكون بها الأملاك الكثيرة في الآخرة من القصور والحور ورفع الدرجات وغير ذلك، وأما من خرج عن نفسه لله خالصا فجزاؤه النظر في وجهه سبحانه، وجمال الجنة بعضٌ من جماله سبحانه، وجمال الدنيا أيضا بعضٌ من بعض جمال الآخرة فافهم.

ومن **آداب المريد** ألا يدخل على شيخه في ثلاث مواضع: الأول إذا كان يأكل الطعام ربما يكون له فيه حاجة فيؤثرك على نفسه، وربما تكون أنت غير محتاج له، فإن حالتهم رضي الله عنهم الإيثار وطبعهم السخاء ووصفهم الكرم، أو تكون أيضا له فيه شهوة فتمنعه منه فتقع في سوء الأدب، وشهوتهم رضي الله عنهم ليس بشهوة النفس إنما هي شهوة الروح، إذ هم يزيدون بكل شهوة إلى الله تعالى، وغيرهم ينقصون بكل شهوة وعادة، وهم خلاف ذلك فأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم كلها عبودية وقد دخلوا في ذلك كله بالله ولله وفي الله، ولا تحكمْ عليهم بما تحكم على أهل النفوس حاشاهم من ذلك وقد تقدم تبيين هذا المعنى فانظرها إن شئت. الثاني: إذا كان في موضع وحده فلا تقدم عليه بل اصبر حتى يخرج أو يأذن لك في القدوم، وإن دخلت بإذن نفسك هلكت لا محالة إما في حسك أو في معناك أو فيهما معا بسبب سوء أدبك، والفقير الصادق هو الذي يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله، وهل يتحرك الميت بنفسه هذا لا يمكن، كذلك الصادق، ولا يتصنع له كما يتصنع أهل النفوس لبعضهم بعضا بل يكون باطنه مملوءا بتعظيمه وظاهره متأدبا بأدبه لا يزيد ولا ينقص إن أشار له في شيء فعله وإلا فلا، وهذا الأدب كله في

حقيقته هو مع الله، فإن زال الحجاب وكمل الأدب علم هذا الفقير أن أدبه كان مع الله لا مـــع الشيخ ولا مع الأشياء، ولا يتحقق لأحد ما ذكرناه من أسرار القرب إلا بـــالأدب وإلا فـــلا، وليست هذه الطريق طريق العمل إنما هي طريق الأدب، ولا يـــدخل علـــى الأدب سوى من عرف ربه وهي الدلالة على الله تعالى، ولذلك قال مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته (مَنْ دَلَّكَ على الله فقد نصحك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الدنيا فقد غشك)، واعلم أن الشيخ إن كان وحده لا يكون إلا في أربعة مسائل هذا هو الغالب: إما في علم أو حال أو نوم أو مـــرض. الثالث: إذا ذهب إلى الخلا فلا تتبعه ولا تتوجه إلى الموضع الذي توجه نحوه ولو كنت في غاية الاحتياج إليه ولو عرفت أن قصده غير قضاء الحاجة، واعلم أن الأدب أفـــضل من النسب لأن صاحب الأدب أخذ بمعناه عليه الصلاة والسلام، وصاحب النسب أخذ بحسه، وهذه الثلاث من أعظم أركان الأدب الذي يجب على المريد حفظها في بدايته أكثر من نهايته، لأن وقت النهاية يكون الفقير عارفا بأصول الأدب، وينبغـــي لكل من له قدم في الطريق أن ينبه على هذه الثلاث كل داخل في حضرة الشيخ، ولا ينبغي للمريد أن يكون طبعه طبع الكلب يدخل على سيده أين ما وجده ويسير وراءه أين ما سار، فهذا حال من لا علم له ولا تعظيم فيه، فالعلم كلـــه نتائجه الأدب، والجهل كله نتائجه سوء الأدب، وإن أردت إخلاصها من هذه الأوصـــاف الذمـــيمة والأخـــلاق اللئيمة فالزمها التذلل بين الأقران والوقوف مع جدارات الفنادق والحوانيت والحمامات والمطاهر والجلوس في المزابل بعد الحفظ من النجاسة والجلوس أيضا في الجزارين بعد الحفظ أيضا من الدم والجلوس في التربعة وفي ســـائر الأمـــاكن الـــسُّفْلية حتى تصير عند الجنس بمنزلة الكلب، إذ لولا الجنس ما عظمـــت النفس، ولا يسمى التواضع حقيقة ولا يصدق عليه اسم المتواضع إلا إذا سقطت نفسه من عين أبناء جنسه ولا يُبالي وإلا فلا يقال فيه متواضع، إذ لا تظهر صورتها إلا في أبناء جنسها، فالشيء الذي يأتيها من عند الله من غير واسطة الجنس تحملـــه وتصبر، والذي يأتيها من قبل الجنس لا تطيقه إلا بعد موتها وفنائها وذهابها وزوالهـــا، ولـــذلك كانت نورانية المعتزل بنفسه في وسط أبناء جنسه أعظم وأقوى

وأرق وأدق من نورانية المعتزل بنفسه في غير أبناء جنسه، إذ النورانية الذي تشتعل في الجنس لا يخاف عليها بخلاف غيرها قلّ أن تبقى على حالها إلا إذا تمكنت كل التمكين، فالزمها الذل بين الأقران والجلوس في المزابل في الأزقة والطرق وتحت سباط الحوانيت حتى تصير كالكلب المهجور الذي لا مولى له، ثم ألزمها العزلة عنهم حتى تستوحش منهم، ثم ردها لهم، ثم جَوِّعْها كثيرا ثم شبّعها كثيرا ثم صمّتها كثيرا ثم كلّمها كثيرا ثم لبّسها كثيرا ثم عرّها كثيرا ثم نوّمها كثيرا ثم أيقظها كثيرا وهكذا إلى أن تصير طوع يدك، فإن علمت منها الإخلاص غبْ عنها وعن إخلاصها وكنْ بعد ذلك في الحال الذي يقيمك مولاك لا تدبر ولا تختر، واعلم أن الذي وَجَّهَهُ إليك هو المختار، فافهم عن الله فهكذا مقام الفهم عنه.

(فصل) اعلم أن الأدب وصف الروح قديم، وسوء الأدب وصف النفس حادث، فإن ظهر فيك الأدب ظاهرا وباطنا فاعلم أنك روحاني سماوي، وإن ظهر فيك سوء الأدب ظاهرا وباطنا فاعلم أنك نفساني أرضي. ومِنْ كمال ابن آدم أن حِسَّهُ أرضي ومعناه سماوي، ولما كان هذا حال أبينا آدم عليه السلام في الجنة وكانت الأنوار حاكمة على الأغيار، لا يعرف الأغيار ما هي وهي كامنة فيه إذ هي من الكمال الكبير، أراد الله سبحانه أن يظهر كماله فيه بفضله وإحسانه ويظهر من كماله كمالا كبيرا لا يعلم قدره سواه سبحانه فسلط عليه إبليس حتى استخرج منه وصف البشرية أحب أم كره فكان هو السبب في نزوله من عالم الأنوار إلى عالم الأغيار، فلما نزل اعتدل الأمر وكان ملكيا ملكوتيًّا في دفعة واحدة، ولذلك كان خليفة الله لأجل جمعه بين الضدين، فكل من اعتدل من ذريته صار خليفة، فإن قلتَ لِمَ لمْ يكن الخليفة من الملائكة ولا من الجن؟ قلنا لأجل حكم الروحانية على الجثمانية في غير الآدمي، فالاعتدال خاص بالآدمي ببركات مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، واعلم أن ظهور وصف البشرية ليست هي من النقص إذ بها ترقى هذا الآدمي إلى مقام لا يدركه أحد سواه في القرب منه سبحانه، وإنما نُسِبَت إلى النقص من حيث الوقوف معها والاشتغال بها عن الله تعالى، لأن هذا الآدمي أودع الله فيه من السر ما لم يودعه في غيره: أودع الله في نفسه الحب الكبير والشوق الكبير

والعشق الكبير والجمال الكبير الذي هو في سائر الأشياء، فإذا غفل عن كماله صار عاشقا للأشياء لجهله بقدره، وإذا اشتغل بكماله صارت الأشياء عاشقة له لأنها تشاهد فيه جمال الله الكامل الذي أودعه فيه، ولهذا الجمالِ الكامل سجدت الملائكة عليهم السلام، ولهذا كانت الخلافة من بني آدم والله أعلم وأحكم ولم تكن من غيرهم، والخليفة لا يكون من ابن آدم إلا بعد البلوغ وقيل بعد الأربعين سنة لأنه يكمل العقل والحب فيه، ولا يكمل قبل ذلك إلا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والخليفة الذي لا تشغله الحقائق عن الشرائع ولا الشرائع عن الحقائق في دفعة واحدة، ولم تكمل خلافة أبينا عليه السلام حتى أهبطه مولاه إلى الأرض بدليل قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: 30] ولم يقل في السماء، لأن السماء تجلي جماله سبحانه فيه غالب على تجلي جلاله، والأرض تجلي جلاله فيها غالب على تجلي جماله، والآدمي بين الأرض والسماء وذلك لزيادة كماله وأنه ليس موضعه الأرض ولا السماء وإنما موضعه عالم المعاني الذي أحاط بسائر الموجودات، فاعرفْ قدرك أيها الإنسان، ولا تكن عنه نسيان، وقلْ ألله ألله حتى تفنى سائر العوالم وتتجلى لك في نفسك أسرار العالم فترى سائر الموجودات سرا من أسراره، وذلك السر بعض من سرك فافهم، ولا تصل هذا السر إلا بالأدب، والنفس لقوتها وكمالها لا تتأدب لخالقها لأنها تشير لكمالها الأول وأنها تحكم بالله ولا يحكم عليها ولم تر أنها خارجة من عالم المعاني محجوبة عن خالقها سبحانه بوصفها الأرضي الحادث فيها بقدرته وإرادته لحكمة أرادها الحق سبحانه، والحكمة التي أرادها منها سبحانه هي أن تشهد له بالوحدانية وتتأدب بكمال الأدب مع الألوهية ولا تنسب لنفسها حولا ولا قوة وذلك هو شرفها، وقد كانت قبل جهلها بالله في عالم المعاني متأدبة بكمال الأدب ولكن ذلك موضع القرب لا يظهر أدبها، والأدب يظهر في موضع البعد وهو عالم الحس عالم الحجاب عالم الفرق، وتتجلى بها الحق سبحانه في صور كثيرة وكل صورة منها قالت أنا، فلله الأمر من قبل ومن بعد، كيف يكون معرفتها إلا بفضله وإحسانه، ولذلك جعل الله الوسائط لها في سبب معرفته وعبادته، فمن عرفه معرفة العيان كان مقامه مقام الأدب، ومن عرفه معرفة البرهان كان مقامه مقام

العبادة، فصاحب العبادة أدبه ظاهر غير باطن، وصاحب العبودية أدبه ظاهر وباطن لأنه عرف نفسه، ومَنْ عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه فني في محبته، ومن فني في محبته زال عن حوله وقوته، ومن زال عن حوله وقوته تأدب معه سبحانه بكمال الأدب، وهذا علامة النفس الروحانية التي تخلصت من رؤية السوى، ولذلك صار الأدب طبعها لأن الأدب قديم وهو وصف الروح، وما خرجت هذا الروح من الأدب إلا بسبب بُعدها كما قلناه، وبسبب سوء أدبها سميت نفْسا، وإذا رجعتْ لأصلها سُميتْ روحا وهي السر المصون الذي لا يطلع عليه أحد سواه، وأهل العلم بالله يشيرون إلى سرها ولا يصرحون إلا عند غلبة الحال وذلك حياء من الله تعالى حيث قال جل جلاله ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: 85] معناه والله أعلم لا تصرحوا بحقيقتها لأنها من أسرار الألوهية، وكشف سر الألوهية كفر ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: 85] معناه والله أعلم ما علمتم من علمها إلا قليلا بالنسبة لعلم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فصار الأدب قديما، وسوء الأدب محدثا كما قلناه، فالأدب قديم يتعلق بالروح ويرجع إلى وصف الربوبية، وسوء الأدب محدث يتعلق بالنفس ويرجع إلى وصف العبودية، وإذا أراد الله أن ينصر عبده أمدَّه بوصف الروح فيكون طبعه حسن الخلق مع كل مخلوق، وإذا أراد الله أن يخذل عبده أَمَدَّه بوصف النفس فيكون طبعه سوء الخلق مع كل مخلوق، والأدب كله من مشاهدة الحبيب، وذلك كأصحاب الملك الدنياوي تراهم إذا شهدوه تأدبوا معه قدر استطاعتهم فمنهم من يديم الجلوس معه وذلك لشدة أدبه ومنهم تارة بتارة بحسب قربهم منه، وكذلك حضرة الملك الحقيقي الذي هو مالك الملوك سبحانه وتعالى فهم أيضا بحسب قربهم منه، وقرب أهل الله ينقسم على ثلاثة أقسام: قرب الأنبياء كشهود الشمس بلا سحاب، وقرب الأولياء كشهود الشمس في السحاب اللطيف، وقرب الصالحين كشهود القمر في السحاب الكثيف، وفوق كل ذي علم عليم، ومنتهى العلم إلى الله العظيم.

ومن آداب **المريد** أن لا يتزوج قبل الرسوخ والتمكين، لأن حب النساء من

أعظم السموم ومن أكبر الهموم، ولا يتزوج إلا إذا خاف على نفسه الفتنة أو وقوعه في الحرام هذا واجب عليه وربما كان بعيدا من شيخه فلا يخبره لئلا تطول به الفتنة فينقطع عن الله سبحانه وإن كان معه حاضرا أو قريبا فليبح بما عنده في قلبه ولا يكتم عن شيخه شيئا، لأن الحياء في الحق بدعة عظيمة، ومن البدعة الكبيرة الحياء من الخلق ولو كان الحياء من الخالق سبحانه لما ستر من عيوبه شيئا وكيف والشي طبيب وهو يكتم علته عن الطبيب هذا لا يناسب الصديق، ولا شك أن التزوج حمل ثقيل على السائر، والسائر كله ضعيف لكونه مملوكا في يد الأحوال، وإن رأى من نفسه صبرا فلا بأس بستر ذلك عن الشيخ، وإن أشار له الإشارة الخفيفة بقدر الحال الذي هو فيه فلا بأس، واعلم أن المملوك في يد الأحوال لا ينبغي له إلا التخفيف من كل شهوة أباحها الحق سبحانه لعباده المؤمنين، وإن كان قوي الإرادة ينبغي له أن يتزوج إذا أراد أو يتركه إذا أراد لأنه لا يشغله عنه سبحانه شاغل لصدقه في طلب مولاه وتعلق همته به سبحانه، وينبغي للسائر الضعيف مثلي أن يقطع كل علقة وشهوة مباحة كانت أو غير مباحة لأن طريق الشاذلية طريق البسط فمن تمادى إلى الشهوات خرج عن القصد لا محالة، لأن البسط مع وجود الشهوة وحياة النفس تؤدي بصاحبها إلى المكروه أو المحرم، ومَنْ وقع في شهوة من ذلك غير مغلوب بالسكر فهو المطرود إلا إذا زال عنه البسط ووقع له الحزن والندم والخوف والحياء ونوى ألا يعود، وإن قدر عليه وأعاد أدركه هذا الحال فهو من الناجين، وإن عاد ولم يجد من الحزن والفقد والخوف والحياء والهيبة والتوبة شيئا فهو من القاسية قلوبهم من ذكر الله، نسأل الله السلامة يا مولانا لنا ولإخواننا ولسائر المؤمنين أجمعين من قساوة القلوب وغشيان الذنوب يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. واعلم أن سطوة الأنوار عند الاستشراف تغلب الرجال الصادقين فضلا عن غيرهم، إذ المغلوب للأنوار قهرا عليه معذور كما قدمناه، ولا يعذر غير المصطلم وقت اصطلامه في سوء أدبه، وأما إن خرج من الاصطلام وحمله البسط على سوء الأدب فإنه يؤدب بوضع الحجاب بينه وبين محبوبه، وهذا من العقوبة الكبيرة وهي سلب البواطن من الأنوار وتسليط النفس عليه في عالم الأغيار، وأما إن عوقب الفقير ظاهرا بالأمراض وإهانة الخلق والفقر وغير ذلك فليحمد الله ويثني عليه بالشكر إذ ذاك عناية منه

سبحانه ولطف بعبده، وقد اشتهيت يوما شهوة مباحة وشرهت نفسي إليها وفعلتها وأنا أعلم أن نفسي شارهة لها ومحبة فيها فما بقيت إلا قليلا حتى عوقبت بفعلها وأدبني مولاي ظاهرا لا باطنا والحمد لله على الرفق، ولا ينبغي للمريد أن يتتبع الشهوات المباحة بنفسه فكل ذلك بعدٌ عن ربه لأنه طالب الخصوصية الكبرى، وحب الشهوات مع ثبوت النفس حال الغافلين، لأنه من أحب شيئا كان له مملوكا أحب أم كره، والمِلكية لا تصحُّ حقيقة إلا لله سبحانه، لأن النفس إذا غلبت بطبعها على الروح كانت عاشقة للجمال العاري، والجمال العاري مثله عند المحققين ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ ، كذلك النفس تحب الأشياء فإذا ملكتها افتقرت منها وطلبت غيرها، ولم تزل هكذا تعشق الشيء فإذا ملكته زهدت فيه، لأن الغنى لا يكون إلا بالله ولا يكون بالمخلوق قط، والروح إذا غلبت بطبعها على النفس تركت النفس وما أحبت واشتغلت بطلب الجمال الحقيقي فتراها تنظر لباطن الأشياء كما تنظر النفس لظاهر الأشياء فلم تزل تنظر وتحد النظر حتى تنصقل مرءات قلبها فتنطبع سائر الموجودات في مرءاتها الصافية فلا تطلب بعد ذلك شيئا إلا الثبات في النظر والبعد عن الكدر، ولا يكون لها بعد ذلك سبب سوى مداومة الأدب، ولنرجع للذي أردناه ولا ينبغي للفقير الصادق أن يتبع شهوة المباح كما قلناه حتى يتخلص من نفسه فإذا تخلص يأكل من المباح ما شاء ويلبس ما شاء ويركب ما شاء ويتزوج ما شاء لأن النفس التي كانت تشتغل بذلك عن الله ماتت وفنيت وزالت وذهبت ولم يبق منها شيء، ومعنى موتها رجوعها روحا بغلبة طبع الروح عليها حتى أخذتها وملكتها وطهرتها وجعلتها أهلا للحضرة، والنفس في الحقيقة هي الروح ولكن تاهت عن سرّها وبعدت عن ربها وحجبت عن قدرها وشرفها فسُميت نفسا كما تقدم غير ما مرة، ولا يتشكل هذا النظر إلا على من لا معرفة له بعلم الذوق، ومن لا ذوق له لا يفرق بين النفس والروح، والنفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام: إذا كانت في مقام الحجاب الكثيف سُميتْ أمّارة، وإذا تلطف الحجاب عنها سميت عقلا لأنها تعقل عن الله والعقلُ موضع الطاعة لله عز وجل، وإذا زادت في التلطيف سميت قلبا والقلبُ محل الخشية والزهد والورع والحلم والصبر وغير ذلك من سائر الأحوال والمقامات. ثم الروح أيضا

تنقسم إلى ثلاث: فإذا استشرفت على العلم بالله سميت روحا عالمة، وإذا وصلتْ سميت روحا واصلة، وإذا تمكنت سميت روحا كاملة وسرًّا من أسرار الله، ولنرجع للقصد الذي أردناه واعلم أن شهوة المباح هي التي منعت الفقراء والعلماء والصالحين عن المسير إلى حضرته سبحانه، والسير لا يكون إلا بعد الإخلاص وإلا فلا سير، ولا تنظر أيها الأخ لشدة العلم ولا لشدة العمل، وانظر للإخلاص فأقلُ العلم وأقل العمل يكفي، وإن غاب فالله يعظم الأجر في صاحبه، والإخلاص أمر قلبي لا قالبي وصاحبُه لا تجده إلا كالأرض، فإن وجدت فقيرا أو عالما أو عابدا منكسرا حقيرا ذليلا فقيرا ضعيفا محققا بوصفه فاعلم أنه نازل في مقام الإخلاص، وإن وجدته متكبرا متكلما غنيًّا بعلمه أو عمله أو بدنياه أو بنفسه فاعلم أنه من أهل الإفلاس لا يعرف الإخلاص ما هو، والإخلاص هو المأمور به في الكتاب والسنة والإجماع قال جل من قائل ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، والإخلاص قلٌ من يتكلم عليه في زماننا هذا، فالواجب على علمائنا أن لا يتكلموا اليوم إلا على الإخلاص لأن العلم كثير والعمل كذلك، والإخلاص أقل القليل وذلك لغلبة الباطل والهوى على الحق والنفوس على الأرواح والجهل على العلم والدنيا على الآخرة والظلمة على النور، وقد اتفق الناس كلهم على الدنيا ولا ينهى عنها عالم ولا صالح وهذا من علامة تمام الدنيا، وقد كانت العلماء والصالحون تموت على الدين ولا ترجع عنه ولا يخافون في الله لومة لائم، واليوم أعطِ لهم الدنيا لا يتكلمون على الحق وإن رأوه وعرفوه وحققوه فمثل من هذا حاله كالكلب إذا خفت منه أعطه ما يشغله عنك واذهب ولا تخف، ومن كان عاقلا فليتأمل ما قلناه هل هو حق أم باطل، فالله يمن علينا وعلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول منه سبحانه بمحض كرمه إنه جواد متفضل، ولا ينقطع أهل الإخلاص ولا من يتكلم عليه إلى أن تقوم الساعة، إذ لولا هو وأهله لذهب الله بالجميع، ولنرجع للذي أردناه اعلم أن الحجب التي بيننا وبين ربنا هي شهوات نفوسنا لا غير، فمَنْ رفض الشهوات وترك الدعوات ورد نفسه عن الهفوات ذاق الحلاوات، واعلم أن النفس قبل تطبعها بالشهوات نور محض كالنهار الذي لا سحاب فيه فإذا دخلها بعض الشهوات نقص من نورها بحسب ما ينقص السحاب من ظهور ضوء الشمس فإذا تراكمت

الشهوات لم يبق من نورها إلا أثره فإذا زادت رجعت ليلا مظلما، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، وسبب ورود النار البعدُ عن الجبار، وسبب ورود الجنان القربُ من المنَّان، فمن أحبه مولاه منعه من الشهوات والدعوات اختيارا أو قهرا، ومن أبغضه أعطاه الشهوات وأطلق على لسانه الدعوات: هاتان الحالتان أيها الإخوان من أعظم الآفات.

ومن آداب المريد أيضا أن لا يستعمل دارا ولا لباسا ولا فراشا ولا بهيمة ولا بلدة ولا غير ذلك من الأمور أحسن من دار شيخه أو لباسه أو فراشه أو بهيمته أو بستانه مثلا، فالمريد الحقيقي ينزل نفسه منزلة العبد الذليل وينزل شيخه منزلة السيد الجليل، ولا ينبغي له أن يقتدي به في أحوال العُلويات ولا في أحوال السُّفليات إلا بإذنه في كل شيء. نعم تقتدي بأخلاقه في الأحوال وفي الأقوال على ما يأمرك به وينهاك عنه، وإن زدت تقع في سوء الأدب لا محالة، إذ الشيخ غيور على مقامه لا يحب من يدعيه بنفسه، وإن ادعاه بربه فالواجب عليه ستره من شيخه أدبا معه وخوفا منه، فالمدعي له بنفسه مثله كرجل أصبح يدعي المملكة وليس له جيش ولا مال فسمع به الملك فقطع رأسه، كذلك الأمر وهذا أغير وأغير لكونه ملكا ربانيا، وقد كنا مع شيخنا رضي الله عنه وأرضاه بحضرة فاس عمرها الله بأهل العلم والصلاح وأخلاها من أهل الجهل والطلاح وكان شيخنا يتزيّا بزي عُلوي فكان رجل من أصحاب شيخه رضي الله عنه ونفعنا ببركاتهم أجمعين ناقص التربية ناقص الأدب فتزيّا بزيه من غير إذنه فدخل على الشيخ في محفل فانقبض الشيخ من ذلك وأخذته الغيرة في نفسه على حاله فهلك أخونا في الحين فمات رحمه الله، وأما السُّفليات فكان شيخنا رضي الله عنه ونفعنا ببركاته حلق لحيته بوارد قوي رباني وجعل في ظاهره من الأحوال ما يناسب ذلك فلما رآه بعض الإخوان تزيّا بزيه فانقبض خاطر الشيخ وكان يكرر ذلك مرارا على جهة الإنكار عليه وسوء أدب ذلك الأخ على الشيخ، وهذا ومثله منا ومن إخواننا هو الذي حملنا على هذا الكتاب وذلك كله قليل في حق الله ومن يعرفك به، **واللهِ ما خلق اللهُ الخلق إلا لأجل الأدب معه لا غير**، والواجب على المريد الذي يريد الدخول إلى حضرة الله تعالى

على يد شيخ عارف محقق سالك مجذوب ألقاه الله به وفتح له به أن يجعله قدوته ولا يتحـرك ولا يسكن إلا بإذنه لا ظاهرا ولا باطنا، فإذا كان المريد للشيخ مريدا على هذا الوصف كان الشيخ للمريد شيخا، ولا ينقطع وصف البشرية الذي هو محل سوء الأدب بالكلـية عن الولي الكامل وإذا ظهر له شيء منه فمحله الجوارح، والقلبُ لا يـصيبه شـيء من ذلك، وإن أصابه شيء ذهب في الحين وذلك لسكون النور في القلـب، لأن الولي برزخ بين المُلْك والملكوت لكن الحكم للملكوت على المُلك، لأن الملكوت يأخذ البواطن ويرد الظواهر، والمُلك يأخذ شيئا من الظواهر ولا سبيل له على البواطن، وإن هجمت الظلمة على النور دفعها النور سريعا لأنه مالك لقرية القلب، وقد يصدر من الولي شيء تحسبه خارجا عن الشرع وهو في غاية الصواب، لأن شـريعة العارف هو ما يبرز من عنصر القدرة لفهمه عن الله إلا أنك لا تعرف تأويل ذلك، والتسليم له فيما يبرز منه إن كنت مقتديا به أولى، وإن لم تكن مقتديا فلا بأس بسؤاله عنه، وإن أشار إليك بحكم خفي فاقبله ولا ترده إلا إذا تحقق لك أنه ليس بولي فلا تقبل منه شيئا إلا ما وافق الشرع وإلا فلا، والسلام.

ومـن **آداب المـريد** أيضا أن لا يتنخم في حضرة الشيخ كما يفعله من لا معـرفة له بالأدب إلا إذا كانت به علة غالبة عليه لا يقدر على ردها فذلك معذور في سـوء أدبه، ويجب على الإخوان الصبر على من به شيء من ذلك سواء كان في حـضور الـشيخ أو في غيبته ولا يكلمونه على ذلك ولا يشيرون إليه، ربما يكون كارها لذلك فيزيدونه على ما به، والمؤمن هو الذي يوسع على أخيه ولا يضيق عليه ويـستر عـنه مساوئه حتى يرى فيه أهلية القبول فيشير إليه بذلك، وقد يقع سوء الأدب مـع الإخوان بعضهم من بعض أكثر مما يقع منهم مع عامة الناس، والعلة في ذلـك أن الفقير إذا خرج للعوام استعد للمعرفة فيهم والأدب معهم فمَثله كالمجاهد الـذي يخـرج لقتال العدو ويقلد آلة حربه فيخرج وإذا رجع إلى أصحابه أمن من العدو فنزع آلة حربه عنه، كذلك الفقير وهذا مجرب صحيح، ولا شك أن من أساء الأدب مع الإخوان لا ينجح منه شيء ولا يصفى له الأدب مع العامة ولا تصفى له نظرته فيهم، فإن الجنس واحد، وأصعب المعرفة في الإخوان وكذلك الأدب أصعب

مـــا يكون فيهم، لأن فيهم أيضا من يحسدك ويبغضك ويحاربك مع قلة الاستعداد لمعرفة الله فيهم كما قدمناه، وهذه الحالة صحيحة جربناها غير ما مرة نعرف الحق في العمـــوم ونجهله في الخصوص وهذه ليست بمعرفة، ونقول أيضا إخواننا عارفون وكـــيف يسيئون الأدب علينا هذا لا يناسبهم: وهذه الحالة من أقبح ما يكون رأينا سوء أدبهم بسوء أدبنا، ولو كنا متأدبين لما رأيناهم ولا رأينا سوء أدبهم وهذا كله منا لا مـــنهم، فمـــن الواجب علينا أن نعرف الله فيهم قبل معرفته في غيرهم ونحمل إذايتهم قبل حمل إذاية غيرهم وننظرهم بالتعظيم قبل أن ننظر غيرهم ونكرمهم قبل أن نكـــرم غيرهم إلى ما لا نهاية له، لأنهم أهل القرب، فسوء الأدب معهم أقبح من غيرهـــم بكثير، ولا يصفى للفقير نظر ولا يطمع فيه وإن عمل ما عمل حتى يصفى نظره في إخوانه الكبير منهم والصغير والعالم والجاهل والضعيف والقوي، فإن قلت قد رأيناه مثلا تكبر وتجبر وبخل وأساء الأدب على الشيخ مثلا أو على الإخوان أو ما أشبه ذلك فكيف تصفى النظرة فيه؟ قلنا لو كنت مشتغلا بذكر الله تعالى بقلبك وجوارحك لما رأيت منه شيئا سوى المحاسن ولو كان في غاية الإساءة، حاش من هو صـــادق في طلب مولاه تارك لهواه ناظر لأوقاته معتنٍ بصفاء قلبه معتمد على فضل ربـــه ناظر لأنوار قدسه أن يرى من أحد شيئا أو يرى أحدا هذا هو المحال، انظر إلى الـــشيوخ العـــارفين نفعـــنا الله ببركاتهم تصحبهم الناس بسائر العلل والقبائح ولا يشتغلون بأحد سوى تصفيتهم منها بالإشارة اللطيفة ولا يزالون معهم بالحلم والصبر والحنانة والشفقة حتى يطهروهم من سائر العلل، ومن هذا المعنى كان الواجب على الـــداخل في زمرتهم أن ينظرهم بعين التعظيم والإجلال ولا ينظرهم كعامة الناس، إذ بقدر التعظيم والإجلال يكون الأدب، وما أقبح حال الذي يكون كالبهيمة لا يبالي بكل ما يفعل في حضرة أهل الله نفعنا الله ببركاتهم، ومَنْ كان هذا حاله ينبغي له أن يدفع لسياسة البهائم حتى تطيب نفسه وتخمد نار بشريته ولا يرجع لحضرة الشيخ قبل إذنه، لأن رعاية الحمير والبغال وغير ذلك من أعظم العبودية وهي تصلح لأهل الـــنفوس الطيـــبة سيما أهل النفوس الخبيثة من باب أولى وأحرى، ومَنْ أذِن له في رعايتها وامتنع فهو المتكبر لا يصلح لشيء، كيف وأهل الفضل هم يطلبونها وأفضل

الأوقات عندهم إذا وجدوا ذلك عند شيخهم، فهذه الطريق ليست هي طريق القول بل هي طريق الفعل، ولو كانت الخصوصية بالقول لكان أهل البلاغة من أهل الظاهر أهل لها، والله لا يكون أهلا لها إلا من باع نفسه لأهل الله وكانت بمنزلة الكلب لا يرفعها فوق قدرها، فموضعُها المزابل وأكلها العظوم[1] ولباسُها الخرق البالية وكلامُها الصمت ونومُها الفكرة وضحكها الحزن وصابونها الجوع وطيبها الذكر ومشيها الحضور وجلوسها الرضا والتسليم وشرابُها العلم وطعامُها الحِلم ودارها الذل ومالها الفقر وحرثها التواضع، جعلنا الله وإخواننا والمسلمين ممن وفقهم الله بتوفيق العارفين به آمين إنه سميع مجيب.

ومن آداب المريد أن لا يتكبر على أحد من الإخوان إن رآه أعلى منه مرتبة وأحب منه عند الشيخ، فإن الكبر هو أول ما عصي به الله، وأول ما عُبد الله به التواضع بدليل قوله تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 23]، وأما كون الكبر أول ما عُصي به الله فدليله قوله تعالى ﴿ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: 31]، فمن أحبه الله ألهمه التواضع والذلة والانكسار والحزن، ومن أبغضه الله ألهمه الكبر، والكبر هو أصل الخبائث والرذائل كلها وهو قلب حب الدنيا وهو دابة إبليس فمن كان عنده حبيبا أركبه على دابته وسار به إلى أين يريد، ولا سبيل للمتكبر على فعل الخير قط، ومن هذا المعنى سكن العارفون بالله في بلاد التواضع لأنه عطية الرحمن بها يبلغ أحباؤه وأصفياءه إلى حضرته العالية، تراهم رضي الله عنهم أين ما توهم لهم كِبْرٌ في نفوسهم تركوه ومزقوا أعراضهم بين إخوانهم محبة في ربهم وصدقا في طلبه حتى وصل بعضهم إلى المكروه قال بعضهم وقد استعملوا أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزاً لهم أن يفعلوه ويأمروا به وهذا ظاهر لا يخفى على أهل الصدق فافهم، ولا شيء أنفع من هدم الكبر وقلع عروقه من السؤال في الأسواق والحوانيت فإنه يجهز على النفس

(1) العظوم: أي العِظام.

ويقطع أوداجها في ساعة واحدة، وإذا ماتت النفس حييت الروح فتتصف حينئذ بالأوصاف المحمودة كالتواضع والخشوع والسهولة والليونة والذلة والمسكنة، وقد أخذ شيخُنا السؤال عن شيخه، وأخذه شيخُه عن شيخه، وهو والله من أجل ما يكون أن يطوف الفقير نفسه بين الأزقة في وسط الأقران وبين الحوانيت وغير ذلك، لكن لا يصلح هذا السؤال إلا لأرباب الصدق الذين لا شهوة لهم في المال ولا في غيره، وأما إذا استعمل لأجل الحظ فحرام بإجماع أهل المعرفة، لأن مرادهم به قهر النفوس والتذلل لأبناء الجنس التي لا تستطيع النفس أن تنظر إليه بعين التعظيم فضلا أن تتذلل له حسًّا، وهذا هو التواضع الحقيقي لمن عرفه، واللهِ ما دخله أحد بهذه الحالة إلا وفتح عليه في العلوم الدينية والأخلاق المحمدية في مدة قريبة، لكن تعلل في زماننا بعلل كثيرة حتى استعملوه لجمع الفلوس لا لقتل النفوس، ولذلك يقول صاحب المباحث:

وما على السائل من تأويل   إلا لقهر النفس والتذليل

واعلم أن كل من تخلص من بواقي الكبر فاضت عليه العلوم، وترادفت عليه الفهوم، وحيي قلبه بالأسرار، وظهرت على جوارحه السكينة والوقار، وخاف منه كل عنيد جبار، والسلام.

ومن آداب المريد إذا أراد الجلوس بين يدي شيخه أن يستخلي بنفسه ويتوضأ لجلوسه بين يدي محبوبه، لأن ذلك الجلوس هو مع الله لا مع الشيخ، وذلك المجلس هو من أعظم الذكر، والله عز وجل يقول (أنا جليس من ذكرني وأنا معه حين يذكرني) الحديث، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل ما فيه الرائحة الخبيثة كالثوم وما أشبهه، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن خروج الريح في المسجد لأن ذلك يؤذي الملائكة لأنهم يحفونها بأجنحتهم عليهم السلام ويخرجونها من المسجد تعظيما لبيت الله سبحانه، والمساجد عظمت من أجل المؤمن الذاكر فهو في الحقيقة أعظم منها، وقد استشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على مكة شرفها الله وقال لا إله إلا الله ما أطيبك وما أطيب رائحتك وما أعظمك وما أعظم رائحتك والمؤمن أعظم حرمة منك، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فإذا كانت ملائكة الله عليهم السلام يحفون المساجد الذي يذكر فيها الله فما بالك

بمجالس أولياء الله الذين هم روح المساجد وقلوبهم بيت الرب سبحانه كما في الحديث: (لن يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)، أو كما قال سبحانه، فافهم وعليك بالتعظيم لسائر أهل الخير أحياء كانوا أو أمواتا تنال حاجتك سريعا، وقد مَنَّ الله علينا في حال صغرنا بالتعظيم لأهل النسبة والنية الصالحة ففتح الله علينا فتحا كبيرا لله الحمد وله المنة ومِنْ أعظم هذا الفتح أن ألقانا الله بشيخ كامل قلَّ في الزمان الذي فات مثله ونلنا منه الحظ الأوفر والسر الأكبر. واعلم أنه ينبغي للمريد أن يتحرز جسده من كل ما يستقذر ويستنظف قبل دخوله لحضرة أهل الله كما يتنظف لدخول المسجد، ومن كانت به زحمة أو مرض من أمراض البطن أو غيره فلا يرده ذلك عن الجلوس في حضرة أهل الله إلا أنه ينبغى له أن يستفرغ منها جهده قبل الدخول عليهم، ومَنْ هذا حاله فلا حرج عليه ولا عليهم في قيامه من مجالسهم إذا غلبه الحال، والقيام من مجلسهم مذموم من غير عذر كما رأيت بعض إخواننا يقومون من غير عذر وذلك لقلة التربية وقلة التعظيم، ولا ينبغي له أن يقوم إلا لضرورة أو لحاجة الشيخ أو الوالدين، ومن قام لعلة به أو لضرورة وتخطى رقاب الإخوان فالواجب عليهم أن يحملوا ضرورته وضرورة غيره من سائر المسلمين سيما في ذلك الوقت الذي هو محل الكلام على الأدب، إذا لم يكن الفقير على بصيرة في حضرة الشيخ فذاك دليل على طمس بصيرته، واعلم أن في افتضاح النفوس في دعاويها إنما هو عند التعرف، وينبغي للفقير الصادق أن يكون فعله أكبر من قوله وذلك لئلا يختبر فيما ادعاه فيفتضح، ومن الواجب على المريد أن يحمل إذاية أخيه بقلبه وجوارحه أكبر من إذاية غيره، ولا بأس بالأخ الناصح أن يظهر أثر الغضب باللسان دون القلب على من هو مسيء الأدب، إذ كثير من النفوس لا تتربَّى بالإحسان إلا قليل من أهل النفوس الزكية، وأما أهل النفوس الخبيثة فلا يسيرون إلى الله إلا بما تكره نفوسهم، لكن الصادق في طلب مولاه يتحمل عليها ما تكره سواء أحبت أم كرهت، وشدة صعوبتها لذلك من غلظة الحجاب، وغلظة الحجاب من شدة حب الدنيا، وقد يظهر لي والله أعلم أن بعض النفوس طبعها صعب بالأصالة ويظهر ذلك في بعض الصبيان، فمنهم لين ومنهم خلاف ذلك، وكيف يكون حاله

في البداية يكون في النهاية إلا إذا أيده الله ورزقه مؤدبا يؤدبه في حال صغره أو في حال كبره، والأدب ينفع في النفوس كيف ما كانت في حال صغرها أو في حال كبرها، لأن الأدب نور، كما أن سوء الأدب يؤثر في حال صغرها أو في حال كبرها إلا إذا سبقه الأدب، وإلا فالنفس على الفطرة مثل الأرض تنبت كل ما تزرعه فيها وإن زرعت في مرة واحدة أصنافا عديدة لكن الحكم للغالب فازرع المليح ولا تزرع القبيح، ثمار ما قد غرست تجني، وذلك لشرف هذه النفس تقبل كل شيء ولا ترد عليك شيئا، إلا إذا استنارت بنور الروح الروحاني فإنها لا تقبل حينئذ إلا النور وهو الحق، ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ ، ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، الآيتين، ولو كانت هذه النفس الشريفة باطلا لما قبلت من الحق شيئا، وحيث كانت حقا عادت تقبل الحق، فإن قال قائل كيف وهي تقبل الحق والباطل معا قلنا لتطبعها بالشهوات والعوائد انطمس عين بصيرتها فظنت بجهلها أن الباطل هو الحق، أنظرْ إذا تنورت هل تقبل غير الحق حاشاها وهي من أمر الله سبحانه كما قال جل جلاله ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ ثم قال ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يعني في معرفتها لأنها من أمْر الله، وأمْر الله تعالى يُعطى الفهم فيه لخواص عباده ما تطيق عقولهم النورانية وأسرارهم الربانية، لأن النفس من أشرف المخلوقات، والعقل الذي أعطاها الله أيضا من أشرف المخلوقات، والعلم الذي أعطاها الله أيضا من أشرف الشرف، ولا يزال العلم يقودها في الطريق، والعقل سراجُها به تمشي حتى تبلغ حقيقتها فتحقق بحقيقة الحقيقة فتعلم حق اليقين أن لا وجود لها مع وجوده ولا علم لها مع علمه ولا نور لها مع نوره، فترجع خائفة سريعة إلى مقام العبودية، فيكون ظاهرها يشير نحو العبودية وباطنها متعلق بوصف الربوبية، ما أشرفها حينئذ وما أعز قدرها في الوجود فافهم.

ومـــن آداب الفقراء مع بعضهم بعضا الإحسان والكلام اللين والمودة سيما عـــند زيارة بعضهم بعضا فإنها تتأكد عليهم شرعا، لأن زيارة أهل الفضل لبعضهم بعض بنية سبب في فيض المدد الرباني، والمعنى متوقف على الحس لا محالة، فلا بد

مـــن حمل شيء من الحس لتأخذ المعنى أعني الزيارة، وذلك ما يسهل من غير حرج في ذلك، ومن لم يجد فحزمة من الحطب، ومن زار أخاه وهو قادر أن يحمل له شيئا ولم يحمله فلا خير فيه ولا يرجى سيره لحضرة الله، إذ البخل من أعظم سوء الخلق، والـــبخل أيضا من شدة حب الدنيا، ولا خير في نفس البخيل وإن كانت عالمة أو عابـــدة أو فقيرة أو غير ذلك، فأول ما يظهر في النفس من الخير الذي يعتمد عليه عـــند أهل الخير السخاءُ وصدقُ الحديث وسترُ عيوب الناس والتجاوز عن المسيئين والـــدعاء لهم بالخير، لأنه يعلم أنه كان مثلهم وعافاه الله مما ابتلاهم به، ومن رأيته يعجبه حاله ويقبح حال غيره فاعلم أنه يزول عنه حاله سريعا ويرجع أقبح مما كان، وهـــذا ظاهر فكم من واحد أعجبه حاله فسلب منه، نسأل الله السلامة والعافية من غفلتنا عنه سبحانه، لأن سبب القبائح الغفلة عن الله، وسبب الغفلة حب الدنيا وهي رأس كل خطيئة وبلية كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قال: رأس كل خطيئة وبلية حـــب الدنـــيا أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فمَثل النفْس كالمرأة وحب الدنيا كالـــرجل، فـــإذا تزوج بها أول ما تلد له النفس الاهتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد الشرك، والشرك يلد له الكفر وهو الشرك الأكبر، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى: اعلم أن حقوق الإخوان كثيرة منها أن تكرمهم إذا زرتهم، وأن تنظـــرهم بعين التعظيم، وأن تعظم حرمة أهلهم إذا غابوا، وأن تكرم أهلهم في غيبـــتهم كما في حضورهم، وأن تستر عيوبهم إذا صدر منهم ذنب، وأن تدعو لهم قـــبل أن تدعو لنفسك، وأن تطعمهم قبل أن تطعم نفسك وأهلك، وأن تكسوهم كذلك، وأن تعلمهم إذا جهلوا ولا ترى لك عليهم فضلا وترى نفسك آخرهم في المنزلة، وقسْ على هذا، وهذا كان حاله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، فانظر إن كـــان هذا حالك فاعلم أنك قمت بحق الإخوان وإلا فجدد السير، ولا ترضَ عن نفسك وتحب تعظيم الإخوان لك ومودتهم لك وقيامهم بحقك فهذا كله من جهلك بربك، ولو عرفته لوجدته هو المتجلي في خلقه بقدرته وإرادته وستر ذلك بحكمته فـــسبحان الحكيم العليم، وأجل الحقوق وأعظمها حقوق الشيخ، فلا يقدر عليه إلا

الصديق، نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من خيرهم وبركاتهم بسوء أدبنا. واعلم يا أخي أنه لا شيء أسهل في فتح باب الشيخ وفيض مدده مثل سخاوتك عليه بالنفوس ثم ما وجد بعدها من الفلوس، والناس على أقسام: منهم من يظهر عليه أولا السخاء بالفلوس ثم بالنفوس، ومنهم بالنفوس ثم الفلوس وهو أقوى من الذي قبله، ومنهم من يظهر عليه بالنفوس والفلوس وهو الأعلى وقليل ما هم، ومنهم من يجلس في حضرتهم ولا يظهر عليه من هذا الذي ذكرناه إلا قليل، ومنهم من يدعي صحبتهم ومحبتهم ولا يظهر عليه شيء من هذا ولا شيء من هذا، ولكن هذا قليل لأن أهل الفضل قلَّ من عرفهم ولم يأخذ النصيب منهم وقد تقدم شيء من هذا المعنى فانظرها إن شئت.

ومن آداب المريد أن لا يشترك في الرأي مع الشيخ قليلا ولا كثيرا، وإن شاوره الشيخ فليرد له الأمر ولا يفتي بنفسه لمن يفتي بربه، واعجبا من الأعمى يقود بالذي هو بعينه، وقد يكون من الشيخ ذلك اختبارا لسلب إرادتك وبيع نفسك له، فإن رأى فيك أهلية القبول زادك بهمته وحاله ورفعك من مقام إلى مقام وأنت لا تشعر، وإن رأى فيك غير ذلك سقطت من قلبه، لكن إن شعرت بالنقصان فالزم باب حضرته وتأدبْ بأدبه لعله ينظر فيك فتحمد عاقبتك. نعم إذا وقع التفويض لبعض والإذن له من شيخه بعد الرسوخ والتمكين في ذكر الله تعالى حتى أخذته المعاني أخذا كليًّا ولم يبق فيه بقية لغيره وتهذبت نفسه بعلوم المشاهدة لا بعلوم المجاهدة فلا بأس أن يشارك الشيخ في مشورته، وإن سلم الأمر له مع هذا فهو أولى وأحسن، وهذه حالة الصحابة مع مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، والتسليم للشيخ بعد الوصول أدب عظيم ومقام كريم، اللهم وفقنا وإخواننا وسائر أهل الفضل للأدب مع الأشياخ والإخوان وسائر مظاهر الحق بما يناسب كل شيء كما وهبت ذلك لأوليائك وأصفيائك وخاصة الصديقين من خلقك، إنك سميع مجيب.

ومن آداب المريد الصادق فضلا عن غيره أن لا يأذن لأحد في حضور الشيخ ولا في غيبته بشيء من الأوراد والأعمال، إلا إذا كانت على جهة النصيحة لله لا غيرها، وهذا كله من عدم الأدب وعدم الصدق في الله وعدم اشتغال الفقير بقلبه

ودنـــو همته وحب إقبال الخلق عليه بنفسه وحبه الجاه والمدح والثناء والرفعة، وهذه هـــي النفس الأمَّارة المحضة سواء شعر بها صاحبها أم لا، ومن هنا يقع الفساد الكبير للداخلين على الله والحرمان لمن هذا حاله سيما إن تركه الشيخ وما يريد، ولا ينبغي للفقير الصادق أن يأمر أخاه في الله بشيء إلا بما قاله له شيخه موافقا له أعني لحال الـــشيخ، ومن أراد نصاحة أخيه فلينصحه بالحال وليترك المقال، لأن المقال للشيخ، والحال مشترك فيه مع الفقراء، فصارت التربية بالحال جائزة على هذا الوجه من غير إذن لهم فيه فافهم، والسلام.

ومن آداب المريد ألا يوصل الكلام القبيح الذي يغير قلب الشيخ أو الإخوان أو أحد من الناس فضلا عن الذاكرين الله من إخوانه فضلا عن شيخه، ولو رأى في ذلك ضرورة معينة فليجتنب ذلك وليرد الأمر إلى الله تعالى ويتيقن أن الشيخ قد أطلعه الله على ذلك قبل أن يبرز، ومن لم يعتقد في شيخه هذا وأكثر فلا يفتح عليه في شيء من السر وإن بقي مع أهل الله سنين عديدة، لأن باب الفتح التعظيمُ وعنه ينشأ الأدب، والذي يرى شيئا من الإخوان ويوصله هو الغافل عن الله أقبح من غيره، ولو كان مشغولا بذكر الله تعالى لعمي عن عيوبه لا سيما عيوب غيره، اُنظر إلى الشاب الذي دخل على السري السقطي رضي الله عنه وسأله الشاب عن حقيقة التوبة فقال هو أن لا تنسى ذنبك فقام الشاب فقال هو أن تنسى ذنبك، وكيف يشهد الفقير نفسه ويشهد ربه: هذا هو المحال، مهما ذكرت ربك نسيت نفسك، ومهما ذكرت نفسك نسيت ربك، قال تعالى ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: 24] أي إذا نسيت ما سواه فحينئذ تكون ذاكر الله، وهذه الطائفة ليس عندهم الذنب الذي يصدر من الجوارح إنما الذنب عندهم الذي يصدر من القلب وهو ثبوت الغير مع الله سبحانه، ولنرجع لكمال المعنى: ولا بد للشيخ أن يتغير إذا سمع ذلك على أحد من الفقراء فضلا عن من هو عنده متهوم بالرجلة الكبيرة، والعبد محل الخطأ والنسيان، ولا بد من ظهور الوصف المذموم على السائر حتى يتخلص من نفسه، ولا ينبغي أن يتناول الكلام في حضرة أهل الله على الخير لا سيما على الشر، لأن كلام الشر لا يقوله إلا أهل الشر، وحال هؤلاء القوم ثلاث: إما الذكر أو الفكر أو

المذاكرة لا غير، ومن زاد على ذلك فهو السلكوط الكبير، قال عليه الصلاة والسلام: طوبى لمن كان قوله ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة، أو كما قال عليه السلام وقال أهل الحديث إنه من كلام سيدنا عيسى عليه السلام، ولا ينبغي للفقير أن يتكلم في شيء من غير ضرورة وإن أتته الضرورة فليتكلم قليلا، لأن الكلام طبع النفس، وما دامت متكلمة فهي حاكمة على الروح، فإذا صمتت وصار عندها الصمت طبعا علمنا أن الروح حاكمة على النفس، والروح متكلمة في تلك الوقت، ومعنى كلامها تأخذ العلم عن الله، ولا مَنعها قبل ذلك من العلوم إلا الطبع البشري مثل الكلام وغيره، فالروح محل العلوم الربانية، والنفس محل الجولان في الأكوان الخالية، فالنظر في الأكوان بغير اعتبار كالمُلقى في الفيافي والقفار، ولا ينبغي النظر إليها بغير أن يراها صنعته واختراعات قدرته وأسرار إرادته سبحانه وأنها قال لها كن فكانت وإذا أراد زوالها أسرع من ذلك زالت، فيستدل بذلك على فقره وفاقته واضطراره إليه سبحانه، وأنه إذا عصاه أو غفل عنه قدر أن يهلكه أو يسلط عليه شيطانا يطرده من رحمته ويشغله بشهوات نفسه، وهذا نظر أهل الدليل والبرهان، وأما نظر أهل العيان نفعنا الله ببركات الجميع فقد دلهم العلم به سبحانه على رؤية المعاني اللطيفة الصافية النورانية الروحانية الموصوفة بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك مما يناسبها من الصفات العالية والأسماء، فما زال بهم النظر المعناوي والغيبة عن الأواني حتى رقتْ بصيرتهم وشهدت حقيقة سريرتهم ففنوا عن توهم غيره وبقوا به بلا بهم، فسبحان من خصهم بهذا المقام الشريف، اللهم لا تحرمنا يا مولانا مما أعطيتهم إنك سميع مجيب، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى: وينبغي للفقير الصادق أن يشتغل بمراعات قلبه مع الأنفاس واللحظات حتى يذوق حلاوة محبة ربه، ولا ينبغي له أن يتكلم إلا على الله ولا يسكت أيضا إلا على الله، حتى يصير صمته بالله وكلامه بالله، فإذا تكلم بعد هذا قال صوابا.

ومـــن **آداب المريد** أن لا يطلب من شيخه أن ينقله من حال إلى آخر إلا إن أمـــره به فلا ينبغي له أن يتأخر عنه فإذا تأخر حرم، وإذا تقدم لشيء من غير إذنه

حـــرم أيضا، وانظر الذي تأخر عن ما أمره به الشيخ أبو يزيد رضي الله عنه كيف حرم حيث قال له احلقْ لحيتك ورأسك وانزع ثيابك وعلقْ في عنقك مخلاة معمورة بالجوز وطفْ في الأسواق التي تعظم فيهم نفسك وناد بأعلى صوتك على الصبيان وقـــلْ لهم مَنْ يصفعني أعطيه جوزة، والتقدم والتأخر لشيء من غير إذن من الشيخ كلـــه ســـوء أدب، وبالجملة مَن طلب الدخول في حال من الأحوال أو الخروج من حـــال إلى حال بلا إذن شيخه فلا يرى في ذلك خيرا قط، ولا بد للنفس في حال ســـيرها تتعـــشق لأمور كثيرة، فتارة تتعشق للتجريد وتارة للأسباب وتارة لتلاوة القـــرآن وتارة لتدريس العلم وتارة للسياحة وتارة للحج وتارة للجهاد، ولا يناسب للمـــريد أن يتـــبعها إن قلد بها عالِما ربانيا فانيا باقيا إذ ليس له عليها حكم ولا له تصرف فيها، والمريد مع الشيخ كالميت مع الغاسل، وكذلك كان الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم كان أهل التجريد منهم رضي الله عنهم لا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم الخروج منه والدخول في الأسباب وكذلك أهل الأسباب لا يطلبون منه الخـــروج منه والدخول في التجريد وهذا هو الغالب والله أعلم، ومن طلب منه شيئا وأمره به كان لا يخرج عنه إذ لا يأمر صلى الله عليه وسلم إلا بالحق، والحق أحق أن يُتبع، فكان أهل الأسباب مشتغلين بمسببها لا بها، وكان أهل التجريد أيضا مشتغلين بـــالله عـــن التجـــريد وعن كل ما سواه، وبهذا صاروا والله رجالا وكانت أسبابهم وتجـــريدهم وأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم كلها عبادة، والمريد إذا أرد قضاء حوائجه فليـــضمرها في قلبه وينزل نفسه عند الشيخ منزلة العبد المملوك المطيع لسيده فلا يرجو من سيده شيئا سوى خدمته ولا يلتفت لشيء آخر، فمَنْ هذا حاله وصل إلى الله بـــنفس ما تحصل له هذه الحالة وتقوم حوائجه بالله، ولا منع الناس من الوصول إلا عدم صدقهم في عبوديتهم لله لا غير، والتردد يقطع الطريق بصاحبه، وقد سألني بعض الإخوان رضي الله عنهم ذات يوم قال لي ما حقيقة الخصوصية قلت له بتوفيق مـــن الله حقيقة الخصوصية الصدقُ في العبودية من غير تردد، وهذا ظاهر إذ كل من صـــدق في عبوديـــته كان عبد الربوبية ومن كان عبدا كان حرا، قلتُ والصدق في العبودية أن يكون عبدا بلا علة. واعلم أن الشيخ يوصل إلى الله في الأسباب، ويوصل

إلى الله في التجريد، ويوصل إلى الله تارة بمحض كرم الله بلا واسطة الأسباب وهذا بحسب صدق المريد، فمَن جاءه صادقا رجع في الحين مرشدا، لأن الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه، والفتح بحسب الصدق، وهو في الحقيقة في الله، والشيخ واسطة بينه وبين الله، ولا يصير واسطة حتى يكون ظاهره عبودية محضة وباطنه حرية يقابل العبيد بظاهره ويمدهم بباطنه فيأخذهم، ولولا ظاهره ما عرف باطنه، ولولا باطنه لكان مثل عامة الناس، فافهم.

ومن آداب المريد مع الله تعالى الاكتفاء بعلمه سبحانه في كل ما ينفق على شيخه أو إخوانه أو غير ذلك، ولا يقصد بذلك شهرة ولا ثناء من الخلق ولا غير ذلك ولا من شيخه أيضا إن كان كامل الصدق، والصادق الضعيف مثلي يحب مدح الشيخ له ويبغض ذمه له ولذلك يفرح عند إظهار المودة له ويحزن عند فقدها: وهذا حال محمود، ولكن فوق هذا مقام أعلى منه وأحلى وهو إذا أنفق الدنيا بحذافيرها لا يرى لذلك مزية، وإن قدم على الشيخ بلا شيء أيضا لا ينقص حاله لأنه ينظر لله ولصفاء سريرته وهذا ليس ببخيل إنما مراده مراد مولاه إنْ وجد الدنيا بحذافيرها أنفقها ولا يبالي وإن لم يجد ما ينفق فلا يبالي، وقد زلت أقدام الكثير في هذا الباب إن وجد ما ينفق فرح وقدم على الشيخ وإن لم يجد حزن وانقطع عن الشيخ، وقد قال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه يوما لبعض إخواننا أهل غمارة بارك الله فيهم وفي غيرهم من الإخوان حيث علم منهم هذه العلة قال لهم أنتم أجونا[1] لله ونحن نقبلكم لله ليحصل الذكر الخالص من الجهتين، فليحذر المريد الصادق من هذا الباب جهده وليُراع قلبه فإن أحس من نفسه شيئا من هذا فلينفق خفية حتى لا يعلم أحد منه ذلك سوى شيخه إذ لا ينبغي له أن يخفيها عنه وإن رأى منها وقوفا مع ذلك فلينفق على الشيخ خفية لأجل إخلاص نفسه من هذه العلة وإن أراد ذلك فلينظر أخا له صادقا في محبته فقيرا حقيرا ذليلا ليس له ما ينفق ويدفع له في ذلك ويأمره بوصولها إلى الشيخ ولا يخبر بها أحدا

(1) أجِونَـا: أي زُورُونا.

ولا يطلع أخاه على إخلاصه فيها بل يقطع البواقي ولا يقول للشيخ هذه كرامة فلان الفلاني إلا إذا قالها له أخوه، وينبغي له ألا يأمره بإعلام الشيخ أنها له إن كان طالبا الإخلاص فإن دام على هذا وسكنت إليه نفسه أي للإخلاص فليتخلص من إخلاصه لله، إذ ما من مقام إلا ويحتاج للتبري من الحول والقوة، وإلا فهو حجاب على صاحبه، وإذا علم من نفسه الإخلاص أظهر الإنفاق ظاهرا زيادة بالفقراء، لأن الفقراء الغالب عليهم الاقتداء بأحوال بعضهم بعضا لا سيما هذه الأحوال الحميدة التي هي السخاء إذ هي أثقل ما يكون على النفوس، فكثير من الناس يموت ولا يعطي شيئا من الدنيا، وكثير من الناس يموت ولا يعطي شيئا من نفسه لتنذل بين الأقران ولو ساعة من العمر أو تفتقر أو تجهل أو غير ذلك ويسخى بالدنيا إن كانت عنده فهذا الواجب على الشيخ من طريق التربية أن لا يقبل منه الدنيا سوى نفسه، كما أن الذي يسهل عليه ذل النفوس ولم يستطع أن يعطي الفلوس فالواجب على الشيخ أن لا يقبل منه ذله سوى فلسه إلا إن علم منه المنع في نفسه أو فلسه فليأخذ منه ما سهل قالت الناس: "نتفْ من الكلب ولا يغدُ سالم" أي ولا يرجع سالما، وربما إذا دام حاله على هذا زاد إلى الله، ولنرجع للذي أردناه وينبغي للصادق السخي الذي صار طبعه السخاء إن علم من نفسه الركون للسخاء لا غير أن يظهر البخل ليتخلص من العلل الخفية كما قلنا قبل حتى يتخلص من كل حظ نفساني ظاهرا كان أو باطنا، والعلل الباطنة هي أصعب ما يكون، ولذلك قيل ومداوات ما يخفى صعب علاجه، وإذا انتهى الفقير في الإخلاص يكون كما كان، ولا يعرف أحوال المخلص إلا المخلص مثله، واعلم أن أحوال المخلص كأحوال الصبيان الصغار لا يرجون على فعلهم المليح مدحا ولا على فعلهم القبيح ذمًّا، بل أهل الإخلاص أكثر من ذلك فعبادتهم كلها موافقة لما تجري به أرياح الأقدار، فهم كالغصن الرطب الذي يميل مع الأرياح السبعة كيف ما تحركت ولا يرده إلا الريح الغالب على الآخر، وهذه هي الفطرة الحقيقية التي هي عن علم بخلاف فطرة الصبيان لأنها لا علم لهم بها وذلك لغلبة وصف الروح على النفس فالعلم يحمله العقل والعقل ليس عندهم منه شيء أعني عقل التمييز وهذا هو العقل لا غيره، فعقل الصبيان غالب عليه وصف الروح، وعقل الشبان غالب عليه وصف النفس حتى يرد

نفسه عن هواها فحينئذ يصير عقلا كاملاً، وأما إن لم يرد نفسه عن هواها فهو ناقص وهو المسمى بعقل التمييز في الجملة وعلى هذا العقل يكون الحساب ويجب التكليف ولا يزال صاحبه يرد نفسه عن هواها بالعلم ونور العقل حتى تصير النفس كاملة العلم والعقل فحينئذ تقبل الحقائق الربانية والأسرار القدسية وذلك بعد رجوع النفس على الفطرة المحضة الأصلية وهي الفطرة التي فطر الأرواح عليها من العلم بأسرار الربوبية والقيام بآداب العبودية فافهم. والفطرة تنقسم على ثلاث: فطرة مجازية وهي فطرة عامة الناس في حال خروجهم من الأرحام إلى البلوغ، وفطرة وهبية وهي فطرة المجاذيب وهي التي تنزل بهم بعد خروجهم منها أي من الفطرة المجازية ومنهم من لا تفارقهم من أول قدم وهم من فطرة إلى فطرة، وفطرة اكتسابية وهي فطرة الكُمَّال من أولياء الله نفعنا الله ببركاتهم أجمعين يخرجون منها ثم يرجعون إليها على يد شيخ عارف ولا يقدر أحد أن يرجع إليها من غير شيخ قط إلا نادرا. واعلم أن الخروج من الفطرة الأصلية له شيوخ أي أسباب عديدة وهو الوجود وما فيه إلا أقل القليل منه، وأما الرجوع إليها فشيوخه إلى القليل وذلك القليل هم أهل الله المخلصون نفعنا الله ببركاتهم، وأما غير المخلصين وإن كانوا علماء وصالحين غايتهم يحوشون الناس إليها ولا يمكنوهم فيها كل التمكين، لأن التمكين في الفطرة مقام لا يمكن التعبير عنه باللسان ولا الجولان فيه بالفهم والعقل وتصاور الظنون وتخييل الأفكار هذا كله منزه عنه، ومن زعم أنها تدرك بشيء من أوصاف الخلق أو العقل فهو جاهل بها على التحقيق، إذ لا تعرف الفطرة إلا بها أي بنفسها ولا توصف إلا بها لأنها من أسرار الله تعالى قال جل من قائل ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم: 30] معناها والله أعلم لا تبدل هذه الفطرة الشريفة ولا تتغير بما يحدث فيها من أوصاف النفوس بل هي في حفظ الله تعالى وإن تاهت النفوس عن حقيقتها فلها نفوس مخصوصة بحملها ولولاهم لذهب الله بسائر الوجود، ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: 89] وهم أهل الفناء في الذات أهل الفطرة المحضة الذين تخلصوا من بواقي السوى ومِنْ أسرارهم وعلومهم وأخلاقهم وأحوالهم يمتد أهل الظواهر جميعا منهم وهم الخلفاء المحمديون شربوا من عين النبوءة من سر مولانا محمد صلى الله عليه

وسلم وهو المنبع الخارج من حضرة الله عليهم الصلاة والسلام، فكلهم من سِر هذا النبي الكريم شربت بواطنهم، ومنه تأدبت ظواهرهم، ومن سره عليه الصلاة والسلام وجـــدت أجسامهم وأرواحهم وكذلك سائر الموجودات المُلكية والملكوتية، فكل من تحقق بسره وغاية قدره رأى صورته الشريفة في نفسه وفي سائر الكائنات وهذا هو القرب التام، ومن هذا المعنى قال بعضهم رضي الله عنهم من زعم أن محمدا قد مات فقد كفر، وقال آخر واللهِ لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولا أقل من ذلك ما أعددت نفسي من المسلمين، وقال آخر يزعم أصحاب مولانا محمـــد صلى الله عليه وسلم أنهم قد خصوا به دوننا والله لنزاحمهم فيه حتى يعلموا أنهم خلفـــوا رجالا بعدهم أو كما قال، وهذا القرب قرب المعاني وهو القرب الحقيقي، ولا فرق بين الصحابة رضي الله عنهم ومَن هذا حاله سوى رؤية جسده الشريف صلى الله عليه وسلم، ومَثل هذا الجسد الشريف من حُسنه وسره صلى الله عليه وسلم كرجل لا حَدَّ له بجماله وأظهر للناس من حسنه طرفا وستر الباقي، هذا مثال ضربناه لأهل الذوق والأمر أعظم من ذلك فافهم، وعليك بالأدب تنال من سره العجب.

ومن آداب المريد أن لا يعتمد على شيء دون فضل الله ورحمته وإن كانت له علوم وأحوال ومقامات وكرامات وأسرار لا تعد ولا تحصى، إذا وقف مع شيء من ذلك حجبه عن الله سبحانه أحب أم كره، وينبغي أن لا يرى نفسه مع الله في حال من الأحوال سواء وافق الشرع أم لا، إذ لا بد من تجلي الظلمة وتجلي النور ليتميز ســـير السائر، فالصادق العالم لا وقوف له مع شيء سوى مولاه، والصادق الجاهل يفـــرح بحال النور ويحزن بحال الظلمة وذلك لجهله بالمتجلي سبحانه، والتجليات هـــي التعرفات، فالحق تعالى أبدا يتعرف لعباده، فمنهم من يعرفه في الشرائع وينكره في الحقائـــق، ومـــنهم مـــن يعرفه في الحقائق والشرائع وهو الذي لا يشغله عن الله شاغل، ومنهم من يجهله في الحقائق والشرائع ولا يشغله عن نفسه شاغل، والعارف الكامـــل مَحْزُوم[1] مع الشرائع ظاهرا عارف بالله في الحقائق والشرائع فإذا وردت الحقائـــق قال هذا تجلي اسمه القاهر العادل وإذا وردت الشرائع قال هذا تجلي اسمه

(1) محزوم: أي حازِم.

اللطيف الكريم وهو مع المتجلي لا مع التجليات، ومرادنا بالحقائق التعرفات الجلالية، ومرادنا بالشرائع التعرفات الجمالية، لأن التعرفات الجمالية فرْق والنفس فرْق تحب ذلك، والتعرفات الجلالية جمْع والروح جمع تحب ذلك، لأن النفس والروح مثل زوجتين عند الرجل وهو القلب فإذا مال للواحدة منهما هجر الأخرى وإذا هجرها كرهته، فإذا هجر النفس لا يعمل لها إلا ما تكره حتى تموت أو تتطلق منه وموتها أحسن تقول الناس: جُزْ على قبرها ولا تجزْ على دارها، والحقائق هي الثقيلة على النفس، وفي الظاهر تنقسم الحقائق على قسمين حقائق مباحة وهي مرادنا وحقائق مكروهة ومحرمة لا يقع فيها إلا أهل النفوس الأمَّارة وإن وقع الصديق في شيء من ذلك تولاه مولاه إما بتوبة ظاهرة وهو ألا يعود أبدا إن كان من أهل الخدمة وإما بتوبة باطنة وهو ألا يعود لرؤية سواه سبحانه أبدا إن كان من أهل النظرة وهذا مرادنا بهذا حيث قلنا، ولنرجع إلى ما كنا بصدده من الاعتماد على الله دون شيء سواه فنقول لا يصح الاعتماد على الله وحده إلا بعد القيام بالشرائع لأهل الشرائع وبعد القيام بالحقائق والشرائع لأهل الحقائق وإلا فالاعتماد على غير هذا الوجه كمن يبني على الماء، وإذا حصل الاعتماد على الله بالقلب لا بد أن يظهر أثره في الجوارح وهي الأعمال الصالحات، وبقدر الاعتماد تتنوع الأعمال في الظواهر، فإذا حصل الخوف من الله انقهرت النفس عن المعاصي، وإذا حصل الرجاء قامت بالطاعة، وإذا حصل التوكل قامت للزهد، وإذا حصل الحب قامت للورع، وإذا حصل الرضا قامت للحلم، وإذا حصل الحياء قامت للتواضع، وإذا حصل اليقين قامت للسخاء، وإذا حصل العلم قامت للأدب وهو أفضل سائر المقامات، فعليك بالعلم والأدب فإن سائر المقامات تطلبك وتعشقك ولا ترتاح إلا إذا وصلتك والسلام.

ومن **آداب المريد الكامل** إن كان له فتوح أي إتيان رزق في داره إن كان له دار، وإلا ففتوحه وقت اضطراره لا غير، فإن كان لمن له دار وأهل وإخوان مثلا وكان عنده قوت ثلاث أو شهر جاءه في دفعة واحدة فليجعله لله وليطعم به كل من جاءه محتاجا، وإن قالت له نفسه احتل[1] على هذا فلا يسمعها وليزد على يديه،

---

(1) احتلْ: أي احتفِظْ.

ولا ينبغي له أن يزيد الفتوح على الفتوح فإن الواجب عليه إخراجه قبل إدخاله إليه، فإذا تغافل عنه حتى دخل فلا بد من ركون النفس إليه وإن ركنت إلى الشيء فلا بد من طلبها لشيء آخر، وإن لم يفق[1] الفقير حتى أعطاها ما طلبت قامت للتدبير، وإذا قامت للتدبير أفتنته والفتنة أشد من القتل، إلا إن كان هذا الفقير غائبا عن الداخل والخارج والزائد والناقص وإنما يتولى ذلك من يقوم بأمر داره أو زاويته فمثل هذا لا يضره الادخار لأنه مأمون من فتنة التدبير والاختيار الناشئة عن كثرة الادخار، فما منع الناس من الأسرار سوى التدبير والاختيار وسببه طلب الزيادة، ولو حصلت القناعة لسقط التدبير، ولو سقط التدبير لجاءت الفكرة بالعلوم، والفكرة واحدة إن اشتغلت بها النفس أخذتها وتاهت بها في شهواتها، وإن أخذتها الروح ملكتها وتاهت بها في شهواتها وهي الوصول، والفكرة هو السر المخصوص به العقل لا يعطيه الله إلا لمن أحبه وبها يكمل العقل ويصير عقلا وبها تعرف الناس قدرها وبها ينكشف للروح أمرها وهي من سر الادراك، ولنرجع للذي أردناه واعلم أنه لا ينبغي للمريد الصادق أن يدخل الفتوح على الآخر كما قلناه، ولا ينبغي له أن يزيد على الكفاية في الوقت، وقدر الاحتياج للصادق أولى له مع كماله إذ فيه من الأسرار ما لا يعبر عنه، لأن الحس ضد المعنى، ما يزداد للصادق في الظاهر ينقص له من الباطن ولو كان في غاية الوصول ولا يصح هذا أي الزيادة على الكفاية في الوقت إلا لشيخ عارف يأخذ عن الله ويعطي لله ومع هذا إذا كان مشهورا بالزيارة للعام والخاص، وأما إذا كان لا يعرفه إلا الخاصة فالواجب عليه التمسك بالفاقة أبدا سرمدا لأنها حال مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أولى بحاله من كل أحد إذ هو الخليفة وقد كان مولانا محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الخاص والعام وكان لا يدخر شيئا لغد وحاله مشهور معلوم لا يخفى عن العامة فضلا عن الخاصّ. العجب ممن يدعي التمسك بالسنة المحمدية وهو يهتم من الرزق ويخاف من الفقر، وقد قلت لبعض الإخوان: الفقير الذي يخاف من الموت والفقر ليس بفقير، وينبغي

---

(1) يَـفِق: أي يستيقظ ويتنبه.

للفقير الصادق أن يفتح على نفسه كل يوم وليلة خمسة أبواب: الأولى القناعة بما هو أسهل، الثاني التوكل على الله، الثالث الإيثار بالقليل أو بالكثير، الرابع السخاء بما عنده، الخامس ترك الطمع لما في أيدي الناس. واعلم أن من سد باب الفقر على نفسه فقد سد عليها باب الغنى، ومن سد باب الذل فقد سد باب العز، ومن سد باب الضيق فقد سد باب التاسيع، ومن سد باب الوحشة من الخلق فقد سد باب الأنس بالله، ومن سد باب الجوع فقد سد باب الشبعة، ومن سد باب الصمت فقد سد باب الكلام، والأشياء كامنة في أضدادها، ولا يعرف هذا إلا أهل العلم بالله، وأما ساداتنا أهل الظاهر نفعنا الله ببركاتهم لا يعرفون إلا الصلاة والصوم والتلاوة والحج والذكر اللساني وغير ذلك مما هو ظاهر وأما تصفية النفوس من الأدناس لتعرف مالك الناس فلا يعرفونها ولذلك صاروا جُهالا بحقيقة المعرفة، لأن حقيقة المعرفة موت النفوس وذهاب عالم المحسوس وهذا لا يكون إلا على يد عارف بالله حق المعرفة، وإلا فلا سبيل له وإن حضر شيخ التعليم، لأن شيخ التعليم يقفك على الحدود، وشيخ التربية يدخلك حضرة الشهود، وشتان ما بينهما فافهم.

ومن آداب **المريد الصادق** أنْ يلزم بابين من أبواب الله العظام الذي كل من قصدهما دخل في ساعة واحدة وهما **الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه**، فمن وجد في نفسه هاتين المزيتين فليعلم أنه من أكابر أهل الله نفعنا الله ببركاتهم، وينبغي لطالب الإخلاص أن يريض نفسه عليهما كما يريضها على كثير من أنواع العبادات، وقد يظهر لي والله أعلم أن **كل عبادة خالصة راجعة إلى هذين الأمرين** فإن كانت العبادة نازلة عليهما فهي لله خالصة، وإن كانت خلاف ذلك فالإخلاص بعيد، فمن وثق بربه لا يلتفت للرزق، ومن اكتفى بعلمه لا يلتفت للخلق، فإن كان هذا في الفقير فهو محبوب عند الأمير وهو الملِك القدير، واللهِ ما قطع كثيرا من السائرين عن سيرهم سوى هم الرزق وعدم الاكتفاء بعلم الله الحق، فكل من اكتفى بعلمه ووثق بربه من الفقراء الطالبين للفناء في الذات حصلوا على مقصودهم في الحين وتفيض عليهم العلوم حتى تكل عنها الفهوم كما كلتْ فهوم موسى عليه السلام عن علم الخضر عليه السلام وذلك دليل خصوصية الخضر عليه السلام لقول مولانا له مخبرا عن حاله

﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف: 65] ومن أجل ذلك تواضع له نبي الله سيدنا موسى عليه السلام مع جلالة قدره وارتفاع أمره عند ربه حتى قال له ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ [الكهف: 66]، وهذه مزية العلم خص بها البعض دون البعض، وهذه مزية عظيمة لا يشك فيها إلا الجاهل بها ولكنها لا تقتضي التفضيل على الرسالة والنبوءة، وأما على أهل الولاية فإنها تقتضي التفضيل لا محالة لأنها خصوصية زائدة على مطلق الخصوصية، إذ كثير من الأكابر لم يعطوا هذا العلم تفصيلا وإن كان سائر أهل الفناء أعطوه إجمالا، لكن التفضيل إنما هو لمن أعطيه تفصيلا وهو من طريق الأحوال أعني من طريق الجذب لا من طريق السلوك، فهو في الشريعة الظاهرة التي حدها العقول المعقولة منكور، وفي الشريعة الباطنة التي خرجت عن طور العقول مغرور، لأن شريعة أهل الفناء في الذات حقيقة لفنائهم عنهم وعن توهم ما سوى الله تعالى وهي في الحقيقة على وفق الشريعة الظاهرة، فالإنكار الذي وقع على صاحبها من جهة الظاهر، والحكم للظاهر على الباطن قال عليه الصلاة والسلام (أمِرتُ أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر) فافهم قوله عليه الصلاة والسلام (والله يتولى السرائر) لأن السرائر لا سبيل للتسبب فيها لأنها وراء العقول وهو أمر خارج عن العبودية وإلى ذلك أشار الخضر عليه السلام بقوله ﴿ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ أي لأن هذا الذي طلبته وراء العقول والفهوم التي هي من صفة العبد، فالشرائع أمر ظاهر، والحقائق أمر باطن، والباطن لا سبيل للعبد عليه إلا بمحض الكرم، وإن كان للحقيقة شرائع ظاهرة لكن منكورة عند أهل الظاهر وفاعلها في الحقيقة مأخوذ عنه لكونه محكوم عليه بحال أهل الحقيقة وهو لا يشعر ولا يزال هكذا حتى يفتح الله عليه بالعلم به فيرجع عليه عقله ونفسه فيصير حاكما عليهما بالعلم بالله فتراه عقلا ولا عقل ونفسا ولا نفس فإذا رأيته في الشرائع قلت عبدا وإذا رأيته في الحقائق قلت حرًّا فافهم.

ومن آداب **المريد الصادق** الذي هو صاحب التجريد أن لا يخلط تجريده بالأسباب قبل الرسوخ والتمكين في الفناء، فإن فعل ذلك فقد انحط من رتبة القرب

إلى رتبة البعد، لأن التجريد مقام أهل المحبة، والأسباب مقام أهل الخدمة، وكل من رجع إلى الأسباب قبل فنائه ما رجع إلا بإذن نفسه ولا يجيء منه شيء لأنه ظهر كذبه، تقدم للجهاد وهرب من العدو حيث رآه، والتجريد مُرّ على النفس ثقيل عليها لا تستطيع أن تراه في غيرها لا سيما تفعله بنفسها، والله إذا لم تكن الرُّجلة الكبيرة ما حصلت منه قليلا ولا كثيرا، والتجريد لا يصدق على المرقعة فقط بل التجريد كل ما يثقل عليها فيما هو مباح، إذ كل ما يثقل عليها هو صلاح للقلوب، وبصلاح القلوب يكون القرب، وهذه الطائفة المدار عندها على صفاء القلوب لا على صفاء الجوارح، لأن القلب إذا صفى من الدنس صفت الجوارح قال صلى الله عليه وسلم: إن في الجسد مضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كله وإذا فسدتْ فسد سائر الجسد ألا وهي القلب، ولا ينبغي للفقير أن يرجع عن التجريد قبل صفاء قلبه، وصفاءُ قلبه هو تمكنه من الفناء ورجوعه للبقاء بشهادة شيخه أو أهل الفن له، إذ في الرجوع عنه قبل الصفاء مذلة كبيرة بين أهل التجريد وأهل الأسباب، فلا يقبل أسبابه أهل الأسباب لأن الله عالم بأحوال عباده والله تعالى هو المتجلي في كل شيء، وكذلك أهل التجريد إذا رجع إليهم بغير صدق أنكروا حاله كما قلنا في أهل الأسباب ولا يقبلوه ولا يقروه إلا إذا رجع بصدق الإخلاص لله، وأما المتجرد الذي ينزل للأسباب بعد الإخلاص وصفاء قلبه لتستر تجريده واتساع نظره في معرفة ربه فهو الذي يقره هؤلاء وهؤلاء لأنه بالله في هؤلاء وهؤلاء وليس هو بنفسه. واعلم أن الولي الكامل إذا رأيته في الأسباب فهو في التجريد، وإذا رأيته في التجريد فهو في الأسباب، فلا أسباب ولا تجريد، فتجريده مطالعة المعاني، وأسبابه الأدب مع المعاني في الأواني، هذا هو تجريده وهذا هو أسبابه، ولا تظن خلاف ذلك، ولا تكن جاهلا بأحوال الكاملين. واعلم أن من الواجب على السائر لحضرة الله تعالى تركه للسبب إن أراد الدخول من باب التجريد، وإن أراد الدخول من باب الأسباب فليأخذ من الدنيا ما لا بد منه، ولا يكن كعامة الناس ولا يقرب من حالهم فسَبَبُهم خارج عن الكتاب والسنة وذلك لشدة حرصهم، والحرص على الشيء من الاعتماد عليه، ومن اعتمد على غير الله تعالى في شيء دنياوي أو أخراوي فهو مشرك،

والأسباب الموافقة للكتاب والسنة يكون بها الزيادة لله لا محالة لأنها من العبادة، وأسباب أهل زماننا لا يتقرب بها أحد إلى الله إلا قليل وذلك لخروجها عن الكتاب والسنة كما ذكرنا، وبالجملة رفض الدنيا من القلوب وترك التسبب فيها بالجوارح فرض عين على طالب الوصول سواء دخل من باب التجريد أو من باب الأسباب، وأما المتجرد فهو أولى وأحرى فإذا تسبب ولو قليلا يقدح في مقامه لأنه مقام تجريد، والتجريد حال أهل الصُفَّة من أصحاب مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ومقام أهل الصفة أعلى سائر المقامات رضي الله عنهم. واعلم أن ترك التسبب مع تعلق القلب بالله تعالى عبادة كبيرة من غير عبادة وإن كان صاحبه لا يقوم إلا بالفرض، لأن الأسباب تشغل القلب عن الله لا محالة وإن قلتْ، وشغل القلب بالقليل هو الكثير، لأن القلب واحد لا يقبل إلا الواحد، فإن شغلته بما هو أهل له وهو الله عز وجل فذلك قدره وشرفه، وإن شغلته بشيء آخر فقد جهلت قدره وقدر خالقه سبحانه، والقلب هو الفكرة النورانية العلامة الدراكة وهي سر العقل، والعقل سر النفس، والنفس سر الروح، والروح سر الله تعالى. واعلم أن الفكرة من أشرف ما يكون ومن ألطف ما يكون ومن أرق ما يكون ومن أصفى ما يكون، فصاحبها الذي عرفها وطلب معرفتها مهما التفت إلى شيء طارت من يده أحب أم كره، ولذلك قلنا لا ينالها إلا من لا شغل له ظاهرا ولا باطنا، فإذا وجد الفقير من يعرفه بها فليسمع له بقلبه وجوارحه وليتهيأ لها كل التهيئ وليترك أسباب الدنيا كل الترك وإلى هذا المعنى الإشارة بسرٍّ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ [الجمعة: 9] فافهم لأن طالب هذا السر الذي ذكرناه كمن وجبت عليه الجمعة وأتى إلى المسجد بعد أن توضأ وتطيب ودخل المسجد: هل يحل له الخروج منه للبيع والشراء ؟ حرام عليه بالكتاب والسنة وإن خرج سمي منافقا أو فاسقا، وصاحب التجريد أعظم منه بكثير لأن هذه الصلاة متصلة وصلاة الجمعة منفصلة ساعة واحدة، وصلاة القلوب واجبة على المؤمنين كلهم من غير عذر لهم فيها وهي مع الأنفاس واللحظات، ومن اشتغل بها لا يشتغل بشيء سواها ولذلك تكفل الله لأهلها بالأرزاق تكفلا خاصًّا لأجل هذا المعنى ولولا

اشتغالهم بها على الدوام لما تكفل لهم بشيء كيف يتكفل لهم بالرزق وهم يطلبونه بالليل والنهار، والله ما تكفل لأحد حقيقة إلا لمن هيأه سبحانه لهذه الحالة الشريفة والعطية النفيسة وانظر قوله جل جلاله ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ [طه: 132] وقوله جل جلاله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ [الذاريات: 56 - 58] وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ ﴾ [الطلاق: 3] وأسباب من هذا حاله وإن وجدت فهي عبودية متسترة بالسبب كما تسترت حرية مريم عليها السلام بالهز فافهم. واعلم أن منادي الصلاة ينقسم على قسمين: منادي الصلاة الحسية ومنادي الصلاة المعنوية وهي صلاة القلوب، فمنادي الصلاة الحسية معلوم وخصَّ الله في هذه الآية يوم الجمعة لما فيه من الشرف وفيه إشارة إلى الجمع، ومنادي الصلاة المعنوية هو الشيخ فلا يزال ينادي على الفقراء ويُعَشقهم في مولاهم ويحببهم له ويحببه لهم حتى ينسوا نفوسهم وأهواءها وحموهم وأثقالها، ولذلك يقول سيدي أبو مدين الغوث رضي اللـــه عنه:

فيا حاذي العشاق قمْ واحذ قائما وزمزمْ لنا باسم الحبيب وروّحْنا

ولا يزال هذا الشيخ يلاحظهم بهمته ويهذبهم بأخلاقه وينور قلوبهم بإشراقه ولا يزال يخليهم عن طبع البشرية ويحليهم بصفة الروحانية حتى يتقوى حالهم ويرق قلبهم ويفيض وجدهم ويكمل حبهم ويعلو أدبهم فيتركهم ومولاهم فافهم. وينبغي للفقير الصادق أن يسمع كلام شيخه بقلبه وجوارحه ليقرب عليه الفتح، ولا ينبغي له أن يكون كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وما طال الفتح على المريدين إلا من قلة الاستماع لا غير، ولو سمعوا لفتح عليهم بنفس ملاقاتهم مع الشيخ من غير شك، واعلم أن أساس كل وصف مذموم بعد ملاقاة الشيخ عدم الاستماع، ونرى الكثير يجتمعون بالشيوخ ولا يفتح عليهم ويقولون أين السر الذي كان عند الشيوخ لا نرى اليوم إلا أقل القليل، وما علم هذا المسكين مثلي أن السر اليوم أقوى من الزمان الذي تقدم والحمد لله على فضله وإحسانه ولكن غطاه قلة الاستماع، ولو

حضر الاستماع لهذا المسكين لحضر الاتباع، ولو حضر الاتباع لحضر الانتفاع، والسمع هو المقرون بالامتثال وإلا فلا، وعند الفقراء اليوم السمع هو سمع العلم وحفظه بالألسن وأما شروطه وأحكامه فلا شيء إلا أقل القليل، ولهذا لم تظهر الأسرار للكثير من أهل النسبة جعلوا السمع عندما تشتهيه نفوسهم وأما ما تكرهه فلا يلتفتون إليه ولا لمن يقوله لهم، والصادق في طلب الله تعالى هو الذي يكون عند أمر شيخه ونهيه وعند سائر الحق وأهل الحق ولا يرده على أحد ولا يتكبر عليه ولا على أهله لا سيما شيخه الذي أخرجه من الظلمات إلى النور، وينبغي ألا يتعدى نظره إن شاء أقامه في التجريد وإن شاء أقامه في الأسباب وإن شاء سَيَّره بينهما وهو أعلم بما يليق بكل من جاء لحضرته الشريفة، إذ كل من جاءه علم أنه جاءه بإذن من الله ورسوله كما له هو الإذن من الله ورسوله ولا يأتيه غالبا إلا من يقبل الخصوصية الكبرى والله أعلم، وأما الخصوصية الصغرى مثل علم الظاهر ومثل تربية أهل الظاهر نفعنا الله ببركاتهم ومثل أوراد أهل الظاهر وغيرهم فهذا كله لا يحتاج لإذن خاص، ولذلك أكدنا على هذا المريد الذي هو طالب للخصوصية الكبرى غاية التأكيد، إذ هي شيء كبير ومن لم يصدق في العلم لا ينال منها شيئا ولذلك قلنا غير ما مرة ولا ينبغي للفقير الصادق أن يزيد أو ينقص أو يفعل شيئا بلا إذن حتى يؤذن له أو يحصل على الإخلاص، ولا شك أنه إذا حصل له أذن له شيخه فيه، ولا يطمئن قلب المخلص بعد إخلاصه بشيء مثل إذن الشيخ إذ هم إبراهيميون، وإبراهيم عليه السلام طلب الشاهد من الحس على المعنى ليطمئن قلبه ولذلك قال (بلى ولكن ليطمئن قلبي). ولا ينبغي للفقير الصادق أن يطلب الإذن من شيخه في التربية والزيارة والزاوية وغير ذلك: كل ذلك سوء أدب على الله وعلى الشيخ، ولا ينبغي له أن يطلب منه سوى معرفة نفسه، فإذا عرف نفسه عرف ربه كما في الحديث الشريف، ومعرفتها هو أن تعرف وصف الروح من وصف النفس، ووصف الروح هو المحمود، ووصف النفس هو المذموم، أو نقول وصف النفس هي العوائد والشهوات، ووصف الروح ترك الشهوات والعوائد، فإذا زالت الشهوات والعوائد انحاشت النفس لحضرة الروح وصارت على طبعها، ولا منع النفس من سيرها على سير الروح إلا العوائد والشهوات، وبهذه الشهوات والعوائد سُميتْ النفس نفسا بعد

أن كانت روحا روحانية ربانية ملكوتية عادت بهذا الطبع نفسانية أرضية مُلكية، ومن أراد أن يفك سجنها ويطلق قيدها مهما ظهرت له صورتها تخلى عنها، ولا يقنع بالعلم لأن العلم صيد والعمل قيده، ولا يحسب الصياد سوى ما أخذ من الصيد، وأما الذي يراه في السماء وفي الأرض فلا يحسب عليه، وكذلك إن ظهرت له صورة روحه زاد إليها ولا يقنع بالعلم، وصورة الروح الوصف المحمود، وصورة النفس الوصف المذموم، وهذا هو معرفة النفس ومعرفة الروح، وأما الأعمال الظاهرة مثل الصلاة والصوم وغير ذلك فقد يقدر عليها بنفسه الفقير وغيره، وأعمال القلوب لا يقدر عليها بنفسه وإنما يقدر عليها بربه، فإن كانت النفس حية يكون ثقيلا عليها حاملة له رغما على أنفها، وإن كانت ميتة كانت راضية بعبودية الله مرضية بمحبة الله راضية بوصف العبودية مرضية بوصف الحرية.

ومن آداب المريد الصادق أن لا يتعرض لملاقاة الجبابرة، وإن تعرضوا له وقصدوه إلى داره فالواجب عليه أن يفر منهم فرار الشاة من الأسد وإن ألحوا عليه فليخرج من طاعتهم إلى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، إذ كل من تعرض لهم فتنوه عن دينه أو سرقوه وسلبوه، ولا ينجو من ميل قلبه لجاههم ومالهم إلا الرجل القوي. كيف يغتر الصادق بجاههم العاري ومالهم الفاني، فمالُ الفقير الصادق الفقرُ وجاهُه الذل، وإذا دخل وصف الربوبية الذي بأيديهم على وصف العبودية الذي بيده أفسدوه له عبوديته أحب أم كره وإلى ذلك الإشارة بسِر قوله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: 113] ومعنى ﴿ ظَلَمُواْ ﴾ بأخذهم وصف الرب وتركهم لوصفهم وهذا والله أعلم من أعظم الظلم، ومعنى ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ هو أن ينسرق قلب الفقير لجاههم ومالهم فيفسد قلبه بحب ما سوى الله بعد أن كان هذا القلب مشغولا بحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأي نار أعظم من سلب القلوب من محبة المحبوب بعد اشتغاله فيها، لأنه لا يعرف العذاب إلا من ذاق الرحمة، فالفقير الجاهل يريد أن يستعز بعزهم لجهله بعز الله، ولو علم ما في الذل لله من العز لما طلب سواه، ولو علم ما في الفقر لله من الغنى لما طلب سوى الفقر، وهذا معنى قوله سبحانه ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [هود: 113] يعني ما لكم طريق إلا من العبودية وأما إن جئتم من جهة الحرية فليس

لكم إلا الذل في الدنيا والآخرة وهذا معنى قوله سبحانه ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: 113] يعني بوصف الربوبية، وانظر كل من هو عزيز بنفسه تجده ذليلا في عزه أبدا أحب أم كره، ومن هو ذليل لربه فهو عزيز في ذله أبدا أحب أم كره فافهم، واعلم أنه ما سكن إليهم أحد بجوارحه إلا وافتتن قلبه أحب أم كره وهم عين الفتنة، وكل من افتتن قلبه تشتت فكره، وكل من تشتت فكره تخبل عقله، وكل من تخبل عقله نسي دينه، ومن نسي دينه سكنه النفاق والمداهنة والتصنع والرياء والطمع والحسد والبغض لأهل الله، واعلم أن كل من رأيته يريد معرفتهم من المريدين لا غيرهم فاعلم أنه غاش لنفسه، لأن أهل الرياسة نزلوا وصف الربوبية، والمريدين نزلوا وصف العبودية، ومن نزل وصف الربوبية هو المالك لمن نزل وصف العبودية أحب أم كره، لأن الربوبية قاهرة للعبودية على كل حال، وهؤلاء نزلوا منازل الرب والفقراء نزلوا منازل العبيد كما قلناه فافهم يا أخي وفر منهم جهدك قبل إخلاصك وبعد إخلاصك، ولا تشهر نفسك والزم الخمول، ولا تنظر لمن تلقاهم من أهل الكمال فإن الكاملين تجلى عليهم الحق سبحانه باسمه العزيز ظاهرا وباطنا ولذلك يغلبون من نزل عندها ظاهرا فقط، لأن هؤلاء الكرام نزلوا فيها بالله وغيرهم نزلوا فيها بنفوسهم، ولا يقهر صاحب القوة الحسية سوى صاحب القوة المعنوية ظاهرا وباطنا كما ذكرنا، فالقوة الحسية قوة مجازية، والقوة المعنوية قوة حقيقية، والحكم لصاحب الأصل على صاحب الفرع لكن بشرط أن يكون صاحب الأصل مالكا للأحوال وإلا فيُغلب لا محالة. واعلم أنه لا يصحبهم إلا فقير جاهل، أو فقيه محب للدنيا والجاه، أو صالح لا شيء عنده من الاكتفاء بعلمه، أو عارف بالله مالك لسائر الأحوال قاهر لهم أحبوا أم كرهوا وهذا والله قلٌ أن يوجد في زماننا، فاحذر أيها الفقير صحبتهم وصحبة المتصوفة الجاهلين وهي أقبح منهم بكثير وهم يخرجون من حضرة المشايخ وغيرهم يأخذون الكلام منهم ويمنعون نفوسهم من العمل فتنطمس بصيرتهم ويظهرون بالمشيخة وهم ليسوا من أهلها، وسببُ ذلك حب الجاه والرئاسة والمال وهذا من أعظم حب الهوى، فالله يعصمنا من الزلل ويحفظنا من العلل آمين، فالجبابرة الغافلون والمتصوفة الجاهلون هم الأموات المشار إليهم بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قيل من الموتى يا رسول الله، قال

المحبون للدنيا الراغبون فيها)، فكل من صحبهم مات قلبه، ويليهم في طمس بصائر الناس القُرَّاء المداهنون فصاحبُهم لا يخرج من عندهم إلا معمورا بسوء الظن بعباد الله والتكبر على الضعفاء والمساكين وترك لا أدري التي هي نهاية العلم، وصاحب المتصوفة الجاهلين لا يخرج من عندهم إلا مملوءا بالدعوى والرضا عن النفس والبدعة في الدين، وأما الجبابرة الغافلون فلا يخرج صاحبهم من حضرتهم حتى يكون متكبرا متجبرا على عباد الله قاسي القلب غليظ الطبع رافعا لنفسه فوق رأسه واضعا لروحه تحت قدميه معمورا بالطمع كل ما يرى يريد أن يأخذه لصاحبه.

ولما لقيت شيخنا الإمام الهمام، العارف بالملِك العلام، سيدنا ومولانا العربي بن مولانا أحمد الشريف المنيف الدرقاوي الحسني رضي اللـــه عنه ونفعنا ببركاته آمين بحضرة فاس حرسها اللـــه من كل باس عام ستة وتسعين ومائة وألف، وقد أخبرني بفضل اللـــه قبل قدومي عليه رضي الله عنه، والسبب في ذلك أنه كان هناك مع إخوان له في شيخه فانحرفوا عنه بعد موت الشيخ وادعى كل واحد منهم بالدعاوي الكثيرة، ومن جملة الدعاوي أن جعلوا الشيوخ منهم على وفق نفوسهم، وكان شيخنا رضي الله عنه ينصحهم ويذكرهم ويجلس لهم مع الباب الذي ينزلون فيها البْلاغي وكانوا لطف اللـــه بنا وبهم لا يقبلون منه المشيخة إلا أن كلامه كانوا يقرونه كثيرا لأن الحق لا يرده أحد، ولكن لما غلب الحسد على قلوبهم كانوا لا يسمعون منه شيئا بقلوبهم، ولو سمعوا بالقلوب لانقادوا إلى حضرة علام الغـــيوب قال تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنعام: 36] فلما أيس من هدايتهم خرج يوما بنية أن لا يعود أبدا إليهم، فبينما هو مار في بعض أزقة المدينة المذكورة وهو يقول في نفسه هذا المريض الذي بين يدي عالجته بكل العلاج إن كان للموت يموت وإن كان للحياة يحيى وقد تعذر من يصحبني في هذا الفن يارب، قال رضي اللـــه عنه فإذا بالنداء من قِبَل اللـــه تعالى يقول سيأتونك أهل هذا الطريق من البحار ويخلقون لك من الحجار، فما بقي بعد هذا إلا أيام قلائل وأنا عبد اللـــه قدمتُ عليه بإذن ولي من أولياء الله تعالى وذلك بعد أن تعلق قلبي بملاقات القطب الكبير وكنت أطلبه في كل سجدة إلا نادرا وكنت والحمد لله مشتغلا بذكر الله والصلاة والسلام على مولانا رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم تاليا لكتاب اللـــه

عز وجل معتزلا بنفسي في الخلا مصليا قائما وصائما وكان ذلك الولي يحبني غاية المحبة وكنت لا أرضاه شيخا فلما رآني تعلقت همتي بغيره وأردت المسير إلى مكة لكون الناس يقولون القـــطب الكبير هو بها أبدا فلما علم مني هذا الولي ذلك قال يا أخي هو بفاس عليك به وهو فلان الفلاني، فقصدته في الحين مسرعا فوصلت لفاس وسألت عنه فلم نجد له خبرا فلم أزل أفتش وأسأل عنه حتى وصلت إلى باب داره ونقرت الباب وخرج إليَّ رضي اللـــه عنه مسرعا فقبلت يده الكريمة وطرفه الشريف فقال لي من أين جئت قلت له يا سيدي من البحر فقال من أين من البحر فقلت من جبل أشَقّـــر[1] فقال ما تريد عندنا فقلت أردت أن أكون ببركـــاتك من ملوك الآخرة فقال أعطيناك سلطنة الدنيا والآخرة، فدخل مسرعا للدار وقال لي ادخل فإن مثلك لا يترك خارج الدار، فأدخلني ورحب بي وأجلسني على سجادته التي كان يقعد عليها في خلوته فأطعمني وسقاني وجعل يحدثني ويوصيني، فمن جملة ما أوصاني به رضي الله عنه أن قال لي يا ولدي احذر من صحبة ثلاثة أصناف من الناس المتصوفة الجاهلين والقرَّاء المداهنين والجبابرة الغافلين، فما صحبتُ أحدا من هذه الثلاث إلى الآن والحمد للـــه رب العالمين، وكان رضي الله عنه في ذلك الوقت عليه مرقعة ما رأيت أهون منها في المرقعات وكان يظهر منها الكثير من جسده الأعلى رضي الله عنه وما رأيت في داره ما يساوي درهما سوى السجادة بسطها لي وزلافة[2] وإبريقاً لا غير، وكان مع هذا إذا فتح اللـــه عليه بشيء تصدق به ودخل على أهله بلا شيء، ففي مثل هؤلاء رضي الله عنهم قال رسول اللـــه صلى اللـــه عليه وسلم ما تركت لعيالك يا أبا بكر قال تركت لهم اللـــه ورسوله، وكان لا يعرفنا أحد في ذلك الوقت غير بعض إخوان قليلين من أهل فاس كانوا يعرفون شيخه وكانوا يجتمعون معنا بالنهار وبالليل يذهبون إلى ديارهم، وكنت في الزاوية وحدي أياما عديدة ففتح الله بعد ذلك في الإخوان والأحبة، وكنا في ذلك الوقت متصلين الذكر والمذاكرة وكنا لا نعرف الليل من النهار إلا بالآذان في الصومعات،

---

(1) جَبَل أشَقَّر: جبل يقع قريبا من مدينة طنجة، على ساحل المحيط الأطلسي.

(2) زلافة: سُلْطانِـــيَّة.

ومن شدة بقائه رضي الله عنه كان يتلقاني قرب المغرب برحبة قيس[1] وكان حالنا من بعد صلاة العصر نخرج لخدمة نفوسنا للتذلل بين أقراننا نسأل الفلوس من الحوانيت فإذا التقينا عند المغرب برحبة قيس نشتري ما نتقوت به في الوقت فيأتي إليّ صاحب الخبز أو البصل أو غيره فيشتري بأربعة فلوس أو بستة فلوس أو ما أشبه ذلك فيزيده قدر ذلك على القيمة وهكذا كنا أياما عديدة، وكان يدلني على السخاء وحسن الخلق والزهد أكثر من كل شيء، وكان يقول لي رضي الله عنه يا ولدي الرجل هو الذي يشتمه الناس كلهم اختيارا عن طيب نفسه وهو يفرح لذلك والشمَّاتة هو الذي يحب أن يشمت الناس كلهم لأن الرجال عملهم مع الله تعالى والشمَايْتْ عملهم مع نفوسهم، وكان رضي الله عنه يحبني أشد من حبه لأهله وأولاده، وكان رضي الله عنه يقول والله واحد ما شَدّ لنا اكتافنا في الله مثل محمد بن أحمد البوزيدي، وبالجملة مدحه لنا كثير بقدر ذمنا وقبحنا وأكثر وأكثر والسلام.

ومن آداب المريد الصادق أن لا يجاور شيخه إلا إذا كان خادما له قائما بكل ما يحتاج إليه الشيخ من رعاية المواشي والحرث والحطب وسقي الماء وطحن الرحا وكنس الزاوية وحول الدار والارواء[2] وسائر ما يخدمه من المماليك وأكثر وأكثر لأن هذا طالب رضاء الحق، والمملوك طالب رضا الخلق، قلّ من المماليك من هو طالب رضا الحق في الخلق. أدب المملوك بالقهر على نفسه، وأدب الفقير اختيارا عن طيب نفسه، وشتان ما بينهما، هذا خادم أهل الأرواح بالأرواح، وهذا خادم أهل النفوس بالنفوس، هذا خادم عالم الصفات بنفسه، وهذا خادم عالم الذات بربه، هذا خادم عالم المعنى بالمعنى والحس حتى يتحقق له أن المعنى عين الحس، وهذا خادم عالم الحس بالحس حتى يتحقق له أن الحس عين الحس ولا معنى، هذا فاني في الخالق بالخالق، وهذا فاني في الخلق بالخلق، هذا فاني بالعلم في العلم، وهذا فاني في الجهل بالجهل، هذا فاني بالقرب في القرب، وهذا فاني بالبعد في البعد، هذا فاني

(1) رحبة قيس: تقع في مدينة فاس.

(2) الارواء: أي الإصطبل.

بالنور في النور، وهذا فاني بالظلمة في الظلمة، هذا فاني بالجمع في الفرق، وهذا فاني بالفـــرق في الجمـــع، هذا فاني بالفعل في الفاعل، وهذا فاني بالفاعل في الفعل، هذا مملوك لله، وهذا مملوك لنفسه، هذا مملوك للمـــعاني، وهذا مملوك للمحسوسات، هذا مملوك للجمال والجمالُ مملوك له، وهذا مالك للجمال والجمالُ مالك له، هذا مملـــوك للذات في الصفات والصفةُ مملوكة له بإذن الذات، وهذا مالك للذات في الصفات والصفة مالكة له بإذن الذات أحب أم كره، هذا فاني بعلم المعاني في المعنى ولا يـــزال حتى يرجع عين المعنى، وهذا فاني بعلم الحس في الحس حتى يرجع عين الحس، هذا فاني بعلم البقاء في البقاء ولا يزال حتى يرجع عين البقاء، وهذا فاني بعلم الفـــنا في الفنا ولا يزال حتى يرجع عين الفنا، هذا فاني بعلم الكمال في الكمال ولا يزال حتى يرجع عين الكمال، وهذا فاني بعلم النقص في النقص ولا يزال حتى يرجع عـــين النقص، هذا فاني بعلم التحقيق في التحقيق ولا يزال حتى يصير عين التحقيق، وهـــذا فـــاني بعلم الظن في الظن ولا يزال حتى يصير عين الظن، إلى ما لا نهاية له. واعلم أنه بقدر ما يقول الفقير لنفسه كن فتكون بقدر ما يقول لربه كن فيستجيب لـــه بفضله، ومن فضله على عبده أن ملك له نفسه، ومن عدله سبحانه في عبده أن جعـــل نفـــسه قاهرة له مالكة عليه سلطانة، والناس مقامات في ملكيتهم لنفوسهم وملكـــية نفوسهم لهم: فمنهم من تملكهم بالكلية ولا يتحرك معها قليلا ولا كثيرا وهم أهل الشر، ومنهم تارة بتارة وهم أهل الخير، ومنهم من قلَّ أن تغلبه وهم أهل الصدق، ومنهم من لا يعرفها كيف هي وهم أهل الوصول نفعنا الله ببركاتهم وجعلنا من أهل حزبهم وودهم آمين بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد الأولـــين والآخـــرين. واعلم أن أهل العلم بالله الراسخون فيه لا يشهدون نفوسهم لفنائهم في ذات الله تعالى، ومَن دونهم في الرسوخ كل واحد بحسب مقامه، كما أن أهل المراقبة يشهدون وجودهم بوجوده لكن وجودهم ثابت بإثبات نفوسهم وهم في ذلـــك مقامـــات: فأهل العلم بالله تعالى لا يثبتون إلا ما هو ثابت وهي الذات الشريفة العالية المنزهة عن أوصاف الحدث، والذات إن ثبتت لا يمكن أن يثبت معها شـــيء بخـــلاف إثبات الصفات عند ساداتنا أهل الظاهر فإن الأشياء ثابتة عندهم

موجـــودة في نظـــرهم قائمة بقدرة الله تعالى وثبوتهم لها بسبب ظهور فعلها لا غير ولولا ظهور فعلها ما عرفوها فمنهم من يرى الفعل عين الصفة فيفنى في الفعل لعلمه بأن ذلك هي الصفة، ومنهم من يرى الفعل أثر الصفة فيفنى في الصفة حقيقة فيكون باطـــنه فانـــيا في الله بلا علم وظاهره فانيا بنفسه وببقائها ثبتت الأكوان لكن تظهر أخلاق حميدة وكرائم وأحوال أثر فناء باطنه في الله، كما أن صاحبها الفناء في الفعل يقـــرب مقامه من هذا وله أخلاق أيضا وأحوال وكرامات لكن لا تلحق الذي فوقه وعند نفسه أنه في الغاية كذلك الذي فوقه وهكذا، كما أن المستشرف على الذات الـــذي هو أعلاهم يزعم أنه في الغاية ولذلك تراه ينكر الوسائط والأسباب التي بها دخـــل وإليها يخرج إذا انتهى أمره واستقر حاله وذلك الإنكار إنما هو لبقية النفس فـــتلك البقـــية هـــي التي تحجبه عن الكمال وإذا وصل واستقر في العلم بالله رأى الوسائط والأسباب بهم عرفت المعنى الشريفة وهم أنوارها وأدلتها عليها بها لا معها فيـــتحقق ويتيقن أن لولا ظهور أثرها منها عليها لا معها لما عرف قدرها ولبقيت كنزا مطلسما فأولُ ما يظهر له وجوده ومع ثم سائر الموجودات بالله لا بها فيتأدب مع وجوده ومع وجود الكائنات ولا يرى أدبه معها بنفسه بل ذلك الأدب بربه إذ لا نفـــس له من حيث لا وجود له، وهذه العبارة لأرباب الأذواق لا غير، إذ لا يفهم ذلك سواهم ولا يعرفه غيرهم فافهم.

ومن آداب المريد أيضا أن لا يقطع زيارة إخوانه في ربه ولا يحقر صغيرهم ولا يهمل فقيرهم ولا يرفع نفسه فوق جاههم فليَسِرْ بسيرهم، وينبغي له أن يعظم الصغير ويكرم الفقير ويعلم الجاهل ويتأدب مع المسيء منهم إذ بذلك يسير هو ويسيرهم، وينبغي للزائر أن يترك الطمع من حيث هو ويقصد بزيارته وجه الله تعالى إذ بذلك ينشرح قلب الزائر والمزار، واعلم أنه ما طمع عبد في عبد مثله إلا فسدت الصحبة وانقطعت المودة ووقع الاغتياب في بعضهم بعضا والتشارر والحسد والبغض والتكبر على بعضهم بعضا، وهذا كله بسبب الطمع، والطمع من أعظم حب الدنيا، والطمع هو المفرق بين الأحبة، فمثل المحبة كالنار الحامية والطمع كالماء البارد، والماء والنار لا يجتمعان قط، أو نقول مثل المحبة كالبارود الرفيع والطمع كالنار مهما

التقى هذا مع هذا أعني النار مع البارود ذهب البارود وبقيت النار إلى غير ذلك، وبالجملة صاحب الطمع لا ينتفع أحد بعلمه وإن علمه للغير ولا ينتفع بعمله ولا بحاله، لأنه على حرف إن أخذ به حاجته فرح وإن لم يأخذ به حاجته ذهب مذموما مدحورا، وكيف يكون النفع بعلم من هذه حالته أو بعمله أو حاله، إنما النفع لمن يقصد به وجه الله سواء علمه للناس أو عمل هو به وسواء ذموه عليه أو مدحوه وسواء عملوا به أم لا. الفقير الصادق المتجرد المنقطع عن الأسباب إن كان به حاجة فليصبر حتى يفتح الله بها عليه، وإن كان ولا بد وضاقت عليه نفسه فليشاهد الحق في الخلق ويمد يده للسؤال افتقارا لله واحتقارا لنفسه فإن أُعطيَ شيئا أخذه من يد الله والخلقُ حكمة مستور بها سره سبحانه وإن منع رأى أن الله منعه من قوت الأشباح ليزداد له ذلك في قوت الأرواح وهو أحسن وأحسن، ولا يحرم من العطاء في حالة المنع إلا الجاهل الذي يرى العطاء من الخلق وأما الذي يراه من الحق سبحانه فلا يراه إلا عطاء له في كل حال، كيف والحق سبحانه سمى نفسه الكريم وحاش من هو وصفه هذا على الدوام أن يحرم عبده هذا لا يكون قط، واعلم أن العبد إذا حرم فليعلم أنه من نفسه وأنه لا يعرف إلا العطاء الحسي الذي هو من الخلق كما قلناه وإن كان يقول المعطي هو الله، فلو علم المسكين مثلي أنه هو المعطي لرآه المعطي في منعه سبحانه، ولكن إذا أعطاه شهوة نفسه قال هو المعطي وإذا منعه وأعطاه في المعنى قال في حق نفسه هو المحروم فيرفع الله عنه نعمته الباطنة لجهله فيبيت ويمسي في الهم والغم فافهم عنه يا مسكين. واعلم أنه إذا منعك أعطاك، وإذا أعطاك ربما أعطاك وربما منعك، ولا يعطي الله ظاهرا وباطنا إلا لعبد محبوب كما أخبر عن نبيه سليمان عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩ ﴾ [ص: 39]، وقد أعطى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا فقال (أفلا أكون عبدا أجوع يوما وأشبع يوما) أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وانظر رحمك الله إمام العارفين وسلطان الواصلين ورحمة العالمين كيف اختار العطاء في المنع بعد أن قال له مولانا جل جلاله (لا أنقص لك شيئا مما أعطيتك) أو كما قال له سبحانه لهذا النبي الكريم العظيم القدر والجاه عند مولاه اختار العبودية إذ هي

عين الشرف وهي المقام الأعلى الذي خصه الله بتمام كماله، فكل الأنبياء والأولياء أخذوا النصيب من هذا المقام وبه صاروا أنبياء وأولياء، وهذا النبي الكريم أخذه بتمامه، وكل الأنبياء والأولياء بقي فيهم وصف الحرية إلا نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يبق فيه منها قليل ولا كثير وهذه الحالة لا يطيقها أحد سواه صلى الله عليه وسلم ولذلك كان هو سلطان الأولين والآخرين، فكيف بك أنت يا مسكين أعطاك الله العبودية قهرا على نفسك محبة فيك ورددتها على مولاك حيث جهلت قدرها، والله لو علمت يا مسكين ما في الفقر من الخير لقاتلت عليه مع أهله، ولو علمت ما في الذل من الخير لقاتلت مع أهله، وهكذا سائر أوصافك، إذ لولا أوصافك ما كنت أهلا للإيجاد، ولولا أن قام بها رجال كرام رضي الله عنهم لبقيت حتما في العدم فافهم، واترك الطمع كما قلنا وإن زرت أخاك في الله فزره لله، وقد تقدم على هذا المعنى كلام قبل هذا والله أعلم أو ما يناسبه، وقد ورد في فضل الزيارة أحاديث منها أن غبار أقدام الزائرين لله خالصا ترفعها الملائكة وتضعها على رؤوس الأسارى فتحن عليهم قلوب الكافرين ببركاتها، ومنها أن الله تعالى جل جلاله أوحى إلى نبيه داود عليه السلام يا داود اجعل عصا من حديد ونعلين من حديد وطفْ على الفقراء، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: زر غِبًّا تزدد حبًّا، إلى غير ذلك مما ورد في فضل الزيارة، فعليك بها بعد ترك الطمع فيما في يد المزار، ولا بأس بالمزار إن كان عنده شيء أن يكرم به أخاه فهو من أحسن ما يكون، والبخل من أقبح ما يكون في الصوفي، ولا يكون الصوفي بخيلا قط لأن البخل وصف النفس، والنفس لا تكون عند الصوفي إن كان صوفيا وإن كان متصوفا أعني سائرا يكون تارة بتارة. واعلم أن ترك الطمع من الهمة العالية التي هي من شأن أهل الله رضي الله عنهم، والطمع من شأن أهل الهمة الدنية التي هي من شأن الغافلين، وعندي أن الهلوع هو صاحب الطمع وأنه يمسك ولا يعطي ولو كان يعطي لما طمع في أحد، والغالب على الطامع كله البخل وإذا رأيت الطامع يعطي فاعلم أنه لحظ وهذا ما ظهر فقلَّ أن يعطي صاحب الطمع لغير حظ قال جل من قائل ﴿ وَلَا

يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [النساء: 142] يعني قلَّ أن يعطي لله، والعطاء لله ذكر لا محالة، ولا يزول الطمع من صاحبه إلا بالقناعة والثقة بالله والإياس مما في أيدي الناس فافهم. واعلم أن من أعطى له شيء من أخيه أو من غيره بلا استشراف له ولا طمع ولا التفات من النفس قليلا ولا كثيرا فليأخذه ولا يرده فإنه كرامة من الله تعالى ولا سيما إن سبق نظر الله إليه قبل نظر النفس له فهذا أحل الحلال، وإن سبق نظر الخلق وليس للنفس استشراف ولا طمع في ذلك ولا التفات فالنظر لصاحبه: إن شاء رده لأجل رؤية الخلق وإن شاء أخذه لأجل الإياس مما في أيدي الخلق، والظاهرُ لي والله أعلم إن كان فقيرا أخذه وإن كان له شيء غيره تركه، وإن رده للأخ له في الله فليخبره لئلا يتألم، وإن كان عارفا بسياسة النفوس فلا يخبره لأنه يعرف علة الرد ويرد ما أعطى الأخ للأخ أو غيره من علة أخرى إذا كان المعطي فقيرا وحالته الإيثار فإنه يرده له ويجعله صدقة على صاحبه الذي أعطاه، وإن كانوا فقراء وأهل إيثار فليقسموا ذلك أنصافاً، وإن حضر في ذلك الوقت من هو أحوج منهم سواء كان من أهل الطريق أم لا فليدفعوها له، فمن عرف هذه السياسة نال كمال المعرفة بالله تعالى، اللهم اجعلنا من أهلها ولا تحرمنا من سرها بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله. واعلم أن الزهد في الدنيا هو أساس الزهد في النفس، والزهد في النفس هو أساس الزهد فيما سوى الله تعالى، ومن لا زهد له في الدنيا لا يطمع أن يزهد في نفسه، ومن لا زهد له في نفسه لا يطمع أن يرتفع عنه الحجاب، فافهم يا أخي، وأيس نفسك من الدنيا كل الإياس، ثم أيس نفسك من الجاه عند الخلق تنال بالفقر والذل أعلى المراتب، فإن لم تقدر عليها فعليك بالقناعة والمسكنة وحب المساكين والدنو منهم والجلوس معهم، فإنك تنال التواضع بتواضعهم وتنال الزهد بزهدهم، وأما إذا جالست الأغنياء وأهل الجاه والرئاسة فلا تطمع في خير من خير القلوب، واحمد الله إذا قمت بالأوامر الظاهرة، فاترك يا أخي علل نفسك واعتمد على فضل ربك، واعلق همتك بربك، واشتغل بمراعات قلبك، وقلْ ألله ألله ألله، ودم على ذلك فإنك ترى سر ربك.

ومن آداب المريد الصادق ألا يشتري من شيخه شيئا ولا يبيع له شيئا، وإنما يشتري منه العلم بالله تعالى ويبيع له نفسه لا غير، وكيف تبيع له وهو الغني بالله وأنت الفقير لله، وكيف تشتري منه الحس وأنت قصدته بنية شرائه منك ليدفع لك في ثمنه المعنى، فإن فعلت ذلك فقد بطل قصدك وطاح تعظيمك واحترامك لشيخك ورجع ذلك دنيا وأنت لا تشعر، فافهم واستحِ من الله أن تتكلم أمامه على الدنيا وأنت تريد الآخرة، فالدنيا لا يعطيها للشيخ دون النفس إلا دني الهمة عن الوصول، وأما من علت همته إلى مولاه يستحي أن يدفع فلسه ويترك نفسه إلا إن كان من عامة الناس فهذا لا بأس به، تقول الناس حكمة جليلة: نتف من الكلب ولا يغد سالم أي ولا يرجع سالما، والمال إنما يؤخذ من عامة الناس وذلك لضعف حالهم ودنو همتهم وعظم نفوسهم، لأنهم يرون إعطاء المال شيئا كبيرا، وهو والله شيء صغير بالنسبة لمن أعطى نفسه، هذا مقامهم في الصدق مع الله، ولو كمل صدقهم لرأوا إعطاء النفوس شيئا صغيرا، لأن من باع نفسه أعطاه الله سبحانه نفسه فيها وذلك أن يمده سبحانه بوصفه فيقول للشيء كن فيكون، ولهذا المعنى قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا) والنافلة التي ليس فوقها نافلة هي بيع النفوس وهو واللهِ أمر عظيم قلٌ من يطيقه، إذ كثير من الناس يزعمون أنهم باعوا نفوسهم وهم والله ما باعوا منها إلا أقل القليل. الذي باع نفسه ساكن في الفقر على الدوام، ساكن في الذل على الدوام، ساكن في الضعف على الدوام، ساكن في الجهل على الدوام مع علمه، إذ العلم لله لا له، ومن ادعاه فهو مشرك، والعلم إنما هو دلالة على أن يحققك بوصف نفسك، ومن وصف نفسك الجهلُ لا العلم فافهم، واكتف بعلم الله فيك، وكن حقيرا ذليلا فقيرا جاهلا عاجزا كالكلب الذي لا مولى له بين الكلاب والناس: فهذا حال من باع نفسه، ومن كان هذا حاله كان الله وليه ونصيره، وهذا هو الوارث للنبي صلى الله عليه وسلم لا الوارث له في الأقوال والأعمال بل الوارث له في الأحوال، وهذا هو المشار إليه بقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ [التوبة: 111]

انظرْ كيف قدم الله المؤمنين وقدم النفس فهذا دليل على أن النفس شيء والمال شيء آخر وأن النفس لا يبيعها إلا الصديقون وأنها معنوية ولا تموت أبدا فكلما قتلتها حييت وكلما حييت وقتلتها زدت في القرب حتى تنتهي في القرب ولا نهاية له فإذا حصل القرب التام حييت النفس حياة لا تموت بعدها أبدا، وكل واحد يصل إلى ما سبق له منه، وبقدر سَير الفقير في هذه الدار يكون ترقيه في تلك الدار والله أعلم، إن كانت معانيه هنا قوية تكون هناك كذلك وأكثر، وإن كانت ضعيفة تكون هناك كذلك، ولكن لا بد من الزيادة في الجهتين والله أعلم قال مولانا جل جلاله ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ [الأنعام: 160] وهذا ظاهر والله أعلم. ولنرجع لما أردناه، قلنا ولا ينبغي للفقير أن يبيع لشيخه أو يشتري منه وهذا هو الحق، ولكن إن أعطاه الشيخ شيئا أخذه بنية التبرك لا غير، وإن أخذه على غير هذا فليس بمريد صادق وإن أخذه فليتب، وإن أعطى الدنيا بحذافيرها للشيخ لا يرى لها مزية حتى يعطي نفسَه، وإن صحَّ إعطاؤها فليغب عن إعطائها وعنها، وكيف يعطي ما ليس له، والنفس هي لله أعطاها الحق لنا لنردها إليه ونتأدب بها بين يديه ونعرفه بها ونحبه بها ونذكره بها ونتقرب إليه بها، وهذا كله من كرمه علينا سبحانه، وهي له وأعطاها لنا لنكون بها له لا لنا ونبيعها لله لتصح العبودية التي أراد الحق منا، وبأخذها لنا تصح الحرية التي نهانا الله عنها وبسببها هلك من هلك، وبسبب العبودية نجى من نجى فافهم، ولنرجع للذي أردناه، قلنا ولا ينبغي للفقير الصادق أن يبيع لشيخه أو يشتري منه، فإن كان له شيء فليكرم به شيخه لله ولا يرى لذلك مزية كما قلناه، وإن أخذ شيئا من الشيخ بعد إعطائه له من غير قصد ولا سؤال ولا غير ذلك فليأخذه على وجه التبرك كما قلناه، لأن عطية الشيخ لا ترد لكن إن علم أنها منه بلا سبب، وأما إن تعرض له بشيء من الشكوى في حاجة حتى أتاه بها فليعلم أنه أعطاها له على غير وجه التبرك فإن كان صادقا غنيًّا تصدق بها قهرا لنفسه وإن كان فقيرا فلا بأس بأكلها وليتب ولا يعد، ولا يشتكي للشيخ بالفقر ولا بالفاقة ولا بالحيزة لأن ذلك الذي يشتكي له به عليه دله هذا الشيخ، إذ النفس ما دامت تفر من أسباب الضيق لا يفرح بها صاحبها إلا إذا كانت تفر من أسباب التاسيع إلى الضيق،

لأن الضيق مفتاح للتاسيع، والتاسيع مفتاح للضيق، والأشياء كامنة في أضدادها، ككمون النار في الحجر ولا يخرجها إلا إذا قرنت بالهند وبعد ذلك بالضرب في بعضها بعضا عند ذلك تخرج، كذلك النفس هي بمنزلة النار، والآدمي بمنزلة الحجر، والعمل الثقيل بمنزلة الهند، والهمة هي التي تجمع هذا مع هذا، فإذا قرن العلم بالعمل وتلاطم هذا مع هذا لطما شديدا ظهر بينهما سر النفس الذي هو مخبًأ فافهم يا أخي، والله يوفقنا وإخواننا والمسلمين أجمعين للإخلاص من نفوسنا آمين. وكذلك أيضا لا ينبغي للفقير أن يبيع لأخيه أو يشتري منه فإنهم أحباء في الله تعالى وعليه اصطحبوا وفيه تحابوا وتوادوا، وإذا دخلت الدنيا بينهم فسدت تلك الصحبة وانقطعت تلك المودة وزالت تلك المحبة ورجعت النفوس كما كانت أول مرة فتراهم بعد هذه الحالة يتهارشون على الدنيا كما يتهارش الكلاب على الجيفة وأكثر، لأن الكلاب فيهم خصلة كونهم بعد المهارشة لا يبقى في قلوبهم غل وذلك لبعدهم عن وصف البشرية التي خص بها الآدمي، ولا تزول من الآدمي هذه العلة إلا إذا ذكر الله بقلبه لا بجوارحه فقط، فإذا حصل هذا تطهر من وصف نفسه، فاحذر من الدنيا جهدك واعلم أنها هي أصل كل عداوة في ابن آدم لابن آدم ولغيره، ولولا هي لكانت الناس كأهل الجنة، وسبب بعدهم عن هذا الغفلةُ عن الله، ولو زالت الغفلة لزال الجهل، ولو زال الجهل لجاء العلم بالله، وإذا حضر العلم بالله كانت الناس كأهل الجنة، وإلى ذلك الإشارة بقوله سبحانه ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [الزخرف: 67] وهم المحبون في الدنيا المصطحبون عليها إذ لا بد لهم من العداوة عليها أحبوا أم كرهوا، وكيف لا تكون بينهم العداوة والدنيا عدوة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، واعلم أن كل عداوة نشأت إنما هي بسببها فافهم، وقوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 67] يعني هم الذين اصطحبوا على الله وتزاوروا في الله وتذاكروا في الله وتحابوا في الله وتناصحوا في الله وفنوا في الله وبقوا بالله، جعلنا الله منهم وإخواننا وكافة الأمة المحمدية بمحض كرم الله بجاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله آمين. ولنرجع لما أردناه اعلم أنه لا شيء أنفع لفيض المدد

الإلهي من مودة الأخ للأخ في الله لا سيما الشيخ أكثر وأكثر، إذ بنفس ما توده في الله تمتد من الله، وهذا يدل على أن الله واحد لا موجود على الحقيقة سواه، انظرْ يا أخي مهما وددت فيه مدك في الحين بسره سبحانه، ومهما وددت الغير بالغير انقطع المدد وبطل السير، وانظر رحمك الله إن لم تعرف المدد المعناوي فهو ظاهر في الحس: إذا وددت أحدا أحبك وودك، وإذا ودك أحببته ووددته، وإذا أبغضته أبغضك وإذا أبغضك أبغضته ما لم تحصل على العلم بالله، فمن كانت مودته في الله كانت على الحقيقة لله بالله، ومن كانت مودته لأجل الخلق كانت على الحقيقة للخلق بالخلق وهذا ظاهر، وإذا حصل العلم بالله تحسن لمن أساء إليك وتحب من أبغضك وتكرم من بخل عليك إلى غير ذلك، لأنك تكون غنيًّا بالله غائبا عن توهم سواه، واعلم أنك إذا وددت في الله بأعز ما عندك فإنه يحصل في القلب سِرّهُ قبل فعله، وقد جربت هذا مرارا أهتمُّ بشيء أفعله لله وهو ثقيل على نفسي فأجد سره في قلبي قبل فعله وأشاهد ظلمة النفس ذهبت من قلبي عند الاهتمام به، وهذا ظاهر لأهل البصائر. واعلم أن الشيء الذي يصعب على النفس فلا تخرج عنه ولا تجنح إلى الخفيف وتترك الثقيل ذلك كله من عدم صدقك في عبوديتك لربك، والنفس متلونة، وتلونها بحسب حبها للشهوات، ورأس ذلك كله حب الدنيا، ورأس الشهوات والعوائد حب المال والجاه، فمن خرج عنهما خرج عن كثير الأوصاف الذميمة، والمبتلى بحب المال والجاه لا تجده إلا كثير الغضب، وصاحب الغضب فاسد القلب والجوارح لا محالة، كما أن صاحب الحلم صالح القلب والجوارح لا محالة، ومن تطهر من هذا الوصف الذميم تطهر من كثير العلل وهو أساس الأعمال الفاسدة، كما أن الحلم أساس الأعمال الصالحة كما قلناه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل لا تغضب قال زدني يا رسول الله قال له لا تغضب، ولم يزده شيئا على ترك الغضب والحلم، فالغضب في الظاهر واحد وأسبابه في الباطن متلونة ينشأ عن فقد حظ النفس، وأسباب فقد الحظ كثيرة، وكيف ما تلوَّن سببه في الباطن ظهر في الظاهر، ولو علم المؤمن ما في رده من الخير لكانت أعمال المؤمنين كلها في تصفية هذا الوصف ولما أخذوا من الأعمال سوى ما لا بد منه، كيف وقد مدح الله عز

وجل في كتابه العزيز أهله بأجلّ المدح فقال ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: 134] وقال أيضا ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة: 156 - 157] ومعنى ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 156] هو رد الغضب من الظواهر رغما على أنف النفس حتى يكونوا لله لا لنفوسهم، وقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: 156] يعني رجوعهم إليه سبحانه وقت قيام نفوسهم عليهم فإذا رجعوا لله سبحانه كفاهم أمرها وكفَّ عنهم غيظها حتى لا يكون في القلب شيء سوى الحلم، وكيف لا يصلي الحق تعالى على من هذا وصفه، وكيف لا يكون مهتدياً وهو مخالف لنفسه، والمخالف لنفسه هو الطائع لربه، فافهم.

ومن آداب **المريد الصادق** أيضا ألا يتزوج امرأة شيخه المطلقة مثلا ولا غيرها، وإنما الشيخ عند الفقراء الصادقين وجوده مثل وجود مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلمه وعمله وحاله كذلك الشيخ لأنه يأخذ العلم عن الله كما يأخذه الأنبياء إلا أن ذلك مقام الرسالة وهذا مقام الولاية، وقد وقعت المشاركة في العلم بالله لا غير، فالأنبياء يأخذونه بإلهام تارة وبواسطة الملك تارة، والأولياء يأخذونه بإلهام فقط، ومن فني عن نفسه وبقي بربه مع وجود الصحو فهو الكامل، ومَنْ هذا حاله هو الذي يأخذ العلم عن الله، لكونه ممتدًّا بحقيقة الجمع في شريعة الفرق، فمِنْ تلك المادة الإلهية يأخذ العلم عن الله بالله لا به، وهذا هو الشيخ في الحقيقة، بخلاف شيوخ التعليم نفعنا الله ببركاتهم أجمعين إذ هم يأخذون العلم عن الوسائط والوسائط عن الوسائط إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك العمل ولا بد لهم من الفهم في العلم واقتباس بعض معانيه لكن مع الحذر من الجهل والغلط لثبوت نفوسهم، والعارف يأخذ المعاني ولا يبالي لفنائه عن نفسه وبقائه بربه ولذلك تراهم تجري على ألسنتهم العبارة أبدا ولا يسكتون وإن جهلوا وذلك من حيث فقد النفوس وذهاب عالم المحسوس، وأما من هو بنفسه إن صادق زاد وإلا قهقر، وإلى

ذلك أشار تاج العارفين ابن عطاء الله رضي الله عنه بقوله (من عَبَّر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة، ومن عَبَّر من بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساء)، فعبارة العارفين بالله، وعبارة غيرهم بنفوسهم، وشتان من هو بنفسه مع من هو بربه، ولنرجع لما أردناه، قلنا ولا ينبغي للفقير الصادق أن يتزوج امرأة شيخه إذ لا تحل له في مذهب أهل الصدق والتعظيم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 53]، وقد قلنا إن المريدين الصادقين بمنزلة الصحابة مع مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية في أزواج مولانا محمد صلى الله عليه وسلم عامة وفي أزواج الشيوخ خاصة بالفقراء فافهم، وأما ابنة الشيخ فلا بأس للفقير الصادق أن يتزوجها إن علم أنه يقوم بالأدب معها كما يقوم مع أبيها وذلك قلٌ أن يوجد لأن النساء أضعف العقول وهذا إن أذن له شيخه فيها، وإلا فحرام عليه أن يطلب ذلك منه أو يعلق قلبه بذلك فكل ذلك من أعظم سوء الأدب فافهم، وقد تزوج ابنة مولانا محمد صلى الله عليه وسلم التي هي سيدة نساء العالمين صاحبُه وأحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس إليه حسًّا ومعنى وارث مولانا محمد صلى الله عليه وسلم في العلوم اللدنية وهو إمام الصوفية مولانا علي كرم الله وجهه تزوج مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وجعلنا من ذريتها الحسية والمعنوية آمين بجاهها وبجاه أبيها عند الله مولانا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وقد تزوج ابنتيْن من بنات المصطفى صلى الله عليه وسلم صاحبُه مولانا عثمان بن عفان، وهذا ظاهر والشيخ لا حرج عليه أن يتزوج ابنة المريد وزوجته إن أراد ذلك كما تزوج مولانا محمد صلى الله عليه وسلم زوجة زيْد وتزوج ابنة مولانا أبي بكر الصديق مولاتنا عائشة وابنة مولانا عمر بن الخطاب مولاتنا حفصة وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وزوجة الأخ للأخ فلا بأس بها، وكذلك بنت الأخ لابن الأخ كذلك أيضا، ومن المشهور في طريق الوصول إلى الله تعالى أن الفقير الصادق لا ينبغي له أن يعلق قلبه بالتزوج ولا يجول فيه ولا يلتفت إليه ولا لمن يذكره له، فإن القلب إذا تعلق به فسد، والنفس إذا اشتاقت إليه تاهت

عن الله تعالى، والعقل إذا جال فيه لا يقبل العلم ولا تصفى له فكرة ولا تثبت له نظرة، ولا ينبغي له أن يتزوج إلا إذا علم أنه يفتتن بشهوة الحرام هذا واجب عليه على كل حالة سواء في البداية أو في النهاية أو غير ذلك وإنه في حق هذا من أعظم الواجبات، وأما الذي لا فتنة له في قلبه بشهوة نفسه فالواجب عليه تركه بالكلية حتى يتمكن من الحضرة الإلهية عند ذلك يفعل ما يشاء، ولا ينبغي للفقير الصادق أن يشغل قلبه به، فإنه من أعظم الفتن في طريق الله وإنه من أعظم حب الدنيا، انظرْ كيف قدَّم الله تعالى شهوة النساء على كل شهوة لأنها تسلب صاحبها من سائر الأسرار أحب أم كره لأن هذه الحالة هي ضد الفناء في الله، فكما أن حب الله يسلب العقول إذا نزل بصاحبه حتى لا يلتفت لشيء من الدنيا ولا لشيء من الآخرة، كذلك هذا الأمر يسلب العقول المعقولة عن عقلها حتى لا يبقى لها التفات لشيء آخر، أو نقول كما أن الروح تجذبها المعاني المعنوية لحضرتها حتى لا يبقى فيها قليل ولا كثير، كذلك النفس تجذبها المعاني الحسية لحضرتها حتى لا يبقى فيها قليل ولا كثير، وأرى المعاني الحسية هذا الأمر أعني أمر النساء فاحذروه جهدكم يا إخواني وأنا من الناصحين لكم، ولنرجع لما أردناه من تبيين الآية قبل قال مولانا جل جلاله ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: 14] انظرْ كيف قدم الله شهوة النساء على سائر الشهوات لأنها هي رأس الشهوات ولبها روحها ولا تزول هذه الحالة إلا باشتعال نار المحبة في القلب أعني محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبة الله ورسوله ينشأ عنها الشوق المقلق والخوف المزعج وهو الذي يخرج هذه الشهوة المتمكنة من القلب وإلا، فعليك يا أخي بدوام حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى يعظم في قلبك وتشتعل ناره في سرك فيطهرك ظاهرا وباطنا من سائر العلل لا سيما هذه العلة التي تمنع صاحبها سائر الفكرة التي هي مفتاح للحضرة أحب أم كره، ولذلك قال شيخ شيوخنا مولاي علي العمراني نفعنا الله ببركاته آمين سمعتُ ذلك من شيخنا مولانا العربي الدرقاوي الشريف الحسني نفعنا الله ببركاته قال كان يقول: الكلام عندنا ممنوع في ثلاثة مسائل وزاد بعضهم الرابعة قال كنه الربوبية والرسالة والسلطنة والنساء، وهذه المسائل الأربع لا يتكلم فيها إلا

الجاهل لا محالة، وأما العالم فلا مدخل له فيها لاشتغاله بالله، والذي لا يشتغل بالله يشتغل بالفضول، وقد جعل الله الأسباب الدنيوية لحكمة شغل بها الحق سبحانه كثيرا من الناس، لئلا يزيغ قلبهم بالجولان فيما لا يعني فتفسد عقيدتهم، والله أعلم بما يصلح به عبيده سبحانه، لأن التفريغ غالبا لا يصلح إلا بأهل العلم بالله الذين هم أهل الفكرة النورانية السالمة من الشك والظن والوهم والخيالات والوساوس النفسانية والشيطانية، وبذلك لا يصلح التجريد إلا لأربابه الذين علت همتهم عن عالم الشهوة، ولا يصلح بغيرهم وربما يفسدهم التفريغ وذلك لعدم اشتغالهم بالله فتسلط عليهم نفوسهم فتأخذهم إليها وتملكهم ملكا كليًّا فلا هم في الأسباب بقوا ليتوصلوا إلى معاشهم ولا هم على سر التجريد حصلوا، فافهم واشتغل بالله على أي حالة كنت، فإن كبُر ذكر الله في قلبك ونسيت به الأسباب فهو المطلوب وإلا فقمْ في الأسباب واجتهد في ذكر الله فربما يعظم الذكر في حالة الأسباب مثل ما يعظم في التجريد حتى مع وجود الأسباب، والتجريد إنما هو لتفريغ النفس من الحس لترجع قوتها الظاهرة في الباطن لا غير فافهم والسلام.

ومـــن آداب المريد المتجرد وخصوصا صاحب الفكرة ألا يكون له وقت ثان ينتظر ما يفعل فيه فإن ذلك يشوش عليه فكرته ويفرق همته، ولذلك قالوا الفقير ابن وقته، فالواجب على صاحب الفكرة أن يكون كل ساعة ينظر ما يبرز من عنصر القـــدرة فيـــتلقاه بالمعـــرفة، وكل ساعة يرى أنها آخر عمره، فبهذا تشتغل الفكرة وتصفى النظرة، ومن لم تصف له الفكرة والنظرة فالبطالة لازمة له، فالفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة، والسلام.

إلهـــي عظمت الدعاوي مع وجود المساوي، وعبدك الضعيف لغير بابك لا يـــأوي، **إلهـــي** كيف يعتمد العبد الجاهل على علمه وهو من بحر فضلك أبرزته، أم كـــيف يعـــتمد علـــى عمله وأنت الذي وفقته، أم كيف يستند إلى حاله وأنت من السكون لغير الفضل حذرته. **إلهي** أقفْ عبدك على باب فضلك بمحض كرمك بلا علة، ولا تحمله اللهم بجودك ورحمتك حمول المشقة والمذلة. **إلهي** من استعز بسواك ذليل، ومن استشفى بغير حبك عليل. **إلهي** كيف يستعز الذليل بالذليل، وأنت العزيز

الجليل. إلهي تجليت بجمالك للنفوس فدهشت، فمنها بسبب السعادة انقادت، ومنها بسبب الشقاوة أنِفتْ، فأنت الحكيم العليم ما علمت، لا تسئل عما فعلت. إلهي أنت العالم بمخلوقاتك ولا علم لغيرك إلا ما عَلمته، وأنت الحكيم بحكمتك خلقت أسباب الهداية ويسرتها لمن أحببته، وخلقت أسباب الضلالة ويسرتها لمن أبغضته. إلهي من سبقت له عنايتك في الأزل فبفضلك رحِمْتَه، وبسر لطفك هديته، وإلى كمال الإخلاص وفقته، ومن حكمت عليه بالشقاء بعدلك جهلته بعدما علمته، وخذلته بعدما وفقته، وسلبته بعدما أعطيته، وأبعدته بعدما قربته، نسألك اللهم لا تسلبنا بعد العطاء، ولا تحرمنا بسبب الغفلة والخطا، واجعل اللهم فضلك لمساوينا غطاء، يا رباه يا مولاه، إلهي أعوذ بك من الجهل بعد العلم السابق، وأعوذ بك من الغضب اللاحق، وأعوذ بك من حجاب الحجاب، الذي لا معرفة فيه ولا أدب. إلهي إن لم تستر عن عبدك المساوي، وتمح عنه الدعاوي، إلى أين يأوي، إلهي من عرف فضلك وعظيم قدرك لا يفزعه الفزع الأكبر مع كثرة جُرمه، ومن جهل فضلك وعظيم قدرك أقلُّ شيء من الهم يرديه، إلهي من تكرمت عليه في سابق الأزل فهو الكريم، ومن منعته من كرمك فهو المسيء اللئيم، ولولا فضلك ما كنا أهلا للإيمان بك، ولولا لطفك بنا ما انقادت نفوسنا لعبوديتك، فأنت اللطيف الحليم، الجواد الكريم، إلهي وقفت الكاملون والواصلون عند المشيئة لشدة القرب منك، وغابت الغافلون عن ذلك لشدة البعد عنك، إلهي ما أقربنا لك بك وأنت القريب منا، وما أبعدنا عنك لوجود نفوسنا، فاستر اللهم بفضلك قبحنا، لنكون أهلا لغاية القصد والمنى، إلهي عجزت العارفون بك عن كمال معرفتك لكمال معرفتهم بك، فما بالك بالجاهل مثلي العاجز عن عبوديتك، إلهي لولا أثر صفاتك العالية لما عُرفتَ، ولولا العقل المخصص به عبادك الصالحون لما عُبدتَ، لولا ظهورك بتجلي جمالك ما عُرفت باطنا، ولولا حجاب لطفك على عظمة ذاتك لما كان سرك كامنا، إلهي لو ظهرتْ أنوارك الخفية لتلاشت الأكوان، ولولا تلك الأنوار التي ظهرت في رداء حكمتك لما عرفك أهل العيان، إلهي ظهرت عظمتك ظاهرا ولا حجاب

عليها، واختفت من شدة ظهورها غيرة على كشف أسرارها. إلهي الغير بالنظر إلى وحدانيتك مفقود على التحقيق، لكن بنعت تجليات ظهورك يشير إلى التفريق، إلهي لا يـــراك غـــيرك، وكـــيف يراك والغير مفقود، أين يكون الغير معك لولا العقل بحكمـــتك محدود، إلهي كل الخلق تحت أسرار أسمائك مقهورون، وكلهم بسلاسل قـــدرتك مجـــرورون، فلا حكم لهم مع حكمك، ولا وجود لهم مع وجودك. إلهي اكشف لنا بفضلك عن حقيقة الحقائق، وأفضْ علينا من لدنك علوم الدقائق، وحققنا اللهم بسرك الموضوع في الخلائق، وزج بنا في عين جبروتك، وأخرجنا منها بها على ساحل بحار ملكوتك، وعرفنا بك معرفة أنبيائك وأصفيائك. إلهي أدِّبْنا بأدب أهل ملكـــوتك، وأفِـــضْ علينا من سَنا جبروتك ما يُغيبنا عن رؤية مُلكك وملكوتك، وأجلـــسْنا اللهم على كرسي القرب بالقرب، واشعل في قلوبنا بفضلك نار الشوق والحب. إلهي أبرزتنا لهذا الوجود، بعدما سبق إلينا منك العهود، فثبتنا اللهم بمحض كرمك بالقول الثابت ولا تجعلنا من أهل العناد والجحود، يا حي يا قيوم يا موجود، لا إله إلا أنت، بك آمنت، وعليك توكلت، وبك من سواك استعذت، وصَلِّ اللهم وســـلم على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومـــداد كلماتك، في كل لحظة مائة ألف مرة، من يوم خلقت الدنيا إلى يوم الآخرة، آمين آمين آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الباب الخامس

فهارس كتاب

(الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية)

خدمـــةً لكـــتاب (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية) وزيادة في تسهيله وتيسيره وتقريب مواضعه واقتناء درره ولآلئه، فقد وفقني الله تعالى إلى وضع فهارس له عديدة ومتنوعة ومفيدة، وقد أكملـــتُها في شهر فبراير سنة 2001 ميلادية.

الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني.

فهرس الآداب

- وأنواع الآداب كثيرة ولكن نذكر ما هو آكد منها على المريد.

- فمـــن آداب المـــريد الظاهـــر ألا يكثر الجلوس مع الشيخ لئلا يزول عنه التعظيم، وكثرة الجلوس مع قلة التعظيم لا تزيد المريد إلا بعدا.

- ومـــن آداب المـــريد ألا يكثر الضحك مع الشيخ، وإن ضحك معه الشيخ فليُقـــصر هو وليُراع الأدب، وقد يكون ذلك من الشيخ اختبارا له لينظر مقامه في الأدب فافهم.

- ومـــن آداب المريد ألا يكثر الكلام بحضرة الشيخ أحرى وأحرى مع رفع الصوت، ومن كثر كلامه حتما يرتفع صوته، وإذا كان كثرة الكلام بخفض الصوت سوء أدب فكيف مع رفع الصوت.

- ومـــن أدب المريد ألا يجلس عن يمين الشيخ أو عن يساره، ولو دعاه إلى ذلـــك فلـــيقدم الأدب على الأمر كما هو معلوم، بل يجلس أمامه وجهه إلى وجهه وعيـــناه إلى عينـــيه وقلبه إلى قلبه، وإن كان المجلس كبيرا فليجلس من وراء الناس مقابلا له كما قلنا.

- ومن آداب المريد ألا يكثر النظر إلى الشيخ إذا جلس أمامه، فإن كثرة النظر إليه تورث قلة الحياء إلا عند التذكير، نعم إن غلب عليه الشوق وأشرقت على قلبه أنوار الصفات فلا يضره ذلك.

- ومن آداب المريد أن لا يبادر بالكلام عند تقرير شيخه بعض العبارات لئلا يحكم فيها برأيه وفهمه فيحملها على غير ما أراده الشيخ فيغيّر معانيها ويطمس أنوارها فيتغير عليه الشيخ وهو لا يشعر، وحيث منع ظهور وجه الحكمة فلا يفتح على باطنه شيء من أسرار الغيوب فافهم.

- ومن آداب المريد أن لا يجلس أمام الشيخ جلسة العامي مع العوام بل يجلس جلسة المملوك مع الملوك....... ولا ينبغي له أن يلتفت يمينا وشمالا ما دام أمام شيخه في مجلس الذكر والمذاكرة.

- ومن آداب المريد أن لا يمشي عن يمين الشيخ أو يساره مثاله فضلا عن أن يتقدم، بل يتأخر قليلا، فإن الشيخ إمام والمريد مأموم، ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم أمام الإمام.

- ومن آداب المريد ألا يتقدم بشيخه للصلاة، فإن أمره الشيخ فليتقدم، ولا يعود إلا إن أمره كذلك وهكذا، وإن أمره أن يكون إماما راتبا فلا يتأخر وإن تأخر كان ذلك منه سوء أدب، كما أنه إذا تقدم من غير إذن أساء الأدب.

- ومن آداب المريد أن لا يجلس في موضع الشيخ ولا على بساط يجلس عليه الشيخ ولو أمره سواء كان في موضع جلوسه أو غيره.

- ومن أدب المريد ألا يأكل مع الشيخ سواء كان وحده أو مع الناس لأنه إذا حصل التعظيم حقًا حصل في كل موضع..... فلا تأكل يا أخي مع شيخك وإن ألح عليك غاية الإلحاح فاعتذرْ له غاية الاعتذار.....فإن الأكل مع الشيخ سم قاتل لأهل الصدق، وكلامنا كله مع أهل الصدق، وغيرهم لا يفهم معنى ما قلناه.

- ومن آداب المريد ألا ينام مع الشيخ في بيت واحد ولو لم يجد سواه، بل ينام خارج البيت سواء كان البرد أو الحر وخاف من اللصوص أو السباع، وإن ألحَّ عليه الشيخ فليعتذر إليه بمرض أو ما أشبهه، فإن نومه مع الشيخ يمنعه من النوم

وذلك من أعظم سوء الأدب.

- ومن آداب المريد ألا ينادي على الشيخ إذا دخل داره ولو كانت له به حاجة كبيرة وألجأته إليه ضرورة فلا يقرب باب داره ولا ينادي عليه بل يصبر حتى يخرج فربما كان نائما فتشوشه، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [الحجرات: 5]، فالزم نفسك يا أخي الأدب واصبرْ حتى يخرج الشيخ وتَلقاه بأدب وتواضع وهيبة وتعظيم وسَله حاجتك تقضى في الحين إن شاء الله، وقد تقضى حاجتك قبل خروج الشيخ إن كنت على ما وصفنا من الأدب.

- ومن آداب المريد أن لا يجلس مقابلا لباب دار الشيخ إلا بإذنه، وإن لم يكن له إذن فحرام عليه بإجماع من أهل الأدب، وإن أذن له فليعط بظهره لباب الدار.

- ومن آداب المريد ألا يدخل دار الشيخ إلا بإذنه وحضوره، ولا يدخل بمجرد الإذن إلا إذا صرَّح له بذلك وقال له ادخل وحدك فلا بأس..... والدخول إلى منازل الناس يحتاج إلى تقوى عظيمة وفي منازل الأشياخ أكثر.

- ومن أدب المريد أن لا يأخذ من الشيخ من متاع الدنيا قلَّ أو جلَّ ولو ألح عليه الشيخ في ذلك إلا إذا لم يكن عنده قوت ساعة وكان قد قصد زيارته لله لا غير ثم أعطاه شيئا وألح عليه في أخذه فليأخذه فلعلَّ فيه خيرا وقد يكون سببا لقناعته وغناه القلبي فافهم.

- ومن آداب المريد ألا يقوم لزيارة الشيخ إلا بهدية أو مودة قليلة كانت أو كثيرة، ولو لم تكن غيبته عنه إلا نحو الثلاثة أيام، وإن كان فقيرا ولم يجد شيئا من طريقه فليحتطب حطبات ويأتي به إن وجده أو غير ذلك، ومن لم يجد لا قليلا ولا كثيرا فلينفق نفسه....، وأما إن قدم فارغ اليد فإن مدد الشيخ يمتنع جريانه له كماء البئر إذا فقد منه الدلو والماءُ موجود ولكن لا سبيل إليه فافهم، ومن كان ذا مرض أو فاقة شديدة فلا ينبغي أن يمنعه ذلك من الزيارة.

- ومن آداب المريد أن لا يقرب عياله لعيال الشيخ إلا بنية الزيارة والتبرك بهم

لا غير، وينبغي لهم إذا قدموا لدار الشيخ أن لا يجلسوا أكثر من ثلاث سوائع إلا إن كانـــوا من بلد بعيدة فيجلسوا ثلاثة أيام، وإن أرادوا أكثر من ذلك فما شموا للأدب رائحة إلا لعزم كبير من الشيخ أو من أهل الدار على الإقامة، وينبغي لهم ألا يكثروا الكـــلام ولا الضحك ولا الأكل ولا الدخول والخروج، بل يلزمون الحياء والوقار، ومـــن الواجب عليهم أن يقوموا بأشغلة الدار كلها، ومن علم من أولاده عدم القيام بهـــذه الآداب فليمـــنعهم من القدوم إلى دار الشيخ وليقل لهم إن حقيقة الزيارة لا تقـــدرون علـــيها لأنها عظيمة وزيارتكم من هاهنا أحسن، فإنهم إن قدموا وأساؤوا الأدب عاد ذلك عليك أيها المريد لا عليهم فتؤذى وأنت لا تشعر.

– ومـــن آداب المـــريد ألا يلبس فضلة الشيخ من ثوب أو غيره، فإن أعطاه الشيخ فضلة من حوائجه فليرفعها وليحترمها ويعظمها ويتبرك بها لكونها قريبة العهد مـــن الله كانـــت على جسد ليس بينه وبين الله حجاب، ومن لم يأخذها على هذا الوجه فليتركها ولا يأخذها ويعتذر ولا يضره الاعتذار لأن الشيخ شفيق على المريد، فإن حمل عنه الشيخ القيام بحقوقها فلا بأس بأخذها.

– ومـــن آداب المريد ألا يلبس ثوبا جديدا إلا بإذن الشيخ ولو كان ما قيمته ثلاثـــة دراهم لأن الثوب الجديد على المريد الصادق حرام فإن لبسه فقد زلت قدمه عن طريق الصديقين.

– ومـــن آداب المـــريد ألا يشكو لشيخه حوائج دنياه، فإن عسر عليه شيء فليتوســـل إلى الله تعالى بشيخه ولا يظهر ذلك، ومن أظهر ذلك فقلَّ أن يفلح، فإن دخوله في حضرة الشيخ كان بنية الآخرة لا بنية الدنيا، وحينئذ فلا يطلب خلاف ما قـــصد، وإن طلب كان ذلك غشًّا منه وسوء أدب، ومن كان على هذا الحال فهو محسوب من العوام.

– ومن آداب المريد ألا يسرع بالجواب إذا شاوره الشيخ في أمر ديني أو دنيوي بل يتأنى ويتأمل ما مراد الشيخ، فإن فهم مراده فليجاوبه بما أراد منه، وإلا فليقل له أنت أعرف يا سيدي، لأنه هو أعرف منه بجميع الأمور الدنيوية والأخروية ومشاورته معه امتثالا لأمر الله لقوله تعالى ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران: 159].

- ومـــن آداب المريد أن لا يستبرأ بموضع يراه الناس أحرى في ذلك إخوانه الفقـــراء أحرى وأحرى شيخه إلا إذا كان مغلوبا بالمرض أو شبهه، ومن فعل شيئا مـــن ذلك لغير عذر فقد خلع ربقة الحياء من يده، ومن أعرى ظاهره من حلة الحياء أعرى الله باطنه من حلة الإيمان.

- ومـــن آداب المريد أن يحب بحب الشيخ، ويبغض ببغضه، ويفرح بفرحه، ويحزن بحزنه، ومن كان على العكس فهو مرائي منافق ليس له اقتداء بالشيخ.

- ومـــن آداب المريد أن لا يظهر العلم أمام شيخه وكذلك الأحوال والفراسة ولو كانت مواهبه كالسحاب، إلا إن غلب عليه حال فالدية حينئذ على القاتل.

- ومـــن آداب المـــريد إذا اتخـــذ شيخا كاملا واصلا موصلا جامعا لأنواع الجذب والسلوك يسير على طريقة التجريد والاكتساب كيف ما شاء ألا يلتفت إلى سواه كائنا من كان، ولو التفت إلى سواه فلا ينال ربحا أبدا.

- ومن أدب المريد أن لا يطالب شيخه بالكرامات وأن لا يخدمه لأجل ذلك، ولا يطلـــب ذلك إلا من لا عقل له ولا علم ولا خير فيه، والذي ينبغي أن يطلب المـــريد مـــن شيخه أن يذكره الله وينسيه نفسه ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة ويعرفه بحقيقة ما خلق لأجله من العبادات لله خالصا ويقهره عن الشهوات بمذاكرته وهمته ويمنعه الدعوات ويحبب له أوصافه...

- ومن آداب المريد مع الشيخ ألا يشرع في حال من الأحوال إلا بإذن شيخه، وكل شيء فعله من غير إذن فلا يجد له سرًّا ولا بركة، لأن السر مرموز في الإذن لا في العمل.

- ومن آداب المريد أن لا يظن بشيخه أنه يبغضه أو يهينه ولو قلَّ أدبه أو ليس هـــو عنده في نظر كبير أو أنه يرفع عليه غيره ولو كثرت خدمة ذلك الغير فإن هذا كله سوء أدب يوقع صاحبه في الحسد.....فإن الفقراء عند الشيخ كأصابع اليد.

- ومن آداب المريد أن لا يكتم محبة الله ورسوله وشيخه وإخوانه إن كانت له قلبية، فإن في إظهارها زيادة إلى الله عز وجل قال تعالى ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105] أي محبتكم، وإظهارها يكون بالخدمة والتعظيم والتحدث باللسان.

- ومن آداب المريد أن لا يوصل كلام الخواص للعوام ولا كلام العوام للخواص لئلا يمقت، ولو لم يكن من المقت إلا ما أصابه من الغفلة عن الله حتى أصغى بقلبه إلى غير ذكر الله، ولو كان قلبه مشتغلا بذكر الله ما أصغت الجوارح إلى مثل هذا.

- ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن لا يتهاون برياضة نفسه ولو بلغ من الرياضة ما بلغ، ومن تهاون بها وتراخى فيها حتى انحلت عزائمه وفشلت قوائمه فذلك دليل على ميل قلبه إلى الدنيا.

- ومن آداب المريد أن لا يجلس في موضع فيه سبب فقدان قلبه، فإن علم ذلك وتعمد الجلوس فيه فهو ظالم لنفسه مخالف لأمر ربه.

- ومن آداب المريد أن لا يزكي نفسه ولو بلغ ما بلغ في الخدمة والصدق والمحبة والنية وغير ذلك قبل أن يزكيه الله ورسوله وشيخه، فإن وقع له الإذن من الله ورسوله أذن له شيخه لا محالة.

- ومن آداب المريد أن لا يتصدر للتربية وإعطاء الورد قبل الإذن من الله ورسوله ومن شيخه، ومن تصدر لشيء من ذلك بغير إذن فقد تعرض للهلاك وأهلك من تبعه.

- ومن آداب المريد أن لا يرى نفسه فوق أحد من المسلمين فضلا عن إخوانه الفقراء قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: 11] صدق الله العظيم، ومن خطر بباله أنه خير من أحد من المسلمين فقد اشترك مع إبليس في المقام حيث قال ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 12]، ولا سيما إن كان يدعي الخصوصية الكبرى فالواجب على المدعي ذلك أن يرى الأشياء كلها خيرا منه فضلا عن المسلمين، ولا يخرج من هذه الرؤية لحظة واحدة.

- ومـــن آداب المريد أن لا يطلب التقديم على الإخوان ولا أن يكون رئيسا يـــرجعون إليه في أمورهم، فإن هذه علة خفية قد وحل في شبكتها جل المريدين، وقلّ من سلم من ذلك، وهي من أقبح القبائح تؤدي صاحبها إلى الفضائح.

- ومـــن آداب المريد أن لا ينزع عنه حالة السيادة التي هي لباب العبادة وآلة أرباب الأحوال من أهل الإفادة وهي التجريد ولباس المرقعة.

- ومـــن آداب المريدين إذا اجتمعوا للمذاكرة أن لا يغلقوا الحلقة بل يتركوا موضع الشيخ فارغا سواء حضر أم لا، فإن حضر وقع المدد، وإن لم يحضر كذلك لأنـــه حاضـــر في المعنى، وإذا حضر التعظيم حضر المدد في الغيبة كما يحضر في الحضور.

- ومـــن آداب المـــريدين إذا اجـــتمعوا من غير حضور الشيخ في زاويته أن يبـــسطوا سجادته التي يسجد عليها ويدورون بها حلقة واحدة كحضوره معهم من غير زيادة ولا نقصان، ويتركون الضحك والمزاح وجملة الكلام، ويتهيئون للجلوس بـــين يـــدي الملِك العلاَّم كما يتهيأ أهل دولة الملوك لملِكهم عند ملاقاته بل هذه أعظم وأعظم لأن ذلك حضرة الخلق وهذه حضرة الخالق سبحانه، فإذا حضرت هذه الجلسة على هذه الحالة فأنا ضامن لجلسائها الفتح الكبير، فإذا جلسوا يناولهم كبيرهم في رتـــبة التـــربية العلوم التي بينهم على صفاء المجلس إن صرح صرحوا وإن أشار أشـــاروا ويـــشاركونه الأمثال فالأمثال مع ترك المحاججة ورفض الملاججة بالكلية والتسليم له فيما يحكم به عليهم من أمر وقع فيه الخلاف بينهم.

- ومـــن آداب المريدين أيضا إذا كانوا مع الشيخ في غير زاويتهم ثم فارقهم الـــشيخ فالواجب عليهم أن يتركوا موضعه خاليا كما تقدم.....اعلم أنه إذا كان في الفقراء من صدَّرهُ الشيخ للتربية وكان مشهورا عند الخاص والعام فالواجب عليه أن يعمر موضع شيخه بالذكر إذا غاب وبالمذاكرة والزيارة والمشورة وغير ذلك، ولا ينبغي التكبر عليه ولا التجبر.

- اعلـــم يا أخي أنه إذا كان يجب على المريدين احترام موضع الشيخ فكيف بثيابه فكيف بجسده الشريف.

- ومـــن آداب المريد أن يأخذ العلم عن الكبير والصغير ولا يتكبر على أحد من عبيد الله، ولا ينبغي لطالب العلم أن يأخذه بعلو همته ورفعة نفسه فإنه لا يناله.

- ومـــن آداب المـــريدين إذا قدم عليهم أحد من أهل محبة الله ينبغي لهم أن يقوموا لملاقاته إجلالا لله، لأن القيام لهم حق لله في الحقيقة لا لهم إذ هم جاؤوا لله، والجالـــسون هناك لله.....وبقي من حق الزائرين على المزارين إذا جلسوا بين يدي الـــشيخ أن نؤثـــرهم بالقرب منه في الجلوس ونكرمهم بما استطعنا ثلاثة أيام وهي ضيافة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك نصير شيئا واحدا في المحبة لله.

- ومـــن آداب الملازمـــين لحضرة الشيخ إذا عزم الزائرون على الرجوع إلى أماكنهم شيعناهُم ما استطعنا، ونصغي عند الافتراق لوصية الشيخ إذا حضر وخرج معنا وتكلم في ذلك الوقت، وهذا ليس بواجب عليه ربما يتكلم وربما لا يتكلم.

- ومـــن آداب المـــريدين أيضا إذا قدم أحد لزيارة الشيخ وليس لنا به معرفة نفعل ذلك معه لله تصحيحا لدعوتنا ومحبة في ربنا وسترا لنسبتنا، وبقدر تعظيمنا له ينتفع من شيخنا، وربما تكون له نية كبيرة وصدق عظيم فإن رأى ذلك جاء شهيد لـــه على شهيده وهو التعظيم الذي له في قلبه فيزداد نية وصدقا ومحبة في الشيخ وفي الله، وإن رأى مـــنا خلاف ذلك نقص صدقه وضعفت محبته فيرجع بلا شيء وإن جلس لصحبة الشيخ يطول فتحه، والبداية أساس النهاية.

- ومـــن آداب المـــريدين إذا قدم أحد على الشيخ أن يتركوه له إذا كان بنية الأخـــذ عـــنه، وإنمـــا يظهرون له تعظيم الشيخ ظاهرا، وعليهم بالسكينة والوقار والصمت كما قدمنا إذ ذاك لله من علو الهمة، ويتركون المزاح الجائز عند القوم على وجـــه البـــسط، لأن الداخل داهش ربما يرى من بعض الإخوان ما لا تطيقه نفسه فينكرها ويتزلزل كما قدمناه، والفقراء يزيدون بالداخلين في حضرة الشيخ أكثر من الـــشيخ لأن حقـــيقة الفقراء ظاهرة وحقيقة الشيخ باطنة لا يراها إلا مثله، وكذلك ينقـــصون بهم أيضا، وقد يقدم على الشيخ من لا نية له ولا صدق فإذا رأى صدق الفقـــراء انجذب رغما على أنفه، وقد يقدم من له الصدق الكبير ويرى من الفقراء عكس ذلك فيتزلزل كما قدمناه لأنه يقول في نفسه لو كان عند شيخهم سر لكان

ظاهـــرا على هؤلاء، ومنهم من يأتي بنية الإنكار فإذا رأى ما يوافق الكتاب والسنة رجع عن ذلك وتاب وربما دخل في حزب الفقراء.

– ومن آداب المريدين المستشرفين الذين غلب عليهم تجلي الحقيقة فالواجب عليهم أن يستروها ويتركوا الكلام فيها إلا مع خاصة أربابهم لا عامة أربابها.

– فصل في آداب الفقير الصادق الذي تعلق به بعض الإخوان بعد إذن الشيخ أن يذكر، فمن آدابه أن يذكر لله لا لشيء سواه، وأما إن قصد بتذكيره حظا دنيويا ولو قلَّ فلا يجيء منه شيء، لأن الطمع من رعونات النفس.

– ومـــن آداب المريد ألا يدخل على شيخه في ثلاث مواضع: الأول إذا كان يأكل الطعام ربما يكون له فيه حاجة فيؤثرك على نفسه وربما تكون أنت غير محتاج له فإن حالتهم رضي الله عنهم الإيثار..... الثاني إذا كان في موضع وحده فلا تقدم عليه بل اصبر حتى يخرج أو يأذن لك في القدوم، وإن دخلت بإذن نفسك هلكت لا محالـــة إما في حسك أو في معناك أو فيهما معا بسبب سوء أدبك..... الثالث إذا ذهب إلى الخلا فلا تتبعه ولا تتوجه إلى الموضع الذي توجه نحوه ولو كنت في غاية الاحتـــياج إليه ولو عرفت أن قصده غير قضاء الحاجة.... وهذه الثلاث من أعظم أركان الأدب التي يجب على المريد حفظها في بدايته أكثر من نهايته لأن وقت النهاية يكون الفقير عارفا بأصول الأدب.... ولا ينبغي للمريد أن يكون طبعه طبع الكلب يـــدخل على سيده أين ما وجده ويسير وراءه أين ما سار، فهذا حال من لا علم له ولا تعظيم له.

– ومن آداب المريد أن لا يتزوج قبل الرسوخ والتمكين، لأن حب النساء من أعظم السموم ومن أكبر الهموم، ولا يتزوج إلا إذا خاف على نفسه الفتنة أو وقوعه في الحرام هذا واجب عليه.

– ومـــن آداب المريد أيضا أن لا يستعمل دارا ولا لباسا ولا فراشا ولا بهيمة ولا بلدة ولا غير ذلك من الأمور أحسن من دار شيخه أو لباسه أو فراشه أو بهيمته أو بـــستانه مثلا.....نعم تقتدي بأخلاقه في الأحوال وفي الأقوال على ما يأمرك به

وينهاك عنه، وإن زدت تقع في سوء الأدب لا محالة، إذ الشيخ غيور على مقامه لا يحب من يدعيه بنفسه وإن ادعاه بربه فالواجب عليه ستره من شيخه أدبا معه وخوفا منه.

- ومن آداب المريد أيضا أن لا يتنخَّم في حضرة الشيخ كما يفعله من لا معرفة له بالأدب إلا إذا كانت به علة غالبة عليه لا يقدر على ردها فذلك معذور في سوء أدبه، ويجب على الإخوان الصبر على من به شيء من ذلك سواء كان في حضور الشيخ أو في غيبته.

- ومن آداب المريد أن لا يتكبر على أحد من الإخوان إن رآه أعلى منه مرتبة وأحب منه عند الشيخ، فإن الكبر هو أول ما عصي به الله.

- ومن آداب المريد إذا أراد الجلوس بين يدي شيخه أن يستخلي بنفسه ويتوضأ لجلوسه بين يدي محبوبه لأن ذلك الجلوس هو مع الله لا مع الشيخ، وذلك المجلس هو من أعظم الذكر والله عز وجل يقول (أنا جليس من ذكرني وأنا معه حين يذكرني) الحديث، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل ما فيه الرائحة الخبيثة كالثوم وما أشبهه، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن خروج الريح في المسجد.

واعلم أنه ينبغي للمريد أن يتحرز جسده من كل ما يستقذر ويستنظف قبل دخوله لحضرة أهل الله كما يتنظف لدخول المسجد.

- ومن الواجب على المريد أن يحمل إذاية أخيه بقلبه وجوارحه أكبر من إذاية غيره، ولا بأس بالأخ الناصح أن يظهر أثر الغضب باللسان دون القلب على من هو مسيء الأدب.

- ومن آداب الفقراء مع بعضهم بعضا الإحسان والكلام اللين والمودة سيما عند زيارة بعضهم بعضا فإنها تتأكد عليهم شرعا، لأن زيارة أهل الفضل لبعضهم بعضا بنية سبب في فيض المدد الرباني، والمعنى متوقف على الحس لا محالة.

اعلم أن حقوق الإخوان كثيرة منها أن تكرمهم إذا زرتهم، وأن تنظرهم بعين التعظيم، وأن تعظم حرمة أهلهم إذا غابوا، وأن تكرم أهلهم في غيبتهم كما في

حـــضورهم، وأن تـــستر عيوبهم إذا صدر منهم ذنب، وأن تدعو لهم قبل أن تدعو لنفـــسك، وأن تطعمهـــم قبل أن تطعم نفسك وأهلك وأن تكسوهم كذلك، وأن تعلمهـــم إذا جهلوا، ولا ترى لك عليهم فضلا، وترى نفسك آخرهم في المنزلة، وقس على هذا.

- ومـــن آداب المريد أن لا يشترك في الرأي مع الشيخ قليلا ولا كثيرا، وإن شـــاوره الشيخ فليرد له الأمر، ولا يفتي بنفسه لمن يفتي بربه، واعجبا من الأعمى يقود بالذي هو بعينه، وقد يكون من الشيخ ذلك اختبارا لسلب إرادتك وبيع نفسك له، فإن رأى فيك أهلية القبول زادك بهمته وحاله ورفعك من مقام إلى مقام وأنت لا تشعر.

- ومـــن آداب المـــريد الصادق فضلا عن غيره أن لا يأذن لأحد في حضور الشيخ ولا في غيبته بشيء من الأوراد والأعمال إلا إذا كانت على جهة النصيحة لا غيرهـــا......ومـــن أراد نصاحة أخيه فلينصحه بالحال وليترك المقال، لأن المقال للشيخ، والحال مشترك فيه مع الفقراء، فصارت التربية بالحال جائزة على هذا الوجه من غير إذن لهم فيه فافهم.

- ومـــن آداب المـــريد ألا يوصـــل الكـــلام القبيح الذي يغيّر قلب الشيخ أو الإخـــوان أو أحـــد مـــن الـــناس فضلا عن الذاكرين الله من إخوانه فضلا عن شـــيخه، ولـــو رأى في ذلـــك ضـــرورة معينة فليجتنب ذلك وليرد الأمر إلى الله تعـــالى ويتـــيقن أن الـــشيخ قـــد أطلعه الله على ذلك قبل أن يبرز، ومن لم يعتقد في شـــيخه هـــذا وأكثـــر فـــلا يفتح عليه في شيء من السر وإن بقي مع أهل الله ســـنين عديـــدة، لأن بـــاب الفـــتح التعظيم وعنه ينشأ الأدب، والذي يرى شيئا مـــن الإخـــوان ويوصـــله هـــو الغافـــل عن الله أقبح من غيره، ولو كان مشغولا بذكر الله تعالى لعمي عن عيوبه لا سيما عيوب غيره.

- ومن آداب المريد أن لا يطلب من شيخه أن ينقله من حال إلى حال إلا إن أمـــره به فلا ينبغي له أن يتأخر عنه فإذا تأخر حرم، وإذا تقدم لشيء من غير إذنه

حرم أيضا...والتقدم والتأخر لشيء من غير إذن من الشيخ كله سوء أدب.

والمريد إذا أراد قضاء حوائجه فليضمرها في قلبه وينزل نفسه عند الشيخ منزلة العبد المملوك المطيع لسيده، فلا يرجو من سيده شيئا سوى خدمته ولا يلتفت لشيء آخر، فمَنْ هذا حاله وصل إلى الله بنفس ما تحصل له هذه الحالة وتقوم حوائجه بالله.

– ومن آداب المريد مع الله تعالى الاكتفاء بعلمه سبحانه في كل ما ينفق على شيخه أو إخوانه أو غير ذلك، ولا يقصد بذلك شهرة ولا ثناء من الخلق ولا غير ذلك ولا من شيخه أيضا إن كان كامل الصدق.....وقد زلت أقدام الكثير في هذا الباب إن وجد ما ينفق فرح وقدم على الشيخ، وإن لم يجد حزن وانقطع عن الشيخ.

– ومن آداب المريد أن لا يعتمد على شيء دون فضل الله ورحمته وإن كانت له علوم وأحوال ومقامات وكرامات وأسرار لا تعد ولا تحصى، إذا وقف مع شيء من ذلك حجبه عن الله سبحانه أحب أم كره.

– ومن آداب المريد الكامل إن كان له فتوح أي إتيان رزق في داره إن كان له دار، وإلا ففتوحه وقت اضطراره لا غير، فإن كان لمن له دار وأهل وإخوان مثلا وكان عنده قوت ثلاث أو شهر جاءه في دفعة واحدة فليجعله لله وليطعم به كل من جاءه محتاجا، وإن قالت له نفسه احتل على هذا فلا يسمعها وليزد على يديه، ولا ينبغي له أن يزيد الفتوح على الفتوح.

– ومن آداب المريد الصادق أن يلزم بابين من أبواب الله العظام الذي كل من قصدهما دخل في ساعة واحدة وهما: الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه، فمن وجد في نفسه هاتين المزيتين فليعلم أنه من أكابر أهل الله نفعنا الله ببركاتهم.

– ومن آداب المريد الصادق الذي هو صاحب التجريد أن لا يخلط تجريده بالأسباب قبل الرسوخ والتمكين في الفناء، فإن فعل ذلك فقد انحط من رتبة القرب إلى رتبة البعد.

- ومـــن آداب المريد الصادق أن لا يتعرض لملاقاة الجبابرة، وإن تعرضوا له وقــصدوه إلى داره فالواجب عليه أن يفر منهم فرار الشاة من الأسد وإن ألحوا عليه فليخرج من طاعتهم إلى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، إذ كل من تعرض لهـــم فتـــنوه عن دينه أو سرقوه وسلبوه، ولا ينجو من ميل قلبه لجاههم وماهم إلا الرجل القوي... فاحذر أيها الفقير صحبتهم وصحبة المتصوفة الجاهلين وهي أقبح منهم بكثير... ويليهم في طمس بصائر الناس القراء المداهنون.

- ومـــن آداب المريد الصادق أن لا يجاور شيخه إلا إذا كان خادما له قائما بكل ما يحتاج إليه الشيخ من رعاية المواشي والحرث والحطب وسقي الماء وطحن الـــرحا وكـــنس الزاوية وحول الدار والارواء وسائر ما يخدمه من المماليك وأكثر وأكثر لأن هذا طالب رضاء الحق، والمملوك طالب رضا الخلق.

- ومـــن آداب المريد أيضا ألا يقطع زيارة إخوانه في ربه ولا يحقر صغيرهم ولا يهمل فقيرهم ولا يرفع نفسه فوق جاههم فليَسر بسيرهم، وينبغي له أن يعظم الـــصغير ويكرم الفقير ويعلم الجاهل ويتأدب مع المسيء منهم إذ بذلك يسير هو ويسيرهم، وينبغي للزائر أن يترك الطمع من حيث هو ويقصد بزيارته وجه الله تعالى إذ بـــذلك ينشرح قلب الزائر والمزار..... ولا بأس بالمزار إن كان عنده شيء أن يكـــرم به أخاه فهو من أحسن ما يكون، والبخل من أقبح ما يكون في الصوفي ولا يكون الصوفي بخيلا قط.

وأيسْ نفسك من الدنيا كل الإياس ثم أيس نفسك من الجاه عند الخلق تنال بالفقـــر والـــذل أعلى المراتب، فإن لم تقدر عليها فعليك بالقناعة والمسكنة وحب المـــساكين والدنو منهم والجلوس معهم فإنك تنال التواضع بتواضعهم وتنال الزهد بزهدهم، وأما إذا جالست الأغنياء وأهل الجاه والرئاسة فلا تطمع في خير من خير القلوب.

- ومـــن آداب المـــريد الصادق ألا يشتري من شيخه شيئا ولا يبيع له شيئا، وإنمـــا يشتري منه العلم بالله تعالى، ويبيع له نفسه لا غير، وكيف تبيع له وهو الغني بالله وأنت الفقير لله، وكيف تشتري منه الحس وأنت قصدته بنية شرائه منك ليدفع

لـــك في ثمنه المعنى، فإن فعلت ذلك فقد بطل قصدك وطاح تعظيمك واحترامك لـــشيخك ورجـــع ذلك دنيا وأنت لا تشعر، واستحي من الله أن تتكلم أمامه على الدنيا وأنت تريد الآخرة.....وكذلك أيضا لا ينبغي للفقير أن يبيع لأخيه أو يشتري منه فإنهم أحباء في الله تعالى وعليه اصطحبوا وفيه تحابوا وتوادوا، وإذا دخلت الدنيا بينهم فسدت تلك الصحبة وانقطعت تلك المودة وزالت تلك المحبة.

اعلم أنه لا شيء أنفع لفيض المدد الإلهي من مودة الأخ للأخ في الله لا سيما الشيخ أكثر وأكثر إذ بنفس ما توده في الله تمتد لله.

– ومن آداب المريد الصادق ألا يتزوج امرأة شيخه المطلقة مثلا ولا غيرها....ولا ينبغي للفقير الصادق أن يتزوج امرأة شيخه إذ لا تحل له في مذهب أهل الصدق والتعظيم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 53]، وقد قلنا إن المريدين الصادقين بمنزلة الصحابة مع مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية في أزواج مولانا محمد صلى الله عليه وسلم عامة وفي أزواج الشيوخ خاصة بالفقراء فافهم.

وأما ابنة الشيخ فلا بأس للفقير الصادق أن يتزوجها إن علم أنه يقوم بالأدب معهـــا كما يقوم مع أبيها وذلك قلَّ أن يوجد لأن النساء أضعف العقول، وهذا إن أذن له شيخه فيها، وإلا فحرام عليه أن يطلب ذلك منه أو يعلق قلبه بذلك فكل هذا من أعظم سوء الأدب فافهم.

– ومن آداب المريد المتجرد وخصوصا صاحب الفكرة ألا يكون له وقت ثان ينتظر ما يفعل فيه فإن ذلك يشوش عليه فكرته ويفرق همته، ولذلك قالوا الفقير ابن وقـــته، فالواجب على صاحب الفكرة أن يكون كل ساعة ينظر ما يبرز من عنصر القـــدرة فيـــتلقاه بالمعـــرفة، وكل ساعة يرى أنها آخر عمره، فبهذا تشتعل الفكرة وتصفى النظرة، ومن لم تصف له الفكرة والنظرة فالبطالة لازمة له، فالفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة.

فهرس: ينبغي - لا ينبغي

- وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه وأن يلزمها تعظيم المؤمنين جميعا ولا سيما الأولياء منهم وأحرى وأحرى الشيخ الذي أخرجه من ظلمات الشهوات وأنقذه من نار نفسه وسرحه من سجن حسه فهو أولى بالتعظيم من كل أحد.

- فلا ينبغي له أن يرفع بصره في الشيخ إلا كرفع المرمود بصره في الشمس وإلا خلا قلبه من التعظيم ورجع عنده كأحد الناس.

- وينبغي لهذا المريد أن يضع علمه وراءه ولو كان عالما.

- ولا ينبغي له أن يلتفت يمينا وشمالا ما دام أمام شيخه في مجلس الذكر والمذاكرة، فإن قام الشيخ فليلتفت إلى أين شاء إن كان راسخ القدم في الحضور وإلا فليستحضر شيخه ومذاكرته بين عينيه في كل مجلس حتى يحصل له الحضور مع الله تعالى.

- وينبغي للمريد أن لا يرى نفسه أهلا للتقديم [أي التقديم للصلاة] بأحد من المسلمين فضلا عن أوليائه تعالى.

- وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه بترك الطمع ويلزمها الزهد والورع حتى يعرف من يطعمه ويسقيه ويكسيه ويحركه ويسكنه، ولو ترك الطمع ورفع همته إلى الله تعالى لكانت الأشياء تابعة له فافهم.

- وينبغي لهذا المريد أن يملك نفسه للشيخ ليقوده إلى عالم الملكوت ويقف به على حضرة أهل الجود والكرم، فيعظم الآخرة على الدنيا، ويحب الانتقال من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية، ويشهد الدنيا سوقا في طريق الآخرة يتزود منه السائرون.

- وينبغي له أيضا ألا يشتكي بالفقر وإذاية الخلق ولا للإخوان ولا لغيرهم، بل يلزم نفسه المجاهدة والمكابدة والصبر على معرفة الله.

- وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه وأن يلزمها الذل حتى يرجع بمنزلة الكلب الأبرص يستثقل الناس النظر إليه فضلا عن القرب منه لأكل أو غيره، لتذوب

نفسه وتفنى وتضمحل وترق وتدق ليسرع دخولها من باب الحضرة، لأن باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه أو غير ذلك من العلل التي منعت كثيرا من الناس دخول الحضرة.

- والمريد ينبغي له الحياء من سائر المسلمين ويراقب فيهم نور الإسلام الذي هو من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو من نور الله، ويعظم الحياء في حق الأولياء لعظم نورهم وسواء كانوا أحياء أو أمواتا، وفي حق الأحياء أعظم.

- وينبغي للمريد أن يجاهد نفسه في الخروج من وادي النفاق وأكثر ما يقع مع المدَّعين والجبابرة وأرباب أهل الدنيا.

- وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه ويلزمها الصمت والجهل ظاهرا وباطنا حتى يصير كالبهيمة لا تتكلم إلا عند إرادة إشباع بطنها، هذا لمن أراد النصح لنفسه.

- والذي ينبغي أن يطلب المريد من شيخه أن يذكره الله وينسيه نفسه ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة ويعرفه بحقيقة ما خُلق لأجله من العبادات لله خالصا ويقهره عن الشهوات بمذاكرته وهمته ويمنعه الدعوات ويحبب له أوصافه ويقوده إليها بسياسة حتى لا يدري أي وقت حصلها ويصلحه مع الفقر وغيره حتى يكون الدين كله لله.

- وينبغي لطالب الصدق أن يصحب شيخا عارفا بالله تعالى يسلك به مقام الخوف من الله تعالى حتى يضعف حجابه الكثيف فيستحضر الآخرة كل وقت وحين ويرى الدنيا كأنها لم تكن ويرى النار كأنها إنما خُلقت لأجله ويرى أنه يستحق النار بأفعاله القبيحة، ثم يسلك به مقام الرجاء حتى يرى الجنة كأنها إنما خُلقت لأجله، ثم يجمع له بينهما، فإذا تمكن مقام المراقبة نقله إلى مقام الغيبة حتى يكون الكون معدوما في نظره من شدة ما أشرق على قلبه من أنوار التوحيد، ثم ينقله إلى مقام الحضور حتى يتم سلوكه فيرى الكون موجودا، فإذا انتهى إلى المشاهدة تركه وربه.

- وينبغي أيضا لمن محبته ضعيفة أن يبديها ويصرح بها فإن في إظهارها إعانة له على دفع الظنون والشكوك والأوهام التي هي من جنود النفس الأمَّارة.

- وينبغي للمريد إذا كان في موضع من مواضع الغفلة أن يشتغل بذكر الله سرا وجهـــرا ولا يتراخـــى حتى تنحل باب مدينته ولا يبالي بكل من دخل، فإن العدو يدخلـــها ويملكهـــا ويخــرجه منها قهرا، وحينئذ تخطفه السباع واللصوص وهي الشهوات، فاغلق يا أخي باب مدينتك، وكن عساسا على الدوام، ولا تطلب الراحة والهناء قبل التعب، والله المعين.

- وينبغـــي لك أن تجدد النية كل يوم كذا وكذا مرة، لأن تكرار الشيء يدل علـــى محبـــته، ومـــن أحب شيئا أخذ منه نصيبا، ونية الجهاد جهاد وإن لم يتحرك صاحبها.

- وينبغـــي لك يا أخي أن تنظر كل صباح إلى سير أمسك لتسير سيرا أقوى مـــنه، وإياك أن يكون سير يومك أقل وأضعف من سير أمسك فإن ذلك يوقفك، وإن وقفت رجعت، وإن رجعت فإلى بلد العوام انتهيت، بل ربما جُزت مقام العوام في الانحطاط.

- وينبغـــي لصاحب الرياضة أن يتحرز من مجالسة الضعفاء غاية التحرز وهم ضعفاء اليقين، فإن القرب من الضعفاء يضعف الأقوياء فضلا عن الضعفاء.

- لا ينبغـــي له أن يطلب من الشيخ تزكيته فإن ذلك من أعظم سوء الأدب، لأن الواجب على المريد أن يكون في خدمة شيخه كالعبد المخلص في عبادة ربه لا يـــرجو جـــنة ولا يخـــاف نارا، والذي ينبغي له أن يطلبه من الشيخ الاطلاع على دســـائس نفـــسه حتى يصلح لمجالسة ربه، ومن طلب غير هذا فقد انحط من رسم المريدين إلى مقام العوام.

- الإذن عطـــية قديمة مخصوص بها أهلها في سابق أزله وهي تطلب أهلها لا أهلها يطلبونها، بل ينبغي للمريد أن يكون في أموره كلها هكذا فلا يطلب شيئا حتى يطلبه ولو كسرة خبز، فإن الشيء المفروغ منه لا بد لك منه.

- لا ينبغـــي لـــنا أن ندل إخواننا الفقراء الملازمين لنا على الراحة والهنا قبل الوصول، لأن السائر إذا سكت عنه شيخه يقع له الكسل والعجز فيحصل له الملل من الرياضة فيرجع إلى أدنى رتبة العوام.

– لا ينبغي لنا أن نرخص لمن علمنا منه الصدق في طلب الحق تعالى في شيء من الدنيا، فإن الرخصة فيها تفسد عليه صدقه، ولا بأس أن نرخص له في شيء منها بعد الوصول لأنها لا تضره، وكذلك نرخص في شيء منها لمن علمنا منه ضعف اليقين وقلة الصدق فإذا قوي يقينه أمرناه بالانسلاخ منها لتنسلخ منه هي بالكلية.

– لا ينبغي لنا أن نمدح كثيرا من السائرين إلى الله سبحانه لأن ذلك يضرهم وينقصهم لأجل العلة الباطنية التي هي حب المدح والجاه والرفعة وغير ذلك، فلعدم تحققه بالإخلاص إذا سمع الشيخ يمدحه حمل ذلك على غير ما أراده الشيخ فيطيش إلى الكمال فتزل قدمه فيهلك فلا إلى النهايات وصل ولا هو في البدايات بقي.....نعمْ إن علمنا من بعضهم وتحققنا أنه لا يسير إلى الله إلا بالمدح لضعف صدقه وقلة تحقيقه فهذا لا بأس أن يمدح مدحا خفيفا، وأما المدح الكثير فإنه يضره وينقصه.

– لا ينبغي لصاحب العلم أن يضعه أين ما وجد، بل يختار له أهل الفضل والجود وأهل الصدق والإخلاص وأهل المحبة والمودة وأهل الخدمة أعني خدمة الشيخ والإخوان.

– ولا ينبغي للمريد أن يتتبع الشهوات المباحة بنفسه فكل ذلك بعد عن ربه لأنه طالب الخصوصية الكبرى.

– وينبغي للفقير الصادق أن يكون فعله أكبر من قوله، وذلك لئلا يُختبر فيما ادعاه فيفتضح.

– ولا ينبغي للفقير أن يتكلم في شيء من غير ضرورة، وإن أتته الضرورة فليتكلم قليلا، لأن الكلام طبع النفس.

– وينبغي للفقير الصادق أن يشتغل بمراعات قلبه مع الأنفاس واللحظات حتى يذوق حلاوة محبة ربه، ولا ينبغي له أن يتكلم إلا على الله ولا يسكت أيضا إلا على الله حتى يصير صمته بالله وكلامه بالله فإذا تكلم بعد هذا قال صوابا.

– وينبغي للفقير الصادق أن يفتح على نفسه كل يوم وليلة خمسة أبواب: الأولى القناعة بما هو أسهل، الثاني التوكل على الله، الثالث الإيثار بالقليل أو بالكثير،

الرابع السخاء بما عنده، الخامس ترك الطمع لما في أيدي الناس.

- وينبغــي لطالــب الإخـــلاص أن يريض نفسه عليهما [أي على الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه] كما يريضها على كثير من أنواع العبادات.

- وينبغــي للفقير الصادق أن يسمع كلام شيخه بقلبه وجوارحه ليقرب عليه الفـــتح، ولا ينبغي له أن يكون كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وما طال الفتح على المريدين إلا من قلة الاستماع لا غير، ولو سمعوا لفتح عليهم بنفس ملاقاتهم مع الشيخ.

- ولا ينبغــي للفقــير الصادق أن يطلب الإذن من شيخه في التربية والزيارة والـــزاوية وغـــير ذلك كل ذلك سوء أدب على الله وعلى الشيخ، ولا ينبغي له أن يطلب منه سوى معرفة نفسه فإذا عرف نفسه عرف ربه كما في الحديث الشريف، ومعرفتها هو أن تعرف وصف الروح من وصف النفس، ووصف الروح هو المحمود، ووصف النفس هو المذموم.

- وينبغــي لـــه [أي بخصوص إخوانه] أن يعظم الصغير ويكرم الفقير ويعلم الجاهـــل ويتأدب مع المسيء منهم، إذ بذلك يسير هو ويسيرهم، وينبغي للزائر أن يتـــرك الطمـــع من حيث هو ويقصد بزيارته وجه الله تعالى، إذ بذلك ينشرح قلب الزائر والمزار.

- لا ينبغي للفقير أن يبيع لأخيه أو يشتري منه فإنهم أحباء في الله تعالى وعليه اصـــطحبوا وفـــيه تحابـــوا وتوادوا، وإذا دخلت الدنيا بينهم فسدت تلك الصحبة وانقطعت تلك المودة وزالت المحبة ورجعت النفوس كما كانت أول مرة فتراهم بعد هذه الحالة يتهارشون على الدنيا كما يتهارش الكلاب على الجيفة وأكثر وأكثر.

- وينبغــي لطالب الحضور أن يسلك على يد شيخ ذي همة قاطعة إذا ذكَّرَك سَيَّرَك، وإذا نظرك غيبك، وإذا هَمَّ بك حفظك ورعاك، ومنعك تدبيرك واختيارك، وعَرَّفك بقبيح أفعالك، ورقاك إلى مقام كمالك، والله غالب على أمره.

فهرس: عجبتُ - العجب

- عجبتُ ممن يقرب من الدنيا وأهلها ويدعي ذكر الله بقلبه، وعجبتُ ممن يبعد من الدنيا وأهلها ولا يذكر الله بقلبه وجوارحه إلا إذا كان ميت القلب.
- عجبتُ ممن يدعي حقيقة الأشياء مع حياة نفسه، ويطلب الحضور مع ربه وهو حاضر مع غيره، ويطلب حضور الله معه وهو لم يحضر مع الله في كل نفس.
- عجبا لمن يدعي الخروج عن نفسه ولا يقدر أن يخرج ما في يده.
- العجب ممن يدعي التمسك بالسنة المحمدية وهو يهتم بالرزق ويخاف من الفقر.

فهرس: عَلى قدْر- بقدْر

- الشيخُ على قدر ما يكون عندك، تكون عنده.
- فعَلى قدر ما يظهر من التعظيم في المريد، يظهر عليه من التنوير والعكس.
- والإجابة عند أهل التحقيق على قدر الأدب.
- فبقدر ما يتذلل العبد لربه بنية التخلص من نفسه والتواضع لله، يعزه الله ويرفع قدره.
- الله تعالى يعطي لعباده بقدر ما أعطاهم من الإخلاص.
- بقدر ما يترقق العمل يترقق العلم.
- واعلم أنه بقدر ما يقول الفقير لنفسه كنْ فتكون، يكون بقدر ما يقول لربه كن فيستجيب له بفضله.
- والمدد بقدر التعظيم.
- فإن المقامات تعطى على قدر التخلق بها لمن كانت له نية حسنة، إذ النية تقود صاحبها لسر الأعمال، إنما الأعمال بالنيات.

فهرس: إنْ أردتَ

- فإن أردت أن تعرف ما عندك من حرمة الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر ما عندك من حرمة شيخك.

- فـــإن أردت يـــا أخـــي أن تكون منهم فتخلقْ بأخلاقهم، ومن لم يتخلق بأخلاقهم فلا يطمع في نيل مراتبهم ولو كان على عبادة الثقلين إلا إن كانت له فيهم محبة عظيمة وكان يؤثرهم على نفسه.

- فإن أردت يا أخي أن تدخل حيث شئت فلا تكفّ قلبك عن الحضور، فإن الله تعالى يحضر معك في كل موضع حضور الرضا ويحفظك من سابق القضا.

فهرس: مَنْ أرادَ

- فمَـــنْ أراد أن يعرف مقامه في الذكر فلينظر ما عنده من حسن الخلق، فمن غلب عليه حسن الخلق فهو صاحب يقظة، ومن غلب عليه سوء الخلق فهو صاحب غفلة.

- ومن أراد الخير كله فعليه بالأدب مع الله ورسوله ولا يتحرك في شيء حتى يستحضر الله ورسوله والملائكة، فإن كان هكذا فالتقوى حاصلة مع الحجر والمدر وغير ذلك.

- ومـــن أراد تمكين النور من قلبه وسكونه فيه فليعالج نفسه بثلاثة أمور هي مفـــتاح الـــباب: الأول المواظبة على العزلة، الثاني المواظبة على الصمت، الثالث المواظبة على الفكرة مع قلة الطعام.

- مـــن أراد الله به خيرا أقامه في المجاهدة وفتح له باب الحضور حتى لا يخطر بباله غير ربه، وحينئذ تحفظ جوارحه من سائر الفواحش، وهذه ثمرة المجاهدة.

- فمن أراد أن يمتد قلبه من أنوار الحضرة فليمنعه من دخول مدد الظلم عليه، ومـــن أراد مـــنعه من ذلك فليمنع جوارحه من العوائد التي منعته من جميع الفوائد ومرَّرتْ عليه سائر اللذات، ورأس العوائد الدنيا.

- فمن أراد صفاء بصيرته فليلزم أهل الصفاء من أهل الخفاء.

- مـــن أراد الله أن يعطيه أسراره أعطاه المفتاح الذي يفتح به على هذا السر العظيم وهي العبودية الخالصة التي ليس للنفس فيها طمع.

- ومن أراد نصاحة أخيه فلينصحه بالحال وليترك المقال، لأن المقال للشيخ،

والحال مشترك فيه مع الفقراء، فصارت التربية بالحال جائزة على هذا الوجه من غير إذن لهم فيه فافهم.

– فمـــن أراد حصول النية في القرب فليصدق ولا يكذب، فوالله ما لزم أحد الصدق وخاب من النية قط، ولو لم تكن عنده لجاءت سريعة.

– فمـــن أراد أن يكون عالما عاملا زاهدا ورعا حليما كريما متواضعا صابرا قانعا عارفا بالله كل المعرفة فليخرج من قلبه حب الناس وحب ما هم عاكفون عليه.

– ومن أراد بشهود العظمة على الدوام فعليه بذل نفسه لله، ولا يسعى إلا في الأســباب الموجبة لحطها وإهانتها وتصغيرها واحتقارها وعجزها وضعفها وفقرها وفاقـــتها واضطرارها وإنزالها في كل منزل هو لها، ولا يسعى في شيء من حظوظها ظاهـــرا ولا باطنا، وعند ذلك تنال الروح حظها، لأن حظ النفس وحظ الروح لا يجتمعان، ومن أراد الحظوظ كلها فليلزم ما ذكرناه.

فهرس: مَنْ لمْ

– ومن لم يسلك سبيل الرياضة فهو مملوك في يدها [أي في يد النفس] مقهور تحت حكمها.

– ومن لم يحمل الفقر والإذاية، فليس له نصيب في الولاية.

– فمن لم يجمع بين الضدين، فليس بواصل مواصل العرفان.

– فالعاقل من يزن سير الأوقات بميزان العدل وينظر ما زاد وما نقص، ومن لم يزن أوقاته بطلت نفقاته.

– ومن لم يخرج من رؤية السوى لا يجد لرؤية الحق سبيلا.

– ومـــن لم تكن له بصيرة، لا ينبغي له أن يدل أحدا على دخول الحضرة وإن كان من أهلها، إلا أن يتذاكر مع الجميع دون أن يخصص أحدا على دخول الحضرة.

– ومـــن لم يـــبلغ شهود التحقيق بالتحقيق لم يمتح من قلبه جمال الجنان ولا جلال النيران لرؤية الخلق، ومن لم تمح من قلبه صور الكائنات لا يشم رائحة العلوم اللدنية والأسرار الغيبية.

– ومن لم ير الأفعال كلها من الله ذوقا وكشفا فمراقبته ليست بساكنة في قلبه وإنما هي عن ظاهر قلبه، وسكون المراقبة في القلب ينشأ عنه المشاهدة.

– ومن لم يظهر فيه الخراب فلا يخلو من البواقي وإن كان عارفا.

– من لم يفتقر من الدنيا لا ينذل، والذي لا ينذل لا يشهد العز الحقيقي الذي هو محجوب بالعز المجازي، فافهم.

– ومن لم يفهم مراد العلم وقف معه واستقر به دون الله، فكان طالبا به الجاه والرفعة وحب الرئاسة وأخذ ما في أيدي الناس وتعظيم الناس له وإقبالهم عليه، وهذا هو العلم الذي لا ينفع الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– ومن لم تتصف له الفكرة والنظرة فالبطالة لازمة له، فالفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة.

– ومن لم يصل إلى الحقائق المباحات، فليس هو من أهل التجريد.

– فمن لم يعبد الله بقلبه، فليس بعابد على التحقيق.

– ومن لم يسلك على يد أهل الأحوال، فلا يجد طريقا عن طريق الأقوال، وكيف يكون الوصول بالأقوال دون الأفعال.

فهرس: مَنْ

– ومن زعم أنه يتقي الله وهو يحب الدنيا وأهلها فقد كذب، لأن التقوى قلبية، ولا يَسَعُ القلبَ إلا شيء واحد.

– ومن زعم أنها [أي الفطرة] تُدرَك بشيء من أوصاف الخلق أو العقل فهو جاهل بها على التحقيق، إذ لا تعرف الفطرة إلا بها أي بنفسها، ولا توصف إلا بها.

– الفكر وحده ضامن للأوصاف الحسنة كلها، ومن ذلك الصمت والعزلة، ومن ادعى أنه غاص في بحر الفكر وبقي فيه وصف مذموم فما شم لطريق الفكر رائحة.

– من أساء الأدب مع الإخوان لا ينجح منه شيء، ولا يصفى له الأدب مع العامة ولا تصفى له نظرته فيهم.

- ومــــن رأيته يعجبه حاله ويقبح حال غيره، فاعلم أنه يزول عنه حاله سريعا ويرجع أقبح مما كان.

- مـــن طلب الدخول في حال من الأحوال أو الخروج من حال إلى حال بلا إذن شيخه، فلا يرى في ذلك خيرا قط.

- ومن شكر الله على القليل، أغنى الله قلبه ورزقه القناعة ومنعه التدبير والاختيار، وقطع عنه جيوش الحرص وظلمات الأغيار، وكساه رداء السكينة والوقار.

- ومــــن كـــان كثير الشكوى لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال.

- ومن أعرى ظاهره من حلة الحياء، أعرى الله باطنه من حلة الإيمان.

- ومن جمع بين الفقر والغنى والذل والعز والفقد والوجد وغير ذلك، فقد أمن شر كل البواقي.

- ومن كمل صدقه، كملت ولايته.

- ومن أحب شيئا أخذ منه نصيبا، ونية الجهاد جهاد وإن لم يتحرك صاحبها.

- فمن طلب اليقظة وجلس في مواضع الغفلة، فقد طلب المحال.

- ومــــن رأيته قليل العلم كثير العمل، فاستدل بذلك على أن قلبه عامر بحب الله ورسوله ومراقبته وخوفه وهيبته وسطوته وحيائه.

- ومــــن خطر بباله أنه خير من أحد من المسلمين، فقد اشترك مع إبليس في المقام، حيث قال أنا خير منه.

- من طلب الأنوار بكسوة الأحرار، طلب الأغيار ودوام الأكدار.

- فمــــن كشف الله عن حقيقة ولي، فليعلم أنه أراد سبحانه أن يكشف له عن حقيقة سر توحيده، لأن الولي دليل يدل به الحق سبحانه على نفسه.

- من تخلص، لا يكترث ولا يبالي على أي حال كان سُفليا أو عُلويا، فقيرا أو غنـــيًّا، عالمـــا أو جاهلا، ذليلا أو عزيزا، مريضا أو صحيحا، غائبا من الأحوال في المحوِّل.

– ومن رأيته كثير الاجتهاد في الأسباب الدنيوية، فاعلم أن قلبه خال من حب الله عز وجل.

– من اشتغل بالله تعالى، كفاه عداوة عدوه وأفاض عليه من علمه وسره وفهمه ما لو كان أهل السماوات والأرض أعداء له كلهم لوسعهم حلمه.

– ومن كان بحضرة المشايخ وغلبت ظلمته على نوره، فهو أشد حبًّا لنفسه، والذي هو أشد حبًّا لها هو أشد حبًّا للدنيا.

– من أحب شيئا كان له مملوكا أحب أم كره، والمِلكية لا تصح حقيقة إلا لله سبحانه.

– فمن أحبه مولاه منعه من الشهوات والدعوات اختيارا أو قهرا، ومن أبغضه أعطاه الشهوات وأطلق على لسانه الدعوات.

– من رأى الحق، لا يخطر بباله رؤية السِّوَى.

– من راقب الله خافه، ومن خافه اتقاه، ومن اتقاه أحبه، ومن أحبه آثره، ومن آثره فني فيه، ومن فني فيه بلغ قصده ومناه.

– ومن ادعى الشهود مع التعرف للخلق، فشهوده علمي فقط، ولو كان شهوده حاليًّا لأغناه عن رؤية الخلق.

– فمن عرفه معرفة العيان كان مقامه مقام الأدب، ومن عرفه معرفة البرهان كان مقامه مقام العبادة.

– ومن فني عن نفسه وبقي بربه مع وجود الصحو، فهو الكامل.

فهرس: كلُّ مَنْ

– وكل من اختار صحبة الضعفاء [أي ضعفاء اليقين] وهو سائر في الطريق، فلا يطمع في الوصول إلى الحضرة لعكوف قلبه على حضرة الدنيا.

– كل من رأيته قانعا من الأحوال وراغبا في الأقوال، فاستدل بذلك على أن قلبه محشو بحب الرياسة والجاه وحب الرفعة والثناء من الخلق وطول الأمل، وكل ذلك من عمى البصيرة.

- وكـــل من خطر بباله غير العظمة، فهو مسلوب من نور العلم المخصوص بالإحسان مع الجميع لشهود وحدة الذات.

- وكل من رأى علمه أو عمله أو حاله، فهو صاحب كبر وعجب.

- وكـــل من وصل للحق تعالى من غير باب التجريد، فلا بد أن يظهر عليه شيء منه عند نهايته جزما.

- وكل من حضر علم التحقيق، صبر واحتسب ورضي لمراقبة الحق تعالى في خلقه، لأن العبد إذا راقب الله تعالى استحيا منه أن يؤذي عبيده.

- كـــل مـــن تخلص من بواقي الكبر، فاضت عليه العلوم وترادفت عليه الفهوم وحيي قلبه بالأسرار وظهرت على جوارحه السكينة والوقار وخاف منه كل جبار عنيد.

- كـــل من هو عزيز بنفسه، تجده ذليلا في عزه أبدا أحب أم كره، ومن هو ذليل لربه فهو عزيز في ذله أبدا أحب أم كره.

- فكـــل من اكتفى بعلمه [أي علم الله تعالى] ووثق بربه من الفقراء الطالبين للفـــناء في الذات حصلوا على مقصودهم في الحين وتفيض عليهم العلوم حتى تكلّ عنها الفهوم.

- فكـــل من تحقق بسره [أي سر النبي صلى الله عليه وسلم] وغاية قصده، رأى صورته الشريفة في نفسه وفي سائر الكائنات، وهذا هو القرب التام.

- وكـــل من افتتن قلبه تشتت فكره، وكل من تشتت فكره تخبل عقله، وكل من تخبل عقله نسي دينه.

فهرس: كل

- كل مجاهدة ليس لها نتيجة حضور، فهي مجاهدة رياء وسمعة.

- كل نفس طلبت وصف العلو، فهي غير متحققة.

- كل عبادة خالصة، راجعة إلى هذين الأمريْن [أي الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه].

- كل عداوة نشأت إنما هي بسببها [أي بسبب الدنيا].

فهرس: كُله- كُلها

- العبادات كلها من هي قولا وفعلا راجعة إلى الأدب، فلا يحيط بها إلا من حصَّله.

- الفقر والمسكنة عنهما تفرعت العبادات كلها.

- فالعلم كله نتائجه الأدب، والجهل كله نتائجه سوء الأدب.

- والأدب كله من مشاهدة الحبيب، وذلك كأصحاب الملك الدنياوي تراهم إذا شهدوه تأدبوا معه قدر استطاعتهم: فمنهم من يديم الجلوس معه وذلك لشدة أدبه ومنهم تارة بتارة بحسب قربهم منه.

- والأعمال كلها راجعة إلى الإيمان واليقين، إذ هما غاية القصد والمنى، ومن لم توصله أعماله إلى هذا فهي مدخولة معلولة.

- ثمرة الأعمال كلها راجعة إلى المحبة والشوق.

- الفكر وحده ضامن للأوصاف الحسنة كلها ومن ذلك الصمت والعزلة، ومن ادعى أنه غاص في بحر الفكر وبقي فيه وصف مذموم فما شم لطريق الفكر رائحة قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: 13].

- والكبر هو أصل الخبائث والرذائل كلها.

فهرس: أساس

- أساس كل وصف مذموم بعد ملاقات الشيخ عدم الاستماع.....والسمع هو المقرون بالامتثال وإلا فلا.

- الزهد في الدنيا هو أساس الزهد في النفس، والزهد في النفس هو أساس الزهد فيما سوى الله تعالى.

- وهو[أي الغضب] أساس الأعمال الفاسدة، كما أن الحلم أساس الأعمال الصالحة.

- والأدب أساس الطريق، عليه تبنى الأعمال والأحوال من صادق وصديق.

- والتعظيم هو الأساس.

- والبداية أساس النهاية.

فهرس: أصل

- والكبر هو أصل الخبائث والرذائل كلها، وهو قلب حب الدنيا، وهو دابة إبليس.

- فاحذر من الدنيا جهدك، واعلم أنها هي أصل كل عداوة في ابن آدم لابن آدم ولغيره.

- المحاججة أصلها طمس البصائر.

فهرس: سبب

- واعلم أنه ما طمع عبد في عبد مثله إلا فسدت الصحبة وانقطعت المودة ووقع الاغتياب في بعضهم بعضا والتشارر والحسد والبغض والتكبر على بعضهم بعضا، وهذا كله بسبب الطمع.

- وسبب العُجْب رؤية العلم والعمل، فالعاصي لا يقع منه عجب أبدا لانكساره بخلاف الطائع.

- فالعلم الذي لا يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه جاهل في علمه، والجهل الذي يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه عالم في جهله، وسبب الجهل مع العلم الرضا عن النفس والعكس.

- وسبب ورود النار البعد عن الجبار، وسبب ورود الجنان القرب من المَنان.

- سبب القبائح الغفلة عن الله، وسبب الغفلة حب الدنيا وهي رأس كل خطيئة وبلية.

- فما منع الناس من الأسرار سوى التدبير والاختيار، وسببه طلب الزيادة، ولو حصلت القناعة لسقط التدبير.

فهرس: أول

– الكبر هو أول ما عُصي به الله، وأول ما عُبد الله به التواضع بدليل قوله تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

– فأول ما يظهر في النفس من الخير الذي يعتمد عليه عند أهل الخير السخاء وصدق الحديث وستر عيوب الناس والتجاوز عن المسيئين والدعاء لهم بالخير، لأنه يعلم أنه كان مثلهم وعافاه الله مما ابتلاهم به.

– فأول ما يظهر له وجوده ومع ثمَّ سائر الموجودات بالله لا بها.

– فأول عبادة القلب الفكرة، ثم النظرة، ثم السكون في الحضرة.

– فمَثلُ النفْس كالمرأة، وحب الدنيا كالرجل، فإذا تزوج بها أول ما تلد له النفس الاهتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد له الشرك، والشرك يلد الكفر وهو الشرك الأكبر.

فهرس: الحضرة

– الفكرة مفتاح، والحضور باب، والحضرة دار، فمن تمسك بالمفتاح لا بد أن يفتح.

– الاهتمام [أي بالرزق] يطمس باب الحضرة ويمنع دخول الفكرة.

– وما حجبنا عن أسرار الحضرة وأنوارها وشارها وغير ذلك سوى عدم تحققنا بوصفنا.

– باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه أو غير ذلك من العلل التي منعت كثيرا من الناس دخول الحضرة، والحضرة معنى، ولا يدخل الحضرة إلا من كان معنى.

– ومن كان كثير الشكوى لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال.

– الحضرة لا يدخلها بخيل.

– فكن يا أخي موافقا لأستاذك في جميع أقوالك وأفعالك ليتخرج حسك بحسه ومعناك بمعناه وحينئذ تفتح لك باب حضرة الأولياء والملكية ثم باب حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم باب حضرة الله تعالى.

فهرس: حقيقة

- فإن لكل حق حقيقة، وحقيقة السؤال أن لا تترك شيئا مما عندك قليلا كان عندك أو كثيرا، وحينئذ تذوق حلاوته ظاهرا وباطنا، ظاهرا ذلاً وإهانة، وباطنا عزًّا وولاية.

- واعلم أن حقيقة الكمال أن تشهد الحق في وجودك وليس لك وجود وأن تنفق الدنيا وما فيها إن وجدتها ولا ترى لك إنفاق، وليس من الكمال أن تشاهد الحق أقرب من شهودك أو ترى الحق مع وجودك أو تنفق الدنيا ثم يخطر ذلك على بالك إذ ذاك دليل على بقاء نفسك ورؤية الكون حدو أذنك.

- حقيقة الخصوصية الصدقُ في العبودية من غير تردد، وهذا ظاهر إذ كل من صدق في عبوديته كان عبد الربوبية ومن كان عبدا كان حرا، قلت والصدق في العبودية أن يكون عبدا بلا علة.

- حقيقة المعرفة موت النفوس وذهاب عالم المحسوس.

فهرس: علامة

- قال مولانا تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ ، الآية.

ومن علامتهم أن تحن القلوب عند رؤيتهم وتنحل الأيدي المعقودة وتخضع لهم الرقاب المتكبرة.

- ومن علامة رسوخ الإيمان في القلب ظهور الحياء على الجوارح، ومن لم يظهر عليه الحياء فهو كاذب في دعوى الإيمان يصدق عليه قوله تعالى ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: 14].

- ومن علامة كمال الصدق أن لا يشير إليه أستاذه بشيء إلا فعله، ولو كان مزاحا، ولا يفعل شيئا إلا بإذنه.

- وعلامة من أُخِذَ قلبه [أي أخِذ قلبه وحصل في شبكة الشهوات] اللسانُ يشير إلى الخوارق، والجوارح تتعلق بالعلائق، أو نقول اللسان يشير إلى الرياضة،

والجوارح عاجزة عن الإفادة بميلها إلى العادة.

- من علامة القلوب الخالية، الألسنُ بالألفاظ مالية.

- واعلم يا أخي أن من علامة الإذن في التربية أن يثقل ذلك على المريد غاية الثقل لكونه لا يرى نفسه أهلا لذلك رؤية حال فتضيق روحه ولا يتقدم لذلك، ثم يؤذن له ثانيا فيثقل عليه أكثر من المرة الأولى، ثم يؤذن له ثالثا وحينئذ يتقدم من غير اختيار فإن لقّن أحدا أو ذكّر أحدا أو نظر أحدا ظهرت فيه من أسرار التوجه العجائب والغرائب، وهذه علامة الإذن من الله ورسوله وأوليائه.

- من علامة العلم بالله، حبُّ الفقر والمذلة.

- ومن علامة حياة النفس إذا مُدح صاحبها حيي بحياتها أي انبسط، وإذا ذم مات بموتها أي انقبض. ومن علامة موتها وفنائها واضمحلالها إذا مُدح زاد وإذا ذم زاد فلا يرى مدحا ولا ذمًّا لشدة يقينه في ربه وشهوده لقربه، ثم لتحققه أن الله تعالى إنما أبرزه لعبادته لا غير لم يزل على العهد.

- ومن علامات موت النفس والتخلص منها بالكلية أن يعمل صاحبها أعمالا كثيرة من أعمال أهل الإخلاص ولا تعظم في عينيه بل ولا يرى شيئا منها ولو مقدار ذرة.

- وعلامة المراقبة القلبية التي لا يشاهد صاحبها فاعلا إلا الله: حسن الظن وحسن الخلق وحب المؤمنين أجمعين.

- ومن علامة الحضور أن تنقلب مرارة المجاهدة عسلا.

فهرس: السلسلات

- وبالأدب الظاهر يحصل أدب الباطن أعني التعظيم، إذ سوء الأدب ينشأ عن عدم التعظيم، وعدم التعظيم من ضعف المحبة، وضعف المحبة من التفات القلب إلى الغير، فلو حصلت المحبة لحصل التعظيم، ولو حصل التعظيم لحصل الأدب، ولو حصل الأدب لحصل التحقيق.

- من راقب الله خافه، ومن خافه اتقاه، ومن اتقاه أحبه، ومن أحبه آثره، ومن

آثره فني فيه، ومن فني فيه بلغ قصده ومناه.

- لا تسقط إرادة العبد إلا إذا سقطت نفسه، ولا تسقط نفسه إلا بشهود الحق، ولا سبيل لشهوده إلا بالأدب، والأدب على قسمين: أولا مع الخلق بالمجاهدة وثانيا مع الحق بالمشاهدة، والثاني نتيجة الأول، ومن لا بداية له لا نهاية له.

- والراغب في الدنيا نزهده فيها لكي يستقيم ظاهره، وإذا استقام ظاهره عند ذلك نزهده في نفسه، وإذا زهد في نفسه دللناه على الرغبة في الله تعالى.

- واعلم أن الزهد في الدنيا هو أساس الزهد في النفس، والزهد في النفس هو أساس الزهد فيما سوى الله تعالى.

- فصاحب العبادة أدبه ظاهر غير باطن، وصاحب العبودية أدبه ظاهر وباطن لأنه عرف نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه فني في محبته، ومن فني في محبته زال عن حوله وقوته، ومن زال عن حوله وقوته تأدب معه سبحانه بكمال الأدب.

- فمثل النفس كالمرأة، وحب الدنيا كالرجل، فإذا تزوج بها أول ما تلد له النفس الاهتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد له الشرك، والشرك يلد له الكفر وهو الشرك الأكبر.

- والقلب هو الفكرة النورانية العلامة الدراكة وهي سِرُّ العقل، والعقل سر النفس، والنفس سر الروح، والروح سر الله تعالى.

- ولو زالت الغفلة لزال الجهل، ولو زال الجهل لجاء العلم بالله، وإذا حضر العلم بالله كانت الناس كأهل الجنة.

- واعلم أنه ما سكن إليهم [أي سكن إلى الجبابرة] أحد بجوارحه إلا وافتتن قلبه أحب أم كره وهم عين الفتنة، وكل من افتتن قلبه تشتت فكره، وكل من تشتت فكره تخبل عقله، وكل من تخبل عقله نسي دينه، ومن نسي دينه سكنه النفاق والمداهنة والتصنع والرياء والطمع والحسد والبغض لأهل الله.

فهرس: الحِكَم

- لا تبقى دعوى خفية، عند وجود البلية.
- شكواه، تُكذّب دعواه.
- مــن كــان كــثير الشكوى لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال.
- الحضرة معنى، ولا يدخل الحضرة إلا من كان معنى.
- باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه.
- مَن لم يحمل الفقر والإذاية، فليس له نصيب في الولاية.
- مَن طلب الأنوار بكسوة الأحرار، طلب الأغيار ودوام الأكدار.
- مَن لم يزن أوقاته، بطلتْ نفقاته.
- مَن كمل صدقه. كملتْ ولايته.
- إذا أشرقت على القلوب الشموس، انهزمت الجوارح وفنيت النفوس.
- إذا قبلك وأحبك واجتباك، منعك حبهم وحبهم إياك.
- الإفلاس كل الإفلاس، مَنْ طلب الإخلاص بقربه للدنيا والناس.
- إنما منع القلب من دخول المعاني، إثباته للأواني.
- كل فقير متكلم، ليس بعالم ولا متعلم.
- مِنْ علامة القلوب الخالية، الألسنُ بالألفاظ مالية.
- الغنى لا يكون إلا بالله، ولا يكون بالمخلوق قط.
- الاهــتمام بالــرزق بلاء ونقمة، الاهتمام بالرزق ضيق وحسرة، الاهتمام بالــرزق أساس لكل عثرة، وسحاب على سماء النظرة. ليس لصاحب الاهتمام إلى قمر المسير دليل، ولا إلى شمس الوصول سبيل. الاهتمام يطمس باب الحضرة، ويمنع دخول الفكرة.
- فمَــا منع الناس من الأسرار، سوى التدبير والاختيار، وسببه طلب الزيادة، ولو حصلت القناعة لسقط التدبير، ولو سقط التدبير لجاءت الفكرة بالعلوم.

- فمَــا حصل التعب والمشقة إلا من عدم فقدان النفس، فلو فقدت لحصلت الراحة مع وجود المشقة والتعب في الظاهر، وأي تعب على من هو بالله، وأي راحة لمن هو بنفسه.

- فالعلم الذي لا يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه جاهل في علمه، والجهل الذي يحقــق صــاحبه بوصفه فصاحبه عالم في جهله، وسبب الجهل مع العلم الرضا عن النفس والعكس.

- والرجوع إلى الله هو عين الولاية الكبرى، وكل أحد الولاية بحسب رجوعه إلى الله، وما خرج أحد من دائرة الولاية إلا من خرج من الرجوع إلى الله.

- تأدبــك مع أولياء الله تأدب مع الله، وكيف تتأدب مع الله تعالى ولا يقضي لــك جميع الحوائج، ولا يمنع حوائج الدنيا والآخرة من الأولياء سوى الأدب، وقد تعطــى بعــض الحــوائج مــع سوء الأدب لأجل الاضطرار لأنه مقرون بالإجابة، والإجابة عند أهل التحقيق على قدر الأدب فافهم.

فهرس: الأسئلة والأجوبة

- كان [أي سيدنا آدم عليه السلام] خليفة الله لأجل جمعه بين الضدين، فكل مــن اعتدل من ذريته صار خليفة، فإن قلتَ لِمَ لمْ يكن الخليفة من الملائكة ولا من الجــن؟ قلنا لأجل حكْم الروحانية على الجثمانية في غير الآدمي، فالاعتدال خاص بالآدمي ببركات مولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

- فــإن قــال قائل كيف وهي [أي النفس] تقبل الحق والباطل؟ قلنا لتطبعها بالشهوات والعوائد انطمس عين بصيرتها فظنت بجهلها أن الباطل هو الحق، انظر إذا تنورت هل تقبل غير الحق حاشاها.

- وقــد ســألني بعــض الإخــوان رضي الله عنهم ذات يوم قال ما حقيقة الخــصوصية قلت له بتوفيق من الله: حقيقة الخصوصية الصدق في العبودية من غير تــردد، وهذا ظاهر، إذ كل من صدق في عبوديته كان عبد الربوبية، ومن كان عبدا كان حرا، قلت والصدق في العبودية أن يكون عبدا بلا علة.

- فـــإن قال قائل: المجذوب لا عبودية له. قلنا: هو في غاية العبودية وكيف لا يكون في العبودية وظاهره مثل المزبلة لا يبالي بنفسه ولا بأبناء جنسه وهذا من شدة العبودية لله عز وجل، لكن قلْ يا أيها الأخ لا شعور له بها من حيث غلبة الحال على عقله.

فهرس: الأمثلة

- والأشـــياء كامـــنة في أضدادها ككمون النار في الحجر ولا يخرجها إلا إذا قـــرنت بالهند وبعد ذلك بالضرب في بعضها بعضا عند ذلك تخرج، كذلك النفس هـــي بمنزلة النار، والآدمي بمنزلة الحجر، والعمل الثقيل بمنزلة الهند، والهمة هي التي تجمـــع هذا مع هذا، فإذا قرن العلم بالعمل وتلاطم هذا مع هذا لطما شديدا ظهر بينهما سر النفس الذي هو مخبَّأ.

- ومـــثل الذي يطلب اليقظة في مواضع الغفلة كمن يطلب رائحة المسك في العذرة، وهذا حمق كبير.

- وحقـــيقة الجمـــيع ليس هناك إلا تجلياته الظاهرة، ومثل ذلك ضياء الفجر المستـــضيء من الشمس، فإن الناس إذا رأوا الفجر تحققوا وتيقنوا بطلوع الشمس بعده فانحجبوا بضياء الشمس عن ضياء الفجر، وكذلك أهل التحقيق حُجبوا بالحق عـــن الخلق في وجود الخلق، كما حُجب الناس بالشمس عن الفجر في وجود الفجر فافهم.

- فإياك يا أخي أن تطلب الحرية قبل أن تطلبك، فإن من يطلبها قبل أن تطلبه كمثل من صلى قبل الوقت فصلاته باطلة.

- مـــن انـــسلخ منها [أي من الدنيا] مع وجود اليقين انسلخت منه لا محالة فيسير سيرا مسرعا كالذي هو في الطريق مسافر ولا عليه سوى ما هو ساتر عورته فإنه يقطع المسافة البعيدة في ساعة قليلة، وأما الذي يميل إليها بقلبه ويتبعها بجوارحه فهو كالسائر في الطريق وعليه ثقل شديد والمسافة بعيدة فإنه لا يرى أين يسقط.

- فـــإن صحبة الخلق لهم [أي للعارفين] كصحبة الناس للعَطَّار إن لم تنفق من

حانـــوته تـــذهب فيك رائحته، أو كصحبة الناس للبحر إن لم يأخذوا منه الحوت والجواهر يأخذوا منه طهارة الثياب والبدن.

- فـــتأخذ ما أمرك، وتترك ما نهاك، امتثالا لأمره واجتنابا لنهيه، وذلك علامة المعـــرفة بـــه، ومثل ذلك كأمير أحبك وأمرك بأن تدخل بعض بساتينه ونهاك عن دخـــول بعض مع حبه فيك، فالذي أمرك بالدخول فيه فيه الذكور من أهله، والذي نهـــاك عـــنه فيه الإناث من أهله، فإن تعديت قطع رأسك، كذلك الذي نهاك عنه سبحانه حقائق خفية لا يطلع عليها سواه.

- النفس إذا غلبت بطبعها على الروح، كانت عاشقة للجمال العاري، والجمال العاري مثله عند المحققين ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ ، كذلك النفس تحب الأشياء فإذا ملكتها افتقرت منها وطلبت غيرها ولم تزل هكذا تعشق الشيء فإذا ملكته زهدت فيه لأن الغنى لا يكون إلا بالله ولا يكون بالمخلوق قط.

- كانـــت العلماء والصالحون تموت على الدين ولا ترجع عنه ولا يخافون في الله لـــومة لائـــم، واليوم أعط لهم الدنيا لا يتكلمون على الحق، وإن رأوه وعرفوه وحققـــوه، فمثل من هذا حاله كالكلب إذا خفت منه أعطه ما يشغله عنك واذهب ولا تخف، ومن كان عاقلا فليتأمل ما قلناه.

- فمـــثل النفس كالمرأة، وحب الدنيا كالرجل، فإذا تزوج بها أول ما تلد له الـــنفس الاهـــتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد له الشرك، والشرك يلد له الكفر وهو الشرك الأكبر.

- والطمـــع هو المفرق بين الأحبة، فمثل المحبة كالنار الحامية والطمع كالماء الـــبارد، والمـــاء والنار لا يجتمعان قط، أو نقول مثل المحبة كالبارود الرفيع والطمع كالنار، مهما التقى هذا مع هذا أعني النار مع البارود ذهب البارود وبقيت النار.

فهرس: أدعية سيدي محمد البوزيدي

- وليستغفرْ [أي المريد] إذا قدَّمه الشيخ للصلاة وليقلْ: اللهم اجعل صلاتي بأوليائك رحمة بي ولا تجعلها نقمة عليَّ يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

- اللــــهم لا تحــــرمنا من خيرهم [أي الأشياخ] وبركاتهم وسرهم وحكمتهم وأنوارهم الساطعة بجاه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنك على كل شيء قدير.

- نسأل الله السلامة في ديننا وعقلنا بمَنه وكرمه.

- نسأل الله السلامة بمنه.

- فإن النفس لا تحب أن ترى جاهلة لكثافة حجابها. اللهم اجعل بيننا وبينها نظــــرة قلبية تحجبنا عن رؤيتها وتمنعنا دخول حضرتها الباطلة بمنك وكرمك أنْ لا يــــستحق أحد شيئا إلا بفضلك، فألهمنا اللهم أسباب القبول إلهاما حاليا كما ألهمت إبــــراهيم خليلك عند نزول بلائك، وغيِّبْنا بمعرفتك عند نزول جلالك، اللهم مَن أنعمــــتَ عليه فتحت له باب الرضا والتسليم وعرَّفته ذلك في نفسه وألهمته الصواب معــــك والأدب في حضرتك، فامننْ علينا بفضلك. اللهم من اخترته لحضرتك فقد أنعمــــت عليه بمعرفتك وهيأت له التعرفات لترفع له الدرجات وقدمت له في هذه الــــدار جملة ما كان في سابق أزلك مرسوما في لوح حكمتك بقلم قدرتك، فامض اللــــهم علينا هنا من ذلك حظًا وافرا بلطف منك ورحمة، وعرفنا اللهم معرفة كاملة بمكالمــــة محفــــوفة بأنواع الأذواق بطلوع شمس توحيدك، واجعلنا هائمين في بحر أحديــــتك متحيرين بوجد محبتك عند مُلكك وملكوتك وجبروتك غائبين مع مَنْ سكر حاضرين مع من حضر يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

- نسأل الله اللطف بمنه.

- وكــــثيرا مــــا يستعمل هذه الحالة أهل الصدق الكبير، اللهم اجعل لي فيهم نصيبا ولا تجعلني منهم غريبا يا قريب يا قريب يا قريب.

- اللــــهم إني أعوذ بك من السلب بعد العطاء وتقديم وتأخير الخطايا يا أرحم

الراحمين يا رب العالمين.

- اللهم تول أمرنا ولا تول علينا نفوسنا يا أرحم الراحمين.

- اللهم أرنا حق حقيقة آياتك الظاهرة وأنوار عظمتك الباهرة بألطاف مواهبك اللدنية العُلوية الملكوتية التي كشفتها لأحبائك وأصفيائك حين منعتهم ما ليس لهم ومننت عليهم بأوصاف آداب حضرتك القدسية فأدبتهم بجلالك في حضرة مُلكك بلطف منك يا أرحم الراحمين.

- نجّانا الله وإخواننا من الحسد بجاه شيخنا وأشياخه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- فالله يمن علينا وعلى هذه الأمة الشريفة بفضل منه سبحانه وجوده وكرمه إنه سميع مجيب.

- فالله يأخذ بيدنا وينقذنا وكافة إخواننا والمسلمين من الرضا عن نفوسنا آمين بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

- ولا يقدر على هذه الحالة إلا أهل الصدق الكبير، جعلنا الله وإخواننا منهم آمين.

- نسأل الله السلامة يا مولانا لنا ولإخواننا ولسائر المؤمنين أجمعين من قساوة القلوب وغشيان الذنوب يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

- فالله يمن علينا وعلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول منه سبحانه بمحض كرمه إنه جواد متفضل.

- جعلنا الله وإخواننا والمسلمين ممن وفقهم الله بتوفيق العارفين به آمين إنه سميع مجيب.

- نسأل الله السلامة والعافية من غفلتنا عنه سبحانه.

- اللهم وفقنا وإخواننا وسائر أهل الفضل للأدب مع الأشياخ والإخوان وسائر مظاهر الحق بما يناسب كل شيء كما وهبت ذلك لأوليائك وأصفيائك وخاصة الصديقين من خلقك إنك سميع مجيب.

- فسبحان من خصهم بهذا المقام الشريف، اللهم لا تحرمنا يا مولانا مما أعطيتهم إنك سميع مجيب.

- فالله يعصمنا من الزلل ويحفظنا من العلل آمين.

- أهـــل الوصول نفعنا الله ببركاتهم وجعلنا من أهل حزبهم وودهم آمين بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد الأولين والآخرين.

-... كمـــال المعرفة بالله تعالى، اللهم اجعلنا من أهلها ولا تحرمنا من سرها بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

- والله يوفقنا وإخواننا والمسلمين أجمعين للإخلاص من نفوسنا آمين.

- اصطحَبوا على الله وتزاوروا في الله وتذاكروا في الله وتحابوا في الله وتناصحوا في الله وفنوا في الله وبقوا بالله، جعلنا الله منهم وإخواننا وكافة الأمة الأحمدية بمحض كرم الله بجاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله آمين.

- إلهي أقِفْ عبدك على باب فضلك بمحض كرمك بلا علة، ولا تحمله اللهم بجودك ورحمتك حمول المشقة والمذلة.

- نسألك اللهم لا تسلبنا بعد العطاء، ولا تحرمنا بسبب الغفلة والخطا، واجعل اللهم فضلك لمساوينا غطاء، يا رباه يا مولاه.

- إلهـــي ما أقربنا لك بك وأنت القريب منا، وما أبعدنا عنك لوجود نفوسنا، فاستر اللهم بفضلك قبحنا لنكون أهلا لغاية القصد والمنى.

- إلهـــي اكشفْ لنا بفضلك عن حقيقة الحقائق، وأفضْ علينا من لدنك علوم الدقائق، وحققنا اللهم بسرك الموضوع في الخلائق، وزجَّ بنا في عين بحر جبروتك، وأخرجنا منها بها على ساحل بحار ملكوتك، وعرفنا بك معرفة أنبيائك وأصفيائك. إلهـــي أدِّبْنا بأدب أهل ملكوتك، وأفضْ علينا من سنا جبروتك ما يُغيبنا عن رؤية مُلكـــك وملكـــوتك، وأجلِسْنا اللهم على كرسي القرب بالقرب، وأشعلْ في قلوبنا بفـــضلك نار الشوق والحب. إلهي أبرزتنا لهذا الوجود بعدما سبق إلينا منك العهود، فثبتنا اللهم بمحض كرمك بالقول الثابت ولا تجعلنا من أهل العناد والجحود، يا حي يا قيوم يا موجود.

فهرس: الأعداد

اثنان

- والفكــرة فكــرتان: فكرة أهل الدليل والبرهان، وفكرة أهل الشهود، ولا تحصل فكرة أهل الدليل إلا لمن تفرغ من حب الدنيا وأقبل على العبادة، ولا تحصل فكرة أهل الشهود إلا لمن تفرغ من حب الدنيا ومن حب الآخرة ليكون فكرُه بالله.

- والــشريعة شــريعتان: شريعة العوام وهي الامتثال خوفا وطمعا، وشريعة الخواص وهي الامتثال محبة وتعظيما وإجلالا.

- وهــذا العلم ينقسم على قسمين: علم الدليل والمطلوب العمل به وإلا فلا، وعلم الباطن والمطلوب أيضا في بدايته العمل أكثر وأكثر وأما إذا وصل حقيقته صار علمه عمله.

- ومن آداب المريد الصادق أن يلزم بابين من أبواب الله العظام الذي كل من قصدهما دخل في ساعة واحدة وهما: الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه، فمن وجد في نفسه هاتين المزيتين فليعلم أنه من أكابر أهل الله نفعنا الله ببركاتهم.

ثلاثة

- الداخلون على ثلاثة أقسام: منهم من دخل بالنية والصدق، ومنهم من دخل بالنــية دون الصدق، ومنهم من دخل بغير نية ولا صدق، فصاحب النية والصدق فــتحُه بمجرد وُصوله، وصاحب النية فتحه بعد وصوله، والذي لا نية له ولا صدق يطول فتحه لأنه يحتاج إلى معالجة كبيرة.

- وهــذا الــنور نور إيمان لا نور إسلام.....فإن حصل هذا النور في القلب أســرعت الجوارح إلى الطاعات، وهذا النور على ثلاثة أقسام: نور خوف وهيبة، ونور رجاء ورحمة، ونور شوق ومحبة، فالنور الأول به يقوم العبد إلى الطاعة، والنور الــثاني به يقوم إلى الزهد في الدنيا لشدة قربه إلى الآخرة، والنور الثالث من إشراق نور الصفات أو الذات فيعبد الله كأنه يراه وهذا مقام عظيم.

- والــسؤال علـــى ثلاثة أقسام: فسؤال العامة وسؤال الخاصة وسؤال خاصة الخاصـــة، فسؤال العامة لقوت أشباحهم، وسؤال الخاصة لقوت أرواحهم، وسؤال خاصة الخاصة لسَعة أسرارهم.

- المعـــرفة على ثلاثة أقسام: معرفة في النفس دون الجنس، ومعرفة في النفس والجـــنس، ومعـــرفة بالله ولله وفي الله، فالمعرفة في النفس معرفة العلم به والتصديق والإيمـــان به وبأوليائه وهو لأهل البدايات، ومعرفة في الجنس التعرض للتعرفات من الخلـــق اختيارا وهذه معرفة أهل العمل بالعلم وهو مقام السائرين، ومعرفة بالله ولله وفي الله معـــرفة أهل الحال فلا مجاهدة لهم في العلم ولا في العمل لأن علم التحقيق وعملـــه امتزج مع دمهم ولحمهم من شدة الحال وهذا حال أهل الرسوخ والتمكين وهو مقام الإحسان المعبر عنه بالبقاء.

- والـــناس في الـــسكر على ثلاثة أقسام: قسم مطموس الأثر مستغرق على الـــدوام، وقـــسم تارة بتارة، وقسم ممزوج السكر بالصحو من أول قدم، وغالبهم وأكثرهم يكونون تارة بتارة، رضي الله عنهم أجمعين.

- وحـــسن الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: خلق العارفين به، وخلق السائرين إليه، وخلق السائرين به.

- واعلم أن الجهل ثلاث: جهل أهل الشريعة فروا منه لعلم الظاهر والعمل به، وجهـــل أهل الطريقة فروا منه إلى علم الطريقة والعمل بها، وجهل أهل الحقيقة فروا منه إلى الله وإلى العلم به.

- وحال هؤلاء القوم ثلاث: إما الذكر أو الفكر أو المذاكرة لا غير، ومن زاد على ذلك فهو السلكوط الكبير.

- وقُرْب أهل الله ينقسم على ثلاثة أقسام: قرب الأنبياء كشهود الشمس بلا ســحاب، وقـــرب الأولياء كشهود الشمس في السحاب اللطيف، وقرب الصالحين كشهود القمر في السحاب الكثيف.

- ومـــن آداب المريد ألا يدخل على شيخه في ثلاث مواضع: الأول إذا كان يأكل الطعام.....الثاني إذا كان في موضع وحده فلا تقدم عليه بل اصبر حتى يخرج أو يأذن لك في القدوم وإن دخلت بإذن نفسك هلكت لا محالة إما في حسك أو في معـــناك أو فيهما معا بسبب سوء أدبك.....الثالث إذا ذهب إلى الخلا فلا تتبعه ولا تتوجه إلى الموضع الذي توجه نحوه ولو كنت في غاية الاحتياج إليه ولو عرفت أن قصده غير قضاء الحاجة.

- والنفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام: إذا كانت في مقام الحجاب الكثيف سميت أمَّـــارة، وإذا تلطــف الحجاب عنها سميت عقلا لأنها تعقل عن الله والعقلُ موضع الطاعـــة لله عز وجل، وإذا زادت في التلطيف سميت قلبا والقلبُ محل الخشية والزهد والورع والحلم والصبر وغير ذلك من سائر الأحوال والمقامات.

- ثم الروح أيضا تنقسم إلى ثلاث: فإذا استشرفت على العلم بالله سميت روحا عالمـــة، وإذا وصلت سميت روحا واصلة، وإذا تمكنت سميت روحا كاملة وسرًّا من أسرار الله.

- والفطـــرة تنقسم على ثلاث: فطرة مجازية وهي فطرة عامة الناس في حال خروجهم من الأرحام إلى البلوغ، وفطرة وهبية وهي فطرة المجاذيب وهي التي تنزل بهـــم بعد خروجهم منها أي من الفطرة المجازية ومنهم من لا تفارقهم من أول قدم وهم من فطرة إلى فطرة، وفطرة اكتسابية وهي فطرة الكُمَّال من أولياء الله نفعنا الله ببركاتهم جميعا.

أربعة

- واعلم أن الشيخ إذا كان وحده لا يكون إلا في أربع مسائل هذا هو الغالب: إما في علم أو حال أو نوم أو مرض.

- اعلـــم أن الفقـــر على أربعة أقسام: قسم بالرضا والعلم والحال وهو أعلى، وقـــسم بالعلم والرضا دون الحال، وقسم بالعلم والصبر دون الرضا والحال، وقسم بالصبر دون العلم والرضا والحال.

- اعلم أن السؤال على أربعة أقسام: سؤال عن علم وحاجة، وسؤال عن علم دون حاجة، وسؤال عن جهل وحاجة، وسؤال عن جهل وعدم حاجة.

خمسة

- وينبغـــي للفقـــير الصادق أن يفتح على نفسه كل يوم وليلة خمسة أبواب: الأولى القناعة بما هو أسهل، الثاني التوكل على الله، الثالث الإيثار بالقليل أو بالكثير، الرابع السخاء بما عنده، الخامس ترك الطمع لما في أيدي الناس.

فهرس: مناجات سيدي محمد البوزيدي

فهرس: شرح آيات قرآنية

فهرس: شرح أحاديث نبوية

الباب السادس

قصيدتان لسيدي محمد البوزيدي

الرائية والتائية

رائية سيدي محمد البوزيدي

عليك بتقوى الله حيث توجهت	وكنْ كريم الأخلاق في السر والجهر
وحسن الظن بالعباد إذا شئتَ	سرورا مؤبدا من اللب والقشر
وهَبْ عرضَك للخلق إن كنت صادقا	تريد بهاء ثم فخرا على فخر
وكف الأذى عن الخلائق جملة	وللأذى منهم فاحمل بالرضا والصبر
فإن صار مرّها حلوا فزدْ إلى	مقام هو الموصوف بأكمل الأمر
إن الرضا باب الله والصبر يا فتى	به تنال المقام الأعلى من الشكر
وقم واجتهد في الفرض والنفل إذ قمت	وكن ظاهرا في البر والقلب في البحر
وغب عنك والغيبة في الغيب إن غبت	وكن حاضرا في الغيب والسر والجهر
وراقب جمال المعنى في الحس إن جئت	إلى بلد العيان بالصحو من سكر
سلكت طريق القرب هكذا إن كنت	وإلا فَسِرْ ما دام يومك في العمر
أمامك أقوام تراهم إذا نمت	عن الكون وإلا فإنك في ستر
حجابك هو القرب بالقرب قد غبت	ولولا وجود القرب لم تكن في الجهر
فإنك وَهْمٌ بالجهالة ما دمتَ	وإن جاءك التحقيق صرت عين الأمر

فـــسرك مـــرموز في نفـــسك إن قلت ... فإنـــك عـــين الـــسر وأنـــت لم تدر
أزلْ عنك وصف البعد بالوصف قد تهت ... ولـــولا ذاك لكـــنت في أنـــوار البدر
وبعدها فجْر الصبح في الوصل قد بَدَتْ ... شمـــوس الضحى تبدو إلى آخر العصر
فهـــذا سير الرجال إن كنت قد جئت ... لحـــضرتهم فاهجـــر هـــواك كل الهجر
وبـــعْ نفـــسك لهـــم حقيقا إذا شئت ... مقامـــا تقـــيم فـــيه بالفـــتح والنصر
ولازم آداب الـــبر في البحـــر إن همْتَ ... وكـــن قائمـــا بالعدل في الخير والشر
وقـــم بميـــزان العلـــم في كل ما قمت ... إلا أن علـــم الحـــال خـــير على خير
وصـــفة هـــذا العلم من أي ما جئت ... تـــشاهد وصف الذات لارتفاع الستر
فـــإن كـــنت قد حصلت هذا فوَاصِلْ ... وإن كـــنت تـــارة فقف بباب القصر
حـــتى تـــستوي الأحوال فيك جميعها ... عـــريفا بـــه حقيقا في الطول والقصر
فَـــرُحْ واســـترحْ وابـــشر هنيئا لقربك ... ولا بُعْـــد إلا الـــوَهْم أتـــاك بالـــشر
وتـــشخص لك الكون في ذهن عقلك ... ومـــا بدا لك جهرا حقا هو عين الأمر
تنـــبه لـــه وانظـــر لـــباطن ســـره ... تـــرى شمـــسه تـــبدو جهارا بلا ستر
ومـــا اســـتتر الجمـــال إلا لكـــشفه ... ولفقـــد علمـــه نظـــرته بـــالغير
ولـــو كـــنت ذا حال لكنت في راحة ... في بحـــرك مجـــذوبا وســـالكا في البر
فقـــد كـــشفنا لـــك الوصال إذا كنت ... ســـائلا علـــيه قـــبل وضعك في القبر

تائية سيدي محمد البوزيدي

تجَلـــيْتَ بأســـرار ســـرك ظاهـــرا ... وأخفيـــتَها بعـــد الظهـــور لحكمـــةِ
وأبْهمـــتَ أمـــرها علـــى الخلق جملة ... ســـوى عـــارف صـــفي من كل علةِ
لـــه بالمعـــاني علـــم يدريها كيف ما ... تجلـــى بهاؤهـــا علـــى كـــل هيـــئةِ
محـــوتَ ســـواك عـــنه محـــوا مـــؤبدا ... وعـــاين حـــضرة المعـــاني القديمـــةِ

بأنــــوار علمهــــا بـــــدتْ لفــــؤاده وبـــضوء حالهـــا رأتهـــا الـــسريرةِ
لهـــا إدراك الكمـــال خـــصت بـــسره مـــن بـــين أســـرار الخلق فازت بعزةِ
فلـــولا دني الوصـــف ألبـــستْ نفسها لمـــا احتجـــبتْ عـــنها أســـرار العليةِ
فحُـــسنُكَ ظاهـــر ولكـــن لجهلـــها خفـــي ســـره وهـــو في أقـــوى شدةِ
فـــصَوَّرَ وهْمُهـــا الوجـــودَ ولم يكـــن ومـــا كـــان هـــذا قـــبْلُ إلا لعِلـــةِ
فلـــو دَرتْ حُـــسنَه في كـــل آنـــية لمـــا التفـــتتْ للـــبعض مـــنه بنظـــرةِ
فكـــل جمـــال مـــن جمالـــك أبْـــرز علـــى تـــرتيب المـــراد في كـــل ساعةِ
ولمـــــا أردْتَ للعِـــــيان بُـــــرُوزَهُ تجلـــيْتَ بالكمـــال في كـــل وجهـــةِ
تجَلـــيْتَ حكمـــة وهـــذا عالَمُهـــا وسِـــرك قـــد بَـــدا بألطـــف حكمةِ
فقلـــتَ لنفـــسِك لأعظـــم سِـــركَ لِمَـــا شـــئتَ كـــنْ يبدو في أسرع لمحةِ
فهـــي طـــوْعُ المـــراد مـــنك حقيقة وكـــل مـــراد يُقْـــضَى بعـــد الإرادةِ
تَنزلـــتِ الأســـرارُ مـــن بحْـــر سرك فأجْـــرى علـــيها مـــنك حُكْمُ الكثافةِ
وبـــدا ظـــلال الـــسر في الحس جهرة وهـــي الـــتي كانـــت علـــيه أدلـــةِ
وصـــورةٌ في الظهـــور طـــوَتْ جميعَه كمـــا طـــوى سِـــرّها معـــاني الحقيقةِ
وللـــروح أكـــبرُ العقـــول تنَـــزل وبأكـــبر العقـــول صـــارت كـــبيرةِ
ومـــنْ أربـــاب الأذواق نالتْ علومَها وهاجـــتْ فهـــومُها وصـــارت عاليةِ
ودَرتْ مـــا لم تـــدره قـــبل فـــنائها ومـــنها بـــدت لهـــا الأســـرار الغريبةِ
طـــويت في شـــكلها الأشكال جميعها وإن كانـــت في التجلـــي مـــا له نهايةِ
فـــسِرُّها قـــد أحـــاط بالأشـــياء جملة وإن كانـــت بالجـــسم الأشـــياء محيطةِ
فلـــو زال وصـــفُها لـــزالت حُجوبُها ولـــبَدتْ شمـــسها بـــنور مـــضيئةِ
ولانكـــشفَ لـــسِر صـــاحب سرها حقائـــق أســـرار الوجـــود الخفـــيةِ
ولكـــان كـــل الكـــون عـــند مـــراده يُقلـــبه حقًّـــا في أســـرع لحظـــةِ
ولـــدرى ســـر المعـــنى في كل مظهر ولـــبدى وجـــه الـــسر في كل وجهةِ

ولأيقن منه الفؤاد بذاتها   وأنها وحدة من غير ثنية
فمن سر السر سره بدا جهرة   بذلك كانت كل الأشْيَا خديمة
فنقطة السر بحرٌ والحرفُ بَرُّها   ومِنْ حرفها الحروف بدتْ لحكمة
وبالنقط والأشكال زادت تبينا   لمن له علم بالمعاني القديمة
وقد بدتْ جهرة من بعد استتارها   وراءَ لامَيْنِ للظهور مشيرة
وبالنطق بها تدري إن كنت فاهما   وفيها انتهتْ رُيَّاسُ بحْر الحقيقة
فواصِلٌ في بحْر الأولى غاص فكره   وكامِلٌ زاد في المعاني الجلية
ظهَرت له ظهورا في كل مَظهَر   وليس على التحقيق سوى الحقيقة
أزالتْ كل الأكوان عند ظهورها   ولم تكنْ قبْلَ المَحْو إلا لحكمة
بها ثبت الإبعادُ للورى عامة   توَهَّمَتْها غيرًا لِجَهْل الطريقة
فلو سَلكوا حقا بَدَا لهم سرُّها   وغاب جميع الفَرْق في كل وجْهَة
ولو خَرجتْ عَمَّا به قد تعودتْ   لنالت شفاء الروح من كل علة
ولَصَحَّ جسْمُها السقيم من كل ما   أصابها من عشق الأمور العادية
ولَبَدَتْ شمسُ سرها في عالمها   ولأوضحتْ معناه كل الإضاحة
فلولا الهوى لما احتجب بهاؤه   وما النفسُ إلا للهَواء مطيعة
فلِجُيوش الهواء كنْ متشتتا   نصحتُك فاقبلْ يا لبيب نصيحتي
فإنْ مِلْتَ فَرَّتْ معْناك وتباعدتْ   وأقبل ليلك برعد وظلمة
فإنْ شئتَ المعاني جَمْعك دائما   فلا تمِلْ نحوه ففي الميل ذلة
ويكفيك سجنك في قفص عالمك   ورؤية كونك بعَيْن العَمِيَّة
فحَقُّ البصير يفني ما سوى وجهه   وإلا فلست من أرباب البصيرة
فمَنْ له عيْنُ الجَمْع أعلى حقيقة   ومَنْ لا فلا يدري كمال الولاية
وإن أبْرزتْ على يديه خوارق   وظاهره على منهاج الشريعة
فأحوالها تبدو على من توجه   إليها بخدمة من أهل الإرادة

وهـــذا لـــبعض القوم في حال سيرهم ... وتـــبدو لأقـــوام في حـــال الـــنهايةِ
فأكثـــرهم علـــى الـــيقين بـــناؤهم ... فـــلا الـــتفات لهـــم مـــن أول وهلـــةِ
عَلَـــتْ هِمَـــمُ الأرواح للعـــالم الأسنى ... بمحـــض تفـــضل وجـــود ومـــنةِ
وعايـــنت أســـرار المعـــاني بعيـــنها ... ولـــولاها مـــا رأتهـــا عـــين السريرةِ
بـــنورها قـــد بـــدَتْ عن طلعة وجهها ... إلى عـــين مـــرآة القلـــوب الـــصافيةِ
فمَـــنْ كـــنتَ لـــه بالمِـــنَن مُقـــابِلا ... رَفعْـــتَ عـــنه تلـــك الحجب الساترةِ
وعَلَّمْـــتَهُ مـــن العلـــوم لطـــيفَها ... وحَقَّقْـــتَ ســـره بـــسر الحقـــيقةِ
وأشْـــهَدْتَهُ الـــسرَّ المَـــصُونَ بـــسرك ... وأيْقَـــنَ أن مـــا سِـــواك لغفلـــةِ
وبالقهـــر والقـــضا المقـــدر عـــندك ... ســـترتَ مـــنك الأســـرار وهْيَ جَلِيَّةِ
ظهـــورُها قـــد تغَطى بالكشْف للغطا ... وبانـــسدال الغطـــا اســـتدل الـــبريةِ
فأقـــوام بالآيـــات كـــان اســـتدلالهم ... وأنـــت لبعـــضهم غايـــة الأدلـــةِ
هنيـــئا لمـــن كـــنت علـــيه دلـــيله ... مُـــلازم للأفـــراح في كـــل ســـاعةِ
ومبـــسوط بِـــسِواك حَـــدُّهُ نفـــسُه ... وروحُـــه بالتحقـــيق في أقـــوى نَكْدَةِ
فمبْـــسُوطا كـــنْ بـــه ولا تكنْ بالهوى ... ولا بَـــسْط إلا بعْـــد مَحْـــو البقـــيةِ
فكـــنْ ســـالكا حقيقا في الجذب تنتهي ... ولا تقْـــنَعْ ظاهـــرا بأمـــر الـــشريعةِ
قلـــيلا يلـــيق بالطـــريق لِـــصَعْبِهَا ... وجُـــلُّ عـــباد الله أهـــل شـــريعةِ
فـــإنْ سَـــاوَى حالُ الشيء فيك وضده ... تـــيَقَّنْ بأكمـــل صـــفاء الـــسريرةِ
وكـــنْ بـــرزخا واحذر من الميل دائما ... ولازمْ مقـــام الْحَـــدّ في كـــل عشـــرةِ
وقِـــفْ علـــى حَدّ الشرْع والزم كماله ... وجـــنبْ مـــن البسط المؤدي لرخصةِ
فمـــن أطلـــق العـــنان في حـــال سيره ... فـــلا بـــد أن يعـــود في حـــال شهوةِ
ومـــا الـــتذت بـــه النفس حتما يمدّها ... ســـوما مـــن أعظـــم الـــسموم القاتلةِ
وإن لم يكـــن في الـــشيء لـــذة طبْعها ... فـــلا بـــأس إن كـــان بأمـــر الشريعةِ
تـــوَرَّعْ إن الـــورع أعظـــم بابهـــا ... وأولى بهـــا حقـــيقا أهـــل الحقـــيقةِ

ولا تلتفت لما جرى به حكمه   فليس ذاك من شأن أهل المحبةِ
فكل محبوب بالمحبوب اشتغاله   ناسيا لما سواه في كل حالةِ
وإن جاءك من المحبوب تَعَرُّفٌ   فَتَلَقَّهْ بالإجلال في كل دفْعَةِ
فلولا شيء يُكَدِّرُهَا في سيْرها   لما صارتْ من بعد الكدَر صافيةِ
فلا تُنْكِرْ حُكْمَه إذا بَدا قهره   فعن قريب يُحْلى من بعد المرارةِ
فمن لم يكن بحال من مات جهرة   فميت عن حياته الأبديةِ
فليس له علم وإن كان لفظه   يشير إلى التحقيق كل الإشارةِ
فأكثرهم فيها يطول كلامهم   وليس لهم سوى الألفاظ العاريةِ
فمَنْ كان في كل الهوى متمكنا   فكيف يدري حقيقا عِلْمَ الحقيقةِ
فعِلمُها نور يُبْدي عن سر وجهها   وتشهده منك الأرواح الصافيةِ
وقولُها يعجب النفوس سماعه   وأولى به مرا شديد المرارةِ
تَفِرُّ منه النفوس كلاًّ بأسرها   سوى نفس كانت بالمِنَن مُمدةِ
على عهدها الأول لم تنقض أمره   سبقت لها عند الإله السعادةِ
لها عزم دائما وحزم بين الورى   خادم لأهل الفن أشد خدمةِ
على سبيل الإجلال والحب دائما   وليس لها اعتراض في كل حالةِ
فنِعْمَ التي كان محلها هكذا   تنال من الحكيم أعظم حكمةِ
فيا سَعْدَ من كان إليه مجاورا   على بساط التعظيم في كل ساعةِ
ببعضه قد كنا إليه ولم نكُنْ   بكله ونِلْنا اقترابا ووصلةِ
وأين هم في الوجود قلَّ وجودهم   فأكثر أهل الوقت أرباب دعْوةِ
وقد ضاع آداب المريد في وقتنا   وواصلون لها بمحض الكرامةِ
فلولا رجالها يمد بوصفها   حقيقا ما نلنا منها كقدر حبةِ
وقد ملئت كل النفوس بوصفها   وفنتْ عن جملة الأوصاف العاليةِ
بفضله قد جاد الإله بجوده   وليس للفضل منه وجود علةِ

فمن لم يزل عنه الحجاب بفضله ... يعوم في سره وعنه في غفلةِ
ولا شيء غير سرك بدا جهرة ... لذاك صارت معانيه مستترةِ
ظهرت بأنواع الجمال حقيقة ... وسميته كلا باسم الخليقةِ
فكان نهاية استتار ظهوره ... وهذا من آعظم الحكم البالغةِ
وخصصْتَ آدم بسر علومها ... وأعْجَزتَ سكان السماء العاليةِ
وحققتَ أحمد بكل حقيقة ... جَرتْ عليها منك الأسماء البديعةِ
لأنه نورك وسر جمالك ... وبحر كمالك وأعظم نعمةِ
هو المظهر الأعلى وسر المظاهر ... بأنواره كل الأشياء منيرةِ
بعَيْن البَقَا يراه من كان فانيا ... وهذا لبعض القوم بعد النهايةِ
وليس من الأحوال ما صَحَّ عندنا ... ولكن شريعة المعاني القديمةِ
وللقبْضَة عِلْمٌ مَنْ أدرك علمها ... عالما يصير بالأسرار الغريبةِ
أفاضتْ من نوره الأنوار جميعها ... ومن سره الأسرار كلا ممدةِ
ومن بحره العلوم فاضت بأسرها ... على باطن العرفان بأعلى حكمةِ
ومن نور عقله عقول تنورتْ ... لذاك صارت أهلا لنيل الطريقةِ
وهام كل الأرواح منهم بفكرة ... وعاينت أسرار الأسرار الخفيةِ
وللروح قوة على حمل سره ... من بين نفوس الخلق فازت بقوةِ
على الحالة الأولى جاءت لنا أولا ... ومدها علم الفرق في حال فطرةِ
وقبل اجتماعها بعالم جسمها ... كانت من علوم روحها مستمدةِ
لها علم بالأسرار تدريها دائما ... بعقل وروح جوهرة نفيسةِ
وجسم لحكمة وبه تَكمَّلَتْ ... وبسره صارت في الأرض خليفةِ
وهنا بدت معاني الذات لنفسها ... ولكن بعد انفصال عن كل عادةِ
فكل حقيقة بضدها أظهرت ... وليس على التحقيق سوى الحقيقةِ
تنزلت الأسرار جهرا لحكمة ... وبأسرار النزول صارت في رفعةِ

تنزل لها إن شئت تدري نزولها ... وإن كنت في المعالي كانت عاليةِ

فمن لم يكن عبدا لكل عبيدها ... على مذهب تحقيق أهل الحقيقةِ

فلا يدري سرها الذي بدا جهرة ... وإن كانت ألفاظ المقالة قويةِ

فكل علم لا يصحب الفعل جنبه ... فإنه على التحقيق خالي الحقيقةِ

وكل صورة الفعل يبقى خيالها ... تشاهدها الأسرار فارحلْ بسرعةِ

وقلد سيوف العزم واركب خيولها ... وقاتلْ جيوش الوهم في كل ساعةِ

ولا تقنع بعلم الفروق قناعة ... فأكثر أهله جُهَّال الطريقةِ

وفي علوم المعاني كن متبحرا ... ولا تزد في سواها فوق الكفايةِ

فكم عارف نال المعاني ببعضها ... ونال مراده في أقرب ساعةِ

وكم تالف له الكثير من أمرها ... وقلبه معلول بأعظم علةِ

فعلم في القلب نور يهديك نوره ... ويرشدك إلى الطريق الناجيةِ

وجهل له ظلام في النفس دائما ... يسير بها إلى البلاد الخاليةِ

فمن له عين العلم يرى بنورها ... ومن له عين الجهل أعمى البصيرةِ

ستر رداء الوهم مرآة قلبه ... وأغشاها ليله بأقبح ظلمةِ

وأبصر ظاهر الأكوان بعينها ... وصارت كلا في لبِّه مستقرةِ

فناظر للأشياء بعين ذاتها ... جاهل وإن قام برسم الشريعةِ

ومبصرها بنور عين صفاته ... له علم ببعض الأسرار العاليةِ

وناظرها بعين ذات جماله ... ولايته أعلى من كل ولايةِ

فإنه في أقصى الكمال إذا صحى ... وإلا فمغروق في بحر الحقيقةِ

وواقف في العالمين ولم يمِلْ ... كثيرا هو الإمام عند الأئمةِ

له رؤية في الشيء والشيء لم يكن ... سوى لفظه المشير به لحكمةِ

فرؤية الكون بالمعاني عزيزة ... ومن عثر عليها فاز بعزةِ

فكن متمَّ السلوك إن شئت وصلة ... وجنبْ دسائس النفوس الخفيةِ

وإن غفلت نفس جالت في عالمها وأهواها حسنه المجازي في لمحةِ
وتعظم ظلمة النفوس بليلها وتأتي لك الأوهام من كل جهةِ
وتبدو لك صورة ظاهر نفسك وتنطبع فيها الأشياء الفانيةِ
فللمعنى إن كانت صافية للمرا وإن كانت بالكدر للحس مرآةِ
فكل شيء تقابله بسرها يقابلها والمعنى أشرف حالةِ
وهمة مع أسباب تقضي جميع ما في الوقت تريده في أسرع لمحةِ
بتلك السّرين قام سرّ وجوده بقدرته وحكمته العاليةِ
فكن جامعا لِشأن همة سرك على محبوب القلوب تعطى الولايةِ
وتأتي علوم النفس كالسيل نازلا فلم يحصها سوى كبير العنايةِ
وتلك علامة تجلي معانيها بوجه جمالها لعين السريرةِ
وقد بدا في الأزل للروح كيف شا كذلك يبدو في الأبد لحكمةِ
فكلها أوجه إذا صفى مرآها لذلك يبدو إليها في كل وجهةِ
فأنت بها عظيم الجاه ولكنني أراك عن سرها في أعظم غفلةِ
فإن كنت في الصورة خلقا فيما يرى فأنت في غيرها أمور عظيمةِ
تكلّ عنها الأفهام في شرح سرها تحير في فهمها العقول الراشحةِ
فكل واصل كَلَّ عنها لسانه وكامِلُنا يأتي بلفظ الإشارةِ
فلو صَحَّ لك العلم بأمْر سرها لكنت بقدرها عظيم المزيةِ
فإنها لوح المعاني فادْر شرفها ولوح العُلا فيه علوم الخليقةِ
من سرها قد تكون جسم لوحها ومن لوحها علومه مستمدةِ
فذاك لبعض القوم يشهد سره وهذا على التحقيق عين الحقيقةِ
فلازمْ خموها بين الجنس دائما ففيه صفاء السر من كل علةِ
فبقدر دفنها في عالم فرْقها يتجلى أمرها لعين البصيرةِ
فلازمْ وصف العبيد وكن عبيدهم ودعْ عنك جملة الأوصاف العاليةِ

بها بعدت عن الإله حقيقة ... ولو دَنَتْ للأدنى لصارت عالية
فلولا قميص الذل ما صَحَّ عِزها ... ولولا رداء الفقر ما طابت لذة
فخذها إلى الثرى بألطف حكمة ... تأتك من المعالي بأعلى حكمة
فلا علم لمن كان بوصف نفسه ... فنور نهاره محجوب بظلمة
ولا جهل لمن زالت ظلمة ليله ... وبدت شموسه بنور مضيئة
إذا شئت معنى السر فاذنُ إلى الثرى ... ولا ترفعْ منك عضوا فوق البرية
فلو كنت تدري معنى سر وجودهم ... لكنت لهم مجلى في كل حالة
فعلم على التحقيق يخرق كونهم ... ويفني وجودهم في أسرع لمحة
وتبدو لك حقيقة كل مظهر ... وتدري بعد التحقيق معنى مقالة
فكل علم لا يأتي بك لذلة ... فلا بد أن تأتيك منه المذلة
فكن كالذين صارت نفوسهم كالفضا ... وهامت كل الأرواح منهم بفكرة
وأظهرت لهم منه أعظم آية ... في باطنهم فاستجمعت كل آية
ولنفسهم بدت حقيقة نفسها ... وطوتْ على التحقيق كل حقيقة
بأعظم علمك ظهرت لأهلك ... بأكمل سرك لعين السريرة
أزلت وجودهم بسر وجودك ... وليس لهم وجود قبل الإزالة
فكنتَ ولم يكن سواك حقيقة ... سوى تلوين الجمال زاد في عزة
تعاليْتَ عما لا يناسب حالك ... لأنك مفرد بالذات العالية
فلِلّه ما أظهر سر جمالها ... ولله ما أخفاه بألطف حكمة
حكمتَ على الأسرار بالستر والخفا ... وهي كشمس الأفق حين تجلت
لشدة كشفها أخفيت ظهورها ... سترتها عن أهل انطماس البصيرة
يرونها والعقل القصير يظنها ... سواها وهي عين كل آنية
فبسر اسمك القاهر سترتها ... لك الحمد أنعمت بأعظم منة
رفعت رداء القهر عن عين سرنا ... نظرنا بها إليها أحسن نظرة

تمتعنا في بهاء حسن جمالها رأيناها عيانا بعين العالية
فرؤيتها شرع لأهل كمالها بعين معانيها تفهم إشارتي
وغاية سرها وأعظم أمْرها لقطب جمالها وخير البرية
لأنه شمسها ونور بهائها وعين كمالها وبحر النهاية
فلا أحد يحوم حول مقامه لقوة أنوار التجلي العظيمة
وجبريل في الإسراء لو زاد خطوة لأحرقت جسمه الأنوار القوية
فذاك مقامه في القرب وحده وأحمد زاد فوق ما لا نهاية
فلو بدا ما بدا إلى الورى جملة لأفنى وجودهم في أسرع لمحة
ويكفيك في الجبل محو وجوده مما بدا له من تجلي الحقيقة
ولما رأى الكليم أعظم أمره صار داهشا وغاب أعظم غيبة
حرام على مخلوق أن يرى وجهها ولكن بها ترى الأسرار العجيبة
فعَيْنُها عِلْمُها وبه البصائرُ تشاهده عيانا في كل لحظة
وإن بدا في الأشياء أفنى وجودها ولم يبق غير اللفظ منها لحكمة
وبقدر قوَّة الأرواح شهودُه ولو زاد لها في التجلي لدكَّتِ
وذلك شيء في الأزل مقدّر وإن شاء زاد ربنا في العطية
ولأقوام تجلٍّ لو بدا سره لمن دونهم لامتحت كل آنية
وذاك لهم بقدْر سر اقترابهم وقربهم بقدر صفاء المراية
ومرآتهم تجلى بحسب زهدهم وزهدهم بقدر الهِمَم العالية
وأجنحة الأرواح سر هممها وإن علت الهمة صارت عالية
فمن كان رافعا لمقدار نفسه فلا شيء له في الرتب العالية
وإن كان علمه كثيرا وصومه فهذا الطريق لا يُنال برفعةِ
ولكن بخَلْع النفس عن كل لذة وتغيبة عنها وعن كل غيبةِ
وأنفع علم يدنو بك إلى الثرى وغيره يرفعك أقبح رفعةِ

فكن مبصرا في الشيء إن شئت وصلة ... ولا وَصْل إلا بعد محو البقيةِ
ولا محو إلا بعد دفن وجودك ... ولا دفن إلا بعد فقر وذلةِ
ولا فقر حقًّا إلا عن طيب نفسك ... ولا ذل إلا جهرا بين الأحبةِ
فمن كان للعز محبًّا وللغنى ... فمعبوده الهوى على أي حالةِ
فجانبْ كل ما مال قلبك نحوه ... سوى حبه الصفي من كل علةِ
ولا رخصة للقوم في حال سيْرهم ... لأنها لأهل الهمم الضعيفةِ
وأنت مقام القوم تريد وصْلة ... فهو بعد الصفاء من كل علةِ
فخذ منهاج العرفان واسلك سبيلهم ... ولا تقتد بأكثر أهل نسبةِ
حكموا على الأسرار بالقول دائما ... وحَلُّوا قيود النفس في كل شهوةِ
وزال خصيم النور وفنَى وجوده ... وجاء رضاء النفس بكل علةِ
فلا علْم لمن كان عنها راضيا ... أحاطت به الأهواء من كل وجهةِ
ولا جهل لمن كان عليها ساخطا ... من أجل عصيانها لرب البريةِ
وقد كانت بحر السر وهي أميرة ... وجاءت لتدري معنى سر الامارةِ
فملكها الهوى وصارت مأمورة ... عليها أمير الكون بأعلى سطوةِ
لها صفة الإنسان والطبع أغلظ ... وأقوى من الحمار في حال زفرةِ
فأين حقيقة الإنسان التي كانت ... عليها عند الإيجاد أول نشأةِ
فكن مُخلِصا وأخلصْ من إخلاصك الذي ... وكن باريا من كل حول وقوةِ
وكن بالإله معتصما بقلبك ... وقل يا سلام سَلِّمْ من كل فتنةِ
ولازمْ كتاب الله واحكمْ بحكمه ... وسنة أحمد إمام الأئمةِ
وعالم ورع في دنياه زاهد ... فكن عنه آخذا لأمر الشريعةِ
ومن كان سالكا ومجذوبا دائما ... ولا أخذ إلا عن شيوخ الطريقةِ
كمثل أستاذي قَلَّ في القوم مثله ... وفخري به طرًّا على أهل نسبةِ
وبه على الورى أصُولُ حقيقة ... ولا أخشى إلا من إله البريّةِ

فجملـةُ أهـل الـوقت تحـت لوائه   عـارف بأحكـام الـنفوس الخفـيةِ
لـه هِمَّـة إن قـال للشيء كنْ يَكُنْ   يُعِـز إذا شـاء يُـذِل في لحظـةِ
تمـد مـددَ الخلـق همـة سِـره   جميع همـم الخلـق في كـل حاجةِ
يقلـد في الأمـور كـلا بأسـرها   في حكـم الحقـيقة وأمـر الـشريعةِ
فمـن لم يـدر معـنى سـلوك طريقة   حقـت لـه جملـة الأعمـال الظاهرةِ
لمـثله كـنْ عـبدا تـنلْ كـل المنى   وتـبلغ منتهـى الأسـرار العالـيةِ
وكـن لأهـل علـم المعـاني مجاورا   تمـد مـن الأسـرار في كـل دفعـةِ
فعَـنْ رجـال الأفكـار تروى عقولهم   علـى صـفة الـتلقين في كـل ساعةِ
ويكفـيك بعـد الفـرض ما هو آكد   لأنـك حامـل لحمـل الطـريقةِ
وقَـلَّ مـن كـل للجهـتين عامـرا   فأكثـر أهـل الله لإحـدى جهـةِ
تـوجَّهْ إلى المعـاني حـيث توجهتْ   ودُرْ معهـا سـريعا في كـل دورةِ
وكـن حريـصا على الأنفاس جميعها   فمطلـوبها كـلا بفكـر ونظـرةِ
وذكـر بجمـع القلـب جـاء حقيقة   وبـه اسـتقام حـال أهـل الطريقةِ
وإنْ كَبُـرَ العـيان بحكـم قهـره   علـى سـائر الأحـوال في كل ساعةِ
ومالـكٌ للأحـوال هـو إمامُـنا   بـه يقـتدي الجمـيع في كـل حالةِ
تعلـق بـسره تخلـق بوصـفه   تحقـق بوصـف الفقـر تحظى بعزةِ
علـى مـنهاج الكمال امش ولا تخف   وخـل عـصاة الخلـق وأهـل طاعةِ
وجَـنبْ جمـيع الناس واحذر غرورهم   ومدعـي الفقـر جهـرا أكـبر غرةِ
ومَـنْ ظـن علمـه فوق الورى جملة   وفهمـه أعلـى مـن جمـيع الـبريةِ
فهـذا أجهـل الـناس كـلاً بأسرهم   فنظـرة مـنه تـأتي بألـف ظلمـةِ
وعـالم بـه كـل مـا ازداد علمـه   وفهمـه عـنه زاد فقـرا وذلـةِ
فخَـلِّ سـوى مـن كان لك موافقا   حقـيرا فقـيرا راضـياً بكـل محـنةِ
ضـعيفا عاجزا خامل الذكر في الورى   وجُـلْ جمـيع الـناس عـنه في غفلةِ

فواضعُه ورافعه كلاهما … لشغله بالمحبوب في كل ساعةِ
وأين هذا في الناس قلٌ مثالُهم … فسيدهم معلول بكل علةِ
إذا مدح أو بالعطاء وجهته … أتاك سريعا مظهرا للمحبةِ
وإن كنت له بالمذمة واجها … على حذر كنْ منه في كل طرفةِ
فيا أسفا على الذين تقدموا … كانت لهم نفس بالمجاري راضيةِ
يرونها من عين المعاني حقيقة … يحبونها إجلالا أشد المحبةِ
إذا وجهوا بالذم ترى وجوههم … بنور كأنها شعاع الأهلةِ
وإذا منعوا زادوا فرحا ونشوة … فهكذا حالهم في أمر البدايةِ
كانت لهم أخلاق كرام مع الورى … وأوقاتهم بين حضور وغيبةِ
ووقتنا بالتحقيق قد صار جلنا … يطوف على الدرهم في كل ساعةِ
ويسعون عند الخلق رفعة قدرهم … ويطمع في درك العلوم النفيسةِ
هيهات ما كان هكذا من تقدم … وقد كانوا أصحاب الهمم العاليةِ
نظرهم للمحبوب نحو جماله … تيقنوا أن ما سواه لغفلةِ
فليس شيء سوى الجمال حقيقة … ظهر منه ما كان مخبى بحكمةِ
وما زاد شيء سوى بروزه … على حسب ترتيب حكم الإرادةِ
وما نقص وإن أخفى الأمر سره … وصور فهمك وجود الخليقةِ
فلِقلِة التحقيق منك بحقه … ولفقد العلم غابت عنك الحقيقةِ
ولو جاءك علم المعاني التي بدت … لكنت من أعظم هناء وراحةِ
وقد كان كل سر منها لِسِرنا … ولكن أخفاه الوهم لأجل علةِ
على مرآة القلوب بدت سحابة … آثار رياح الوصْف أتت بظلمةِ
إذا شئت أن تحيا فمتْ في حياتك … ولا خير فيمن حتى تأتي المنيةِ
فمَنْ حيا قبل الموت ماتت حياته … ومن حيا بعد الموت حيا حقيقةِ
وأصعب شيء فقر ثم مذلة … فلذ بهما تكن كبير الولايةِ

فمن لم يكن بالفقر والذل راضيا ... فأسرار أهل الله عنه بعيدةِ
فتسليط الجنس فرض في السير فاذْره ... ويبلى ذلك البلاء عند النهايةِ
فما من صِدّيق إلا قاموا بحجة ... عليه ولكن أذنه قد تصممتِ
له همة عليا بالله تعلقت ... وروح منه اشتاقت إلى حضرةِ
وأكبر عقل منه للعلم مقبل ... وقلب إلى محل نزول حكمةِ
وسرْ لعَيْن بحر ذات جماله ... لها نظرة بنور عين الحقيقةِ
ونفسه في المثال صارت كأرضنا ... سوت تحت أقدام جميع البريةِ
فلا زال يدنوها وينسى حظوظها ... حتى زال وصفها وصارت عاليةِ
تغوص في بحر السر بسر فكرها ... وتأتي بأشراف العلوم النفيسةِ
فلم ترْوِه هناك إلا عن نفسها ... في عالم سرها تصح الروايةِ
فواسطة الإلهام أمين وحيها ... يأتي لها بالتبليغ في كل ساعةِ
فإنها نقطة الجمال حقيقة ... من النقطة الكبرى برزت لحكمةِ
تقدمْ ولا تخفْ فنارها ساعة ... ونورها دائمٌ بين شمس الحقيقةِ
فَطهِّرْهَا تطهيرا ظاهرا وباطنا ... وخذها ولا تخف من هول وفتنةِ
فإنها سر الله قطب جماله ... فمنها نال الوجود عزًّا ورفعةِ
عليه تدور أفلاكه جميعها ... وأنواره منها تلوح بقوةِ
فلولا الهوى لضاء نور بهائها ... على سائر الأقطار في كل ساعةِ
فشمس عالمها من نورها أبرزتْ ... وأنجمه منها كلا مستنيرةِ
وأنوار أفلاك الأفق بأسرها ... ومنها مدد الكل في كل لمحةِ
وبها عَلا أهلُ الإله جميعهم ... وصاروا ملوك الكل في أعلى رتبةِ
يَجُرُّوا ذيول العز حيث توجهوا ... وحالهم الغنا برب البريةِ
عظم اكتفاؤهم وكفاهم كلما ... يهمّهم بفضْل وجود ومنةِ
وإن أصيبوا فالحفظ حال قلوبهم ... ومَنْ أولى منهم بالأمور العظيمةِ

فهـم معـه معـيَّة الحـال دائمـا وذاك فـوق طـور العقـول الراشحةِ
فـلا يـدري حالهم في القرب سواهم وكـل جمـيع الخلـق عـنهم في غفلةِ
فلـو نـادتهم كـل الأشـياء بصوتها لمـا التفـتوا إلـيها بـأدنى لمَـْحَة
يُباشـرها والقلـب عـنها بمعـزل مُلِـيءَ حقـيقة بـنور الحقـيقةِ
مـنْ أجلـهم أكـرم الله كـل الورى وصـار عـصاة الخلـق في ظل رحمةِ
تطـيب الأمـاكن بذكـر سمـاعهم وتعلـو فـوق الأمـاكن وقتا بجلسةِ
وإن دامـوا صـار في المعـالي مقامهم كأنـه كـوكب مـنير في رفعـةِ
فبـسِرِّهِمْ دار الفلـك بحكمـة وحَـرَّكَ أقطـار الوجـود في لمحـةِ
فمفـتاحُ أبـواب العلـوم بأيـديهم وسـرُّ العطـا موهـوب بلمـح نظرةِ
وكـل مـدد الخلـق مـنهم جمـيعه بـأنعم فـضله أو بعَـدْل نقمـةِ
فمـن نـار قبـضهم صـار حـرها عـذابا لأقـوام مجانـا مـع ذلـةِ
ومـن نـور بـسطهم جِنان تزخرفت بهـاء وأنـوارا سـرورا مـع بهجـةِ
وأنهارهـا بـسِرهم فـاض خمـرها وأغـصانها نـادت بألطـاف نغمـةِ
وبـنورهم حـور العـيون تـنورت وولـدانها المـسخرة لخدمـةِ
وزيـنة عـرش الله بعـض جمـالهم ولـو بـدا سـرهم للأشـياء لدكتِ
وسـرّهم نقطـة مـن بحـر حبيبـنا ومـولانا أحمـد العظـيم العطـيةِ
فمـن بحـر سـره علـيه صـلاته سـقاهم صـفاء الشرب من طيب لذةِ
ومـن نـور بـرّه علـيه سـلامه كـساهم حلـل العـز أشـرف لبسةِ
ومـن عقلـه عقـولهم تـنورت ومـن روحـه أرواحهـم مـستمدةِ
ومـن علمـه الأعظـم لهـم مواهب تفـوق لجـج البحـر في أقـوى شدةِ
وبـه نجـوا مـن الهمـوم جمـيعها وبـه كانـت حـياتهم أبديـةِ
وخـصوا بـسره الخفـيّ بين الورى وأعطـاهم مـنه قـربا فـوق الخليقةِ
ولا زالـوا في ارتقـاء نحْـو كمالـه حـتى بـدت صـورة الحبـيب البهيةِ
كـأن سـواها في المظاهـر لم يكـن وهـذه رتـبة مـن أقـصى الـولايةِ

فلهم عينان للجمالين ناظرا ... فهذي لحالة وهذي لحالةِ
فواحدة تطوي الوجود بأسره ... وأخرى له بالنشر في كل ساعةِ
فيا له من مقام ما أعلى أمره ... لبعض رجالنا من أهل طريقةِ
وهذا علمي وفوق علمي علومهم ... فلم أدر سوى البعض منها لغفلةِ
فإنهم أعظم الحجب لأحمد ... وأحمد أعظم حجب الحقيقةِ
فكن مثلهم في السير إن شئت سرهم ... ولا تكن كالعوام من أهل غفلةِ
ظاهرك بأمر الشرائع قائم ... وباطن منك بالأسرار العاليةِ
فَصَلِّ صلاةَ الجَمْع في الفرْق أينما ... توجهت لتلك الآية العظيمةِ
وإليه بالتحقيق وجهك دائما ... وهذي إشارة ونعم الإشارةِ
فأهل النهى يدري إشارة سره ... ويسجد بالأرواح لكل وجهةِ
ومن كان فهمه قصيرا فيسجد ... لِمَكَّة تابعا لظاهر الآيةِ
وله مدد البعض منها لسِرِه ... تمده مدد الهمم الضعيفةِ
فكن ساجدا لله سِرًّا بكُلِّكَ ... ولا تنقص عند البعض أقل ذرةِ
وكن داعيا عند السجود تأدبا ... وسَبِّحْهُ بالإجلال في كل ركعةِ
وفرض عين جاءت على من تكلف ... وأما صلاة السر عيْن الفريضةِ
وفي الوقت صلاتيْن صَلِّهما معا ... فذاك قرة العين فادر إشارتي
وإن كنت من إحدى الصلاتين فارغا ... فكن ساجدا في الأخرى بإحدى سجدةِ
ولا ترفع يوما من سجودك طرفة ... فليس هنا وقت تكون الإعادةِ
فهذه للأبدان لأجل ضعفها ... وهذه من أجل القلوب المريضةِ
بمحض الكرم يا إله تَولَّنا ... وكن لنا وارعنا بعين العنايةِ
ولا تترك حولنا عدوًّا وظالما ... وإن حام له آته بكل ذلةِ
وخذه قبل اهتمامه بهلاكنا ... لأنك عالم بكل الخفيةِ
وكل جبار اقطع عروقه ... وأوراقه وأغصانه الممدةِ
وأين ما ولى الوجه خذه بسطوة ... وولِه مدبرا عظيم المذلةِ

مـــشتت القلـــب والجـــوارح دائمـــا   يخـــوفه الـــشيطان كـــل المخافـــة
ولا تتـــرك مـــنهم في الوجـــود بأسره   عظمـــت مـــنهم إلهـــي كـــل الإذاية
أقمـــنا سـيوفا مـــن سـيوفك ظاهرا   وباطـــنا تمحـــق الأعـــادي الظلمـــة
أعـــادي جـــنود النفس والجنس دائما   ســـريعا إلهـــي يـــا ســـريعُ في لمحـــة
فَأمْـــرُكَ أقـــرب مـــن الـــبرق إذا بدا   وأعجـــب مـــن هذا في حكم وسرعة
فكـــن لـــنا والإخـــوان حيث توجهنا   وأيِّـــدْنا وانـــصرنا بـــأعظم نـــصرة
وكـــن لـــدين الحبـــيب أحمـــد حافظا   وَطهِّـــرْهُ يـــا إلـــه مـــن أهل ظلمة
بحكمـــك كيف شئت تحكم في الورى   ونـــسألك اللـــهـــم نـــشر الهدايـــة
علـــى يـــد أهـــل العلـــم بك حقيقة   بفـــضلك يـــا مجـــيب أجب لي دعوة
بجاهـــك يـــا مـــن لا جـــاه فـــوقه   وهـــو الـــذي رحمـــت بـــه الـــبرية
وبجـــاه كـــل مـــن كـــان لـــه تابعا   ســـالكا ومجـــذوبا علـــى كـــل حالة
فـــصَلِّ وسَـــلمْ ثم بـــاركْ على الهادي   رحـــيم بـــنا في كـــل هـــول وشـــدة
رؤوف رحـــيم يطلـــب العفـــو دائما   لأهـــل نـــور الإيمـــان في كـــل ساعة
وحـــاش حبيبـــنا أن تـــرده خائـــبا   فـــيا سَـــعْدَنا بـــه علـــى كـــل حالة
ونـــسألك الرضا عن الأهل والصحب   وتـــابعهم إلى انتـــشار القـــيامة

الباب السابع

تلاميذ وبعض أحباء سيدي محمد البوزيدي

تلاميذ سيدي محمد البوزيدي:

قال سيدي محمد بوزيان الغريسي المعسكري في كتابه "الطبقات" عند ترجمته لسيدي محمد البوزيدي:

(قـــد خرج على يديه العدد الكثير من المريدين فكان له: بنون وحفدة وأبناء الحفـــدة، ويكفيك فيهم الأخوان العالمان الوليان العارفان المحققان الشريفان سيدي أحمـــد بـــن عجيبة وسيدي الهاشمي بن عجيبة، وابن عمهما الأستاذ الجليل ولي الله ســـيدي أحمـــد بـــن عجيبة الصغير، وسيدي عبد السلام القاضي، وسيدي الحسن الكتامـــي، وسيدي ابن يونس، وسيدي أحمد بن قر، وفقراء الريف والفحص، وغير ذلـــك، نفعـــنا الله بجمـــيعهم، وقد هدى الله بابنيْ عجيبة خلقا كثيرا وجمًّا غفيرا، فأمْرُهُما أشهر من نار على علم).

ترجمة سيدي أحمد بن عجيبة

هذه الترجمة اقتبستُـها من كتابه " الفهرسة "

العارف بالله سيدي أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، الشريف الحسني، ولد في عام 1160 أو 1161 هجرية في قرية الخميس الواقعة في الطريق بين طنجة وتطوان، وبهـــا نشأ وحفظ القرآن الكريم، وعندما جَوَّدَه وأتقنه وحفظ عدة متون علمية التحق لطلـــب العلم بمدينة القصر الكبير حيث بقي مدة سنتين، ثم رحل لتطوان فتابع دراسته علـــى كبار علمائها، ثم رحل لمدينة فاس عاصمة المغرب في العلوم الإسلامية في ذلك الإبان فتابع دراسته العليا بها، ثم عاد إلى تطوان حيث قام بتدريس علوم الشريعة.

قال رضي الله عنه ونفعنا الله ببركاته (ولما حصَّلنا بفضل الله ما قسم الله لنا من العلم الظاهر انتقلنا إلى التهيُّئ للعلم الباطن وهو العمل بالشريعة الظاهرة، إذ لا ينتقل العمل للبواطن حتى تستقيم الظواهر، إذ الشريعة باب والحقيقة باب، وسبب انتقالنا من العلم إلى العمل أني وجدت نسخة من الحِكَم لابن عطاء الله عند بعض الأصحاب فنسختها ثم طالعت شرح ابن عباد فلما طالعته زهدت في العلم الظاهر وانتقلت إلى العبادة والتبتل لذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حببت إلي الخلوة وأبغضت الدنيا وأهلها).

ثم انجذب إلى سلوك طريق القوم فقرر أن يكرس نفسه وحياته لخدمة الطريقة والحقيقة، وتتلمذ عام 1208 هجرية على الشيخ الفرداني سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه أشهر تلامذة الإمام مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه مؤسس الطريقة الدرقاوية الشاذلية. قال سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه: (ولما رجعت إلى فاس المرة الثالثة لزيارة الأشياخ الذين أخذت عنهم العلم الظاهر جزت في رجوعي على بني زروال لملاقاة الشيخ مولاي العربي وسيدي محمد البوزيدي رضي الله عنهما، فلما قدمت عليهما فرحا بي فرحا شديدا ونظرا إلي نظرة تغني، فلقيت أولا سيدي محمد رضي الله عنه فقال لي بمجرد لقيته: جعلك الله كالجنيد يتبعك أربع عشرة مائة مرقعة، أو قال لي: تكون كالجنيد، لا أدري أيهما قال، ثم ذهب بي إلى مولاي العربي فلما زرته قال لي: جعلك الله كالجيلاني، فقال له سيدي محمد: أنا قلت له كالجنيد، فقال: يجمع بينهما إن شاء الله، فوجدت لدعائهما بركة عظيمة وبركة كبيرة).

ثم لما قدم لبلاده انقلبت أحواله ووجد في نفسه قوة عظيمة لم يكن يحس بها من قبل، ثم صار شيخه سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه يرسل إليه أن اقدم علينا فإن حاجتك عندنا، لكنه لم يقدر له القدوم عليه حتى قدم سيدي البوزيدي لتطوان فلقنه الورد وسَلم له سيدي أحمد نفسه وقال له أنا بين يديك افعل بي ما شئت، فقال تبارك الله عليك ثم التفت إلى بعض أصحابه فقال لهم: سيدي أحمد متصف بالزهد والورع والتوكل والصبر والحلم والرضا والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم حتى عد نحو اثنى عشر مقاما، فقال له سيدي أحمد بن عجيبة يا سيدي هذا هو التصوف، فقال هذا تصوف الظاهر وبقي تصوف الباطن ستعرفه إن شاء الله. ثم

جعل سيدي أحمد بن عجيبة يزور شيخه ويتردد إليه تارة بغمارة وتارة ببني زروال حتى فتح الله عليه بالفتح الكبير.

خدمة المشايخ وصحبتهم هي سبب الظفر بالسر الأكبر، وما نال أحد مرتبة من مراتب الولاية إلا بالصحبة والخدمة.

قال سيدي أحمد بن عجيبة: (وانظر قضية التباع[1] والغزواني[2] وسيدي عبد الله الوزاني وغيرهم من الأولياء والصالحين ما نالوا مرتبة الولاية وكمال الصلاح إلا بخدمة مشايخهم، وكذلك حال شيخنا رضي الله عنه بقي خادما على باب شيخه ستة عشر عاما أو نحوها، وكذلك شيخه قال رضي الله عنه: بقيتُ في خدمة شيخي سيدي علي رضي الله عنه بفاس سبع سنين ورحلتُ إلى بني زروال فبقيتُ نتردد إلى زيارته سبع سنين، كان يقدم عليه مرتين في السنة، فيقدم عليه في الزيارة ببقرتين للخليع وحملين من الزبيب وحمل من البلوط. وأما أنا عبد الله فلم تمكن لي الإقامة معه للقيام بالعيال وسياسة الفقراء فكنت نتردد إليه في الزيارة لبني زروال فنقيم معه ما شاء الله ثم يرسلنا، فكان يقول لنا: ترددكم إلينا متعطشين أنفع لكم من الإقامة معنا. ولما رحل لزاويته بغمارة جعلت أتردد إليه في الزيارة هناك وأقيم معه أياما نتفنن في العلوم اللدنية والأسرارالربانية. فأنا الذي بنيتُ غرفته التي يسكن فيها والكتينة[3] والحمّام وذلك لما زرت معه مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه مع جماعة من الفقراء ونظر إلي وقال: نحبك أنت والحاج أحمد البسيري تبنون لي الدار بغمارة، فلما قدمنا من الزيارة قال الحاج أحمد أنا لا نقدر على شيء، فذهبت أنا بأربعة من المعْلِمين اثنين يبنيان واثنين يصنعان القرمود، فأسسنا الدار وبنينا المدخل والاروى[4] وفوقهما الغرفة التي يسكنها الشيخ، ثم بنينا بيت النار والحمام

---

(1) التـبَّاع: سيدي عبد العزيز التباع، تلميذ سيدي محمد الجزولي صاحب "دلائل الخيرات".

(2) الغَـزْوانِي: سيدي عبد الله الغزواني، تلميذ سيدي عبد العزيز التباع، وكلهم مدفونون في مدينة مراكش في المغرب.

(3) الكُـتِّينَة: أي المطبخ.

(4) الاروى: أي الإصطبل.

فبقي الصُّناع هناك نحو الشهر، فناب البناءين من الأجرة ست وثلاثون مثقالا والأخيرين أربع وعشرون مثقالا، وكنت دفعت في قطع الخشب تسع مثاقيل، فناب الجميع تسع وستون مثقالا، فبعت بعض الكتب وتسلفت الباقي فخلص الله الجميع. فبنى الله لي في مقابلة ذلك ثلاثة ديار: دارا ببني سعيد ودارا بقبيلة أنجرا ودارا بفحص طنجة، غير أن التي بالفحص لم يوافق الشيخ على سكناها فخربت، **وهذه عادته تعالى فيمن خدم أولياءه أن يعطيهم أكثر مما يعطوا.** ولما قدم لزاويته أرسلني أخطب له من شيخه فامتنع وقال لم تكن صحبتنا لهذا الأمر، واعتذر بأنه كان خطبها منه ابن عمه. ثم خطب له ابن عمه سيدي محمد بن علي بوزيد من الشريف الرحموني، فجهزنا له أنا وأخي بمائة وأربعين مثقالا وصحفة من القمح وثور وما يقيم ذلك، فلما قدمنا بها وأردنا الانصراف رفع يديه مع من حضر من الفقراء **فقال: بارك الله فيكم وفي ذريتكم وأولادكم وأولاد أولادكم ومن تعلق بكم إلى يوم القيامة.** وكنت سمعت هاتفا حين كنا نشتري له الكسوة يقول: اصبروا فدعوة منه تخدم عليكم وعلى أولادكم، فكانت تلك الدعوة التي ذكرنا. ثم بنينا العين في دار شيخه ببني زروال فدفعت خمس مثاقيل للشيخ دفعها للمُعَلم. ثم بنينا المسجد الذي ببني زروال أنا وأخي، خدمنا فيه بأنفسنا وحملنا الخشب من غمارة على عواتق إخواننا. ثم بنينا ضريح سيدي يوسف الدرقاوي، فنال الفقراء من ذلك مشقة كبيرة، وذلك سبب ربحهم وراحتهم، ثم لم يزل يرسل إلي وإلى أخي في حوائجه ومآرب داره فنقوم بها بحول الله وقوته، فجُلّ زاويته قائم بنا والحمد لله، هذا في عالم الحكمة، وأما في عالم القدرة فما ثم إلا الله الحي القيوم، فلا شيء معه أصلا، فهو الذي يقوم بأمر عباده، وخصوصا أمر أوليائه، لكن الأمر كما قال في الحِكَم: إذا أراد أن يُظهر فضله عليك خلقَ ونسَبَ إليك. وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

جاهَدَ سيدي أحمد بن عجيبة مجاهدات عظيمة: حيث لبس المرقعة، وحمل الجراب، وخدم الفقراء فأطعمهم وغسل ثيابهم، وشطب السوق، وسأل في الحوانيت وأبواب المساجد، كل هذا لأجل مجاهدة النفس وقتلها، ثم ابتلي بالسجن والخروج من الوطن الخ.

مناقب سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه عظيمة، فمن ذلك شهادة شيخه

لـــه بالخلافـــة عنه في حياته وبعد مماته وذلك أنه لما شرح قصيدة شيخه الرائية وأرسل له الشرح فرح سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه فرحا شديدا فقال: لـــو ســـألنا الله تعالى يوم القيامة عن سيدي أحمد لقلنا له أنه يحبنا، ثم قال لمن حضر: سيدي أحمد هو خليفتي حيًّا وميتا.

قال سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه (وسمعت منه مرة أخرى ببني زروال مـــع حـــضور جمع كبير من فقراء المشارقة وأخي معهم، فقال لمن حضر في كلام يعظمني فيه: واللهِ لو كان الغزالي حيًّا لحط رأسه لسيدي أحمد، أشهدكم أنه خليفتي حـــيٍّ وميـــتا) وقال (فممن شهد لنا شيخنا رضي الله عنه وذلك أني لما لقيته المرة الأولى وســـلمت عليه طلبت منه الدعاء فقال لي: والله ليكونن لك أمر عظيم والله لـــيكونن لك شأن عظيم، ثلاثا. ثم قال: والله لتكونن جامعا بين حقيقة وشريعة. ثم قـــال لأصحابه: ما زال يكون لسيدي أحمد وقت كبير. وقال لي حين لقنني الورد (يكون أصحاب سيدي أحمد أصغرهم مثل الجنيد) أي على قدمه. ودخلت عليه مرة وهو بزاوية بني سَلْمان فلما رآني قال: مرحبا بسيدي أحمد سيدي أحمد حبرا كاملا وشـــيخا مربيا جامعا بين حقيقة وشريعة) وقال رضي الله عنه (والحمد لله ممن جدد الله بنا الدين في هذه المائة، قال عليه السلام "يبعث الله على رأس كل مائة سنة مـــن يجـــدد لأمتي أمر دينها"، وقد شهد لنا بذلك أشياخنا فقد سمعت من شيخنا الـــبوزيدي الحسني رضي الله عنه حين قدمنا عليه لزيارته في العام الأول قال: والله حتى يجدد الله بكم الدين المحمدي.

وكـــتب إليّ شيخه مولاي العربي رضي الله عنه زمان الوباء ما نصه بعد كلام: نطلب الله تعالى ألا تموت حتى تكون داعيا إلى الله ينتفع بك أهل المشرق والمغرب. ولقد كنت حين دخلت في طريق القوم وحصل لي الإذن من الشيخ في تذكير الناس نطـــوف عليهم في المداشر [1] والقبائل نعلمهم الدين وندلهم على الله، فعلت ذلك ثلاث سنين أو أكثر كما تقدم، وها نحن ما زلنا على ذلك ندعو إلى الله على بصيرة

(1) المداشر: جَمْع مدشر، ومَدْشَر: أصغر من قرية.

أنـــا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين. فإذا كان الشيخ السنوسي يعلم الـــناس التوحـــيد العام في الزقاق، فنحن والحمد لله نعلم الناس التوحيد الخاص في المداشـــر والقبائل والمساجد والجوامع لمن قدر عليه، ومن لم يقدر علمناه ما يقدر من توحيد الدليل حتى يفتح الله سبحانه في توحيد العيان.

وأمـــا من زرعنا فيه العلم الباطن فجُلهم حصل لهم الغنى الأكبر ودخلوا مقام الإحـــسان بالـــذوق أو بالعلم إذا كان متجردا، وإذا كان متسببا حصل له القناعة والاستقامة والتقوى وتنوير الباطن، فكلهم على بينة من ربهم والحمد لله.

وقد أردت ذكرهم وتحلية كل واحد منهم ببعض ما منحه مولاه من الفضل، فضاق الأمر عن ذلك لكثرتهم وعدم استقصاء عددهم، بارك الله في جميعهم آمين).

ترك سيدي أحمد بن عجيبة قدس الله سره كتبا نفيسة راقية:

- شـــرح فاتحـــة الكـــتاب بشرحين بل ثلاثة: أحدهما صغير نحو كراستين، والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراسا صغيرة، وآخر صغير جدًّا فيه نحو ورقتين.

- **تفـــسير كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربع مجلدات كبيرة** جمع فيها بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، سمَّاه **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، وهذا التفسير من أجل كتب التفسير.

- **شرح قصيدة شيخه الرائية في طريق السلوك.**

- **شـــرح تائية شيخه في الخمرة الأزلية وما يوصل إليها**، في ثمانية كراريس صغار أو سبع.

- شرح آخر عليها فيه اثنا عشر كراسا ونصف صغار.

- تألـــيف في القـــراءات العشر مشتمل على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتها وتوجيه قراءة كل واحد منها.

- شرح أسماء الله الحسنى.

- تأليف في الأذكار النبوية عند الأحوال المختلفة.

- تأليف في أربعين حديث في الأصول والفروع والدقائق.

- حاشية مختصرة على الجامع الصغير للسيوطي.

- تأليف في طبقات الفقهاء، ثم أتبعهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية.
- تأليف في علم النية.
- كتاب في الطلاسيم التي حجبت عن التوحيد الخاص.
- كتاب في ذم الغيبة ومدح العزلة والصمت.
- كتاب في القضاء والقدر، ألفه في زمن الوباء.
- شرح صلاة الشيخ ابن عربي الحاتمي.
- شرح صلاة القطب مولاي عبد السلام بن مشيش.
- شرح الحزب الكبير للإمام أبي الحسن الشاذلي.
- شرح همزية البوصيري وشرح بردة البوصيري.
- شرح الحِكم العطائية.
- شرح المباحث الأصلية.
- شرح وظيفة سيدي أحمد زروق.
- شرح خمرية ابن الفارض التي قال في أولها: شربنا على ذكر الحبيب مدامة.
- شرح قصيدة سيدي الرفاعي التي أولها: يا من تعاظم حتى رق معناه.
- شرح الأبيات الثلاثة التي أولها: توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر.
- شرح نونية الششتري في أربعة كراريس صغار.
- شرح بعض مقطوعات الششتري.
- شرح المنفرجة لابن النحوي.
- شرح تائية الجعيدي في كراس صغير.
- شرح الأجرومية جمع فيه بين النحو والتصوف عبارة وإشارة كصناعة التفسير.
- قصائد وتوشيحات في فن الخمرة الأزلية وما يرجع إليها جمعت في ديوان مستقل بعضها في تفسير المُلك والملكوت، وبعضها في شأن النفس والعقل والقلب والروح والسر وما يتعلق بذلك.
- كتاب صغير في الخمرة الأزلية.

- كتاب في حقائق التصوف فيه ثلاثة كراريس.
- أحزاب: حزب الحفظ والتحصن، وحزب العز والنصر، وحزب الفتح.
- كتاب الفهرسة: يتضمن ترجمة وافية لسيدي أحمد بن عجيبة.
- حاشية على مختصر خليل، لم يكمل.
- شرح على الحصن الحصين، لم يكمل.

توفي رضي الله عنه بقرية بوسْلامة في قبيلة غمارة، بقرب دار شيخه سيدي البوزيدي رضي الله عنه، وذلك يوم الأربعاء سابع شوال عام 1224 هجرية في حياة شيخه سيدي البوزيدي وشيخ شيخه مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهما، وبهذه القرية دفن، ثم نقل بأمر شيخه لقبيلة أنجرة قرية الزُّمِّيجْ التي تبعد عن مدينة طنجة بحوالي 25 كيلومتر، ولا يزال ضريحه يُزار للتبرك والدعاء عنده، وتحتفل الطريقة العجيبية الدرقاوية الشاذلية بموسمه حوالي 14 غشت من كل عام.

ترجمة أخرى لسيدي أحمد بن عجيبة

وهي لسيدي محمد بوزيان الغريسي

قال سيدي محمد بوزيان الغريسي المعسكري في كتابه " الطبقات":

(العلم المفرد، يتيمة نظم هذا العقد، عديم النظر في أمثاله، جبل النية والمحبة والصدق وخرق العادة والسيرة الحميدة، الذي لا يوجد في وقته من نسج والله على منواله، ولا رأينا ولا سمعنا من حام حماه من جميع أشكاله، مؤلف التآليف العديدة، ومقيد العلوم الغريبة المفيدة، العالم العلاّمة، الصوفي المشارك الفهّامة، العارف المحقق الجليل، الشيخ الكامل الجميل، الشريف البركة ولي الله تعالى أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة الأنجري بفحص طنجة حرسها الله. كان حُجَّة الطائفة الدرقاوية مبينا لأحكامها، وناشرا لأعلامها، سبر عن علومها، حتى صار ينبوعا لشموسها وأقمارها ونجومها، فتق رتق مقام علم اليقين وعينه وحقه، وما منح الله لكل فريق من خلقه. قد ألف نيفا وثلاثين تأليفا بيّن فيها الشريعة والطريقة والحقيقة، فبعضها كبير فيه مجلدات عديدة كالتفسير والطبقات وغيرهما، وبعضها فيه سفر كالحِكم

والمباحث والنونية وغيرها، وبعضها صغير الحجم غزير العلم كمائة حقيقة الذي أعطاه للشيخ الجليل الشريف الأصيل سيدي علي بن أحمد بوزان وللعلامة النحرير سيدي محمد الرهوني، وكتبه كلها مفيدة غاية. وله سفر مستقل على فاتحة الكتاب العزيز سماه البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ذكر فيه بعد مقدمات التفسير عند قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أنواع الحمد والشكر والثناء على الله تعالى وجلب في ذلك فوق ما يصف الواصف من العلوم اللدنية، وعند قوله تعالى ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ العوالم وأسماءها وأوصافها، وعند قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ أسماء الله الحسنى كلها وكيفية التعلق والتخلق والتحقق بكل اسم منها أمرا خارقا للعادة، وعند قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ يوم الجزاء ومراتبه ومواضعه ومواقيته وتنوع تجليات الحق فيه وتباين مقامات الناس يوم القيامة، وعند قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أسرار الشريعة والعبادة والطريقة، وعند قوله تعالى ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أسرار العبودية والحقيقة والمشاهدة، وعند قوله تعالى ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ حقيقة الطريق المستقيم وأحوال المنعم عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين والجرس والأقطاب والنجباء والأبدال والأوتاد والأفراد والقرباء وغير ذلك وما يعلم جنود ربك إلا هو رضي الله عنهم أجمعين، وعند قوله تعالى ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ جنود إبليس اللعين وأتباعه من اليهود والنصارى لعنهم الله ودمرهم واختلاف مللهم وآرائهم وافتراقهم على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار ومن أين نشأ جهلهم وفسقهم وأصولهم الخبيثة، فكان سفرا مستقلاً في الرباعي، وشرع حينئذ في التفسير على طريق الاختصار فبدأ بالفاتحة أيضا إلى أن ختمه فجاء في أربعة أسفار في القالب الكبير، كل آية لها ظاهر وباطن على طريق المحققين من المفسرين كالإمام ابن عطية والإمام البيضاوي وغيرهما، والإشارة كالقشيري والسلمي والورتجبي وغيرهم، ومِنْ فتوحاته وإلهاماته ومواهبه أكثر من ذلك على أضعاف مضاعفة، والحاصل هو أشهر من نار على علم يبعد مثلي أن يعرف به وبأمثاله وإنما التبرك بذكره.

كان بفاس حرسها الله في العشرة السابعة من المائة الثانية عشر وأقام بها مدة، ولقي بها فقهاء وصلحاء وقرأ عليهم حتى حصل له الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، وأكثر ملازمته للشيخ سيدي التاودي والفقيه الأجل سيدي محمد ارهوني صاحب الحاشية وأجازهما الشيخ المذكور في قراءة سيدي البخاري وغيره. لكن سيدي أحمد صاحب الترجمة بعد مدة لقي الصوفية أصحاب الباطن وهم أشياخنا رضي الله عنهم وأخذ عنهم وسلك مسلكهم وسكن ديرهم ونال خيرهم وفتحت له وعليه أسرار الحقيقة. قد كان قبل ملاقاته بشيخنا رضي الله عنه من أهل النسك الكبير والعمل الصالح الغزير والكرامات العديدة ورؤيته المصطفى صلى الله عليه وسلم. كان يقول تعلق قلبه بعض ليالي عرفة بالوقوف بها صبيحة تلك الليلة على طريق خرق العادة، فلما حضرت همته وقوي عزمه سمع هاتفا من قبل الحق يقول له: هل تريد الوقوف بعرفة أو المعرفة؟ فاختار المعرفة بالله لأنه كان له اعتناء بمطالعة كتب القوم واستشراف على أحوالهم وشرح لكلامهم من وراء حجاب ومحبة واشتياق لأذواقهم، فكان من قدر الله بعد ذلك قدم جمع غفير من إخواننا في الله فيهم الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي محمد بوزيد سائحين لتلك الناحية بإذن الشيخ [أي الشيخ مولاي العربي الدرقاوي] لهم رضي الله عنه فلما اجتازوا بقبيلة أنجرة وكان بها أخوه الفقيه الأجل العارف بالله عز وجل سيدي الهاشمي بن عجيبة ملازما لجامع قرية القصيبة فتيمه حالهم وأقلعه من موضعه وأخرجه عن قصده وإرادة نفعه وملئ باطنه بطلب ربه وطهارة سره ولبه حتى يشاهد بروحه وقلبه مكنونات غيبه فساح معهم حتى وصلوا مدينة تطوان حرسها الله، فسمع بهم وبه سيدي أحمد إذ كان ساكنا بها يدرس العلم فقدم عليهم في جماعة من الطلبة بقصد أن يذكرهم الله وينهاهم عن فعل مثل هذا الذي وقع بأخيه من الجذب وتركه شَرْطَه وخروجه عن طلب معاشه ويرد أخاه إلى موضعه، فوجدهم في حلقة الذكر وسيدي محمد بوزيد يذكر قائما وراء الحلقة فحين وصل إليه قبضه بيده المباركة ورماه في وسط الحلقة من دون الجماعة التي معه فانجذب من حينه وأشرق نوره فكأنه كان في قعر بئر فإذا هو برأس منار فضلا من الله ونعمة، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ ، فوقع به من أحوال الجذب خرق عادة، فقدموا على

الشيخ [مولاي العربي الدرقاوي] فأمرهم أن يلازموا سيدي محمد بوزيد وأن لا يعروا الحال معه وقال كلنا واحد، فكانوا يخدمونه ويخدمون الشيخ معه على الدوام في كل عام يأتونه مرتين أو ثلاثة، وفي كل مرة يلازمونه مدة إلى أن ماتوا رحمهم الله، وكان لا يشغلهم الحس عن المعنى، فهم يحضرون خدمة البادية للشيخ والدواية والقرطاس لا تفارقهم يحمل كل واحد ذلك على ظهره في قراب من الدوم وحين ترد على أحد معنى من المعاني يجلس ويقيد ذلك ويشرع في عمله الذي هو بصدده، وهكذا مرارا بالنهار رأيناهم على هذا الحال وكذلك بالليل، إذ هم أهل فكرة قوية وجد واجتهاد، وهكذا كان شيخ شيخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنهما سمعناه من الشيخ مرارا. وسمعت سيدي أحمد صاحب الترجمة رحمه الله يقول كانت له كتب عديدة فباعها كلها وبنى بها الدار المعلومة الكبيرة لسيدي محمد بوزيد التي بغمارة ببني سلمان قال سوى كتاب القاموس كان عنده لم يخرج عنه في ذلك الوقت إذ كان مراد الله منه ومراد الأشياخ أن يخرج إلى الخلق بالذكر والمذاكرة والتأليف فكان الأمر كذلك فحصل الإذن في أيام قليلة. سمعته يقول دخل في الطريق عام ثمانية من المائة الثالثة عشر، وفي إحدى عشر كان يؤلف تلك التآليف شرح الحِكم وغيره، وقد أخذ عنه في مدة يسيرة ما يزيد عن ستمائة فقير ما بين تطوان وأنجرة[1] والفحص[2] وطنجة ونواحيها وبني سعيد[3] وبني حسّان [4].

وسمعته يقول كنت نذكر اسم الجلالة الله بكيفية شروطه في الخلوة فإذا جالت نفسي في غيره نضرب رأسي ضربة حتى نكاد نغيب من شدة الدوخة والألم، قال وكان الشيخ الجليل سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يدخل لخلوته حزمة من القضبان ويشتغل بذكر الله تعالى فإذا جالت نفسه في المكونات فيأخذ قضيبا منها ويضرب رجليه حتى ينكسر وهكذا حتى يكسرها كلها ويأخذ أخرى كذلك حتى لا

(1) أنجرة: قبيلة تقع في المنطقة المتراوحة ما بين مدن طنجة وسبتة وتطوان.

(2) الفحص: السهل الممتد حتى جنوب طنجة.

(3) بني سعيد: قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم تطوان)، وتحد شمالا بالبحر الأبيض المتوسط.

(4) بني حسّان: قبيلة بناحية جبالة (إقليم تطوان).

تجول نفسه في المكونات. انظر أهل العزم والحزم والجد والاجتهاد، إذ لا شك أن من جَدَّ وجد، ومن أدمن السير وصل، قال الشيخ الجليل سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه:

وجُذ بسيف العزم سوف وإن تجُدْ تجدْ نفسا والنفس إن جُدْتَ جدَّتِ

وقال أيضا صاحب الترجمة كنت مسافرا مع بعض الفقراء قاصدا زيارة الشيخ فصلينا العصر بشاطئ البحر وأرادوا السير، فأقسم عليهم لا يبرحون من مكانهم إلا إن أخـــبروه بمعنى قول سيدي علي الجمل رضي الله عنه: كل شيء ظنوه الناس إلا كونهم يذكرون الله تعالى على هذا الكون حتى يذهب ويتلاشى ولم يبق إلا المكون سبحانه كما هو في حقيقة الأمر فلم يظنوا ذلك، وإنما سألهم عن هذا السؤال لأنهم أهـــل معرفة وشهود وعيان، قال فقالوا له لا تظن أن هذا الكون يذهب ويتلاشى أفلاكـــه وسماؤه وأرضه وما هو ثابت بإثبات الحي فهذا لا يظنه عاقل وإنما النظرة تنقلب ويذهب الجهل ويثبت العلم الحقيقي ويكاشف الولي بما هو الأمر عليه فقوي نور الإيمان وأشرقت شموس الإيقان فأذهبت ظلمة الأكوان وحصل الشهود والعيان، ففهـــم مـــا أشـــاروا إليه وقال قوموا بنا الآن نسافر. وسمعت منه من الفوائد خرق العـــوائد، إذ كنت نسأله عن المسائل الغريبة كثيرا ويجيبني جوابا شافيا كافيا مفيدا، وســـألته مرة هل يحيط العارف بالله علما فقال لي إجمالا حطنا به ففهمت أنه يشير إلى أن العلم بأمر الله ومن الله هو تفصيلي بين العبد وربه لا يتناهى ولا يحاط به في الدنـــيا ولا في الآخـــرة في حق كل مخلوق ولا ملَك مُقَرَّب ولا نبي مرسل ولا ولي عـــارف كامل مكمل، ولا يحيطون بشيء من علمه، ولا يحيطون به علما، قال في المباحث:

والعلم لو كانت عنده نهاية يوقف عند حدها وغايـــة

ما كان أزكى مرسل وأسما قيل له قل رب زدني علما

والعلم بالله هو علم إجمالي في وقت مخصوص لا يسعني فيه غير ربي كما قال عليه السلام، فحال العبد فيه السحق والمحق والدهش والتلاشي في كبرياء الحق جل جلاله

وهو المعني عندهم بالفناء والوصول وشهود الجمع وجمع الجمع، قال تاج الدين[1] (وُصولُك إلى الله وصولك إلى العلم به، وإلا فجَلَّ ربنا أن يتصل بشيء أو يتصل به شيء) وقال أيضا (الأكوان ثابتة بإثباته، وممحوة بأحدية ذاته)، والأحدية مبالغة في الوحدة بحيث لا يتخيل فيها وجود الاثنينية فكيف يكون النقص والزيادة في العلم والعمل والتفاوت أو الفرق بين شيء وشيء، وكنت حين هذا السؤال قادما معه على الشيخ[2] رضي الله عنه إذ كان قريبا منا وهو يتذاكر مع جم غفير من الإخوان فيهم سيدي محمد بوزيد وسيدي الهاشمي بن عجيبة وسيدي أحمد الأغزاوي وسيدي أحمد بن محمد ين روح وغيرهم من أهل الجبل وتطوان والفحص وكنا بتارغة بحَجَر لا إله إلا الله[3] بساحل البحر فوجدناهم يذكرون المشاهدة وصدمتها فقال سيدي أحمد للشيخ سيدي مولاي العربي: يا سيدي المشاهدة تتقوى في أهل الكفر أكثر من أهل الإيمان إذ الإيمان ستر لها كالمكب على المائدة فسمعه الشيخ لكن استفهمه ثانيا أو ثالثا والله أعلم كعادته وقرب منه لأنه كان يقول ويقسم بالله أن النية والفترة التي فيه ما رآها أبدا في أحد من أقرانه علماء وفقراء قط وعند ذلك تبسم الشيخ وقال: كان شيخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه يقول (النور العظيم لا يخرج إلا من الظلمة العظيمة)، ففتح سيدي أحمد عينيه كثيرا وتبدل لونه وقال هذه أحسن هذه أحسن وكررها مرتين أو ثلاثة يعني عبارة سيدي علي أحسن من عبارته. وسألته هل الأولى والأفضل للمريد الإكثار والاستهتار من ذكر لا إله إلا الله أو تلاوة القرآن العظيم؟ فقال للناس مقاصد: أما طالب الأجور والحور والقصور فتلاوة القرآن أولى له لأنه جاء في كل حرف في الصلاة قائما خمسون حسنة ونصفها للقاعد وغيرها لكل حرف عشر إلى غير ذلك، قال وصاحب رفع الستور ودوام الحضور ينبغي له الإكثار والمداومة على ذكر لا إله إلا اللـــه ليسرع إليه تأثير الجمع

---

(1) تاج الدين: أي سيدي ابن عطاء الله الإسكندري.

(2) أي الشيخ مولاي العربي الدرقاوي.

(3) تارْغَة: قرية تقع جنوب شرق مدينة تطوان، وتوجد بها حَجَر لا إله إلا الله.

وتأخذ باطنه لوامع وطوالع الحقيقة، قال وهذه المسألة تكلم الناس فيها قديما وحديثا وفيها اختلاف بين أهل الظاهر والباطن وأهل البداية وأهل الوسط والنهاية وكان شيخ أشياخنا سيدي أحمد زروق رضي الله عنه ينكر على الفقراء في زمانه الإكثار من ذكر لا إله إلا الله دون تلاوة القرآن ويقول إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، قال والتي هي أقوم هي لا إله إلا الله، ولما طالت مراسلته لطريق الصوفية رضي الله عنه وسَلك وسَلَّكَ الناس على منهاجهم صار يقول لا بد للمريد المبتدئ الإكثار من لا إله إلا الله ليتحد قصده وينجمع على الله همه ومطلبه. وقال لنا مرة لا ينبغي الإكثار من الكلام في الحقيقة ويكفي فيه قول الله تبارك وتعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: 3] وقول النبي صلى الله عليه وسلم (كان الله ولا شيء معه) قال وزاد فلان الفلاني وسمَّاه ونسيته أنا (وهو الآن على ما عليه كان)، قال والكلام عندنا طويل وعريض في سلوك الطريق وأصولها، وأستاذ الطريق قال وإمامها هو الشيخ سيدي زروق رضي الله عنه وقد قال أصول طريقتنا هذه خمس، وصار يتكلم على كل أصل منها بما يبهر العقول وقد شرحها كما شرحها الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي محمد بن سعيد الهبري الطرابلسي الخروبي رضي الله عنه وغيرهما من المشايخ رضي الله عنهم أجمعين. وسمعنا منه فوائد غزيرة ومن إخواننا وأشياخنا لكن التوفيق من الله، وقد كتب لي مرة حال القراءة باللوح فاتحة الكتاب وصدرا من سورة البقرة إذ كنت خرّجت السلكة[1] وأردت الاستفتاح على يده تبركا ومرة أخرى لم أكن منها على يقين فالله أعلم.

توفي رحمه الله بدار شيخه سيدي محمد بوزيد بغمارة زائرا، وبقي بعدما أدرج في كفـــنه وتابوته بلا دفن ثمانية أيام ينتظرون قدوم أخيه سيدي الهاشمي فلما وصل إليه في اليوم الثامن مرض في ذلك اليوم وبعد ثمانية أيام توفي هو أيضا، ودفنا معا عند شيخهما، لكن بعد عدة أيام عديدة طلب أصحاب سيدي أحمد من سيدي مـــحمد

---

(1) خرَّجْتُ السلكة: أي أكملتُ قراءة القرآن أي ستين حزبا.

بـــوزيد أن يـــنقلوه إلى زاويته بأنجرة، فزعموا أنه أذن لهم فأنقلوه وذهبوا به ليلا ويكمنون بالنهار خوفا من غمارة إلى أن وصلوا تطوان حرسها الله فتلقته ابنته وأهله وأحباؤه خارج السور فتبركوا به وزاروه وحملوه إلى زاويته بأنجرة المسماة بالزُّمِّيج فـــدفن بهـــا، وبعـــد سنين وقف مناما على بعض أهله وقال إن الماء قد وصل إليه فحفروا فوجدوا الأمر كذلك وصل الماء إلى تابوته فأصلحوا ذلك. وكان قليل اللحم يـــابس الجلـــد على العظم من كثرة المجاهدة والزهد والورع، ويلبس جلابة وسلهام مـــرقعة كما هو عند فقراء درقاوة ومظمة[1] عريضة من الدوم يجمع بها جسده عند الكـــتابة وحلقـــة الذكـــر، وكنا لا نقدر قدره في حلقة الذكر إذ كان يتبدل حاله ويشخص بصره ويذكر بجد وجذب وقوة خارقة للعادة، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركاته آمين).

ترجمة سيدي الهاشمي (أخ سيدي أحمد بن عجيبة)

لسيدي محمد بوزيان الغريسي

قال سيدي محمد بوزيان الغريسي المعسكري في كتابه " الطبقات":

(الفقـــيه الأستاذ الشيخ الأجل، المحترم المبجل، العارف بالله عز وجل، سيدي الهاشمـــي بن عجيبة. كان قوي الذكر والمذاكرة، قد أطلق الله لسانه بالتعبير بالحس علـــى المعنى وضرب الأمثال، وأزاح الاشكال، قد أذن له في الكلام للخاص والعام فجلـــيت في مـــسامع الخلق عبارته، وجليت إليهم إشارته، فتاب على يده كثير من العصاة وذكَّر الغافلين ونبَّه الناسين ودخل منهم طريق التصوف عدد كثير من إخواننا بـــني حـــسّان وأهـــل العدوتين سلا ورباط الفتح والفحص والجبل والريف وقلعية والتلمسان ونواحيها أكثر من أخيه سيدي أحمد مذاكرة وسياحة ونفعا والله أعلم. له تقايـــيد من المعاني كثيرة بيد أصحابه وأهله، وقد رتب للفقراء آدابا وحقوقا، ومن ترك شيئا يقبضون الحق منه، فمن لم يحضر حلقة الذكر أو صلاة الجمعة أو قام من

(1) مظمة: أي حِـــزَام.

حلقة حزب الادارة وإن كان أميًّا وجلس وترك الاستماع للقراءة واشتغل بسبحته أو من نفخ في الطعام أو الشراب كاللبن وغيره أو من السروال أو لبسه بمرأى من الناس أو غسله أو نشره حيث يراه أحد أو قهقه أو خرج عن أسلوب المذاكرة ولم يناسب الكـــلام وأمـــورا كثيرة رتب عليها حقوقا كدرهم في بعضها أو أكثر، وينهى عن الجلـــوس متـــربعا ولا يجلس إلا كهيئة التشهد ولو جلس النهار كله وكذلك أخوه ســـيدي أحمـــد. وقد توفي بزاوية شيخه وبحضرته وهو بها إلى الآن وفي آخر خمسة وعشرين والله أعلم كما تقدم تقريبا في ترجمة أخيه، رحمهم الله ورضي عنهم ونفعنا بهم وبأمثالهم آمين والسلام).

تـــنـــبـــيه: سيدي محمد بوزيان الغريسي المعسكري هو من تلاميذ الشيخ مـــولاي العـــربي الـــدرقاوي، ومدفون في فاس، وترجمته مذكورة في كتاب [سلوة الأنفاس] للشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني.

الدعاء العظيم الذي صدر من سيدي محمد البوزيدي مع السادات أولاد ابن عجيبة

قـــال سيدي أحمد بن عجيبة، بخصوص زواج شيخه سيدي محمد البوزيدي، في كتابه " الفهرسة ":

(ثم خطـــب لـــه ابن عمه سيدي محمد بن علي بوزيد من الشريف الرحموني، فجهزنا له أنا وأخي [سيدي الهاشمي] بمائة وأربعين مثقالا وصحفة من القمح وثور ومـــا يقيم ذلك، فلما قدمنا بها وأردنا الانصراف رفع يديه مع من حضر من الفقراء فقال: **بارك الله فيكم وفي ذريتكم وأولاد أولادكم ومَنْ تعلقَ بكم إلى يوم القيامة.** وكـــنـــت سمعـــت هاتفا حين كنا نشتري له الكسوة يقول: اصبروا فدعوة منه تخدم عليكم وعلى أولادكم. فكانت تلك الدعوة التي ذكرنا).

قال لي الفقيه القروق:

قـــال الفقـــيه سيدي أحمد بوزيد: (العجيبيون كلهم أولياء ذكورا وإناثا، لكن التـــصرف لا يكون إلا عند واحد منهم. التصرف كان عند سيدي أحمد بن عجيبة،

ثم انتقل إلى ولده سيدي الحاج عبد القادر، ثم إلى سيدي المختار [وهو ابن سيدي أحمد- دفين طنجة – بن سيدي أحمد بن عجيبة]، ثم إلى سيدي عبد السلام بن سيدي الحاج عبد القادر، ثم إلى سيدي أحمد بن سيدي المختار، ثم إلى سيدي عبد القادر بن سيدي عبد السلام بن سيدي الحاج عبد القادر).

قال لي شيخي سيدي حمزة شقور نفعنا الله ببركاته:

– أولاد ابن عجيبة تقريبا كلهم أولياء، المشهور منهم والغير المشهور.

– خمسون قطب مدفونون في الزميج، وكلهم أولاد ابن عجيبة. سيدي الحاج عبد القادر بن عجيبة وحده غوث في الزميج.

سيدي عبد القادر بن سيدي عبد السلام بن سيدي الحاج عبد القادر بن سيدي أحمد بن عجيبة، كان أيضا غوثا، وهو مدفون في غدير الدفلة.

– سيدي الحسين شقور: ولي ما بين الجذب والسلوك، وله أحوال غريبة.

رأى سيدي الحسين شقور رؤيا، وحكاها لي: (رأى عددا كبيرا من الناس، فقال: مَنْ هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء أولياء وكلهم أولاد ابن عجيبة، فاستغرب من عددهم، وعددهم أكثر من ثلاثمائة ولي: عمائمهم تغطي رءوسهم، والتسابيح في أيديهم). هذه الرؤيا وقعت في سنة 1999م.

التسابيح: أي السُّبُحَات وهي جمْع سُبْحَة.

قال لي سيدي الحسن العمراني الشَّرْفْ (أحد كبار تلاميذ الشيخ سيدي عبد القادر ابن سيدي عبد السلام بن عجيبة):

إذا كان السِّرُّ في بغداد أو الصين، ولم يكن له وارث، فإنه ينتقل إلى أولاد ابن عجيبة.

رؤيا سيدي إبراهيم الغماري في عالم المرائي لسيدي محمد البوزيدي

قال الشيخ الجليل سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه " سلوة الأنفاس" عند ترجمته لسيدي إبراهيم الغماري:

(ثم رجـــع إلى بلده فتعلقت همته بطلب شيخ يسلك به إلى الله تعالى، واستخار الله تعـــالى في ذلـــك فـــأراه الله في منامه الولي الصالح سيدي محمد البوزيدي الشريف الغماري فقال له أنت منا وإلينا ثم أشار عليه بصحبة الـــولي الصالح الشهير الواضح الـــشيخ العلامة الكامل العارف المحقق الواصل أبي العباس سيدي الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري الحسني).

هـــذه الرؤيا وقعت عام 1240 هجرية، ومعلوم أن سيدي محمد البوزيدي توفي عام 1229 هجرية.

ترجمة سيدي إبراهيم الغماري

قال الشيخ الجليل سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه " سلوة الأنفاس":

(الفقـــيه الأستاذ المُجوِّد الصالح، البركة المرشد الخير الناصح، المُعلم لكتاب الله، والـــدال علـــى الله، أبو إسحاق سيدي إبراهيم بن علي بن الحسن الغماري الحسني الإدريسي. نشأ رحمه الله ببلده من قبيلة غمارة، وقرأ بها القرآن المجيد وأخذ القراءات عـــن شـــيوخ عديدة من أهل التجويد، ثم قدم مدينة فاس فطلب بها شيئا من العلم وكـــان جل حضوره بها على الفقيه العلامة سيدي عبد السلام الأزمي، ثم رجع إلى بلـــده فتعلقت همته بطلب شيخ يسلك به إلى الله تعالى واستخار الله تعالى في ذلك فأراه الله في منامه الولي الصالح سيدي محمد البوزيدي الشريف الغماري فقال له أنت مـــنا وإلينا ثم أشار عليه بصحبة الولي الصالح الشهير الواضح الشيخ العلامة الكامل العارف المحقق الواصل أبي العباس سيدي الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري الحسني المتوفى ضحوة يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الأولى عام اثنين وستين ومائتين وألف وهـــو أحـــد كبار أصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. فلما استيقظ من منامه ذهـــب إليه وجمع شمله عليه فلقنه ورده وهو أستغفر الله مائة اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مائة لا إله إلا الله وحده لا شـــريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة، ولقنه أيضا الاسم المفرد وهو الله بتشخيص حروفه الخمس من غير عدد، وذلك في نصف شعبان من عـــام أربعين ومائتين وألف فاشتغل به فحصل على معانيه في أقرب مدة وهي أحد

عشر يوما أو اثنى عشر يوما، وشهد له أسرارا عظيمة وبركة جسيمة، ولازم شيخه المذكـــور إلى أن نـــال منه ما نال من المعارف وصفاء الأحوال، ثم رحل إلى مدينة تطـــوان وبقي بها مدة من الزمان، ثم انتقل إلى فاس واستوطنها وكان له بها أحباب وتلامـــذة وأصحاب. وكان أعجوبة زمانه في المذاكرة والجد والتقشف، ذا أخلاق كـــريمة، وأحوال مستقيمة، يميل إلى الخمول، ويقول إنه من أعظم أسباب الوصول، لا تكـــاد تراه إلا تاليا أو ذاكرا، أو متذاكرا أو متفكرا، ولا يتذاكر مع أحد إلا على قدر فهمه وعقله، ولا يعطي فنًّا لغير أهله. وله كتاب في التصوف سماه (نصرة الدين وبهجـــة السالكين ومفتاح الواصلين) فرغ منه عشية يوم الأربعاء حادي عشر شوال عام أربعة وثمانين ومائتين وألف، وذكر فيه أمورا مما أكرمه الله به كرؤيته للنبي صلى الله علـــيه وســـلم مـــناما مرارا متعددة ويقظة مرتين، قال وأعطاني مرة سبحتـــيْن أعطـــيهما للناس وذلك في العشية التي أذن لي الشيخ أن أعطي الأوراد للناس، ومرة أخرى رآه ومعه الخلفاء الأربعة، وكرؤيته للحق تعالى مرارا متعددة قال ومرة أعطاني فـــيها كـــتابا منـــشورا من أوله إلى آخره فأوَّلته بالقرآن العظيم الذي أكرمنا الله به وبالطريقة الشاذلية وهي طريقة الكتاب والسنة، وكرؤيته لسيدنا جبريل عليه السلام مرة وهو يمسح على وجهه ويقول السر والستر، ورؤيته لسيدنا الخضر يقظة لا مناما يوم الجمعة في مدينة تطوان ولقنه هذا التسبيح وهو: سبحان الأبدي سبحان الواحد الأحد سبحان الفرد الصمد سبحان مَنْ رفع السماوات بغير عمد سبحان من بسط الأرض علـــى ماء فجمد سبحان من خلق الخلق وأحصاهم عدد سبحان من قسم الأرزاق ولم يـــنس أحد سبحان من لم يتخذ صاحبة ولا ولد سبحان من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد، وكرؤيته أيضا لسيدتنا فاطمة الزهراء وللحَسَنَيْن ولأبي الحـــسن الشاذلي وللشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، وتذاكر مع الشاذلي مذاكرة كـــثيرة قـــال له في آخرها القبضة في يديك صحيحة، وكرؤيته مرة لسيدنا إبراهيم الخلـــيل علـــيه الـــصلاة والسلام وهو مستند إلى البيت الحرام، ومرة أخرى لطريق الـــصوفية وهي مطوية بيده، ومرة أخرى لسيدنا هارون عليه السلام وقال له أنت قطب وقتك، ومرة أخرى لشيخ شيخه مولاي العربي الدرقاوي وهو يقول له أنت

آخـــر أولياء وقتك، ومرة أخرى للحق سبحانه وهو يقول خذوا تجويد القرآن عن هـــذا وأشـــار إليه، إلى غير ذلك مما ذكره فيه. ومما ذكره فيه أيضا قال **حكى عن الولي الصالح سيدي الحسن الخمسي رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي أنت من أصحاب مولاي العربي الدرقاوي قلت سيدي نعم فقال عليه السلام: إن الله اختار أمتي من سائر الأمم واختار أصحاب مولاي العربي من ســـائر أمتي، وحلف بالله أن هذا لسمعته مشافهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كذب فعليه لعنة الله.** توفي رحمه الله ضحوة يوم الثلاثاء الموفى عشرين مـــن ذي الحجـــة الحرام عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، وصُلي عليه بعد هبوط العـــصر بجامع الأندلس ودفن بهذا الخارج قريبا من قبة سيدي عبد الوهاب التازي يسار الطالع من الطريق الذاهبة لسيدي علي حماموش رحمه الله تعالى).

سيدي إبراهيم الغماري مدفون في مدينة فاس، في المغرب.

بين شيخي سيدي محمد المرون وسيدي محمد البوزيدي

ازداد شـــيخي سيدي محمد المرون رضي الله عنه ونفعنا ببركاته فجر ليلة اثني عشر من ربيع الأول عام 1322 هجرية، وتوفي رحمه الله بمدينة تطوان يوم الثلاثاء 22 شوال عام 1416 هجرية موافق 12 مارس 1996 ميلادية.

كـــان رضي الله عنه يقول لي: سيدي ابن عربي الحاتمي هو الشيخ الأكبر بالمشرق، وسيدي محمد البوزيدي هو الشيخ الأكبر بالمغرب.

أخـــبرني شـــيخي سيدي محمد المرون بأنه كان في زاوية سيدي محمد الحَرَّاق بمديـــنة تطوان في المغرب، يوم الجمعة، وبينما قامت العِمَارة (العمارة أي الحضرة) إذ دخل سيدي محمد البوزيدي وتَوَسَّط حلقة العِمَارة، والناس لا يرون سيدي محمد الـــبوزيدي، ثم توجه شيخي سيدي المرون إلى سيدي البوزيدي وطلب منه المدد، فاشـــترط ســـيدي الـــبوزيدي على سيدي المرون أن يُجَدِّد بناء زاويته الواقعة في بوسْلامة بقبيلة غمارة، لأن الشريعة تمنع سيدي البوزيدي من الظهور.

وبالفعل جَدَّد سيدي محمد المرون بناء زاوية الإمام البوزيدي رضي الله عنهما فامتلأت زاوية سيدي البوزيدي بالمريدين والفقراء حيث مجالس الذكر والمذاكرة والعلم اللدني، وظل سيدي المرون يشرف حوالي عشرين سنة على هذه الزاوية، إلى أن مرض سيدي المرون ولم يعد يستطيع السفر من مدينة تطوان إلى قبيلة غمارة.

أخبرني شيخي سيدي المرون بأن سيدي البوزيدي لم يفارقه أثناء تلك المدة.

سيدي البوزيدي هو مفتاح الحج لشيخي، حيث حج شيخي سيدي المرون أربع مرات.

أخبرني شيخي سيدي المرون بأنه التقى مرارا بتلاميذ سيدي البوزيدي من الروحانيين والجن.

قال لي سيدي حمزة شقور رضي الله عنه:

(أخبرني سيدي محمد المرون بأنه ذات يوم كان في مدينة تطوان، قرب جامع الباشا، فإذا به يجد نفسه في قرية تارْغَة (قرب مدينة واذْ لاوْ) فدخل في باخرة صغيرة فيها مولاي عبد السلام بن مشيش وسيدي محمد البوزيدي وسيدي أحمد بن عجيبة وسيدي محمد الحراق، فأمَروه ببناء زاوية سيدي محمد البوزيدي في بوسْلامة في غمارة. وقع هذا كله يقظة وفي النهار).

أكرمني الله بالذهاب مع شيخي سيدي محمد المرون إلى ضريح سيدي محمد البوزيدي الواقع قرْب السْطِيحَاتْ. قرأ شيخي ما تيسَّر من القرآن، وقرأ صلوات على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وقرأ أذكارا. وقال شيخي مخاطبا لسيدي محمد البوزيدي: أسيدي محمد البوزيدي إني أهدي ثواب ما قرأتُه إلى شيخك مولاي العربي الدرقاوي.

مقتطفات من رسائل شيخي سيدي المرون إلى الفقراء والمحبين بزاوية سيدي محمد البوزيدي في بوسْلامة بقبيلة غمارة.

- قال شيخي سيدي المرون رضي الله عنه في إحدى رسائله:

(نسي.....ما جرى لي مع الإمام البوزيدي في وسط البحر، وما وقع لي معه في الرسـالات، وما وقع لي معه في زاوية الحراق، وما وقع معه في الديوان، وما وقع بيني وبينه في زاوية بوسلامة).

- وقال شيخي سيدي المرون:

(أمْـلاك الإمام الأكبر سيدي ومولاي محمد بن أحمد البوزيدي: أملاك زاوية بوسْـلامة، ثم زاوية غرغاز التي دفن فيها، وزاوية اجنانيش، حَبَّسهم في حياته قبل مـوته بعـشرين سنة وملَّك أملاكه للفقراء المتجردين الذين اجتمعت فيهم شروط طـريق التصوف: الآذان والجَلالة[1] في كل وقت الصلاة والصلاة جماعة والحِزْب[2] والاسـم[3] والوِرْد[4] والعِمَارة وتدريس العلم والذكر والمذاكرة في علوم التصوف والتوحـيد والشمائل في الأخلاق والخلق والآداب مع الله ومع عباده، فهذه وصية الشيخ للفقراء حَبَّس أملاكه إليهم وقسمها على ثلاث: قسم لشيخه مولاي العربي - الـدرقاوي - وقسم للفقراء وقسم للمكلف بشؤون الخدمة لهذه الأملاك، وقال من بَـدَّل أو غيَّـر أو زاد أو نقص فالله محاسبه، وأمر الشيخ الفقراء أهل التجريد وأهل الأسباب وقال لهم هذه وصية طوقتكم بها أمام الله وأمام الرسول بخدمة هذا المقام كـنت حيًّا أو ميتا قوموا بخدمته أحسن قيام في بنائه وغرسه وفلاحته وقوموا بحق

---

(1) الجلالة: أي ذكْر لا إله إلا الله.

(2) الحزب: أي قراءة حزب من القرآن بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب.

(3) الإسم: أي قراءة الإسم المفرد وهو ألله.

(4) الورد: يعني ورد الشيخ مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية.

الضـــيوف والـــزوار بما كانوا يحتاجون إليه كانوا قريبين أو بعيدين وتأدبوا مع الكـــبير والصغير واجعلوا موسما في بداية كل شهر وكل عام يوم عاشوراء لأن فيه توفي عام 1229 هـــ، وتوفي شيخه عام 1239 هـــ).

- وقال شيخي سيدي المرون في رسالة أخرى:

(هذا المقام وصاحبه قال في حقه مولاي العَرْبي الدرقاوي:**"عشرة من العَرْبي لا يَـــزِنون الإمـــامَ البوزيدي"**، وقال: **"نجمُنا في سماء الدنيا ونجم البوزيدي في الـــسماء الرابع"، لأن الله اختصه بمقام التجريد والتفريد لم يصل إليه أحد غيره إلا ابن مشيش)**.

- وقال شيخي سيدي المرون في رسالة له إلى الإخوان بزاوية بوسلامة:

(الحمـــد لله وحـــده، ولا يدوم إلا ملكه، إلى كافة إخواننا في الله السادات الفـــضلاء الأجلاء الكائنين بزاوية أبي سلامة للإمام الأكبر سيدي ومولاي محمد بن أحمد البوزيدي.......وجميع الإخوان ذكورا وإناثا كل واحد باسمه، اقرؤوا إليهم مني الـــسلام، وأخصهم بالتحية والإكرام، وقولوا لهم فإني على خبر مما أنتم فيه وعليه، فماذا بعد البيان بيان، وليس الخبر كالعيان. مَنْ زرع الروح والحياة في هذه الأرض بعـــد مـــوتها فأحيى الله به البلاد والعباد؟ منْ زرع الحب والمحبة والشوق في قلوب الإخـــوان ذكـــورا وإناثا حتى سارت الوفود تتوارد على هذا المقام ليلا ونهارا؟ من زرع الـــروح والحـــياة في هذه الزاوية حتى قامت بنفسها وكل من زارها قامت به أحسن قيام ومدته بما يحتاج إليه من أمداد حسية وأمداد معنوية، ولو طلب في هذا المقام أَلْفُ ألفِ طالب مدتهم العناية الإلهية بما يحتاجون إليه في نفس الوقت يدا بيد، هـــل جهلـــتم هـــذه الـــيد التي خصها الله في هذا المقام دون غيره من العطايات والتفـــضلات والكـــرامات حسية ومعنوية. أما الكرامات الحسية، أين كانت هذه الـــزاوية قـــبل هذا الوقت وأين كانت هذه الجموع قبل هذا الوقت في هذا المقام السعيد).

في هذه الرسالة، يتحدث سيدي المرون بنعمة ربه عليه.

- وقـــال شـــيخي سيدي محمد المرون في رسالة له إلى مُقَدَّم زاوية بوسلامة

سيدي المُبَارَك التُّجْكَانِي:

(الحمـــد لله وحـــده، ولا يدوم إلا ملكه، حضرة الشريف الظريف الأديب المفكر النبيل، الذي خصه الله بمفاهم التنزيل، ولاحت عليه سيمة القبول، وغاصت أفكـــاره في أرض الـــسفل، وترك عنه السُّبُل، وفتحت له أبواب الوصول، سيدي المـــبارك التجكاني المُقَدَّم، قدَّمه الله لكل خير، وباعد عنه كل شرور.....قال عليه الـــسلام (إن في دهركم لنفحات فتعرضوا لها)، ومن تمام النفحات حلتْ بدياركم أحْـــيُوا هذه الزاوية البوزيدية الدرقاوية. من أحياها بالمادة الحسية أو المعنوية أو هما معـــا أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب وأحياه الله بالعلم والفهم عن الله ووسَّع عليه حـــسا ومعنى، قال الله جل جلاله [أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وأنا معه إذا ذكرني]. كل من تسبب في فتح هذه الزاوية وعمارتها أعطاه الله ما لا عينٌ رأتْ ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لأنه تسبب في إحياء هذه الزاوية بعد موتها مدة من السنين وتسبب في اجتماع الإخوان على محبة الله ومحبة رسوله).

- وقال شيخي سيدي المرون في رسالة أخرى:

(الحمد لله وحده، ولا يدوم إلا ملكه، إلى كافة إخواننا الأجلاء الفضلاء الكائنين بزاوية بوسلامة الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، فالذاكر يناجي ربه، والله جليس من ذكره، فهنيئا وبشرى لكم يا فقراء زاوية بوسلامة لأن الله اختاركم في سابق علمه وأزله وأخرجكم من العدم إلى الوجود.....،لأن العناية الإلهية حفت بكم وبزاويتكم، كل من دخل إلى زاويتكم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا قال عليه الصلاة والسلام (هم القوم لا يشقى جليسهم).... فلما أدركت العناية الإلهية نادى سيدي البوزيدي على العروسي(1) من تطوان أدْرِكْ زاويتي... وأنقذها وأنقذ صاحبها من يد المخربين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ...﴾ .

(1) العروسي هو شيخي سيدي محمد المرون، لأن أصلْه من قبيلة بني عروس في المغرب.

والآن يا أيها المبارك حزمْ...واذكر وذكّرْ وتعلمْ وعلّم الناس... وابك على ما فاتك في محبة الله، ولا تبك على ما ضاع من يدك من الدنيا، لأن سيدي البوزيدي كان يبكي على النفَس الواحد خرج من غير تلاوة أو ذكر أو دعاء أو تصلية أو توسل أو مناجات أو أذكار أو أوراد أو تفكر أو تدبر أو خضوع أو خشوع أو مراقبة أو شهود أو عيان، والآن ارسمْ في قلبك هذا كله......

أما علمتم أن سيدي البوزيدي صاحب الجد والحزم والعزم وعينه حمراء، كذلك أصحابه كلهم عيونهم حمراء، ومْحزمين على الجلابة بالطوالات[1]، ويطوفون في الأسواق والمحافل، لا يخشون في الله لومة لائم، لذلك قال رضي الله عنه (بدايتنا فاقتْ نهاية غيرنا)، لأن ورود الأمداد على قدر الاستعداد. ثم قال: المريد الصدِّيق في الأسبوع الأول يُفتَحُ عليه (كما وقع للمُبارَك في الأسبوع الأول فُتِحَ عليه) وإلا في الأسبوع الثاني وإلا في الثالث. وإن لم يُفتَح عليه فليبك على نفسه من الحرمان لأنه قال رضي الله عنه (منْ نظر فينا بقلبه نظرنا فيه بقلبه)، ونظرة القلب مشتقة من النظرات التي ينظرها الله في كل ساعة ينظر في أهل محبته ثلاثمائة وستة وستين نظرة، مَنْ صادَفَ هذه النظرات وقلبه مطمئن بالإيمان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا....والآن يا أيها السيد محمد المُبَارَك التجكاني أحيِّيك بالسلام وأخصك بالتحية والإكرام، قال شيخ شيخنا مولاي العربي الدرقاوي لسيدي البوزيدي (**البوزيدي في غنى عنا ونحن لا نستغني عنه**)، لأنه مفتاح، والمفتاح هل يستغني عنه أحد، فكل من أراد الدخول إلى الدار لا بد له من المفتاح.

...الفقير الصدِّيق متزوج بزوجيْن: المرأة في الدار والزاوية، أما المرأة تقوم بشؤون ذاته، وأما الزاوية تقوم بشؤون روحه. والآن سلمْ على جميع الإخوان وسلمْ عليهم بالكثرة وقل لهم من فضلكم اسمعوا وَعُوا: من الآن فصاعدا الفطْرَة[2] وجلود الأضحية والزكاة والعشور والصدقات والهدايا والوعدات والذبائح: الزاوية هي أولى

(1) محزمين على الجلابة بالطوَالاَت: الطوَالْ هو الحبل، وهذه علامة على الحزم والعزم.

(2) الفطْرَة: أي صدقة عيد الفطر، بعد صيام شهر رمضان.

بهذه الفتوحات من غيرها، لأن الزاوية هي أم الفقير، وأبوه هو الشيخ، وإخوانه هم الفقـــراء بهم يصول ويجول في السراء والضراء، فالإخوان أغناهم الله عن معاملات الخـــاص والعـــام إلا الزاوية، ومن تعامل مع غير الزاوية وأهلها والله لا أسامحه، لأن معـــاملات الغـــافلين لا تـــزيد بها إلا بعدا من الله، ثم قال: الذين كفروا – بزاويتنا وطـــريقتنا– يـــنفقون أمـــوالهم ليصدوا عن سبيل الله. والآن يا أخي أرسل لأهْل *أدلـــدال* وأخبرهم بهذه الرسالة واقرأها عليهم واكتب لهم نسخة ومكّنهم بها وقل لهم يجمعوا الفِطْرَة في صبيحة العيد ويحصنوها ويقدم بها ثاني العيد لزاوية بوسلامة، وأرســـل لجميع *بني فنـــزير* الخاص والعام وقل لهم الجَمْع يوم ثاني العيدْين كلهم الـــصغير والكـــبير والمولد والعاشور والنسخة وليلة المعراج، فاغتنموا هذه الفرص وهذه النفحات، قال (إن في دهركم لنفحات فتعرضوا لها)....وابْنـــُوا السواري في الحائط ليزول ذلك العوج من الحائط، اغتنموا هذه الفرصة في هذا العيد، واجتهدوا في بناءٍ على ظهرها أو حَوْلَها، مَنْ جَدَّ وجد).

– وقال شيخي سيدي المرون في رسالة له إلى الإخوان في بني فنـــزير:

(أما قضية المُبارَك، مريض عافاه الله، ونجاه من الغم والهم، وبدَّله الله بالعافية الشاملة حسًّا ومعنى، ونال فوق ما طلب على الله حتى ركب في طائرة تطير بغير ريش ولا محرك إلى أعلى عليين، قال تعالى في معناها ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ ﴾ وقال في حق هذه الطائرة ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ ....هذه الطائرة التي طار فيها المبارك طائرة البداية، ثم طائرة أهل الوسط، ثم طائرة أهل النهاية، فالطائرات الحسية تطير في الهواء بالتيار والآلات المحرِّكات، كذلك الطائرات المعنوية تطير بالتيار المعنوي وهو النور المحمدي الذي طارت به الانبياء والرسل والصحابة والأولياء. الطائرة التي طار فيها ورآها المبارك لا تتصور في العقول الخاوية لأن فضل الله لا يُحَجَّر، وسار المبارك يدور على بني فنزير على من في قلبه مثقال ذرة من المحبة ليمكنه بالورد من سلسلة الذهب: الاستغفار والتصلية والهيللة، ثم تلك البيضات وهم تلك الفصوص، لقد أشار إليك

دَادُو بطرْف خفي لعلك تفهم عن الله، لأنك رأيت ثلاث بيضات ورأت زوجتك ثلاث فصوص: هو الورد بعينه، لأنك اتصلت من الشيخ بالمادة العلمية والمفاهم والمدارك والمشارب ولم تتصل بتلقين الورد كما اتصل به المبارك مشافهة. المبارك فاضت عليه ثمرات الورد وألبسه الله حلة المشيخة في ابتداء أمره وقريب عهده، ﴿ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ ﴾ . والآن يا دَادُو اجتهد في بناء الزاوية من أولها إلى آخرها إلى أن تُبَيِّضَها من خارج ومن داخل، وتسيحوا في بني فنزير بالطبل والغِيطَة[1] والجَلالَة، ولا تتركوا غنيا ولا فقيرا ولا ذكرا ولا أنثى من هذه النفحات التي تفضل بها الله عليكم لتجعلوا بهذه الهدايا موسما وفرحا ببناء هذه الزاوية العظيمة التي أحياها الله بعد موتها وموت صاحبها. المبارك أحيى الله به الزاوية وأحيى صاحبها وأخرجهم من العدم إلى الوجود. يا دادو إذا جئتَ والتقيتَ المباركَ علمْه الكتابة والقراءة في المصحف معكم في حزب المغرب والصبح، وعلمْه قراءة السَّمَاع[2] وقراءة الرسالات ومطالعة الكتب: هذا شغلك ووظيفتك، أدخلْ هذه الوظيفة مع الأشغال الحسية. والآن لا قدوم لك يا دادو إلا بعد فراغكم من خدمة الزاوية وقدومي إليكم لحفلتها وموسمها وفرحنا بفتحها.....والآن بابكم هو المبارك، المبارك أُذِنَ له في النسبة الحسية[3] وهو الورد أذِن له في تلقينه للخاص والعام، وأما المعاني عليكم بدادو صاحب الإشارات... الطائرة التي ركب فيها المبارك هي واحدة من الطائرات التي قَنبلتْ بني فنزير قبل هذا، وخرج من هذه القنابل الماء، وتفجرت منه العيون، وشرب من ذلك الماء من سبقت له العناية... فلما ركبها المبارك طافتْ به أنحاء المغرب بأسره إلى أنحاء العالم ونزل ببني فنزير بزاوية بوسلامة.......... هل رأيتم يا بني فنزير الخاص والعام مَنْ شدَّ رحلته إليكم بهذه الأحوال التي رأيتموها خارقة للعادة، هل سمعتم ورأيتم ما لا يتصور لكم في العقل منذ خلقكم الله، أما شهدتم

(1) الـغِيطَة: آلة موسيقية، تشبه آلة الناي.

(2) السماع: أي السماع والأمداح النبوية.

(3) أُذِنَ له في النسبة الحسية: أي أُذِنَ له في إعطاء الورد للمريدين.

بعينكم وسمعتم بأذنكم ما وقع في رحلتي إليكم من اجتماع أهل الحضرة الإلهية من أهل الظاهر والباطن وعالم الملائكة وعالم الروحاني وعالم الجن، لأن لنا التصريف فيما ذكرناه قبله منذ أربعين سنة. والآن قبل كل شيء وبعد كل شيء قل للإخوان: الصلاة في الوقت ولو كانوا في خدمتهم، وصلاة المغرب في الزاوية والحزب والاسم ودلائل الخيرات(1) والهَمْزِية والبُرْدَة(2) والورد، من تمسك بهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا، لأن من دخل في حزبنا يسعد بنا لأن بدايتنا فاقت نهاية غيرنا بالجد والاجتهاد والمعرفة والكرم والمحبة والمودة، وقوموا على ساق الجد في بناء الجامع والخوخة ومرحاض وراء المسجد، وابنوا عليها صالة نتوسع فيها، والباقي إن شاء الله للعام المقبل.

(عام 1381هـ ـ سنة 1961م).

ملاحظة: سيدي المبارك التجكاني وسيدي دادو هما من تلاميذ الشيخ سيدي محمد المرون.

بين شيخي سيدي حمزة شقور وسيدي محمد البوزيدي

قال لي شيخي سيدي حمزة شقور نفعنا الله ببركاته:

- سيدي محمد البوزيدي جلالي، طويل القامة، جسمه ممتلئ.
- أحب الأولياء كلهم، وأحب أكثر جَدِّي مولاي علي شقور وسيدي البوزيدي.
- سيدي البوزيدي لا يبخل عليّ. عندما أزور سيدي البوزيدي أكون مرتاحا. سيدي البوزيدي، أزوره يوم السبت.

(1) دلائل الخيرات: كتاب لسيدي محمد الجزولي يتضمن صلوات على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وقد رزق هذا الكتاب القبول والإشتهار ما لم يعط لغيره.

(2) الهمزية والبردة: قصيدتان لسيدي البوصيري، والبوصيري تلميذ لسيدي أبي العباس المرسي.

- بعدما توليتُ المشيخة بأسبوع أو أسبوعين، طلب مني سيدي الهاشمي السفياني رحمه اللــه (مُقدَّم الزاوية الشقورية في مدينة الشاون) القيام بزيارة ضريح سيدي محمد البوزيدي معللا طلبه بأن هذه الزيارة مفتاح الخير إن شاء الله. وبالفعل قمت بزيارة سيدي البوزيدي لأول مرة في حياتي سنة 1979م.

بعد هذه الزيارة، التقيتُ لأول مرة بالعارف بالله سيدي بدرالدين بن عجيبة الذي أجلسني على هيدورته. (الهيدورة سجادة من صوف الخروف)

[قلتُ لشيخي سيدي حمزة شقور: ما معنى سيدي بدر الدين بن عجيبة أجلسَكم على هيدورته. قال لي: أي أنه أعطاني مقامه].

- بعد ذلك بمدة التقيتُ يقظة بسيدي البوزيدي، وأول لقاء بيننا كان لقاء جلاليا، ثم بعد ذلك أصبح الالتقاء بالجمال والأدب.

مباشرة بعد أول لقاء لي مع سيدي البوزيدي يقظة، جاءتني قصيدة.

القصيدة حوار مع سيدي البوزيدي ومع العارفين بالله، ومناجات مع الله تعالى.

قصيدة شيخي سيدي حمزة شقور في سيدي البوزيدي

شُـــفُـــوا أسْــرَارْنَا يَالـــنَّاسْ ... كِـــيفْ انِّـــي مَخْفِـــيَا

شُـــفْتْ الْـــبُوزَيْدِي وَقُلْـــتْلُـو ... مَـــا تَجْـــدَبْش اعْلِـــيَا

جَذْبِـــي مْـــعَ جَـــدْبَكْ مَـــا يْكُونْ ... مَـــا نْخَـــرْجُ عْلـــى مْـــزِيَا

أنْـــتَ مَـــا اخْـــرَجْتش بْخَاطْـــرَكْ ... اللَّـــهْ جَابَـــكْ لِـــيَا

الِّـــي اعْطَـــاكْ اعْطَانِـــي ... فْدَيْـــرْتْهُمْ شَـــهْدُوا عْلِـــيَا

صَـــحْحُ بَعْـــيُونْ الْقَلْـــبْ ... شُـــفُوا أشْ زَيِـــدْ فِـــيَا

يَـــدِّي مْـــعَ يَـــدْهُمْ مَاشِـــي ... عَلَـــى حْـــسَبْ النِّـــيَا

هَدْشِّـــي مَخْلُـــوعْ مَـــنْ قَلْـــبْهُمْ ... لِلِّـــي مَـــا يْـــشُوفْ فِـــيَا

نِيْتِـــي خَـــالْصَ ف أهْـــلْ اللَّـــهْ ... هُـــوَ الْعَـــالَمْ بِـــيَا

الِّـــي اسْـــقَانِي اسْـــقَاهُمْ ... وَاشْـــمَنْ حُجَّـاعْلِـــيَا
بَحْـــرِمَنْ بَحْـــرْهُمْ وَاكْـــسَرْ ... هْـمُـــومْ الـــنَّاسْ عْـلِـــيَا
وَانْـــتَ يَالْغَانِـــي فَيَّـــضْتْ ... اشْــجَـيْـتَكْ عْـلِـــيَـا
أمَـــا يَعْلَـــمْ عْلَـــى الـــرُّوحْ ... غَيْـــرْ الِّـــي زرَعْهَـــا فِـــيَّا
نَتْوَسَـــــلَّكْ يَالْجَلِـــــيلْ ... كُـــفْ الْقْبِـــيحْ اعْلِـــيَا
أنَـــا عْوِينِـــي بَاللَّـــهْ ... هُـــوَ شَـــابَرْ فِـــيَا
قَلْبِـــي هُـــوَ مْعَلَّـــقْ بِـــكْ ... اجْنَابِـــي تَنْـــشرْ فِـــيَا
كَـثْـــــرْ صَـــبْرِكْ عْلِـــيَا ... بَـــشْ مَـــا يْقَـــنْطُو بِـــيَا
أنَـــا خَمَّـــرْتْ وَعَمَّـــرْتْ ... ورَبِّـــي افْـــرَاحْ بِـــيَا
بَفْـــضَلَكْ سِـــرْتْ نَذْكُـــرْ ... فِـــي كُـــلْ اصْـــبَاحْ وَغْـــشِيَا
الـــصَّلاةْ وَالـــسَّلامْ عْلِـــيكْ ... يَـــا خَيْـــرَ الْبَـــرِيَا

قال لي سيدي أحمد بن الأخماس

(وهو من تلاميذ الشيخ سيدي حمزة شقور):

(ذات يوم كان المريدون مجتمعين بالزاوية الشقورية، فاقترح شيخنا سيدي حمزة شـقورأن نزور الولي الصالح سيدي محمد البوزيدي. وفعلا قصدنا هذا الولي الصالح المـرة الأولى، وفي الزيارة الثانية حضر معنا السيد عمر الحَسَّاني والسيد مُولْ العَهْدْ وهـو شـريف عروسي من ذرية مولاي عبد السلام بن مشيش. في زيارتنا الثالثة لـسيدي البوزيدي، طلبتُ من شيخنا سيدي حمزة أن نقصد ضريح الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش بعد هذه الزيارة، فغضب الشيخ وردَّ عليَّ قائلا بصوت عالي: حَتى يْخَلصْنا[1] البوزيدي. ثم زرنا سيدي البوزيدي المرة الرابعة والخامسة، إلى أن

(1) أي يـجازينا.

أتممـــنا عـــشر زيارات خاصة بهذا الولي.في الزيارة العاشرة، وبينما نحن في ضريح سيدي البوزيدي حَضَرَ الكاتب العام لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للحكومة المغربية الذي استدعى الشيخَ والفقراءَ، فلبى الشيخ الدعوة وذكرنا الله تعالى، وحضر وزيــر الأوقـــاف والشؤون الإسلامية الذي طلب دعوة صالحة من الشيخ، فقال له الشيخ (الزاوية الشقورية منسية عندكم). في الحين أمَر الوزير بتسجيل عشرة مقاعد لموسم الحج كلها للزاوية الشقورية.بعد الدعاء والختام، قال لي الشيخ: ماذا قلتُ لك أثـــناء زيارتنا الثالثة بخصوص مداومة زيارة سيدي البوزيدي، وقال لي: احسبْ كم مـــرة زرنا ضريح سيدي البوزيدي. أحصينا الزيارات فوجدناها عشرة، على عدد المقاعد المخصصة للحج.وبالفعل حجَّ الشيخ ومعه تسعة فقراء، وكان ذلك في سنة 1996م).

الباب الثامن

موسم سيدي محمد البوزيدي
المُقام في ضريحه.

موسم سيدي محمد البوزيدي

أخـــبرني شـــيخي سيدي حمزة شقور نفعنا الله ببركاته بأن الشيخ سيدي بدر الدين بن عَجِيبَة قال للفقيه القَرُّوق: أبي سيدي أحمد بُغْداد [وهو سيدي أحمد بُغداد ابـــن سيدي الحاج عبد القادر بن عجيبة ابن الولي الشهير سيدي أحمد بن عجيبة] كـــان يقيم موسم سيدي محمد البوزيدي، وبعد موت أبي انقطع هذا الموسم، هل تُحيي هذا الموسم؟ فقال الفقيه القروق: نعم، فقال سيدي بدر الدين بن عجيبة: إذا أحييتَ هذا الموسم يُحْيي الله قلبك.

وبالفعل كان الفقيه القروق يتكلف بمصاريف الموسم.

أخبر سيدي بدر الدين بن عجيبة الفقيهَ القروقَ بأن سيدي البوزيدي قال له: (الحاج القروق محبوب لدينا).

تـــوفي سيدي أحمد بُغداد ابن سيدي الحاج عبد القادر بن عجيبة، عام 1331 هجرية.

الفقيه القروق، مدة ثلاثين سنة، وهو يقيم موسم سيدي البوزيدي.

ثم منذ سنة 2000م، شيخي سيدي حمزة شقور هو الذي يقيم موسم سيدي محمد البوزيدي.

موسم سيدي البوزيدي غشت 2001م

موســـم سيدي البوزيدي يقام في ضريحه الذي يقع قرْب السْطِيحَاتْ، عمالة الشاون.

أكرمني الله بحضور هذا الموسم.

هذا الموسم هو الثاني الذي يقيمه شيخي سيدي حمزة شقور، والموسم الأول كان في سنة 2000م وأقيم في يوم واحد.

قـــال لي الـــشيخ: هذه السنة الموسم في يومين، أي موسمان، وذلك لتعويض السنوات التي لم يكن يقام فيها الموسم.

أخـــبرني شيخي بأن الولي إذا ذبح في حياته مثلا خمسمائة عجلة، سواء كان لإقامة مواسم أو لإكرام الفقراء، فإنه بعد وفاة هذا الولي يُذبَحُ عليه خمسمائة عجلة، جزاء وفاقا.

سيدي البوزيدي كل ما ذبحه وأعطاه لله كله محسوب.

السبب في أن الذبيحة قليلة في موسم سيدي البوزيدي، هو أن الشيخ مولاي العـــربي الـــدرقاوي كان يتحكم في تلميذه سيدي البوزيدي رضي الله عنهما وكان يقبض لجامه. مولاي العربي الدرقاوي أصبح يتحكم فقط في ظاهر سيدي البوزيدي.

العـــباد يَجْمَعهم الأكل. قال مولاي العربي الدرقاوي في رسالة له إلى سيدي البوزيدي (وأنت يا سيدي نحبك أن تقلل من معرفة الناس بإطعامهم البلبول بالماء والملح).

مواسم أهل الله فيها نفحات كبيرة جدًّا، لأن الأولياء يحضرون من كل مكان، ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

موسم أهل الله فيه رحمة للإنس والجن. الجن يذكر الله تعالى مثل الإنس.

الجن يأكل دم الذبيحة ويأكل من عظمها.

يـــوم الـــسبت 18 غشت ذبح الفقراء عجلا بجانب مسجد سيدي البوزيدي (المسجد قريب جدًّا من الضريح)، وأثناء ذبحه أمر الشيخ الفقراء بتلاوة سورة يس.

سمعـــتُ الشيخ وهو يقول لسيدي عمر الحَسَّانِي: لو عرف الناس مقام سيدي

البوزيدي لما زاروا غيره.

أخـــبرني شيخي بأن سيدي البوزيدي لا يلتقي به أحد من الأولياء إلا إذا أراد سيدي البوزيدي ذلك، وإن كان مقام ذلك الولي ما كان. سيدي البوزيدي لا يعرفه شـــيوخ الطريقة بالمغرب. سيدي البوزيدي كان يعرفه سيدي بدر الدين بن عجيبة وسيدي عبد القادر بن عجيبة.

موسم سيدي البوزيدي هذه السنة، إضافة إلى الأمداح والعمارة [أي الحضرة]، لأول مرة يحضر الطرب الأندلسي الذي أقامه فقراء الزاوية الشقورية.

يـــوم الأحد 19 غشت ما بين العصر والمغرب، أقيم الطرب الأندلسي قرب ضـــريح سيدي البوزيدي. أثناء ذلك أخبرني سيدي حمزة شقور بأن سيدي محمد المـــرون مَرَّ قريبا منه وهو يبتسم فرحاً (العارف بالله سيدي محمد المرون توفي يوم 12 مارس سنة 1996م).

ليلة الأحد، كانت العمارة قرب ضريح سيدي البوزيدي، وحضر سر كبير في العمارة.

الفقيه القشتول، أحد تلامذة الشيخ سيدي حمزة شقور، أخبر الشيخَ والفقراءَ بأنه عند زيارته لضريح سيدي البوزيدي سمع الروحانيين يذكرون الله وبالطبل.

سمعـــت الشيخ يقول بأن موسم سيدي البوزيدي يصلح أن يكون فيه الطبل، لأن المكان مفتوح.

ليلة الأحد 19 غشت، لم ينم الشيخ سيدي حمزة ولو دقيقة واحدة، وهذه هي عـــادة الـــشيخ في مواســـم أهل الله. قال الشيخ للفقراء: أنا سأقضي هذه الليلة في حراستكم.

أخـــبرني شـــيخ الطريقة العجيبية الدرقاوية سيدي عبد الواحد بن سيدي عبد القـــادر بـــن سيدي عبد السلام بن عجيبة، بأنه حضر هذا الموسم بإذنٍ من سيدي البوزيدي.

هـــذه السنة 2001م، كان موسم سيدي البوزيدي يوم 18 ويوم 19 غشت، وموسم الزُّمِّيجْ (أي موسم سيدي أحمد بن عجيبة وأولاده) كان يوم 13 غشت.

قال شيخي سيدي حمزة لسيدي عبد الواحد بن عجيبة: التلميذ لا يتقدم أمام شيخه، ولذا فإن موسم سيدي البوزيدي سيكون قبل موسم سيدي أحمد بن عجيبة في العام المقبل إن شاء الله، يكون موسم سيدي البوزيدي يوم 10 غشت 2002م، وموسم سيدي أحمد بن عجيبة يوم 15 غشت 2002م إن شاء الله. فقال سيدي عبد الواحد بن عجيبة: نعمْ.

عند ختم موسم سيدي البوزيدي، قرأ شيخي سيدي حمزة وقرأ معه الحاضرون مائـــة مرة لا إله إلا الله، ومائة مرة ألـلـــهْ، وخمسة وعشرين مرة هذا الدعاء: اللهم اجمعني بسيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في الدنيا قبل الآخرة.

موسم سيدي البوزيدي غشت 2002م

هذا الموسم، أقامه شيخي سيدي حمزة يوم السبت 10 غشت 2002م.

لـــيلة السبت وفي دار شيخي في مدينة الشاون، قال سيدي عبد الإله يَحْـــيَا للشيخ: أختي توفيتْ وكانت تتمنى زيارة سيدي البوزيدي ومولاي عبد السلام بن مشيش ولم يتيسر لها زيارتهما في حياتها. فقال له الشيخ: عند خروج روحها التقتْ بهما قبل أن تلتقي بالله.

قال الشيخ لسيدي عبد الإله: في موسم مثل موسم سيدي البوزيدي يأتي عدد من الزوار، وزائران أو ثلاثة زائرين فقط هم الذين يأخذون البركة.

ثم قال الشيخ: **سيدي البوزيدي هو أكبر ولي في المغرب.**

هـــذا الموسم 2002 م حضره حوالي عشرون شخص، وأما موسم 2001 م فقد حضره عدد كبير جدا من الزائرين.

أخـــبرنا الشيخ بأن موسم سيدي البوزيدي هذه السنة 2002 م السِّرُّ فيه ألْف مرة أكثر من موسم السنة الماضية (2001 م).

في صـــباح يوم السبت أكرمني الله بمرافقة الشيخ والفقراء، ووصلنا إلى سوق مدينة وادْ لاوْ حيث اشترى الشيخ الذبيحة واشترى كل ما يلزم شراءه.

صلينا صلاة الظهر في ضريح سيدي البوزيدي، وبقينا إلى حوالي الساعة الحادية عـــشرة ليلا: ما بين قراءة القرآن والأذكار ومذاكرات وأمداح نبوية والعِمَارَة [أي

الحضرة] وأدعيات.

حوالي ساعة ما بين صلاة الظهر وصلاة العصر، في ضريح سيدي البوزيدي، أمرنا الشيخ بالدعاء والدعاء والدعاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدعاء مخ العبادة). دعى كل واحد منا. ثم دعى الفقير سيدي سليمان مع كل واحد منا.

ثم استلقى الشيخ على بطنه وطلب الشيخ من فقرائه أن يضعوا أرجلهم على ظهره وطلب منهم الدعاء بالشفاء، فامتثلوا. قال الشيخ: (أنا تراب الجميع: الطائع والعاصي).

ما بين صلاة العصر والمغرب، أمرنا الشيخ بقراءة بركة من القرآن وأهديناها إلى روح الولي الصالح سيدي أحمد الفيلالي المدفون في قبيلة غمارة.

قلتُ للشيخ: هل حضر الشيخ مولاي العربي الدرقاوي في هذا الموسم؟

فقال لي الشيخ: السلسلة حضرتْ.

قلت للشيخ: هل السلسلة كلها حضرتْ إلى رسول الله؟

فقال لي: نعم.

في هذا الموسم، حكى لي سيدي عمر الحَساني ثلاث مراءٍ بخصوص شيخي سيدي حمزة شقور، وحكى لي سيدي محمد أهلال رؤيتين بخصوص شيخي.

موسم سيدي البوزيدي يوليوز 2003 م

هذا الموسم، أقامه شيخي سيدي حمزة شقور يوم السبت 19 يوليوز 2003 م.

حضر هذا الموسم حوالي نيف وثلاثون شخص.

قلت لشيخي: موسم سيدي البوزيدي هذه السنة في شهر يوليوز، والموسمان السابقان كانا في شهر غشت.

فقال لي: سيدي محمد البوزيدي خامل مهمول، لم يكن له موسم. كان الفقيه القروق يقيم موسم سيدي البوزيدي بعد موسم الزُّمَّيجْ (أي موسم تلميذه سيدي أحمد بن عجيبة). كانوا يجتمعون في موسم الزميج ويقررون آنذاك تاريخ موسم سيدي البوزيدي. لكن الأدب أن يكون موسم الشيخ قبل موسم التلميذ.

يــوم الجمعة 18 يوليوز 2003 م، أتى فقيران يُعَمّران الزاوية الحراقية في مدينة تطــوان، أتــيا إلى الزاوية الشقورية ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء. جاءا إلى الــشاون لحضور المهرجان الجهوي للأمداح الذي سيقام ليلة السبت وليلة الأحد: 19 و20 يولــيوز 2003م. اســتدعى الشيخ هذين الفقيرين لحضور موسم سيدي البوزيدي، ولم يكونا على علم بتاريخ الموسم، ففرحا كثيرا.

يوم السبت، خرجنا مع الشيخ من مدينة الشاون على الساعة الخامسة والنصف صباحا، لكي نصل باكرين إلى سوق السبت في مدينة واد لاو حيث اشترى الشيخ خروفا كبيرا وجديا واشترى كل ما يلزم شراؤه.

حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحا، ذبح الفقراء الخروف خارج الضريح، وأثناء الذبح قرأ الفقراء سورة يس.

بعد قراءة سورة يس وآيات قرآنية، دعى سيدي أحمد النحلي وهو من تلامذة شيخي، دعى مع الأولياء والصالحين ومع الفقراء الحاضرين والغائبين.

في الساعة العاشرة، دخل الشيخ والفقراء إلى الضريح، وأقيمت العمارة حيث ذكــر المادحون كلام الشيخ مولاي علي شقور وكلام العارفين بالله. العمارة كانت بالطبل.

بعــد العمــارة، دعى سيدي أحمد النحلي بإذن من الشيخ، مع الأولياء ومع الفقــراء الحاضرين والغائبين وعائلاتهم. ثم استأذن سيدي أحمد الرحموني الشيخَ في الدعاء، فأذن له الشيخ، فدعى وقرأ أسماء الله تعالى بالحال.

صلينا صلاة الظهر في مسجد سيدي البوزيدي.

حوالي ساعة قبل صلاة العصر، تلا الفقراء الأمداح النبوية وبعض صنائع الآلة الأندلسية.

بقيــنا في مسجد سيدي البوزيدي حوالي ساعة ونصف بعد صلاة العصر، ثم ودعنا الضريح.

أخــبرنا الشيخ بأنه في زيارة سابقة لضريح سيدي البوزيدي أتت ثلاثة طيور كــبيرة بيضاء وهم: سيدي علي العمراني الجمل ومولاي العربي الدرقاوي وسيدي

محمد البوزيدي.

أثناء هذا الموسم سمعتُ فوائد كثيرة من الشيخ، منها:

- من يبحث عن الكنوز فاعلم أنه لم يلتق بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم.

- من يلتقِ بسيد الوجود، لأول مرة، فإنه يرى مِنَ الأرض السابعة إلى السماء السابعة، ويرى آنذاك من جملة ما يرى الكنوز وتقول له خذ، ويزهد فيها.

- قبل الالتقاء بسيد الوجود، تأتي إشارات وعلامات.

- من التقى بسيد الوجود، وأعطاه سيد الوجود صلاة، فهذا كمال الكمال.

- لو اتفق اثنان أو ثلاثة من أهل الله على شيء، لذهبتْ كل العراقيل ولقُضِيَ ذلك الشيء.

- مــن يزور وليًا نائما، ويلاقيه الله بولي حيٍّ، فالولي الحي له مقام ذلك الولي النائم.

- تــتكلم عــن ولي نائم، ويدخل عليك ولي حي، فالولي الحي له مقام ذلك الولي النائم.

- المجذوب، قد يأتيه الجذب وهو طفل أو رضيع، أو يأتيه الجذب وهو في بطن أمه.

الـفـهـرس

الباب الثالث

الباب الرابع

كتاب الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية لسيدي محمد البوزيدي

الباب الخامس

فهارس كتاب (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية)

الباب السادس

قصيدتان لسيدي محمد البوزيدي الرائية والتائية

الباب السابع

تلاميذ وبعض أحباء سيدي محمد البوزيدي

الباب الثامن

موسم سيدي محمد البوزيدي المُقام في ضريحه